**خمسون خطبة منبرية**

هداياتٌ قرآنيةٌ وأحاديثُ نبويةٌ وأحكامٌ فقهية ومواعظُ بليغة

**المجموعة الأولى**

**تأليف**

**الدكتور محمد بن علي بن جميل المطري**



## المقدمة

الحمدُ لله وحده، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه، اللهم اجعلنا هداة مهتدين، ندعو إلى عبادتك وتوحيدك على بصيرة، ونعمل الصالحات متبعين سنة نبيك، ونتمسك بالإسلام الذي رضيته لعبادك، أما بعد:

فهذه خمسون خطبة منبرية، تصلح لسنة كاملة، مع خطبتي عيدي الفطر والأضحى، كتبتُها لينتفع بها من يشاء الله من الخطباء جزاهم الله خيرًا، وأسأل الله أن ينفع بهم أينما كانوا، وأن يزيدهم هدى وتوفيقًا، وأن يجعلهم هداة مهتدين، {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [فصلت: 33].

وستجد أن أغلب هذه الخطب من كتاب الله تعالى، عملًا بقول الله تعالى آمرا رسوله ﷺ: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: 45]، فخير ما يتذكر به الناس كتاب الله سبحانه، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 57]، اشتملت هذه الخطب الخمسين على نحو ألفي (2000) آية قرآنية، وأكثر من مائتي (200) حديث نبوي.

وقد ثبت في الأحاديث النبوية أن النبي ﷺ كان يُكثِر من قراءة القرآن في خطب الجمعة حتى قالت أم هشام بنت حارثة بن النعمان رضي الله عنها: (ما أخذت ق والقرآن المجيد إلا عن لسان رسول الله ﷺ، يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس) رواه مسلم (873).

وروى البخاري (3230) ومسلم (3992) عن يعلى بن أمية رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقرأ على المنبر: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾ [الزخرف: 77].

وروى أبو داود (1410) وصححه الألباني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ وهو على المنبر سورة ص، فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه، فلما كان يومٌ آخر قرأها، فلما بلغ السجدة تشزن الناس للسجود [أي: استعدوا]، فقال النبي ﷺ: ((إِنَّمَا هِيَ تَوْبَةُ نَبِيٍّ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُكُمْ تَشَزَّنْتُمْ لِلسُّجُودِ))، فنزل فسجد وسجدوا.

وروى أحمد في مسنده (5414) بإسناد صحيح على شرط مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 67]، ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده، ويحركها، يُقبل بها ويُدبر: ((يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ: أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْمُتَكَبِّرُ، أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْعَزِيزُ، أَنَا الْكَرِيمُ))، وأصل الحديث في الصحيحين، صحيح البخاري (7413)، وصحيح مسلم (2788).

وكان الصحابة رضي الله عنهم يكثرون من تذكير الناس بكتاب الله سبحانه، ففي صحيح البخاري (1077) عن ربيعة بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ يوم الجمعة على المنبر بسورة النحل حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد وسجد الناس، حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها، حتى إذا جاء السجدة قال: (يا أيها الناس إنا نمر بالسجود، فمن سجد فقد أصاب، ومن لم يسجد فلا إثم عليه) ولم يسجد عمر رضي الله عنه، وتأمل قراءة عمر الفاروق بسورة النحل في جمعتين متتاليتين!

وروى ابن جرير في تفسيره (6/ 172) عن عاصم بن كُليب عن أبيه قال: خطب عمر يوم الجمعة، فقرأ آل عمران، وكان يُعجبه إذا خطب أن يقرأها.

وروى ابن أبي شيبة (30105) وابن جرير في تفسيره (24/ 120) بإسناد صحيح على شرط الشيخين عن أنس رضي الله عنه أن عمر قرأ على المنبر سورة عبس حتى أتى على هذه الآية: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: 31]، ثم قال: (هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأبُّ؟)، ثم رجع إلى نفسه فقال: (إن هذا لهو التكلف يا عمر).

وروى البيهقي في السنن الكبرى (5781) عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كان يقرأ في خطبته يوم الجمعة ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: 1] حتى يبلغ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: 14] ثم يقطع.

وروى عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (2955) بسند صحيح عن يحيى بن رافع قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يخطب، فقرأ هذه الآية: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: 21] قال: (سائق يسوقها إلى الله، وشاهد يشهد عليها بما عملت).

وفي هذا الأثر مشروعية تفسير الآيات القرآنية على المنبر إذا كان السامعون لا يفهمون معاني الآيات أو يحتاجون إلى التنبيه على بعض أحكامها وهداياتها، وهذا من تدبر القرآن الكريم الذي أمرنا الله به في قوله سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29].

ومثل هذا ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ في خطبة الجمعة سورة هود وفسَّر آية يحتاج الناس إلى تفسيرها، روى ابن جرير (12/ 644) عن سعيد بن جبير قال: سمعت ابن عباس قرأ سورة هود على الناس حتى بلغ: ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾ [هود: 120] قال: (في هذه السورة).

وروى عبد الرزاق الصنعاني (5285) عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي قال: سمعت حذيفة بن اليمان يوم الجمعة وهو على المنبر قرأ ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: 1] فقال: (قد اقتربت الساعة، وقد انشق القمر، فاليوم المضمار، وغدا السباق)، وفي هذه الأثر موعظة الناس بالاعتماد على آيات القرآن الكريم، وتعليمهم ما يحتاجون إلى تفسيره.

وروى ابن جرير في تفسيره (22/ 255) عن حارثة بن سليمان السلمي قال: سمعت عبد الله بن الزبير، وهو يفسر هذه الآية على المنبر، وهو يقول: هل تدرون ما ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ [الرحمن: 64]؟ (خضراوان من الرِّيِّ).

وروى ابن أبي شيبة (5204) بإسناد صحيح أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قرأ وهو على المنبر: قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد.

وروى ابن سعد في الطبقة الخامسة من كتابه الطبقات الكبرى (1/ 278) عن أبي رزين قال: خطبنا الحسن بن علي يوم جمعة، فقرأ سورة إبراهيم على المنبر حتى ختمها.

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه (4274) بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم عن الضحاك بن قيس رضي الله عنه أنه خطب فقرأ سورة ص.

فما أحوج خطباء الجمعة إلى إحياء هذه السنة المهجورة، فيُذكِّرون الناس بآيات الذكر الحكيم، ويبينون لهم معانيه العظيمة، ومن لم يتعظ بالقرآن فلن يتعظ بغيره، كما قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: 50].

وينبغي للخطباء أن يعتنوا بخطب الجمعة؛ لأن كثيرًا من الناس لا يفرِّغون أنفسهم لسماع العلم وأحكام الدين والمواعظ إلا يوم الجمعة، فخطبة الجمعة فرصة مناسبة لتعليمهم وتذكيرهم، وقد ثبت أن النبي ﷺ خطب مرة بأصحابه في غير جمعة من الفجر إلى المغرب، روى مسلم في صحيحه (2892) عن عمرو بن أخطب رضي الله عنه قال: (صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فأعلَمُنا أحفَظُنا)، وربما كانت هذه الخطبة الطويلة في شهر رمضان، وروى النسائي (621) وصححه الألباني عن أبي مريم رضي الله عنه قال: (كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأسرينا ليلة، فلما كان في وجه الصبح، نزل رسول الله ﷺ فنام ونام الناس، فلم يستيقظ إلا بالشمس قد طلعت علينا، فأمر رسول الله ﷺ المؤذن فأذن، ثم صلى الركعتين قبل الفجر، ثم أمره فأقام فصلى بالناس، ثم حدثنا بما هو كائن حتى تقوم الساعة)، والظاهر أن هذه خطبة أخرى كانت في السفر، أما الأولى فكانت في المسجد النبوي بدليل ذكر المنبر، والله أعلم، وروى البخاري (6604) ومسلم (2891) عن حذيفة رضي الله عنه قال: (لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئًا إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه وجهله من جهله)، ولم يبين حذيفة هل كان ذلك المقام في خطبة جمعة أو غيرها، ولعلها نفس الخطبة التي رواها عمرو بن أخطب في الحضر أو أبو مريم في السفر، وروى أحمد (18224) وصححه الأرناؤوط من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ طوَّل خطبته، ولعلها إحدى الخطب المذكورة في الأحاديث السابقة، وروى أحمد (11143) والترمذي (2191) وحسَّنه من طريق علي بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (خطبنا رسول الله ﷺ خطبة بعد العصر إلى مغيربان الشمس)، وإسناده كلهم ثقات ما عدا علي بن زيد بن جُدعان القرشي، فيه ضعف، وإن كان من أوعية العلم كما قال الذهبي، ويشهد لحديثه هذا ما سبق، "وإذا كان أصل الحديث محفوظًا لا يبالى بغرابة السند" كما قال الحازمي في كتابه الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار (ص: 190).

وقد تقدم أن الصحابة كانوا يطولون خطبة الجمعة أحيانًا، فعمر رضي الله عنه كان يعجبه أن يخطب بسورة آل عمران، وهي سورة طويلة جدًا آياتها 200 آية، وابن عباس رضي الله عنهما خطب مرة بسورة هود، وآياتها 123 آية.

فلا يُنكَر على من طوَّل خطبة الجمعة نادرًا للحاجة والمصلحة، والتوسط في الخطب هو الأنسب والأفضل، وهو الأقرب للسنة وللحكمة من مشروعية الخطب التي يكون فيها أحيانًا تعليم وتبيين مواضع تحتاج إلى شيء من التفصيل بلا تقصير مخل، ولا تطويل ممل، فمن خطب خطبتي الجمعة في نحو 20 دقيقة إلى 25 دقيقة فقد توسط وأحسن، وإن زاد قليلًا بحسب الموضوع أو أنقص في بعض الأحيان فلا حرج، ولا ينبغي للخطيب تعمدُ وقتٍ محدد لا يَزيد عليه ولا يَنقص منه في جميع خطبه طَوال السنة، فقد نُهينا عن التكلف، ومن البدع المحدثة في هذا الزمان في بعض البلدان إلزام خطباء الجمعة بوقتٍ قصيرٍ ضيقٍ لا يزيدون عليه وإن كان الموضوع يحتاج إلى بيان وتفصيل، فتكون الخطبة حينئذ مخلة بالموضوع، غير مستوعبة لما يحتاج الناس إلى سماعه وتوضيحه، فالسنة في خطب الجمعة التوسط بلا تحديدِ وقتٍ لا يُزاد عليه ولا يُنقص منه، كما أن صلاة الجمعة لا تُحدَّد بوقت معين، والتوسط في الخطبة يُعتبر من التقصير المستحب، وقد نص الفقهاء على مشروعية توسط الخطبة، وأن ذلك من تقصيرها المطلوب، وأنه لا بأس بإطالتها أحيانًا للحاجة.

قال النووي في المجموع (4/ 528، 529): "يُستحب تقصير الخطبة حتى لا يملوها، ويكون قِصَرُهَا معتدلًا، ولا يبالغ بحيث يمحقها" انتهى باختصار.

وقال زكريا الأنصاري في أسنى المطالب (1/ 260): "يُندب أن تكون الخطبة متوسطة بين الطويلة والقصيرة". وقال الرملي في حاشيته على أسنى المطالب (1/ 260): "(قوله متوسطة إلخ) قال الأذرعي: وحسنٌ أن يختلف ذلك باختلاف الأحوال وأزمان الأسباب، وقد يقتضي الحال الإسهاب كالحث على الجهاد إذا طرق العدو البلاد وغير ذلك من النهي عن الخمور والفواحش والزنا والظلم إذا تتابع الناس فيها، وحسنٌ قول الماوردي: ويقصد إيراد المعنى الصحيح، واختيار اللفظ الفصيح، ولا يطيل إطالة تُمِل، ولا يُقصِّر تقصيرًا يُخِل".

وقال ابن هبيرة في الإفصاح عن معاني الصحاح (2/ 138): "تقصير الخطبة يكون في الأكثر، فإن احتاج الخطيب إلى أن يطيل لذكر حادثة جرت أو نائبة أو إبانة عن صورة لا بد من إبانتها لم يُكره ذلك إن شاء الله تعالى".

وقال ابن القيم في زاد المعاد في هدي خير العباد (1/ 184): "كان يُقصِّر خطبته أحيانًا، ويطيلها أحيانًا بحسب حاجة الناس".

وفي هذا الكتاب خمسون خطبة متنوعة، مشتملة على هدايات قرآنية وأحاديث وأحكام فقهية ومواعظ بليغة، ومدة الخطبة الواحدة ما يقارب 25 دقيقة، وقد تزيد أو تنقص بحسب الموضوع، وهي مدة مناسبة متوسطة، ليست طويلة مملة، ولا قصيرة مخلة، ومن كان يريد أن يخطب في وقتٍ أقل فيمكنه جعل الخطبة الواحدة في جمعتين متتاليتين، أو يختصر الخطبة ويقتصر على ما يراه أهم.

أسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب الخطباء والمستمعين لهم، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

محمد بن علي بن جميل المطري

صنعاء - اليمن

13 شهر صفر 1446

## (1) فضل القرآن الكريم

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70، 71]. أما بعد:

فإنَّ خير الكلام كلام الله، وخيرَ الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة.

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 57]، يبين الله لنا فضلَ القرآنِ الكريم، وعظيمَ أثرِه وبركتِه، فهو كلام الله بين أيدينا، أمَرَنا الله بالإقبال عليه، قراءةً واستماعًا، وتعلُّمًا وتدبرًا، وعملًا وتحاكمًا، من أجل أن يرحمنا الله في الدنيا والآخرة، قال الله عز وجل: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ \* وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: 203]، وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89]، فهو كتابُ هدايةٍ وحُكْم، وكلُّ ما نحتاج إليه بينه الله في القرآن العظيم نصًّا أو دَلالة أو استنباطًا، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمه، وجَهِلَه مَنْ جَهِله، قال الله عز وجل: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29] أي: ليتذكر أصحابُ العقولِ بالقرآن ما ينفعُهم في دينِهِم ودنياهم وآخرتِهم.

وقد فصَّل اللهُ آياتِ القرآنِ لعل الناسَ يتوبون إلى الله، ويرجعون إلى الحق الذي يُرضي الله، كما قال الله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: 174].

أيها المسلمون، القرآن يهدي جميع شعوب الأرض إلى الحق، في جميع الأمور الدينية والدنيوية، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9] أي: يهدي الناسَ لأحسن الخصال في كل الأمور، فهو هدايةٌ للأفراد والأُسَر والمجتمعات والدول، فمن تمسك بالقرآن فقد اهتدى، ولا يضلُّ ولا يشقى، قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 38]، وقال سبحانه: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى \* وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: 123، 124].

أيها المسلمون، خلق الله الناس لعبادته وحده، ولم يتركهم همَلًا من غير كتابٍ منه يهديهم به، قال الله الحكيم الرحيم: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾، فالناس من غير القرآن كالغرقى، ومن رحمة الله بعباده أن جعل كتابه حبلًا ممدودًا من السماء إلى الأرض، وأمرنا بالتمسك به تمسك الغريق، فإن تمسكنا به نجونا وسعِدنا، وإن تركناه هلَكْنا وخسِرنا، قال الله عز وجل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾، فأمرنا جميعًا بالاعتصام بكتابه، فيجبُ على كل عاقل أن يتمسك بالقرآن تمسك الغريق، فهو طريق النجاة الوحيد، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ \* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، فالقرآن نورٌ وهدايةٌ ورحمةٌ في الدنيا والآخرة لكل من آمن به واتبعه، فيه السعادةُ والطمأنينة، فيه الخيرُ والبركة، فيه الأمرُ بعبادة الله وحده، والأمرُ بطاعته وطاعةِ رسوله، فيه الأمرُ بالعدل ولإحسانِ، فيه الرحمةُ بالخلق، فيه الحثُّ على صالح الأخلاق، فالقرآن الكريم هو منقذُ البشرية من الضلال والهلاك في الدنيا والآخرة، وهو طريق الفوز بالجنة.

أيها المسلمون، القرآن كلام الله أنزله بالحق، ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ \* وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ [الطارق:13-14]، أمر الله عباده أن يأخذوه بقوة، ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 63] بقوة: أي بنشاطٍ وجِدٍّ وحزم، وسيسألنا الله عن هذا القرآن كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: 44] وقال النبي ﷺ: ((وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ))، فمن جعل القرآن أمامه بالعمل قاده إلى الجنة، ومن جعله وراء ظهره بترك العمل ساقه إلى النار.

أيها المسلمون، في القرآن عِزُّنا وسعادتُنا في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: 10]، أفلا تعقلون أيها المسلمون وتعلمون عظمة القرآن؟!

أرسل الله رسوله محمدًا ﷺ بالقرآن العظيم ليدعو به جميع الناس، وليخرجهم به من الظلمات إلى النور بإذن الله، فهو تذكرةٌ وموعظةٌ من الله لعباده، كما قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: 1]، فمن آمن بالقرآن اهتدى، ورحمه الله في الدنيا والآخرة، ومن أعرض عن القرآن ضل، واستحق عذاب الله في الدنيا والآخرة، وأظلمُ الناسِ مَنْ أعرض عن آيات القرآن، كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ [السجدة: 22].

أيها المسلمون، أنزل الله القرآن لنتعلمه ونتلوه ونتدبره ونعمل به ونتحاكم إليه، وقد اكتفى كثيرٌ من الناس بتلاوة القرآن لحصول البركة دون تعلمه ولا تدبره ولا العملٍ بأحكامه، وهذا من هجر القرآن، قال العلماء: هجر القرآن أنواع: فمن هجرِ القرآن هجرُ تلاوتِه وهجر استماعِه، ومن هجرِ القرآن هجرُ تعلمه، ومن هجرِ القرآن هجرُ تدبرِه، ومن هجرِ القرآنِ هجرُ العملِ به، ومن هجرِ القرآن هجرُ التحاكم إليه، ومِن هجرِ القرآنِ هجرُ التداوي به، فكل هذا من هجر القرآن، والواجب على المسلم أن يُعظِّم القرآن ويعرفَ قدرَه وبركتَه، وأن يهتم بتلاوته واستماعِه وتعلمِه وتدبرِه والاستشفاءِ به، وأن يؤمن به، ويعمل بأحكامه، ويتحاكم إليه.

أيها المسلمون، تلاوةُ القرآنِ وتعلُّمُه للعملِ به تجارةٌ رابحة مع الله، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ \* لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: 29، 30]، ويقول النبي ﷺ: ((خَيرُكُمْ مَنْ تَعلَّمَ القُرآنَ وعَلَّمَه))، فعلينا أن نحرص على تعلُّمِ القرآن تلاوة وتفسيرًا وتدبرًا، وأن نشجع أولادنا ونساءنا على تعلمه وتدبره، فهو خير كتاب، وهو أحسن الحديث، وفيه أنفع العلوم، وفيه أحسن القصص والمواعظ.

أيها المسلمون، القرآنُ فيه الخيرات والبركات في الدنيا والآخرة، فهو كتاب كريم، من أقبل عليه وجد من الله الكرامات والبركات، وتأملوا قولَ الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ \* عَلَّمَ الْقُرْآنَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ [الرحمن: 1 - 3]، فقبل أن يذكر خلقَ الإنسانِ ذكرَ أنه علَّم القرآن، فالناس بلا قرآنٍ في خسران، ولا سعادةَ حقيقيةً للإنسان إلا بالقرآن، وأولُ سورة أنزلها الله على رسوله قال فيها: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1 - 5]، وروى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، مَثَلُ الْأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ، لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ))، فلو قرأ القرآنَ منافقٌ أو فاجرٌ فسيؤثرُ القرآنَ في ظاهره، فما بالُكم بالمؤمن الذي يقرؤه ويتدبره ويعمل به؟!

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ زَهْرَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْم وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟))، فقلنا: كلنا نحب ذلك يا رسول الله، فقال عليه الصلاة والسلام: ((أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَتَعَلَّمُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ))، وقد كانت النوق في الزمان الماضي خير أموال العرب، فمن تعلم آية من القرآن فهي خير له مِن ناقةٍ ومِن سيارة، فأين المتنافسون؟ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: 17].

اللهم اجعلنا من أهل القرآن، واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله الذي علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على رسول الله الذي نزَّل عليه القرآن ليكون للعالمين نذيرًا، وأرسله شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا مُنيرًا، أما بعد:

أيها المسلمون، وعد الله رسوله عليه الصلاة والسلام بأن يبين له القرآن الكريم فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: 19]، وكان رسول الله ﷺ يبين للناس أحكام القرآن ومعانيه بسنته القولية والفعلية، كما قال سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44].

وقد جعل الله في الكتاب والسُّنَّة المبيِّنة له المخرج من كل خلاف في الأمة فقال عز وجل: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: 64]، فالهدى والرحمة في الاعتصام بالقرآن والسنة.

وأخذ الله ميثاق جميع العلماء أن يبينوا للناس كتاب ربهم، فلا يكتموا ألفاظه ومعانيه، ولا أحكامه وهداياته، قال الله جل شأنه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: 187].

وتوعد الله من يفعل ذلك بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ \* إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 159، 160].

وفي كل عصرٍ وزمانٍ علماءُ ودعاةٌ مصلحون، يدعون الناس إلى التمسك بكتاب ربهم، ويهدون الناس إلى الحق بإذن ربهم، كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: 170]، وقال عز وجل: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: 181].

أيها المسلمون، أين الحق؟ الحق في كتاب الله، ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ \* وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: 108، 109]، فإذا أردنا اتباع الحق فعلينا أن نُقبِل إقبالًا صادقًا على تلاوة القرآن واستماعه، وأن نقصد ذلك قصدًا، ونُفرِّغ للقرآن الأوقات، ولا نجعله في هامش حياتنا، فمن تعظيم القرآن أن تجعل له أوقاتًا للتلاوة والاستماع، والتعلم والتعليم، ولنحذر من هجر القرآن العظيم، فإنَّ منْ يهجُرِ القرآنَ آثمٌ وظالمٌ ومرتكبٌ كبيرةً من الكبائر، قال الله سبحانه: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: 30]، وفي الحديث الصحيح: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالقُرْآنِ)) أي: يقرؤه ويُحسِّن صوته به ما استطاع، ولا يتبرأ النبي ﷺ إلا ممن يستحق الذم والعقاب، فيجب على كل مسلم قراءة ما تيسر من القرآن كما أمر الله بقوله: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: 4]، وقال سبحانه: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: 20]، فلم يعذُرِ اللهُ أحدًا في قراءة القرآن الكريم حتى المرضى والمسافرين والمجاهدين، فالقرآن شفاء وهدى ورحمة للمؤمنين، وهجره من صفات المنافقين ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ \* أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 23، 24].

يا عباد الله، لا يعلم الإنسان الحق ولا يستقيم على عبادة الله إلا بالقرآن الكريم كما قال الله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ \* لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: 27، 28]، فمن أراد الاستقامة على الحق وعلى طاعة الله فعليه بتلاوة القرآن وتعلمه وتدبره والعمل به، فهو يهدي للتي هي أقوم، ويُثبِّت المسلم على طاعة الله، ويُذكِّره بما يُصلِح قلبَه وأعماله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 102].

أيها المسلمون، القرآن أعظم كنز بين أيدينا، وهو خير من الدنيا وما فيها، ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ \* قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: 57، 58]، علينا أن نفرح بهذا القرآن العظيم الذي هو رسائلُ من الله لنا لصلاح قلوبنا وأعمالنا وأحوالنا، قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 21].

أيها المسلم، اعلم أنَّك مهما عظَّمت القرآن الكريم فهو أعظم مما تظن، فهو كلام الله سبحانه، وهدايةُ القرآنِ ونورُه وبركتُه وخيرُه في الدنيا والآخرة أكثرُ مما يخطر ببالك، فهو يهدي للتي هي أقوم في جميع الأمور، وفي كل الأحوال، وكلما تلوته وتدبرته وتعلمته ازددت إيمانًا وعِلمًا وحكمةً وهداية، وهو معجزة النبي عليه الصلاة والسلام الخالدة، فطوبى لمن أقبل عليه، ويا خسارة من أعرض عنه!

اللهم افتح مسامع قلوبنا لذكرك، وارقنا طاعتك وطاعة رسولك، اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا، اللهم بارك لنا في القرآن العظيم، واجعل حظنا منه حظ عبادك الصالحين، اللهم إنا نعوذ بك من هجر القرآن، ونعوذ بك أن نكون من الذين اتخذوا آيات الله هزوًا ولعبًا، اللهم ارزقنا تعظيم القرآن، وعلِّمنا القرآن، تلاوة وتدبرًا وتفسيرًا، اللهم اجعلنا من المعتصمين بكتابك، الذين يتلونه حق تلاوته، ويهتدون بآياته، ويعملون بأحكامه، اللهم اجعل القرآن رحمة لنا في الدنيا والآخرة، واجعله مباركًا علينا، وشفيعًا لنا، وحجة لنا لا علينا.

## (2) أركان الإيمان

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ [أي: واتقوا الأرحامَ أن تقطعوها] إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70، 71]. مَن يطعِ اللهَ باتباعِ كتابِه، ويطعِ الرسولَ باتباع سنتِه، فقد فاز فوزًا عظيمًا، أما بعد:

فإنَّ خير الكلامِ كلام الله، وخيرَ الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، و ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام: 134].

أيها المسلمون، يقول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: 136]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49]، وقال سبحانه مبينًا علمه بكل ما سيقع، وأن كل شيء من القدر مكتوب عنده: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: 70]، ويقول النبي ﷺ: ((الإِيْمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ))، فهذه أركان الإيمان الستة: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

أيها المسلمون، الإيمان اعتقادٌ وقولٌ وعمل، اعتقادٌ بالقلب، وقولٌ باللسان، وعملٌ بالجوارح، يزيدُ بالطاعات، وينقصُ بالمعاصي، فليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال الصالحة، فمن آمن وعمل صالحًا في سره وعلانيته فهو المهتدي الصادق، ومن أظهر الإيمان وأبطن الكفر والمعاصي فهو منافق، ولا يدخل الجنة إلا من كان مؤمنًا يعمل الأعمال الصالحة في سره وعلانيته، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: 48]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [الطلاق: 11]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: 5].

أيها المسلمون، الإيمان بالله أن نؤمن بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فنؤمن بأن الله هو الرب الخالق المالك المدبر لجميع ما في الكون، وأنه وحده الإله الحق المستحق للعبادة دون ما سواه، وكل معبود غيره فعبادتُه باطلة، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: 62]، ونؤمن بأسماء الله الحسنى وصفاتِه الكاملة العليا، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: 8]، وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180]، فالله واحد أحد، لا شريك له في ربوبيته ولا في ألوهيته ولا في أسمائه وصفاته، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، ﴿بسم الله الرحمن الرحيم قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ \* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ \* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1 - 4]، الصمد الكامل في صفاته، المقصود في حاجات عباده، فالله هو الواحد الذي لا مثيل له، ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: 65]، هو الخالق وما سواه عبدٌ مخلوق، ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: 213]، ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18].

أيها المسلمون، والإيمان بالملائكة أن نؤمن بأن الله خلقهم من نورٍ لعبادته وتنفيذ أوامره، وأنهم: ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ \* لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: 26، 27]، ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ \* يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: 19، 20]، وقد وكَّلهم الله بأعمال يقومون بها بأمره ومشيئته، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا \* فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا \* فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: 3 - 5]، فمنهم جبريل، وكَّله الله بالوحي ينزله من عند الله على من يشاء من أنبيائه. ومنهم ميكائيل، وكَّله بالمطر والنبات. ومنهم ملَكُ الجبال الموكَّل بها. ومنهم ملائكة موكَّلون بالأجنة في أرحام الأمهات. ومنهم الملائكة الموكَّلون بكتابة الأعمال، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ \* كِرَامًا كَاتِبِينَ \* يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: 10 - 12]. ومنهم ملَكُ الموت، وكَّله الله بقبض الأرواح، وله أعوانٌ من الملائكة. ومنهم الملائكة الموكَّلون بالإنسان في قبره. ومنهم مالِكٌ خازنُ النار، وله أعوانٌ يتولون عذابَ أهلِ النار، وهم الزبانية. ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: 31].

أيها المسلمون، والإيمان بالكتب المنزَّلة أن نؤمن بأن الله أنزل كتبًا على رسله، لهداية الناس، وأنزل كلَّ كتاب بلغةِ الرسول الذي أُنزل عليه الكتاب، ومنها: صحف إبراهيم، والتوراة التي أنزلها الله على موسى، والإنجيل الذي أنزله الله على عيسى، والقرآن الذي أنزله الله على محمد، صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وجميع تلك الكتب أنزلها الله على رسله ليبلغوا الناس كلام الله، وليخرجوهم من الظلمات على النور، وليحكم الناس بها، فهي كتبُ هداية وتشريع، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: 25]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: 213]، وجعل الله القرآن العظيم ناسخًا للكتب السابقة، وتكفل بحفظه، فهو محفوظ من التغيير والتبديل، بخلاف الكتب السابقةِ التي غُيِّرتْ وبُدِّلَت وحُرِّفَت، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

أيها المسلمون، والإيمان بجميع الرسل واجبٌ، فنؤمن بكل رسول أرسله الله، قال الله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ \* فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 136، 137]، فاليهود والنصارى آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض، وهذا كفرٌ مبين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا \* أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا \* وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 150 - 152]، فيجب أن نؤمن أن الله تعالى بعث رسله لهداية الناس، وأقام بهم الحجة، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15]، وهم أكمل الناس عقلًا، وأعظم إيمانًا، وأكثرهم صلاحًا، مؤتمنون صادقون، وهم بشرٌ كانوا يعبدون الله، ويدعون الناس إلى عبادة الله، ولم يدَّعُوا لأنفسهم شيئًا من الألوهية، ولا يدَّعون علم الغيب، ولا التصرف في الكون، وخاتمُهُم محمدٌ سيدُ الأنبياء والمرسلين لا نبيَّ بعده، ويجب على جميع الناس الإيمانُ به واتباعُه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، بعثه الله للإنس والجن، والعرب والعجم، ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158].

ونؤمن بأن دين الإسلام الذي أرسل الله به رسوله محمدًا ﷺ هو الدين الذي ارتضاه لعباده، ولا يقبل الله من أحدٍ دينًا سواه، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85].

أيها المسلمون، والإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بيوم القيامة الذي يبعث الله فيه عباده أحياء للحساب والجزاء، فنؤمن بقدرة الله على بعث عباده بعد أن صاروا ترابًا وعظامًا، فهو على كل شيء قدير، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 104]، ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: 40]، فيجمع الله الأولين والآخرين في أرض المحشر، ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ \* يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 47، 48]، فيحاسب الله الخلائق يوم القيامة، ويُعطى كلُّ إنسان صحيفة أعماله بيمينه أو بشماله وراء ظهره، ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا \* اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: 13، 14].

وتوزنُ أعمال العباد، ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 8، 9]، ﴿بسم الله الرحمن الرحيم إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا \* وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا \* وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا \* يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا \* بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا \* يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ \* فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 1 - 8]

ونؤمن بكل ما جاء في القرآن والسنة من أخبار ذلك اليومِ وأهوالِه، وأشدُّ ذلك المرورُ على الصراط المنصوب على جهنم، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ \* خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ \* مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: 6 - 8]، فيُدعى الناسُ إلى المرور على الصراط، وهو كما قال النبي ﷺ: ((مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلاَلِيبُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا))، ويُعطى كلُّ مؤمن نورًا على قدر أعماله الصالحة التي عملها في الدنيا، فمنهم مَنْ نورُه كالجبل، ومنهم مَنْ نورُه كالشجرة، ومنهم مَنْ نورُه كطرفِ إصبعِه، يُضيءُ مرةً ويُطفَى أخرى، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ \* يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ \* يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ \* فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: 12 - 15].

اللهم الطف بنا عند المرور على الصراط، وثبت أقدامنا، وأتمم لنا نورنا، واغفر لنا وارحمنا، اللهم إنا نسألك الجنة ونعوذ بك من النار، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله الذي جعل الجنة ثوابًا للمؤمنين الصالحين، وجعل النار مثوى الكافرين والفجار والمنافقين، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فيا أيها الناس، الدنيا أمد، والآخرة أبد، فلنتقِ الله، ولنستعد ليوم لقائه، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ \* مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: 4 - 6].

أيها المسلمون، الإيمان يدعو صاحبه للخشوع والتوبة، والاستعدادِ للقاء ربه، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: 16].

أيها المسلمون، ومن أركان الإيمان أن نؤمن بالقدر خيره وشره، وهو تقدير الله تعالى للمقادير بما سبق به علمُه، واقتضته حكمتُه، قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: 22]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: 3]، وقال جل جلالُه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49]، فكل شيء بقضاء وقدر حتى الحياة والموت، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: 145]، بل ما من حشرة فما فوقها من الدواب إلا وقد كتب الله رزقها، ويعلم أين تستقر في حياتها في مسكنها، وأين تكون بعد موتها، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: 6]، فكل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ، ولا تسقط ورقة من أي شجرة في أي بقعة في أي لحظة إلا بتقدير الله ومشيئته، وذلك مكتوب عنده، كما قال الله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: 59]، وقال الله سبحانه: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: 38]، والله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يعلم بكل ما سيكون في حياتنا، وبعد موتنا، أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: 19].

أيها المسلمون، كلُّ شيء خلقه الله في الكون قد علم الله بوقوعه قبل أن يقع، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، قال الله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: 70]، ولا يكون شيءٌ في السماوات والأرض إلا بمشيئة الله وتقديره، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وكل شيء في الكون فقد خلقه الله، ولا خالقَ إلا اللهُ وحده.

أيها المسلمون، القدر سرُّ الله في خلقه، يجب الإيمان به من غير تكلف، فهو كالشمسِ لا يزداد الناظر إليها إلا ضعفًا في بصره، ولا يجوز الاحتجاج بالقدر على المعاصي، فقد جعل الله للعبد اختيارًا وقدرة ومشيئة، وأمره أن يفعل الخير ويترك الشر، فإن فعل الخير باختياره ومشيئته فقد علم الله ذلك منه، وإن اختار الشر فقد علم الله ذلك منه، فالقدر سابقٌ لا سائق، ومشيئة العبدِ تحت مشيئةِ الله، كما قال الله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ \* وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: 27، 28].

أيها المسلمون، هذه أركان الإيمان الستة التي يجب علينا الإيمان بها: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، فمن آمن بها علمًا وعملًا فهو من الفائزين، وله الحياة الطيبة في الدنيا، والثواب العظيم في الآخرة، وإن حقق المسلمون الإيمان نصرهم الله على أعدائهم، ولا نجاة لنا من الخسران في الدنيا والآخرة إلا بتحقيق الإيمان والأعمال الصالحة، قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97]، وقال سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47]، وقال: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: 1 – 3]، أقسم الله بالعصر وهو الزمن، كما يقال: عصر النبي، وعصر الصحابة، والعصر الحاضر والماضي، والله يقسم بما شاء، أقسم بالعصر ليؤكد لنا هذا الخبر المخيف، أقسم أن جميع الناس في خسارة، جميع الناس إلى النار والعياذ بالله، إلا من اتصف بأربع صفات، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

فلنحقق أيها المسلمون الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ولنحذر أن نكون من المنافقين أو الغافلين، ولنعمل الأعمال الصالحة التي تصدق الإيمان، ولنتواصى بالحق، وهو الإيمان والعمل الصالح، نتواصي بالقرآن والسنة، ولنتواصى بالصبر على طاعة الله، والصبر عن المعاصي، والصبر على أقدار المؤلمة، ونعلم أنها بقضاء الله وقدره، وبذلك نكون من الفائزين بالجنة.

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، اللهم أتمم لنا نورنا، واغفر لنا وارحمنا، اللهم إنا نسألك الرضا بعد القضاء، ونسألك برد العيش بعد الموت، ونسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، اللهم اجعلنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر.

اللهم وصل وسلم على نبينا محمد وأهل بيته وأزواجه وذريته.

## (3) أركان الإسلام

الحمد للهِ العليِ الأعلى، الذي خلق فسوَّى، والذي قدَّر فهدى، أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، مَنْ يتَّبِعْ سُنَّته فقد اهتدى، ومَنْ يرغَبْ عن سُنَّته فقد ضل وغوى، صلى الله عليه وعلى أهل بيته وأزواجه وذريته.

أما بعد: فإنَّ خير الحديث كتاب الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة.

أيها المسلمون، ما معنى الإسلام؟

الإسلام هو الاستسلامُ لله بالتوحيد، والانقيادُ له بالطاعة، والبراءةُ من الشرك وأهله.

المسلم من أسلم قلبه وأعماله لله، ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 79]، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 162، 163]، تستسلم لله بالتوحيد فتعبده وحده لا شريك له، وتنقاد له بالطاعة لأوامره ونواهيه، فتمتثل الواجبات، وتجتنب المحرمات الظاهرة والباطنة، وتتبرأ من الشرك وأهله، وتبغضهم في الله؛ لأنهم لم يستسلموا لله الذي خلقهم ورزقهم، فهم يعبدون غير الذي خلقهم ورزقهم، ويتَّبِعون أهواءهم، ويتركون الهدى الذي جاء من ربهم.

أيها المسلمون، الله خلقنا لعبادته، وأمرنا بطاعته، ونهانا عن معصيته، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ \* وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ \* نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: 22 - 24].

والإسلام هو دين جميع الأنبياءِ وأتباعِهم، قال الله تعالى حاكيًا عن نوح أول الرسل أنه قال لقومه: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 72]، وقال الله سبحانه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 67]، ﴿وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 84]، وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 52]، وقال الله سبحانه: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ [الحج: 78] أي: الله سماكم المسلمين من قبلِ القرآنِ في سائر الكتب السابقة، وسماكم المسلمين في هذا القرآن، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: 19].

أيها المسلمون، قال النبي ﷺ: ((بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأنَّ محمدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَالحَجِّ))، فهذه أركان الإسلام الخمسة، وقد فرضها الله علينا وعلى الأمم السابقة، فكل نبي كان يدعو قومه إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وكان يجب على أمته أن يؤمنوا به وبجميع الرسل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25]، وأمر الله جميع الأمم السابقة بالتوحيد والصلاة والزكاة والصيام كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: 5]، وقال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183]، فشرع الله هذه العبادات على جميع الأمم لأهميتها وكثرة فوائدها، وإن اختلفت كيفياتها وأحكامها من شريعة إلى أخرى، كما قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48]، وأمر الله نبيه إبراهيم أن يبني الكعبة التي هي أول بيت وضع للناس للعبادة، وأمره أن يدعو جميع الناس إلى حجه، فالصالحون من الأمم السابقة حجوا البيت الحرام إذا استطاعوا إليه سبيلًا، قال الله تعالى لإبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: 27] أي: أعْلِمِ الناس بوجوب الحج عليهم، فلبَّى الناسُ نداء إبراهيم، وجاءوا للحج إلى البيت العتيق من كل فج عميق، على أرجلهم، وعلى كل بعير قد ضمر بسبب طول المسير، ومن ضلال اليهود والنصارى أنهم لا يحجون، مع أنهم يعترفون بالنبي إبراهيم ويعظمونه، وقد أخبر نبينا محمدٌ ﷺ أن موسى عليه الصلاة والسلام حج إلى الكعبة، وأن عيسى عليه الصلاة والسلام سيحجها في آخر الزمان.

أيها المسلمون، أول أركان الإسلام: الشهادتان: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أنَّ محمدًا رسول الله، فيشهد المسلم أنه لا معبود بحقٍ إلا الله، فلا يعبدُ إلا اللهَ وحده لا شريك له، لا يعبد قبرًا ولا صنمًا، ولا نبيًّا ولا مَلَكًا ولا وليًّا، قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: 36]، ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18]، وقال سبحانه: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ \* إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: 13، 14]، وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ \* وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: 5، 6]

ويشهد المسلم أنَّ محمدًا رسول الله، فيصدقُه فيما أخبر، ويطيعُه فيما أمر، وينتهي عما نهى عنه وزجر، ويتبعُ الرسولَ في العقائد والعبادات والأخلاق، ولا يتبع الأهواء والبدع، فخيرُ الهدي هدي النبي محمدٍ ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21]، ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: 54].

أيها المسلمون، وأعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين الصلاة، وهي عمود الإسلام، وقد أمرنا الله بالمحافظة على الصلوات في أوقاتها، ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم: 31]، وقال: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: 103]، فالمؤمنون يحافظون على الصلوات كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: 92]، والمنافقون يتهاونون بالصلوات كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 142]، فالله أمرنا بالمحافظة على الصلوات دائمًا في الحضر وفي السفر، وعند الفراغ أو الشغل، ومدح المحافظين عليها في آيات كثيرة، ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: 23]، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: 9]، وتوعد الله المتهاونين بالصلاة بالعذاب الأليم فما بالُكم بتاركها؟! قال الله سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: 4، 5] قال المفسرون: "أي: عذابٌ أليم للذين هم من أهل الصلاة والتزموا بها، ثم هم عنها ساهون، إما عن فِعلِها بالكلية فيتركونها أحيانًا، وإما عن فِعلِها في الوقت المقدَّرِ لها شرعًا، وإما عن أدائِها بأركانها وشروطها على الوجه المأمورِ به، وإما عن الخشوعِ فيها والتدبرِ لمعانيها، فلفظُ الآيةِ يشمل هذه المعاني كلَّها".

أيها المسلم، الصلاة هي أعظمُ مشروعٍ تقيمه في حياتك، ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: 40]، وأعظم أوقاتِ حياتِك حين تكون في صلاتك، فحافظ عليها في أوقاتها، واطمئن فيها، واستكثر من النوافل بعد الفرائض، واسجد واقترب من ربك، فالمؤمن يُعظِّم قدر صلاتِه ظاهرًا وباطنًا، ويحرص عليها وعلى إقامتها بقلبه وجوارحه، ويتعلمُ أحكامَ الصلاةِ وسننِها، فهي أولُ ما يُحاسبُ عليه العبدُ يوم القيامة.

أيها المسلمون، من أعظم صفات المهتدين إقامة الصلاة، كما قال الله سبحانه: ﴿الم \* ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ \* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ \* وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ \* أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 1 - 5].

أيها العبدُ، بقدر إقامتك للصلاة ظاهرًا وباطنًا تكون هدايتك في الدنيا، وفلاحك في الآخرة، ومن لم يُقِم صلاتَه فهو خاسرٌ، وسيلقى يوم القيامة العذابَ الأليم، قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا \* إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [مريم: 59، 60].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: "إضاعة الصلاة من الكبائر التي يوبَق بها صاحبُها، ولا خلاف في ذلك بين العلماء، ومن لم يحافظْ على كمال وضوئها وركوعها وسجودها فليس بمحافظٍ عليها، ومن لم يحافظ عليها فقد ضيَّعها، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، كما أن من حافظ عليها حفظ اللهُ عليه دينه، ولا دين لمن لا صلاة له".

وقد جاءت نصوصٌ كثيرةٌ في التحذير من التهاون بالصلاة، ففي الحديث الصحيح عن بُرَيدَة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ)).

قال ابن القيم: "لا يختلف المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمدًا من أعظم الذنوب، وأكبرِ الكبائر، وأن إثمه عند الله أعظمُ من إثمِ قتلِ النفس، وأخذِ الأموال، ومن إثمِ الزنا والسرقةِ وشربِ الخمر، وأن تارك الصلاة متعرِضٌ لعقوبة الله وسخطه وخزيه في الدنيا والآخرة".

عبادَ الله، من حافظ على الصلوات في أوقاتها بإخلاصٍ فإنها تنهاه عن الفواحش والمنكرات، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: 45].

قال عمر رضي الله عنه: (لا إسلام لمن لم يصل)، وقال: (لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة)، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (من ترك صلاة واحدة متعمدًا فقد برئ من اللهِ وبرئ اللهُ منه)، وقال عليٌّ أيضًا: (من لم يصلِّ فهو كافر)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال: (من ترك الصلاة فقد كفر)، وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: (لا إيمان لمن لا صلاة له)، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (من ترك الصلاة فلا دين له)، روى جميع هذه الآثار محمد بن نصر المروزي في كتابه تعظيمِ قدر الصلاة.

وروى الترمذي عن عبد الله بن شقيقٍ العُقيلي قال: (كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركُه كفرٌ غيرَ الصلاة).

أيها المسلم، وأيتها المسلمة، الله خلقك لتعبده وتصلي له، ولا ينفع في الإيمان التصديق من غير عمل صالح، فإبليس حين ترك الامتثال لأمر الله بالسجود لآدم لعنه الله وغضب عليه لتركه طاعته، مع تصديقه بالله، وتصديقه بالبعث والجنة والنار، فما بالُكم بمن يترك السجود لله، ويُصِر على التهاونِ بإقامة الصلاة وهي عمود الإسلام؟!

أيها المسلمون، ضل اليهودُ عن الصلاة فصاروا لا يُصَلُّون إلا يوم السبت، وضل النصارى عن الصلاة فصاروا لا يُصَلُّون إلا يوم الأحد، وضلَّ فسقةُ المسلمين عن الصلاة فصاروا لا يُصَلُّون إلا يوم الجمعة!

أيها المسلم، استقم على الصلاة كما أمرك الله، واخشعْ لله العظيمِ الذي خلقك ورزقك، وضع جبهتك في الأرض ساجدًا لله الذي أمرك بالصلاة، ولا تتهاون في طاعته، فأعظم ما في حياتِنا صلاتُنا، وهي أعظم ما يجب علينا أن نُقيمه ونهتم به، وهي أهم ما يجب علينا أن نتواصى بإقامته، قال الله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى \* وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى \* وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: 130 - 132].

اللهم وفِّقنا لإقامة الصلوات الخمس كما أمرتنا، وحبِّب إلينا المحافظة عليها في أوقاتها، واكفنا شرَّ نفوسِنا، وآتِها تقواها، وزكِّهَا أنت خيرُ من زكاها، وأعِنَّا على ذكرِك وشُكرِك وحُسنِ عبادتِك.

**الخطبة الثانية:**

الحمد للهِ وليِّ الصالحين، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ المبعوثِ رحمةً للعالمين، والسلامُ علينا وعلى عباد الله الصالحين، وبعد:

ومن أركان الإسلام إيتاءُ الزكاة، وهي قرينة الزكاة في كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: 43]، وقال سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: 56]، فالصلاة والزكاة وطاعة الرسول سببٌ عظيمٌ لرحمة الله لعبده، وأثنى الله على المؤمنين فقال: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ \* لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: 37، 38].

ومن أركان الإسلام صيامُ رمضان، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183]، وقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: 185].

ومن أركان الإسلام حجُ البيت لمن استطاع إليه سبيلًا، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 97]، وقال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: 196]، وقد جعل الله في الحج والعمرة منافع عظيمة للعباد، في دينهم ودنياهم، قال سبحانه: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: 97]، وإنما يجب الحج والعمرة في العمر مرة، وما زاد فهو تطوع.

أيها المسلمون، هذه أركان الإسلام الخمسة التي بُني عليها الإسلام، (الشهادتان: شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأنَّ محمدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ البيتِ لِمَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلًا)، فأولها: التوحيد لله والمتابعة لرسول الله، فالإخلاص طريق الخلاص، ولا يقبل اللهُ العملَ إلا بشرطين هما: الإخلاصُ لله، والمتابعةُ لرسول الله ﷺ، والإخلاص هو معنى شهادةِ أن لا إله إلا الله، والمتابعةُ هي معنى شهادةِ أنَّ محمدًا رسول الله، وأعظمُ أركانِ الإسلام بعد الشهادتين: الصلاة، ولا تسقطُ الصلاةُ عن العبد ما دام حيًّا، حتى لو كان مريضًا فعليه أن يصلي بقدر استطاعته، ولو جالسًا أو على جنبه، وإنما تجب الزكاةُ لمن ملَك النصاب من الأغنياء، إلا زكاة الفطر في رمضان فتجب على الغني والفقير، والصومُ يُرخَّص لمن كان مريضًا أو مسافرًا أن يُفطِر ثم يقضي أيامًا أُخَر، أما الصلاة فلا يجوز تأخيرها عن وقتها أبدًا، والحجُّ إنما يجب على المستطيع، ومن أخَّر الحج وهو قادرٌ عليه فقد عرَّض نفسه للإثم، فلْيتعجَّلِ القادرُ إلى الحج، فإنه لا يدري ما يعرض له.

أيها المسلمون، على كل مسلمٍ أن يتفقه في دينه، وأن يتعلم أحكامَ عباداتِه، وأن يسأل أهل العلم عما أشكل عليه.

اللهم فقِّهنا في الدين، وحقِّق التوحيدَ في قلوبنا، وارزقنا الإخلاصَ في طاعتِك وطاعةِ رسولك، واجعلنا من المتَّبِعِين لسنةِ نبيك، واجعلنا مِنَ المقيمينَ الصلاة، المؤتون الزكاة، ومن الصائمين الصالحين، ويسِّر لنا الحجَّ والعمرةَ بفضلك يا خير الرازقين.

وصلُّوا وسلِّموا على مَنْ أمركمُ اللهُ بالصلاةِ والسلامِ عليه فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

اللهم صلِّ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِ محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

اللهم وسلِّم على نبينا محمد وعلينا وعلى جميع عباد الله الصالحين من السابقين واللاحقين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10].

عبادَ الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]، فاذكروا الله يذْكُرْكُم، واشكروه على نِعَمِه يَزِدْكُم، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: 45].

## (4) تدبر سورة الفاتحة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، الرحمنِ الرحيمِ، مالكِ يومِ الدين، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى أهل بيته وأزواجه وذريته، وعلى أصحابه ومَنِ اتبعهم بإحسان، أما بعد:

فالقرآنُ العظيم خيرُ ما نتذكرُ به، وأعظمُ ما نتدبرُه، فقد أنزله الله مباركًا لنتدبرَه وليتذكرَ أولو الألباب، وسنتدبر في هذه الخطبة أفضلَ سورةٍ في القرآن، وهي سورة الفاتحة التي سميت بذلك لأنه يُبدأ بقراءتها في المصحف، ويَبدأ المصلي بقراءتها في صلاته، ولا صلاةَ لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب، وتُسمَّى السبع المثاني لأنها سبعُ آيات، وتُثنى وتُعاد قراءتُها في كل ركعة في الصلاة، وتُسمَّى أم القرآن لأنَّ معاني جميع آيات القرآن ترجع إليها، فلنتدبرها آيةً آية:

يقول الله سبحانه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ علَّمنا الله أن نبتدئ قراءة القرآن مستعينين به، متبركين بذكر اسمه، كما قال الله في أول سورة أنزلها على رسوله محمد ﷺ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1]، فيقول القارئ حين يقرأ القرآن: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ أي: باسم الله أبتدئ قراءتي. والله هو المعبود الحق دون ما سواه.

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ اسمان من أسماء الله الحسنى، ورحمة الله وسعت في الدنيا جميع خلقه، فهو الذي أوجدهم من العدم بقدرته، وتفضل عليهم بأنواع النعم الظاهرة والباطنة برحمته، وهو يرحم في الدنيا المسلم والكافر، والصالح والعاصي، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 156]، فرحمة الله وسعت في الدنيا كل شيء، لكنها في الآخرة لا تكون إلا لعباده المتقين، الذين يؤتون الزكاة، ويؤمنون بآيات الله.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يُعلِّم الله عباده أن يحمدوه بهذا القول، والتقدير: قولوا: الحمد لله. والحمد له معنيان: المعنى الأول: الثناء، والمعنى الثاني: الشكر، فمعنى قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: الثناء كله لله وحده، والشكر كله لله وحده. فالثناء كله لله؛ لأنه الخالق الكامل في صفاته، وما سواه مخلوق ناقص، والشكر كله لله؛ لأن جميع النعم الظاهرة والباطنة، الدنيوية والدينية من عند الله وحده، وبتيسيره ورحمته، ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: 53].

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الرب هو الخالق المالك المدبِّر، والعالمين هم كل ما سوى الله من جميع المخلوقات، من الملائكة والإنس والجن والدواب والجمادات، فالله خالق كل شيء، ومالك كل شيء، ومدبر الكون وما فيه، والمتصرف في جميع المخلوقات بقدرته وعلمه وحكمته.

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ اسمان كريمان من أسماء الله الحسنى، دالان على صفة الرحمة كما يليق بعظمة الله، والفرق بينهما أن اسم (الرحمن) يدل على رحمة الله العامة بجميع الخلق، واسم (الرحيم) يدل على رحمة الله الخاصة بالمؤمنين، وأسماء الله كلها حسنى، بالغة الغاية في حسن الألفاظ والمعاني، والدلالة على كمال الصفات والعظمة، والتنزه عن جميع النقائص.

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي: مالك يوم الجزاء والحساب، فمِن أسماء يوم القيامة: يومُ الدين؛ لأن الله يحاسب فيه جميع عباده الأولين والآخرين، ويجازيهم بأعمالهم، خيرها وشرها، ولا يملك أحد في ذلك اليوم شيئا لنفسه ولا لغيره، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ \* ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ \* يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: 17 - 19].

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يُعلِّم الله عباده أن يقولوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: نخصك - يا ربنا - بالعبادة، متذللين لك وحدك لا شريك لك، ونستعين بك وحدك في جميع أمور ديننا ودنيانا، ونتوكل عليك في جلب ما ينفعنا ودفع ما يضرنا، كما قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: 123]، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: ((إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ)).

أيها المسلمون، يجب على الإنسان أن يعبد الله وحده لا شريك له، ولا يعبد غيره كائنا من كان، كما قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: 36]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18]، فيُخلِص المسلم جميع عباداته لله وحده، مِن صلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ وحج، وغيرِ ذلك من العبادات القلبية والقولية والفعلية، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110]. ويجب على المسلم أن يتوكل على الله وحده، فيعتمد قلبه على الله في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره في دينه ودنياه، مع الأخذ بالأسباب الشرعية، والتوكل عبادة قلبية تدل على كمال إيمان صاحبها، وتفويض أموره إلى الله الحكيم القادر على كل شيء، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23]، وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن: 13].

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الصراط المستقيم هو الإسلام، والمعنى: دُلَّنا ووفِّقنا إلى الطريق الواضح الواسع، الذي لا اعوجاج فيه ولا ضيق، ولا إفراطٌ فيه ولا تفريط، وهو دين الإسلام الموصل إلى رضا الله وجنته، وهو طريق واحد لا يتعدد، ومن سلك غيره فقد ضل، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153].

أيها المسلمون، هذا الصراط المستقيم هو الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمدًا ﷺ، وهو طاعة الله وطاعة رسوله، كما قال تعالى: ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [يس: 61]، وقال سبحانه عن رسوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المؤمنون: 73].

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ أي: اهدنا طريق الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، الذين عَلِموا الحق وعملوا به، وجنِّبنا طريق المغضوب عليهم الذين علموا الحق ولم يعملوا به كاليهود ومن تشبه بهم من هذه الأمة، وجنِّبنا طريق الضالين الذين لم يهتدوا إلى الحق لجهلهم بالحق، فهم يعملون بأهوائهم وآرائهم المخالفة لشرع الله، كالنصارى ومن تشبه بهم من هذه الأمة. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69]، وقال الله عن اليهود: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: 61]، وقال الله عن النصارى: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77]، وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: ((اليهود مغضوبٌ عليهم، والنصارى ضُلَّال)).

أيها المسلمون، يستحب لمن قرأ سورة الفاتحة أن يقول: (آمين)، ومعنى آمين أي: اللهم استجب، ففي سورة الفاتحة أعظم وأفضل دعاء، وهو الدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم، وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: ((إِذَا قَالَ الإِمَامُ: ﴿غيرِ المغضوبِ عليهم ولا الضالين﴾ فَقُولُوا: آمِينَ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)).

أيها المسلمون، اشتملت سورة الفاتحة على هدايات قرآنية كثيرة، ومن الهدايات التي نستفيدها من سورة الفاتحة ما يلي:

* فضلُ ذكرِ اسم الله، والابتداءُ باسمه في الأمور المهمة كالقراءة والكتابة والأكل والشرب ونحو ذلك، فإذا ذُكِر اسم الله في شيء وضع اللهُ فيه بركته.
* الله هو الرحمن الرحيم، وقد بدأ سورة الفاتحة بهذين الاسمين الكريمين، وكررهما في هذه السورة للتأكيد على سعة رحمته، ودينُ الله هو دين الرحمة، فإذا علم المسلمُ سعةَ رحمة الله رجاه، ولم يقنط من رحمته، وتاب إلى الله من ذنوبه مهما عظمت وكثرت، والله يحب الرحماء من عباده، وأخبر أن رحمته قريب من المحسنين الذين يرحمون عباده، و ((الراحمون يرحمهم الرحمن))، فمِن أعظمِ الأخلاقِ الإسلامية الرحمة بالخلق.
* إذا علم المسلمُ استحقاقَ الله لجميع المحامد، واستحقاقَه الشكر على نعمه التي ربَّى بها جميعَ خلقه، فإن قلبَه يمتلئ بمحبة الله، ومن أحب الله اجتهد في عبادتِه، وحرص على طلب مرضاتِه.
* إذا تذكر المسلمُ أن الله هو مالك يوم القيامة، وأنه يبعث عباده للحساب والجزاء، خاف ذلك المقام العظيم، فترك المعاصي والآثام، ويجب على المسلم أن يجمع في قلبه بين رجاء رحمة الله والخوف من عذابه.
* أيها المسلمون، ومما نستفيده من تدبر سورة الفاتحة أن يستعد المسلمُ ليوم الحساب بالأعمال الصالحة، ويصبرَ على أي بلاء في الدنيا الفانية، وتكونَ أعظمُ رغبته في الآخرة الباقية، فالدنيا أمد، والآخرة أبد، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ \* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ \* لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: 18 - 20].
* وفي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ براءةٌ من الشرك والرياء، فيعاهدُ العبدُ ربه أن يعبده وحده، وأن لا يشرك به شيئا، وفي قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ براءةٌ من الكِبْر والعُجْب، فيتذكرُ العبدُ أن أيَّ فضيلةٍ حصل عليها في دينه أو دنياه فهي من فضل الله عليه، وهو الذي أنعم بها عليه وأدامها، فلماذا يتكبرُ ويفخرُ بما أنعم الله عليه؟ فالمسلم لا يفخر على غيره، فهو يعلم أن الله لو شاء لسلبه نعمته، فيتواضع العبدُ حين يتذكرُ أن اللهَ هو الذي أنعم عليه بالنِّعم التي لا تُحصى، ويقرُّ بأن الله هو الذي أعانه على تحصيل الفضائل وتفضل عليه بها، فلا يتكبر أبدا على عباد الله.
* أيها المسلمون، تأملوا تقديم العبادة على الاستعانة في قول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ فالعبادةُ هي الغاية من خلق الخلق، والاستعانةُ هي الوسيلة، فقُدِّمتِ الغايةُ على الوسيلة، فيجب على المسلم أن يجعل عبادةَ اللهِ أكبرَ همِّه وغايتِه، ويستعينُ بالله على تحقيقها.
* أيها المسلمون، علَّمنا الله أن نقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ولم: يقل: إياك أعبد وإياك أستعين، وهذا يدلنا على أهمية الاجتماع في العبادات التي يُشرع الاجتماع فيها كالصلاة المفروضة، كما قال تعالى: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: 43]، فعلى المسلم أن يصلي الفرائض في المساجد مع جماعة المسلمين، وفي هذه الآية حثٌ للمسلمين على التعاون على البر والتقوى فيما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم.
* أيها المسلمون، أفضل دعاء على الإطلاق هو: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، فالمسلم يحتاج أن يهديه الله لمعرفة الحق في أمور دينه، ومعرفةِ الصواب في أمور دنياه، وما يجهلُه العبدُ أكثرُ مما يعلمُه، فيحتاج العبدُ إلى أن يهديه الله هداية تعليم وإرشاد، ويحتاج إلى أن يهديه الله هداية توفيق، فيوفقه الله لأحسن الأعمال والأخلاق في جميع أموره وأحواله، وإذا علم العبدُ الحقَّ فهو يحتاج إلى أن يوفقه الله للعملِ به، وإذا عمل به فهو يحتاج إلى أن يوفقه الله للثبات عليه، فحاجة المسلم إلى هذا الدعاء فوق كلِّ حاجة؛ ولذلك أوجب الله على المسلم أن يدعو ربه بهذا الدعاء في كل ركعة في صلاته.
* أيها المسلمون، القرآن كتابُ هداية، فمن أراد الهداية إلى الصراط المستقيم فليتدبرِ القرآن ويتبعْه، فهو يهدي للخصلة التي هي أحسن الخصال في جميع الأمور، وفي جميع الأحوال، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9]، وتأملوا قول الله في أول سورة البقرة التي تلي سورة الفاتحة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2]، فكأن الله يقول لنا: يا من يريد الهداية إلى الصراط المستقيم تدبر هذا القرآن العظيم واتبعْه، فهو يهدي المتقين، ويبين لهم كل ما يحتاجون إلى بيانه، كما قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89].
* أيها المسلمون، الصراط المستقيم طريق قديم، سلكه جميع الصالحين من قبلِنا، وليس طريقا جديدا مُحدَثا، قال العلماء: في هذه الآية في سورة الفاتحة إبطالُ جميعِ البدع؛ لأنها ليست من منهج الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، قال الله لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام بعد أن ذكر الأنبياء السابقين: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: 90]، وقال رسول الله ﷺ: ((مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ)) أي: من أحدث شيئا في الدين فهو باطلٌ لا يقبله الله منه، وكان النبي ﷺ يقول: ((إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)).
* أيها المسلمون، قال العلماء: هذه الآية: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قسَّمت جميعَ الناس إلى **ثلاثة أقسام: القسم الأول:** من عَلِم الحق وعَمِل به، **القسم الثاني:** مَنْ علِم الحق ولم يعملْ به، **القسم الثالث:** من جَهِل الحق، وعَمِل بالباطل على جهل، وهو يحسب أنه يُحسن صنعا، ففي جميع الأمور ينقسم الناس إلى هذه الثلاثة الأقسام، في الواجبات، وفي المحرمات، وفي الفتن والخلافات المالية والأسرية والسياسية، فمِن النَّاسِ مَن يعلمُ الحقَّ ويعملُ به، ومنهم مَن يعلمُ الحق ولا يعملُ به، اتباعا لهواه، أو طلبا لدنيا زائلة، ومِن الناس مَن يَضلُّ عن الحق جهلا، وهو يحسب أنه يُحسن صنعا، وهذا التقسيم في جميع الأمور والأحوال، فمثلا: من الناس من يعلم أن الصلواتِ الخمسَ واجبةٌ عليه، فهو يحافظ عليها في أوقاتها، فهذا عَلِم الحق في هذا الأمر وعَمِل به، ومن الناس من يعلمُ أن الصلواتِ الخمسَ واجبةٌ عليه، لكنه يتهاون بها، ويترك بعض الصلوات مع علمه بإثمه العظيم، فهذا تَشبَّهَ باليهود الذين يعلمون الحق ولا يعملون به، ويُخشى عليه غضبُ اللهِ إن لم يتب إليه، ومن الناس من يجهل أن الصلواتِ الخمسَ واجبةٌ عليه، ولا يعلم أنها عمودُ الدين، ولا يعلم أنه يأثم أعظمَ الإثمِ بتركِ صلاةٍ واحدة، فأضاع الصلاة، واتبع الشهوات، ولا يصلي إلا صلاة الجمعة أو بعض الصلوات بحسب رغبته، فهذا ضالٌ. ومثالٌ آخر: مِن الناس من يعلم أن التعامل بالربا محرم، فهو يترك التعامل بالربا؛ لعلمه بأن الله حرمه، فهذا من المهتدين في هذا الأمر، ومن الناس من يعلم أن الربا محرم لكنه يتعامل بالربا، مع علمه بأنه من كبائر الذنوب، ومع علمه بأن آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهده ملعونون، فهذا فيه شبه باليهود المغضوب عليهم، ومن الناس من يجهل أن الربا محرم، فهو يتعامل به أو يقع في بعض المعاملات الربوية التي لا يعلم أنها من الربا، ولا يسأل أهل العلم عن حكمها، فهذا ضال. وهكذا في جميع الواجبات وفي جميع المحرمات ينقسم الناس إلى هذه الأقسام الثلاثة، فعلى المسلم أن يحرص على سؤال الله الهداية في جميع أموره، وأن يدعو الله دعاء الغريق أن يهديه إلى الحق في جميع أحواله، وعلى المسلم أن يتعلم دينه، وأن يسأل الفقهاء عن الحلال والحرام حتى لا يكون من الضالين، وعليه أن يعمل بالحق الذي تعلمه حتى لا يكون من المغضوب عليهم.
* أيها المسلمون، على المسلم أن يطيعَ اللهَ باتباع كتابه، ويطيعَ رسولَه باتباع سنته، وأن يحذرَ أشدَّ الحذرِ من معصية الله ورسوله، حتى لا يكون من الضالين، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: 36].
* وعلى المسلم أن يحذر من طاعة اليهود والنصارى، ومن التشبه بهم فيما هو من خصائصهم، وأن يحرص على مخالفتهم في أمورهم، فالصراط المستقيم يقتضي مخالفة اليهود والنصارى، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 100]، وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ: ((لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ!)) قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟! قال: ((فمَنْ؟)). قال العلماء: دل هذا الحديث على أن طوائف من شرار هذه الأمة سيتبعون طرق المغضوب عليهم والضالين، فلا يقع اليهودُ والنصارى في شيء من الضلالات إلا ومِن هذه الأمة مَن يقعُ فيما وقعوا فيه، فعلينا أن نحذر من اتباع سبل اليهود والنصارى الذين تركوا الحق عمدا لفساد نياتهم أو تركوا الحق جهلا لفساد علمهم، قال العلماء: ما من انحرافٍ في هذه الأمة إلا وأصله يرجع إلى تَشَبُّهٍ باليهود المغضوب عليهم أو تَشَبُّهٍ بالنصارى الضالين؛ ولذلك شرع الله للمسلم أن يسأله دائما الهداية إلى الاستقامة التي لا يهودية فيها ولا نصرانية، فأيُّ مخالفةٍ للحق في هذه الأمة فهي ترجع إلى شُعبةٍ من شُعَب اليهود أو شُعبةٍ من شُعَب النصارى، فمثلا عدمُ تعظيمِ الله ورسله، وكتمانُ الحق، وخلطُ الحق بالباطل، والحسدُ، وعقوقُ الوالدين، والتهاونُ بالصلاة، ومنعُ الزكاة، وأكلُ الربا، وأكلُ أموال الناس بالباطل، وظلمُ الناس، والقتلُ بغير الحق، والإعراضُ عن الحكم بما أنزل الله، والإيمانُ ببعض الكتاب دون بعض؛ كلُّ هذا من صفات اليهود كما بيَّن الله ذلك في كتابه، والجهلُ بالعقيدة الصحيحة، والابتداعُ في الدين ابتغاء رضوان الله، والغلو في الصالحين؛ كل هذا من صفات النصارى كما بيَّن الله ذلك في كتابه.

اللهم اهدنا الصراط المستقيم، وجنبنا طريق المغضوب عليهم وطريق الضالين، آمين.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله القائل في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87]، وصلى الله وسلم على نبينا محمد القائل: ((أُمُّ القُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ))، أما بعد:

فسورة الفاتحة هي أمُّ القرآنِ وأساسُه، فإليها ترجعُ جميعُ معاني آيات القرآن الكريم، وكل آيات القرآن تُفصِّل المعاني التي أجملتها سورةُ الفاتحة، وبيان ذلك فيما يلي:

* الآيات التي فيها بيانُ عظمة الله، والتعريفُ بأسمائه الحسنى، كلها تبيينٌ وتفصيلٌ لمعنى قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.
* الآيات التي فيها حمدُ الله والأمرُ بشكرِه، وفيها بيانُ كثرة نعمه على عباده، وربوبيتُه لجميع خلقه، كلها تبيينٌ وتفصيلٌ لمعنى قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
* الآيات التي فيها رحمة الله العامة بخلقه، ورحمته الخاصة بعباده الصالحين، كلها تبيينٌ وتفصيلٌ لمعنى قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.
* الآيات التي فيها إثباتُ البعث بعد الموت، وذكرُ القيامةِ والحسابِ والجزاءِ والجنةِ والنار، كلها تبيينٌ وتفصيلٌ لمعنى قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.
* الآيات التي فيها الأمرُ بعبادة الله وحده، والتحذيرُ من الشرك به، والآياتُ التي فيها بيانُ العباداتِ المتنوعة من صلاةٍ وصومٍ وزكاةٍ وصدقةٍ وحجٍ وعمرةٍ وجهادٍ وصبرٍ وشكرٍ وذكرٍ لله ودعاءٍ واستعاذةٍ وتوكلٍ وغيرِ ذلك من العبادات الظاهرة والباطنة، كلها تبيينٌ وتفصيلٌ لمعنى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وكذلك الآيات التي فيها الحث على الاجتماع، وترك التفرق والاختلاف، والأمر بالتعاون على البر والتقوى، كلها تدخل في معنى هذه الآية.
* الآيات التي فيها بيانُ الاعتقادِ الصحيح والعملِ الصالح والأخلاقِ الفاضلة، والتي فيها توضيحُ الإسلام وأحكامِه وشرائعِه، والتي فيها الأمرُ بالتوسط بلا إفراطٍ ولا تفريط، والنهيُ عن الغلو والتكلف، كلها تبيينٌ وتفصيلٌ لمعنى قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.
* الآيات التي فيها الإخبارُ عن النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وذكرُ قَصصِهم، كلها تبيينٌ وتفصيلٌ لمعنى قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾؛ لنقتدي بهم في دعوتهم وصبرهم، وعبادتهم لله ودعائهم وأخلاقهم.
* الآيات التي فيها الإخبارُ عن الكفار والمشركين، وبيانُ صفاتِ اليهود والنصارى والمنافقين وعلماءِ السوء، والمعرضين عن كتاب الله وتحكيمه، والغافلين عن عبادة الله وطاعته، كلها تبيينٌ وتفصيلٌ لمعنى قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾؛ لنحذر من الاتصاف بصفاتهم.

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم، وبارك لنا في سورة الفاتحة، واجعلها سببا لهدايتنا، ونسأل الله برحمته أن يهدينا بالقرآن إلى صراطه المستقيم، وأن يجنبنا طريق المغضوب عليهم والضالين، آمين.

اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وانفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا، وزدنا علما، اللهم ارزقنا طاعتك وطاعة رسولك، ووفقنا للعمل بكتابك وسنة نبيك ﷺ، اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، اللهم أنج المستضعفين من المسلمين في كل مكان يا أرحم الراحمين، واجعل لهم فرجا ومخرجا، وانصرهم نصرا مؤزرا.

## (5) تدبر سورة الإنسان

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، قيما ليُنذر به بأسًا شديدًا من لَدُنْه، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرًا حسنًا، ماكثين فيه أبدًا، الحمد لله على القرآن العظيم الذي أنزله لنتدبرَه ونتذكرَ به ما ينفعنا في ديننا ودنيانا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، نزل الله عليه الكتاب ليكون للعالمين نذيرًا، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

ففي القرآن سورةٌ أخبر الله عنها أنها تذكرةٌ لكل مَن يقرؤها ويسمعُها، سورةٌ مباركةٌ جعلها الله سببا للتوبة لكل من يتدبرها، قال الله في آخرها: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الإنسان: 29]، هذه السورة كان النبي ﷺ يقرؤها على الناس في فجر كل يوم جمعة؛ ليُذكرهم بما فيها من المعاني العظيمة، والمواعظ البليغة، هذه السورة هي سورة الإنسان، بدأها الله بسؤالٍ لكل إنسان منا فقال سبحانه: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: 1] أي: هل جاء على الإنسان قبل أن يُخلَق زمنٌ طويلٌ لم يكن فيه شيئا يُذكر؟ والجواب: نعم، فكل إنسان منا مر عليه وقتٌ طويلٌ من الدهر كان عدمًا، لم يكن له ذِكرٌ في تلك المدة الطويلة، فخلقه الله من العدم ليعبده.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: 2] أي: إنا خلقنا كل إنسان من منيٍ قليلٍ، أخلاطٍ من ماء الرجل وماء المرأة؛ لأجل أن نختبره في الدنيا، فجعلنا الإنسان ذا سمع يسمع به الأصوات، وذا بصر يُبصر به المرئيات، نعمةٌ من الله عليه ليشكره، وحجةٌ له عليه ليتمكن من معرفة الحق بسمعه وبصره، وتمييزِ ما ينفعُه ويَضُرُه.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: 3] أي: إنا بينا للإنسان طريق الحق الذي يوصله إلى الجنة إن شكر، وبينا للإنسان طريق الباطل الذي يوصله إلى النار إن كفر، ليكون إما شاكرًا لنعم الله طائعًا موحِّدًا، وإما كفورًا لنعم الله مشركًا عاصيًا.

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: 4] أي: إنا أعددنا للكافرين في جهنم سلاسل يُعذَّبون بها، وقيودًا تجمع أيديهم إلى أعناقهم، ونارًا تتوقد عليهم لا تنطفئ.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: 5] أي: إن المطيعين ربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه يشربون في الجنة من إناءٍ فيه خمرٌ ممزوجةٌ بكافورٍ باردٍ طيبِ الطعم ِوالرائحة، وخمر الجنة لا يزيل العقول، ولا ضرر فيه أبدًا.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: 6] أي: خمر الجنة الممزوجةُ بالكافور من عينٍ جاريةٍ لا تنقطع، يلتذ بها عباد الله الصالحون، يتصرفون بإجرائها في الجنة كما يشاءون، إلى قصورهم وبساتينهم وأماكنهم التي يريدون الجلوس فيها.

أيها المسلمون، أخبر الله عن أهل الجنة الأبرار أنهم ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: 7] أي: كانوا في الدنيا يوفون بنذورهم التي نذروها طاعة لله، فهم يكثرون من الطاعات، وإذا نذروا لله طاعة وفوا بها، ولم يخلفوا الله ما وعدوه وعاهدوه.

﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: 7] أي: ويخاف الأبرار يوم القيامة الذي كان شره منتشرًا فاشيًا عامًا على جميع المخلوقات العُلْوية والسُّفلية، فلذلك امتثلوا الواجبات، وتركوا المحرمات خوفا من حساب يوم القيامة.

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: 8] أي: ويطعم الأبرارُ الطعام مع محبتهم له المساكين، واليتامى، وأسرى الكفار والمحبوسين من المسلمين. قال المفسرون: هذه الآية عامة في جميع الأبرار المتصفين بهذه الصفات الطيبة.

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: 9] أي: يقول الأبرار: إنما نطعمكم - أيها المحتاجون - مخلصين لوجه الله، طلبا لرضاه وثوابِه، لا نطلب منكم مجازاة بفعل شيء تكافئوننا به، لا نريد منكم كلمة شكر وثناء تقولونها لنا، فأخبر الله بما في قلوبهم من الإخلاص وصدق النية في صدقاتهم وأعمالهم، فهم مخلصون لله في عبادتهم لله وإحسانهم لعباده.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: 10] أي: يقول الأبرار: إنا نخاف من ربنا عذابَ يومِ القيامة الضيقِ الشديدِ الأهوال، الطويلِ المقدار، الذي تعبُس فيه الوجوه من شدة بلائه، كما قال تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: 4]، وكان من دعاء النبي ﷺ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ ضِيقِ الْمَقَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)).

﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: 11] أي: فدفع الله عن الأبرار أهوالَ يوم القيامة بسببِ أعمالهم الصالحة وخوفهم من الله، وأعطى الأبرارَ حُسنًا في وجوههم، وفرحًا في قلوبهم، فيجمع لهم يوم القيامة بين حسن الظاهر والباطن، بياضٌ في الوجوه، وفرحٌ في القلوب.

﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: 12] هؤلاء الأبرار الذين صبروا في الدنيا على الطاعات فقاموا بها، وصبروا عن المعاصي فاجتنبوها، وصبروا على المصائب فتحملوها، وعلموا أنها بتقدير الله فلم يتسخطوها، جزاهم الله بسبب صبرهم جنة يدخلونها في الآخرة آمنين، وحريرًا يلبسونه ويجلسون عليه مطمئنين.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [الإنسان: 13] أي: الأرائك هي الأَسِرَّة، فالأبرار يكونون في الجنة جالسين على السُّررِ، في عيشةٍ راضية ٍكاملة، ليس فيها أيُّ نقصٍ ولا همٍّ ولا حزنٍ، سالمين من الأمراض ومن الحر والبرد، ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: 13] أي: لا يرون في الجنة شمسا يؤذيهم حرها، ولا بردا يضرهم، فلا يوجد في الجنة شمسٌ ولا حر ولا برد.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ [الإنسان: 14] أي: وقريبة على الأبرار ظِلالُ أشجار الجنة، وهو ظِلالٌ عجيبٌ يخلقه الله لأهل الجنة من غير وجود شمس؛ ليتنعموا بالجلوس فيه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ \* وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [المرسلات: 41، 42].

﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: 14] أي: وسُهِّل للأبرار قطفُ ثمار أشجار الجنة كيف شاءوا، قعودا وقياما ومضطجعين، كما قال تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ \* قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ \* كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: 22 - 24].

ومن تمام نعيم أهل الجنة أن الله سبحانه ينزع الأحقاد من قلوبهم، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ \* وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ \* لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: 45 - 48]، وقال: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ [الأعراف: 43]، فبين الله أن أهل الجنة يخرجون للنزهة في بساتين الجنة، والأنهار تجري من تحتهم، ويجلسون مع بعضهم على الأسرة متقابلين، كلٌ جالس على سريره يقابل الآخر بوجهه، ويكونون في غرفٍ عالية، وعلى سررٍ مرفوعة، يشاهدون حال جلوسهم ما أعطاهم الله من النعيم الكبير، قال الله تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [الزمر: 20]، فيرى المؤمن في الجنة جميع ما أعطاه الله من النعيم العظيم والمُلك الكبير، فهم يجلسون أحيانًا في الغرف العالية على سرر مرفوعة، وأحيانًا يجلسون في البساتين والأنهار تجري من بين أيديهم، وأحيانًا يتنزهون بين البساتين يأكلون ويشربون ويتحدثون والأنهار تجري من تحتهم، ويطوف عليهم خدمٌ بأنواع الأطعمة الشهية والأشربة اللذيذة، وأهل الجنة لا يأكلون من جوع، ولا يشربون من عطش، بل أكلهم وشربهم تلذذا، قال الله سبحانه: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا \* قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: 15، 16] أي: ويطوف خدمُ أهل الجنة على الأبرار بآنيةٍ فيها أنواعُ الأطعمة، وأكوابٍ فيها أنواعُ الأشربة، جعل الله بقدرته تلك الأكواب التي من فضة في صفاء الزُّجاج، فتلك الأكواب في صفاء الزجاج وهي من فضة بيضاء، وهذا من أعجب الأشياء! اجتمع لها بياضُ الفضة، وصفاءُ الزجاج، ولا نظير لهذا في الدنيا، يشوقنا الله لنعيم الجنة، ويخبرنا بما لا نعلم مثلَه في الدنيا.

﴿وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا \* قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: 15، 16] أي: قدَّر خدمُ أهل الجنة الشراب في الأكواب على المقدار الذي يريد الأبرار شربه، بلا زيادةٍ ولا نقصان، وهذا من تمام النعمة في الشراب.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ [الإنسان: 17] أي: ويُسقى الأبرار في الجنة إناءَ خمرٍ ممزوجةٍ بزنجبيلٍ طيبِ الرائحة. وهذه كأسُ خمرٍ أخرى غيرُ الكأس الأولى التي تُمزج بالكافور، ينوع الله الكريم لأهل الجنة أنواع الملذات، فلا يسأمون شيئا منها.

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان: 18] أي: شراب الأبرار الممزوجُ بالزنجبيل من عينٍ غزيرةٍ اسمها سلسبيل؛ لشدة جريها في موضعها، ولسلاستها في الحلق عند شربها.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ [الإنسان: 19] بين الله في هذه الآية أن خدم أهل الجنة غِلمانٌ صغارٌ على سن واحدة، لا يهرمون ولا يموتون، يخلقهم الله لخدمة أهل الجنة، ومن تمام نعمة أهل الجنة أن جعل الله مَن يخدُمهم صغارٌ في السنِّ لا يتحرجون من خدمتهم؛ لأن الإنسان يستحي من الكبير أن يخدمَه، ولا يتحرج أن يخدمه الصغير، ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾ [الإنسان: 19] أي: إذا رأيت أولئك الولدانَ وهم منتشرون في خدمة أهل الجنة تظنهم في حسنهم وبياضهم وكثرتهم لؤلؤًا مصبوبًا.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: 20] أي: وإذا نظرت هناك في الجنة أبصرت نعيمًا ومُلكًا عظيمًا أعده الله لك أيها المؤمن. وفي الحديث القدسي: ((قَالَ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 17])).

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ، لاَ يَقْطَعُهَا، وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ [الواقعة: 30].

أيها المسلمون، ثم أخبر الله عن ثياب أهل الجنة فقال: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: 21] أي: فوقَ أهل الجنة ثيابُ حريرٍ رقيقٍ أخضرَ اللون، وحريرٍ غليظٍ له بريقٌ يلبسونه فوق الثياب الرقيقةِ للزينة والجمال، وخص الله اللون الأخضر لأنه أمتعُ للعين، ولأنه كان قديما من لباس الملوك، وإلا فأهل الجنة يلبسون ما يشاءون من ألوان الثياب وأنواعها.

﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: 21] أي: وحلَّى الله الأبرار أساور فضة يلبسونها في سواعدهم زينة لهم.

وهذا المذكور في هذه السورة من آنية الفضة والحلي من الفضة هو نعيم أهل الجنة من الأبرار أصحاب اليمين، أما السابقون المقربون فآنيتُهم وحُلِيُّهم من ذهب، كما قال الله في آية أخرى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: 71]، وقال سبحانه: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: 23]. وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: ((جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا)). وقد ذكر الله تفاوت نعيم أهل الجنة في آخر سورة الرحمن فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: 46]، فوصفهما بأكمل الأوصاف، وهما للمقربين المحسنين، ثم قال: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: 62]، وهما لأصحاب اليمين، وقال سبحانه: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً \* فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ \* وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ \* وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ \* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ \* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ \* ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ \* وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: 7 - 14].

ثم قال الله سبحانه: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: 21] أي: وسقى الله الأبرار شرابا يُطهِّر بواطنهم من كل أذى، فبواطنهم مطهرةٌ من الحسد والحقد وسائر الأخلاق الرديئة، ولا يحتاجون إلى إزالة أيِّ أذى من أجسامهم، قال النبي ﷺ: ((إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ، طَعَامُهُمْ جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ)).

﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإنسان: 22] أي: يقول الله للأبرار تكريمًا لهم: إن هذا النعيم الذي أعطيناكم في الجنة كان لكم ثوابًا على ما عملتم في الدنيا من الأعمال الصالحة، وما عملتم في الدنيا من عمل صالح شكره الله لكم، وتقبله منكم ولو كان قليلًا، وأثابكم عليه ثوابًا عظيمًا.

أسأل الله أن يبارك لنا في القرآن الكريم، وأن يجعلنا من المتدبرين له العاملين به، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، وعلى كل من والى الله ورسوله والمؤمنين، أما بعد:

ثم قال الله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ [الإنسان: 23] أي: إنا نحن وحدَنا لا غيرنا نزلنا عليك - أيها الرسول - القرآنَ إنزالا مُفرَّقا بحسب الحكمة، وهو كتاب هدايةٍ وحُكمٍ وتشريع ومواعظ، ومواعظُ القرآن أعظمُ المواعظِ وأكثرها بركةً وأبلغُها تأثيرًا في القارئين والسامعين.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: 24] هذا أمر من الله لرسوله ولجميع أمته، أي: فاصبر لما حكم الله به عليك من العمل بشريعته، اصبر على فعل الواجبات، واصبر على ترك المحرمات، واصبر على ما يُقدِّره الله عليك من المصيبات، ولا تطع فاجرا يدعوك إلى معصية الله أو كافرا يدعوك إلى الكفر والإلحاد، فعلى المسلم أن يحذر ممن يدعوه إلى التهاون بالطاعات وارتكاب المعاصي أو يدعوه إلى الكفر والنفاق والإلحاد، وما أكثرهم في هذا الزمان في الشاشات والقنوات والإذاعات ووسائل التواصل المختلفة، فعلى كل مسلم أن يحذر من متابعة الفسقة والكفرة، ولا يتابع الأفلام والمسلسلات التي تدعو إلى المعاصي والشهوات، وكلنا مسئول عن أهل بيته، وعن أولاده، وهذا العصر عصر الفتن والشهوات المحرمة، فلنتواصى بالحق، ولنتواصى بالصبر.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: 25] أي: واذكر - أيها العبد - اسم ربك أول النهار في صلاة الصبح، وآخر النهار في صلاة العصر، ويدخل في ذلك: التسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير، وأذكارُ الصباح والمساء، كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه: 130].

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: 26] أي: ومن الليل فأكثر من السجود لله في صلاة الفريضة والنافلة، وسبِّح الله بتنزيهه عن النقائص وقتا طويلا في الركوع والسجود في صلاة الليل، وفي غير الصلاة أيضا، كما قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ \* وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [الطور: 48، 49].

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: 27] أي: إن الكفار والفسقة والغافلين عن ذكر الله يحبون الحياة الدنيا، ويحرصون على طول العيش فيها، والتمتعِ بملذاتها، ويتركون خلف ظهورهم يومَ القيامة الثقيلَ بأهواله، فلا يعملون بما ينجيهم في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ \* وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ [القيامة: 20، 21].

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ [الإنسان: 28] أي: نحن خلقنا الناس من العدم، وربطنا أجزاء أجسادِهم بالعظام والمفاصل والأعصاب والعروق، فصارت أبدانُهم مشدودة قوية؛ ليطيعوني، ويشكروني.

﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ [الإنسان: 28] أي: وإذا أردنا بعثناهم يوم القيامة بعد أن صاروا ترابًا وعظامًا، وأعدنا أجسادهم من جديد، كما قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ \* عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ \* وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: 60 - 62].

أيها المسلمون، ثم قال الله سبحانه في آخر سورة الإنسان: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الإنسان: 29] أي: إن آياتِ هذه السورةِ عظةٌ وعبرةٌ لمن اتعظ بها واعتبر، فمن أراد سَلَك إلى ربه طريقا بالتوبة إليه، فمن تاب إلى الله قَبِل توبته، وغفر ذنوبه.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: 30] أي: وما تشاءون - أيها الناس - الهداية والتوبة إلا أن يشاءَ الله أن يهديكم ويوفقكم، إن الله كان ولم يزل عليمًا بكل شيء، لا يخفى عليه أعمالُكم الظاهرة والباطنة، حكيمًا في هداية من يهديه بفضله، وإضلالِ من يضله بعدله، فعلى المسلم أن يسأل الله أن يهديه، ويوفقه للتوبة، ويصلح نيته.

﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [الإنسان: 31] أي: الله يدخل من يشاء من عباده في رحمته بتوفيقهم في الدنيا إلى التوبة والإيمان والعمل الصالح، ثم يدخلهم في الآخرة جنته.

﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان: 31] أي: وأعد الله للظالمين عذابًا موجعًا في جهنم، ومن الظلم أن يتعدى الإنسان حدود الله، ومن الظلم أن يعتدي على عباد الله، ومن الظلم أن يترك الإنسان التوبة من الكفر والمعاصي، فيظلم نفسه بتعريضها لعذاب الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: 11].

اللهم إنا ظلمنا أنفسنا ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لنا مغفرة من عندك وارحمنا، إنك أنت الغفور الرحيم، اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكِّها أنت خيرُ من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم حبِّب إلينا الإيمان وزيِّنه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم اغفر لنا ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم وفقنا للتوبة النصوح واهدنا الصراط المستقيم، اللهم إنا نعوذ بك من ضِيق المقام يوم القيامة، وحاسبنا حسابًا يسيرًا، اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل.

عباد الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، اللهم صل وسلم على نبينا محمدٍ سيد المرسلين، وعلى أهل بيته وأزواجه وذريته الصالحين، وارضَ اللهم عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

## (6) التوحيد والإخلاص والتحذير من الشرك والرياء

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ [أي: واتقوا الأرحامَ أن تقطعوها] إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ [مَنِ اتقى اللهَ وصدقَ في أقوالِه فإنَّ الله يُصلِح له أعمالَه، ويغفرْ له ذنوبَه] وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70، 71]. مَنْ يُطعِ اللهَ باتباعِ القرآن، ويُطعِ الرسولَ باتباعِ السُّنَّة، فقد فاز فوزًا عظيمًا، بالنجاةِ من النار، ودخولِ الجنة مع الأبرار، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: 36]، من يعصِ اللهَ بمخالفة كتابِه، ويعصِ رسولَه بمخالفة سنتِه، فقد ضل ضلالًا واضحًا لا شك فيه، أما بعد:

فإنَّ خير الكلامِ كلامُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

أيها المسلمون، أولُ أمرٍ في المصحف الشريف هو قول الله سبحانه في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 21]، فأمرنا الله بعبادته وحده؛ لأنه الذي خلقنا وخلق الذي من قبلِنا، فلا يستحق العبادةُ إلا الخالق.

وأعظمُ ما أمرنا الله به التوحيد، وأعظمُ ما نهانا عنه الشرك، قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: 36]، فالتوحيد أعظم الواجبات، وأهم المهمات، والشرك أعظم الإثم، وأظلمُ الظلم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13].

وقد حذَّر الله كل نبي من الشرك كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ \* بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: 65، 66]، فالشرك يُحبِطُ الأعمال، ويوجب الخلود في النيران، قال الله: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: 72] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: 116].

وقد كان كل نبيٍّ يدعو قومه إلى التوحيد، ويُحذِّرهم من الشرك، كما حكى الله ذلك عنهم في كتابه، فكان كل نبي يقول لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: 59]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: 36].

أيها المسلمون، عبادةُ الله بإخلاصٍ هي الصراط المستقيم، وهي الإسلام الذي رضيه الله لعباده أجمعين، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ \* وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ \* وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ [يس: 60 - 62]، فكم أضلَّ الشيطانُ مِن أُمم! صرفهم عن توحيد الله، وسوَّل لهم الشركَ بالله، حتى أن أكثر مَن يُؤمن بالله يقع في الشرك كما قال الله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: 105، 106]، سواء كان شركًا أكبر أو أصغر.

أيها المسلمون، يقول الله لنا في كتابه: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 92]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: 77]، فالفلاح في عبادة الله بإخلاص.

يا عبادَ الله، اعلموا أن التوحيد والإخلاص في العبادة هو منهج نبينا محمدٍ ﷺ، كما أمره الله أن يعلن ذلك: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ \* وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ \* قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ \* قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي \* فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: 11 – 15]، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110]، فمن عبدَ اللهَ بإخلاصٍ واتَّبع المصطفى فقد نجا، ومن عصى وأشرك بالله فقد اتَّبع الهوى، وسيهوى في لظى.

أيها المسلمون الصالحون، مَن عبدَ اللهَ وخلط عملَه الصالحَ بالرياء فإن الله لا يقبله منه، وهذا شِركٌ أصغر يُحبط ذلك العمل، ففي الحديث القدسي: ((قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ)).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إنَّ أولَ النَّاسِ يُقضى يومَ القِيامةِ عليه رجلٌ اسْتُشْهِد، فأُتِيَ بِه، فعرَّفَه نِعَمَه فَعَرَفَها، قال: فما عمِلتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استُشهِدتُ، قال: كذبتَ، ولكنك قاتلتَ لأن يُقال: جريء، فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحِب على وجْهِهِ حتى أُلقِي في النَّار! ورجلٌ تعلَّم العِلْم، وعَلَّمَه، وقرَأَ القُرآن، فأُتي به، فعرَّفه نِعَمه فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلَّمتُ العِلْم، وعلَّمْتُه، وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذبتَ، ولكنك تَعَلَّمتَ العِلْم ليُقال: عالم، وقرأتَ القرآن ليُقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحِب على وجهِهِ حتى أُلقِي في النار! ورجلٌ وسَّع اللهُ عليه، وأعطاه مِنْ أصنافِ المالِ كلِّه، فأُتِي بِه فعرَّفَه نِعَمَه فعَرَفَها، قال: فما عَمِلتَ فيها؟ قال: ما تركتُ مِنْ سبيلٍ تُحِبُّ أن يُنفَقَ فيها إلا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبتَ، ولكنك فعلتَ ليُقال: هو جَوَاد، فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحِبَ على وجهِه، ثم أُلقي في النَّار!)).

وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ)) قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: ((الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟!)).

وسأل صحابيٌ النبي ﷺ فقال: أرأيتَ رجلًا غزا يلتمس الأجر والذِّكر، مالَه؟ يعني يريدُ بالجهاد الأجرَ من الله، ويريدُ مع ذلك الثناءَ الحسن من الناس، فقال رسول الله ﷺ: ((لَا شَيءَ لَه)) فأعاد السؤال ثلاث مرات، يقول له رسول الله ﷺ: ((لَا شَيءَ لَه)) ثم قال: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ)).

أيها المسلمون، الإخلاص طريق الخلاص، قال العلماء: معنى الإخلاص: تصفيةُ العمل للخالق عن ملاحظة المخلوقين، وتخليصُه من الشركِ والرياءِ والسُّمعة، وعدمُ إرادةِ شيءٍ من الدنيا به، وإرادةُ التقربِ به إلى الله وحده، وكمالُ الإخلاص بترك المعاصي الظاهرةِ والباطنة، وحقيقةُ الإخلاص أن تكون حركاتُ العبد وسكونُه في سرِّه وعلانيته لله وحده لا شريك له، لا يمازجُه شيءٌ من هوى أو نفسٍ أو دنيا.

أيها المسلمون، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27]، وهم الذين اتَّقوا الشرك والرياء، وأخلصوا لله في عباداتهم، وتركوا المعاصي الظاهرة والباطنة.

ويقول الله سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: 7] قال بعض العلماء: "أي: أخلصُه وأصوبُه، إن العمل إذا كان خالِصًا ولم يكن صوابًا لم يُقْبَل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة".

فلا يقبل الله العمل إلا بشرطين: أن يكون خالصًا لله، وأن يكون موافقًا لسنة رسول الله ﷺ، فإن كان خالصًا غير موافق للسنة فهو بدعة، وإن كان موافقًا للسنة ولم يكن خالصًا فهو رياء.

أيها المسلمون، الإخلاصُ شديدٌ على النفس؛ لأن النفس تريدُ كلَّ شيء لها، والإخلاص أن تريد بالعمل وجه الله بلا أي مصلحة لنفسك، ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: 9]، فلا تريد من عملك الصالح جزاء في الدنيا، ولا حتى كلمة شكر من الناس، إنما تريد الجزاء من الله، وتريد الشكر من الله، وأكثر الناس يحبون الثناء الحسن من الناس على أعمالهم الصالحة، وهذا من الرياء والشهوة الخفية، قال بعض الصحابة: (إن أخوف ما أخاف عليكم الرياءُ والشهوةُ الخفية).

قال العلماء: كلُّ عملٍ أُريدَ به غيرُ الله لم يكن عملًا صالحًا، وكل عمل لا يوافق السنة فهو بدعة وضلالة، بل لا يكون العمل صالحًا إلا إذا جمع الوصفين: أن يكون لله، وأن يكون موافقًا لسنة رسوله، والشركُ غالبٌ على النفوس، وكثيرًا ما يخالطُ النفوس من الشهوات الخفية ما يُفسد عليها تحقيقَ الإخلاص، والقلبُ إن لم يكن مقبلًا على الله، معرضًا عما سواه ،كان فيه شركٌ ورياء، قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ \* مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: 30 - 32].

أيها المسلمون، لا يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه، على سنة رسوله وشرعه، وما عدا ذلك فهو مردودٌ على عاملِه، قال النبي ﷺ: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))، فكل عمل بلا إخلاصٍ ولا اقتداءٍ لا يزيد عاملَه من الله إلا بُعدًا، والواجبُ عبادةُ الله بأمرِه وشرعِه، لا بالآراء والأهواء والبدع، قال الله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الشورى: 15]، وقال سبحانه: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: 112].

أيها المسلمون، علينا أن نُصلِح نياتِنا، ونصلح إراداتِنا، يقول النبي ﷺ: ((إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ))، ومن كانت نيته الدنيا الفانية ولا يريد الآخرة الباقية فنيته فاسدة، ونهايته خاسرة، قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: 15، 16].

قال العلماء: من أحب شيئًا وأطاعه وكان غايةَ قصدِه، ووالى لأجله وعادى لأجله فهو عبدُه، وهو ممن اتخذ إلهه هواه، ومن أحب شيئًا مما يكرهه الله من المعاصي أو كره شيئًا مما يحبه الله من الطاعات، لم يكمُل توحيدُه وصدقُه في قول لا إله إلا الله، وكان فيه من الشرك الخفي بحسب فساد نيته، فاعبدِ الله - أيها المسلم - لمرادِه منك كما أمرك، لا لمرادِك منه كما تهوى، فمن عبد الله لمصلحة نفسه فهو ممن قال الله عنهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: 11]، وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: 10]، فالمرائي إذا لم يجد لنفسه مصلحة من العبادة تركها، وإن ترك الناسُ عبادةَ الله تركها، وإن آذاه الناس على طاعة الله تركها، وأما المخلص فهو يعبد الله على كل حال، في السَّراء والضَّراء، في السِّر والعلن، وإن ترك الناسُ عبادةَ الله فالمخلص مقيمٌ على طاعة الله وعبادته، ولا ينجو يوم القيامة إلا من لقي الله بقلب سليمٍ ليس فيه سواه، قلبٌ خالصٌ من الشرك والرياء وحب المعاصي، قلبٌ نيته صالحة، يُقدِّم ما يريدُ ربُّه على ما تهوى نفسُه، قال الله تعالى ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 88، 89]، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى \* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: 40، 41]، المخلص لا يستوحشُ من قلة الصالحين ولو كان وحده، فطوبى للغرباء.

اللهم ارزقنا التوحيد والإخلاص، ونجنا من الشرك والرياء والسمعة، اللهم اجعلنا من الصالحين القلة في زمن الغربة، ونعوذ بك أن نغتر بالكثرة الغافلين، ونستغفر الله ونتوب إليه.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبَع هداه، وبعد:

أيها المسلمون، ما هو علاج الرياء؟ وما هي طرق تحصيل الإخلاص؟

* أول طريقٍ لتحصيل الإخلاص والنجاة من الرياء: تحقيقُ الإيمان اعتقادًا وقولًا وعملًا، فلا يمكن تحصيلُ الإخلاص إلا بعد تحصيل الإيمان، فمن اهتدى بالإيمان زاده الله الهداية بالإخلاص.
* ومن الطرق: استحضارُ عظمةِ اللهِ ومعرفةُ استحقاقِه للعبادة وحده.
* ومن طرق الإخلاص: استحضارُ اطلاعِ الله على نيةِ العبدِ ونظره إلى قلبه.
* ومن طرق الإخلاص: الخوفُ من حُبوطِ العمل الصالح بسبب الرياء والسُّمعة.
* ومن طرق الإخلاص: تركُ مراقبةِ الناس، وكراهةُ مدحهم، وعدمُ الخوفِ من ذمهم، وعدمُ الطمع في أموالهم، فمدحُ الناس لا يزيد في رزق الإنسان ولا في عمره، وذمُّهم لا يُنقص من رزقِه ولا عمره، فالأرزاقُ والأعمارُ مقسومةٌ لا تزيدها مراءاة الخلق.
* ومن طرق تحصيلِ الإخلاص: معرفةُ حقيقةِ الدنيا الفانية والآخرةِ الباقية، وأن الآخرة خيرٌ وأبقى.
* ومن أعظمِ طرقِ الإخلاص: مجاهدةُ النفس على الإخلاص لله، واستحضارُ النيةِ الطيبةِ عند الأعمال الصالحة، ومراقبةُ القلبِ أثناء العبادة، ومدافعةُ الرياء عند عروضه، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69].
* وكذلك: المداومةُ على تلاوة القرآن وتدبره في كل حين؛ فهو شفاءٌ لما في الصدور، وهدى ورحمةٌ للمؤمنين.
* وكذلك: قراءةُ سيرة النبي ﷺ وسيرة أصحابه ومن اتبعهم بإحسان من العلماء والعباد المخلصين الصادقين.
* ومن طرق الإخلاص: الإكثارُ من ذكر الموت، والاستعداد له، والتفكر في قرب لقاء الله.
* وكذلك: التعود على إخفاء بعض الأعمال الصالحة التي يمكن إخفاؤها كالصلاة النافلة وبعض الصدقات، والحرص على عدم إظهار ما وفق الله العبد إليه من علمٍ وعملٍ صالح إلا لمصلحة دينية راجحة، ويجب الحذر من ترك العمل الصالح خوفًا من الرياء، فهذا من مكائدِ الشيطان، بل على المؤمنِ أن يُظهر بعضَ أعمالِه الصالحة كالصلاة جماعة، وما يرجو أن يقتدي الناسُ به، وقد مدح الله الذين يدعونه أن يجعلهم للمتقين إمامًا، وأثنى على من ينفقون سرًا وعلانية.
* ومن أنفعِ طرقِ الإخلاص: إكثار المسلم من دعاء الله أن يجعل أعماله خالصة، والتعوذ بالله من الرياء والسُّمعة، وقد كان النبي ﷺ يقول في دعائه: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ، وَالسُّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ))، وفي الحديث المشهور أن النبي ﷺ علَّم أصحابه أن يقولوا: ((اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ)).

اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلم، اللهم إنا نعوذ بك من الشرك والنفاق والرياء والسمعة، اللهم اهدنا الصراط المستقيم، اللهم اهدنا إلى طريق الخلاص بالإخلاص، اللهم ارزقنا طاعتك وطاعة رسولك بإخلاصٍ ومتابعة، اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، اللهم أصلح قلوبنا بالتوحيد والإخلاص والمتابعة، اللهم أصلح نياتنا، اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك، يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك وتوحيدك وطاعتك وطاعة رسولك، وصل اللهم وسلم على نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين.

## (7) الترغيب في تقوى الله

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ [أي: اتقوا الله واتقوا الأرحامَ أن تقطعوها] إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70، 71]. أما بعد:

فإنَّ خير الكلام كلام الله، وخيرَ الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة.

أيها المسلمون، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله، وهي وصية الله للأولين والآخرين، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: 131]، وتقوى الله هي امتثال الواجبات، واجتناب المحرمات، والتوبة من السيئات.

قال رجل لأبي هريرة: ما هي التقوى؟ قال: هل مشيتَ في طريقٍ فيه شوك؟ قال: نعم، قال: فكيف صنعت؟ قال: إذا رأيتُ الشوك عدلتُ عنه أو جاوزتُه أو قصرتُ عنه، فقال أبو هريرة: (ذاك التقوى).

وقال شاعرٌ حكيم:

خَلِّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا ذَاكَ التُّقَى

واصْنَعْ كَمَاشٍ فَوْقَ أَرْضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى

لا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

أيها المسلمون، القرآن هدى للمتقين، والمتقون هم المهتدون الفائزون، ومن صفات المتقين أنهم يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ \* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ \* وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ \* أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 2 - 5].

أيها المسلمون، ذكر الله التقوى والمتقين في آيات كثيرة جدًا، وبيَّن فضل التقوى ورغَّب فيها، قال الله سبحانه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ \* الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ \* وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ \* أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: 133 - 136]، وقال جلَّ شأنُه: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 63]، وقال جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ \* وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ \* لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ \* نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ \* وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: 45 - 50].

يا عباد الله، من لم يتق الله يندم عند موته، ويتمنى يوم القيامة أنه كان من المتقين، ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ \* أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ \* أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ \* أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: 55 - 58].

من اتقى الله بفعل الواجبات وترك المحرمات والتوبة من السيئات فهو الفائز بدخولِ الجنة، والنجاةِ من النار، وفي تقوى الله كلُّ خير للأفراد والشعوب في الدنيا والآخرة، قال ربُّنا سبحانَه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: 2، 3]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 4]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: 5]، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: 96].

أيها المسلمون، أعظمُ ثلاثةِ أسبابٍ لتحصيل تقوى الله هي:

1- الحرص على عبادة الله، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 21]، فعبادة الله سببٌ عظيمٌ لتحصيل التقوى، لا سيما الصلاة في أوقاتها؛ فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر.

٢- التمسك بالقرآن تلاوة وتدبرًا وتعلمًا واتباعًا، قال الله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 63] أي: خذوا القرآن بنشاطٍ وجِدٍّ وحزم، وتذكَّروا ما فيه من الأخبار الصادقة، والأحكام العادلة، والمواعظ المؤثرة، فهو سببٌ عظيم لتحصيل التقوى، فعلى المسلم أن يكثر من تلاوة القرآن واستماعِه، وأن يهتم بتعلمه وتدبره، فهو أعظمُ سببٍ للاستقامة على التقوى، ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29]، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ \* لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: 27، 28]، فمن أراد الاستقامة على تقوى الله فعليه بهذا القرآن العظيم.

3- التمسك بالسنة النبوية، وتركِ البدعِ المحدثة، فالإسلام بالاتباع لا بالابتداع، وهو دينٌ كاملٌ لا يحتاج إلى أي زيادة، وقد أوصانا الله باتباع الإسلام، وهو ما كان عليه نبيُّه محمدٌ ﷺ، ونهانا عن اتباعِ البدعِ التي لم يعملْها الرسولُ ولا أصحابُه، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153]، فالحق واحد، وهو الصراط المستقيم، والسبلُ كثيرةٌ مختلفةٌ، من الشهوات والشبهات، والبدعِ المحدَثات، فإذا أردنا التقوى فلنتبع سنة المصطفى، وما كان عليه أصحابُه أهلُ التقوى، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: 54]، وقال الله مخاطبًا أصحاب نبيه رضي الله عنهم: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: 137]، فمَنْ آمنَ كما آمن الصحابةُ فقد اهتدى للتقوى، ومن أعرض عن اتباعِهم فقد ضلَّ وغوى، فالصحابةُ هم أولُ المؤمنين من هذه الأمة، امتحن اللهُ قلوبهم للتقوى، وكانوا أحقَّ بها وأهلها، ومن اتبع غيرَ سبيلِهم فقد توعده الله أن يزين له الباطل عقوبة له، ويعذبه في الآخرة، قال الله سبحانه: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: 115].

أيها المسلمون، الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة، هو أهلٌ أن نتقيه، وهو أهلٌ أن يغفر ذنوب من استغفره وتاب إليه، والعاقبة الحسنة للمتقين، و ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27]، ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [سورة هود: 3]، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم وجميع المسلمين.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله وليِّ المتقين، والصلاة والسلام على رسول الله إمام المتقين، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فكلُّ رسولٍ كان يأمر أمته بتقوى الله، ويقول لهم: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: 108]، وكان نبينا محمدٌ ﷺ يوصي أصحابه بالتقوى، ويُكثر في خطبه بتذكير الناس بتقوى الله، وثبت في الحديث الصحيح عن العِرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلَّى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظةً بليغةً، ذرَفَت منها العيون، ووجِلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فأوصنا؟ فقال: ((أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ))، فخير ما نتواصى به تقوى الله في السر والعلن، وفي السفر والحضر، وفي السراء والضراء، وفي الغنى والفقر، وفي الصحة والمرض، والمتدبر لآيات القرآن يجد آيات التقوى في مواضعَ كثيرةٍ جدًا، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 4]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 194]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: 196]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: 203]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾ [البقرة: 223]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 231]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: 233]، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 278]، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ \* وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 102، 103]، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 1]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ \* وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: 130 - 132]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: 10]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 57]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: 88]، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 100]، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن: 16]، ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 109]، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: 128]، ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا \* ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: 71، 72]، ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: 33]، ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: 49]، ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: 35]، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119]، ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: 67]، ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ \* كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 28، 29]، ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 138]، ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الحاقة: 48].

أيها المسلمون، آخر آية أنزلها الله على رسوله هي قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281]، فلنتق الله أينما كنا، فالتقوى أن تكون في السر والعلن سوا، ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: 120].

اللهم اغفر لنا ذنوبنا كلَّها، وارزقنا التقوى، اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكِّها أنت خيرُ من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها، اللهم اغفِرْ لنا ما قدَّمنا وما أخَّرنا، وما أسررنا وما أعلنَّا، وما أنت أعلمُ به مِنَّا، اللهم اهدنا الصراط المستقيم، وجنِّبنا طريق المغضوب عليهم والضالين، واجعلنا من المتقين الصالحين، اللهم ارزقنا طاعتك وطاعة رسولك، ووفقنا للتمسك بسنةِ نبيك واتباعِ سبيلِ صحابتِه بإحسان، ونعوذ بك من الفتن والبدع، اللهم أعِنَّا على ذِكْرِك وشُكرِك وحُسنِ عبادتك، اللهم حبِّب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم تُب علينا لنتوب، ووفقنا للتوبة النصوح، اللهم أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين.

اللهم صلِّ وسلم على نبينا محمدٍ وآله وصحبه.

عباد الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]، فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: 45].

## (8) الترغيب في التوبة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، يهدي مَنْ يشاء بفضلِه، ويُضِلُّ من يشاء بعدلِه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، سيدُ الأولين والآخرين، صلى الله وسلَّم عليه وعلى آلِه الصالحين، وصحابته أجمعين.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70، 71]. أما بعد:

فإنَّ خير الكلام كلام الله، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة.

أيها المسلمون، أمرنا الله جميعًا بالتوبة فقال سبحانه: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31]، فإذا أردنا الفوز بالجنة والنجاة من النار فلنتب إلى الله بإخلاص، توبة صادقة، نترك الذنوب والمنكرات الظاهرة والباطنة، ونعمل بالواجبات بقدر الاستطاعة، فالتوبة هي: تركُ الذَّنوب الظاهرة والباطنة، والنَّدمُ على الوقوع في المعصية والتفريطِ في الطاعة، والعزيمةُ على الاستقامة على عبادة الله، والتوبة هي حقيقة الإسلام، والدِّينُ كلُّه داخلٌ في مسمّى التّوبة، وبهذا استحقّ التائبُ أن يكون حبيب الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222].

والتوبة هي الرجوع عمَّا يَكرهه الله ظاهرًا وباطنًا إلى ما يُحبُّه ظاهرًا وباطنًا، فيكون التائب في جميع أحواله حتى في خلواته كما يحب الله، والتوبة غايةُ كلِّ مؤمن، وهي بدايةُ الأمر وآخره، فكل مسلمٍ مأمور بالتوبة وتجديدِها دائمًا ما دام حيًّا، وقد كان نبينا محمد ﷺ يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم مائة مرة، والذنوب نوعان: معاصٍ يقع الإنسانُ فيها، وواجباتٌ يتهاون بها أو لا يقوم بها كما يجب، وأكثر ذنوب الصالحين من النوع الثاني، فمهما قام العبد بطاعة الله فإنه ولا بد مقصِّرٌ فيما يستحقه الله من العبادة والتعظيم والخشية؛ ولذلك شُرِع لمن فرغ من صلاته أن يستغفر الله، وقال الله سبحانه: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: 6]، فأمر الله بالاستقامة أولًا، ثم أمر بالاستغفار ثانيًا.

وإنَّ من الواجبات التي يُقصِّر فيها كثيرٌ من الصالحين فضلًا عن غيرهم: الإحسانُ إلى الوالدين في حياتهم وبعد موتهم، وصلةُ الأرحام، ونصرُ المظلوم، وإغاثةُ الملهوف، وإطعامُ المساكين، والحثُّ على إطعامهم، والأمرُ بالمعروف، والنهيُ عن المنكر، والجهادُ في سبيل الله، وغيرُ ذلك من الواجبات التي يقع فيها تقصيرٌ من كثير من الناس حتى من الصالحين، والله المستعان.

أيها المسلمون، التوبةُ واجبةٌ على كل مسلم ومسلمة من كلِّ معصية، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله لا تتعلق بحقّ آدميٍّ فلها شروطٌ ثلاثة، وهي:

1- أن يُقلِع عن المعصية، سواء كانت أمرًا محرَّمًا يقع فيه، أو كانت أمرًا واجبًا يتهاون به، فيتوب إلى الله بترك المعصية وفعل الواجب.

2- أن يندم على فعل المعصية.

3- أن يعزم على أن لا يعود إلى المعصية أبدًا، فهذه شروط التوبة المقبولة، وهي ثلاثة شروط: الإقلاع عن المعصية، والندم على فعلها، والعزم على عدم العودة إليها، ويُزاد شرطٌ رابع إذا كانت المعصية تتعلّق بحقّ آدميّ، وهي أن يبرأ من حقّ صاحبه؛ فإن كان مالًا ردّه إليه، وإن كان غِيبةً استحلّه منها إن أمكن بلا مفسدة، أو أثنى على من اغتابه ودعا له وتصدق لنيته ونحو ذلك، ويجب على كل مسلم أن يتوب من جميع الذُّنوب، فإن تاب من بعضها صحت توبته من ذلك الذَّنب، وبقي عليه التوبة من باقي المعاصي والمخالفات التي لم يتب منها، وإنما التوبة بالعمل، والرجوعِ من المعصية إلى الطاعة، وليست التوبة بالكلام، ولا بالاستغفار بلا إقلاعٍ ولا ندمٍ، ولا عزيمة على الاستقامة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: 82]، ووصف الله عباده الصالحين بقوله: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 112]، وقال سبحانه: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: 112].

عباد الله، لا يقبل الله توبة العبد إذا حضره الموت، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا \* وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: 17، 18].

أيها المسلمون، الله يريد أن يتوب علينا، ومن أسمائه التوَّاب، فهو كثير التوبة على من تاب، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: 25]، ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا \* يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 27، 28].

يا عباد الله، من أراد الجنة فلا بد له من التوبة، فقد جعل الله التوبة شرطًا لدخول الجنة، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحريم: 8]، وقد رغَّبَنا الله في التوبة في آيات كثيرة من كتابه، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا \* يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا \* إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا \* وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: 68 - 71]، ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ \* وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ \* وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ \* أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ \* أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ \* أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ \* بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ \* وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ \* وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: 53 - 61].

القرآن يُذكِّرنا بالتوبة، ويحثنا على عبادة الله والاستقامة على طاعته وتقواه، ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ \* فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ \* وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: 54 - 56]، فالله هو أهل التقوى وأهل المغفرة، هو أهلٌ أن نتقيه، وهو أهلٌ أن يغفر ذنوب من استغفره وتاب إليه، ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [سورة هود: 3]، استغفروا ربكم - أيها الناس - فاطلبوا منه ستر ذنوبكم ومحو آثامكم ثم توبوا إلى ربكم فيما تستقبلونه بالرجوع إلى عبادته وحده وطاعته وترك معصيته، فإنكم إن استغفرتم ربكم ثم تبتم إليه يمتعكم في الدنيا بالرزق الحسن وطمأنينة القلب وسرور النفس والعافية إلى وقت موتكم، ويثيب الله كل من أحسن إلى غيره ثواب تفضله بالرزق والسعادة في الدنيا وزيادة الثواب في الآخرة، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، وطوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله غافرِ الذنب، قابلِ التوب، شديدِ العقاب، والصلاة والسلام على رسول الله القائل: ((ويتوب الله على من تاب))، وعلى آله وصحبه التائبين الصالحين، أما بعد:

فيا أيها المسلمون، قد تكون المعصيةُ قلبيةً غير ظاهرة، كالرياء والحسدِ والحقدِ وحُبِّ الشهوات المحرمة والظنِّ السَّيِّء بالعلماء والصالحين، وكتمانِ الشهادة، واحتقارِ المسلم، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: 12]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: 283]، وقال النبي ﷺ: ((بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ))، وقد تكون المعصيةُ قوليةً كالسَّب والغِيبة والنميمة، وقد تكون المعصيةُ فعليةً كالسرقة والغش والظلم والربا والزنا وشرب الخمر والنظر الحرام ومجالس الفسوق، وقد تكون المعصيةُ تركيةً كتركِ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتركِ العدل بين الأولاد الزوجات، وتركِ النفقةِ على الأهل، وتركِ إكرامِ اليتيم، وتركِ الإحسانِ إلى المسكينِ وابنِ السبيل، وتركِ الحثِّ على إطعام المساكين، وتركِ عيادة المريض، وترك ردِّ السلام، وتركِ تشميت العاطس، وتركِ قضاءِ الدين أو المماطلةِ بقضائه مع السَّعة، وغيرِ ذلك من الواجبات التي يقع التهاون بفعلها، وتُشرع التوبةُ من فعل المكروهات، كمن يرفع صوته بلا حاجة، فيتوب إلى الله بغض صوته، وكمن يلتفت بنظره في صلاته، فيتوب إلى الله بالخشوع والنظر إلى موضع سجوده، وتُشرع التوبة من ترك المستحبات، كمن يترك البسملة في أكله وشربه، فيتوب إلى الله بقولها، وكمن يتركُ الصلاة في المساجد جماعة فيتوب إلى الله بالمحافظة على الصلاة جماعة، على أن بعض العلماء يُرجِّحون أن الصلاة في المساجد جماعةً واجبةٌ على كل رجل قادرٍ.

أيها المسلمون، لنتب إلى الله جميعًا توبة نصوحًا، توبةً من الذنوب الظاهرة والخفية، توبةً من المعاصي التي نقترفها، توبةً من الفرائض والواجبات والسنن التي نتهاون بها، توبةً من المكروهات التي نفعلها بلا حاجة، توبةً من سوء الأخلاق، فالمسلمُ من سَلِم المسلمون من لسانه ويده، توبةً من إيذاء الجيران والضعفاء والتقصير في حقوقهم، توبةً من إيذاء الزوج لزوجته أو الزوجة لزوجها، والتقصير في حقوق الزوجية، فخير الرجال خيرهم لأهله، وخير النساء خيرهن لأهلها.

أيها المسلمون، التّوبةُ من أفضل مقامات السالكين؛ لأنها أول المنازل، وأوسطها، وآخرها، فلا يفارقها العبد أبدًا، ولا يزال العبد الصالح مجدِّدًا للتوبة إلى أن يلقى ربَّه، فالتوبة بداية الاستقامة ونهايتها، وحاجة العبد إلى التوبة في النِّهاية ضروريّة، كما كانت حاجته إليها في بداية هدايتِه، وآخر سورة قصيرة أنزلها الله على رسوله هي سورة النصر، وفيها الأمر بالتوبة: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: 3]، فالتوبة التوبة يا عباد الله، يجب علينا كلِّنا أن نحاسب أنفسنا، ونتوب إلى الله من ذنوبنا كلها، والله يفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه، ويُبدِّل سيئاته حسنات إن تاب وأصلح عمله، قال ربنا الكريم الأكرم: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 89]، ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا \* مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: 146، 147]، ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: 119]، فإذا وقعت أيها المسلم في معصية فبادر إلى التوبة، واعمل بعدها طاعة وعبادة، يقول الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: 114]، ويقول النبي ﷺ: ((اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)).

اللهم اغفر لنا ذنوبنا كلَّها، دقها وجلها، أولها وآخرها، علانيتها وسرها، اللهمّ أنت ربنا لا إله إلا أنت، خلقتنا ونحن عبيدك، ونحن على عهدك ووعدك ما استطعنا، نعوذ بك من شر ما صنعنا، نبوءُ لك بنعمتك علينا، ونبوء لك بذنوبنا فاغفر لنا، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، اللهم إنا ظلمنا أنفسنا ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لنا مغفرة من عندك وارحمنا، إنك أنت الغفور الرحيم، اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكِّها أنت خيرُ من زكَّاها، أنت وليها ومولاها، اللهم اهدنا الصراط المستقيم، وجنِّبنا طريق المغضوب عليهم والضالين، واجعلنا من التوابين الصادقين، اللهم ارزقنا طاعتك وطاعة رسولك، ووفِّقنا للتمسك بسنةِ نبيك عليه الصلاةُ والسلامُ واتباعِ سبيلِ صحابتِه بإحسان، ونعوذ بك من الشرك والبدع والفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم أعِنَّا على ذِكْرِك وشُكرِك وحُسنِ عبادتك، اللهم حبِّب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم تُب علينا لنتوب، ووفقنا للتوبة النصوح، اللهم أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين.

عباد الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]، فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نِعَمه يزدكم، وتوبوا إليه يغفرْ لكم.

## (9) الوصايا العشر في سورة الأنعام

الحمد لله الذي له مُلكُ السماواتِ والأرض، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، يعلمُ ما يلِجُ في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يَعرُج فيها، وهو معكم أين ما كنتم، والله بما تعملون بصير، له مُلكُ السماوات والأرض وإلى الله تُرجَع الأمور، يولِجُ الليلَ في النهار ويولِجُ النهارَ في الليل وهو عليمٌ بذات الصدور.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، ولا مثيلَ له، ولا نِدَّ له، ولا ولدَ له، ولا والدَ له، ولا صاحبةَ له، هو الأولُ والآخِرُ، والظاهرُ والباطنُ، وهو بكل شيءٍ عليم، ليس لِأولِيَّتِه ابتداء، ولا لِآخِريَّتِه انقضاء، هو الأول فليس قبلَه شيء، وهو الآخِر فليس بعده شيء، وهو الظاهر فليس فوقه شيء، وهو الباطن فليس دونه شيء، عِلمُه في كل مكان، وهو على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، له الأسماءُ الحسنى، والصفاتُ العلى.

وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله، نبي الرحمة، ونبي التوبة، أرسله الله رحمة للعالمين، بشيرًا ونذيرًا ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وأوجب الله طاعته على الإنس والجن أجمعين.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70، 71]، ومن يَعصِ الله ورسوله فقد ضل ضلالًا مبينًا، أما بعد:

فما أحسن الوصايا إذا كانت من الله جل جلالُه! وهذه عشر وصايا ربانيةٌ أوصانا الله بها في كتابه، ذكرها الله في آخر سورة الأنعام، فلْنتدبرها، ولْنعمل بها، ففيها خيرٌ عظيم لنا، عسى أن يرحمنا ربُّنا.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: 151]، هَلُمُّوا وأقْبلِوا لتعرفوا ما حرَّم ربُّكم عليكم حقًا، يقينًا لا ظنًا، أوصاكم ألا تُشركوا به شيئًا من خلقه، فأعظمُ المحرماتِ الشرك، ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: 72].

ثم ذكر الله الوصيةَ الثانية بعد الوصيةِ بعبادته فقال: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: 151]، أوصانا الله أن نُحسِن إلى الوالدين إحسانًا عظيمًا، بقدر ما نستطيع من الأقوال والأفعال التي تَسُرُّهما، والإحسانُ أعظمُ من البِر، فبِرُّ الوالدين طاعتُهما فيما يأمرانِك من المعروف، أما الإحسان فأن تُحسِن إليهما بالقول الطيب والفعل الحسن من غير أن يأمراك، جالِسْهما ولا تبتعدْ عنهما، حدِّثهما واسمعْ منهما، لا سيَّما إن كبِر سِنُّهما، فهما محتاجان لمن يوانسهما، اخدِمْهما، وأعطِهما مِنْ مالِك ابتداءً، ولا تنتَظِر أن يطلُباك، اهدِ لهما ما يَفرحانِ به من الطعام الطيب واللباس الحسن والهدية النفيسة، كلُّ هذا من الإحسان إليهما في حياتهما، فإن ماتا فأحسِن إليهما بالدعاء والاستغفار وأنواع الصدقات، والإحسانُ إلى الوالدين بعد الموت أنفعُ لهما من الإحسان إليهما في حياتهما، ورضا الله في رضا الوالدين، وقد جعل الله حقهما بعد حقه، جزاءً لهما على تربيتهما للولد في صِغرِه، وفي حالِ ضعفِه؛ ولأنهما سببُ وجودِه، والوالدانِ لهما حقٌ عظيمٌ على الولد حتى ولو قصَّرا في تربيته، ولو أساءا إليه وظلماه، فقد أوصى الله بهما حتى لو كانا كافِرَينِ أو فاسِقَينِ أو ظالِمَين.

أيها المسلمون، الوصيةُ الثالثة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: 151] أي: لا تقتلوا أولادكم الذكور أو الإناث بسبب فقرِكم، وقلةِ مالِكم؛ فقد تكفل الله برزق الجميع، فلستم الذين ترزقون أولادكم، بل ولا ترزقون أنفسكم، والله يبسطُ الرزق لمن يشاء، ويضيِّقُ الرزق على من يشاء، وهو أحكم الحاكمين، يختبرُ مَنْ يشاء بالغنى، ويختبرُ من يشاء بالفقر، وقد كان بعضُ أهل الجاهلية يقتل أولاده وهم صغارٌ بسبب الفقر، وفي الجاهلية المعاصرة بعضُ الناس يُجهِضُ الجنينَ في بطن أمه خوفًا من الفقر، وهذا إثمٌ عظيم، وكل من أعان على إجهاض الجنين في بطن أمه فهو مشاركٌ في هذه الجريمة، سواءً الأمَّ أو الأبَ أو الطبيبَ أو غيرهم، ومن وقع في ذلك فعليه التوبةُ والديةُ والكَفَّارةُ.

أيها المسلمون، اسمعوا الوصيةَ الرابعة: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: 151] أي: تباعدوا عن جميع المعاصي الظاهرة التي يراها الناس والمعاصي الباطنة التي تقع سرًا من غير اطلاع الناس، فالله يراك أيها الإنسان أينما كنت، فاتق الله في سِرِّك وعلَنِك، فالتقوى أن تكون في السِّر والعلنِ سوا.

الوصيةُ الخامسة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: 151]، لا تقتلوا النفس التي حرم اللهُ عليكم قتلها، وهي نفس المسلم، وكذلك الكافر المعاهد أو الذِّمي، فلا تقتلوا النفس إلا بالطريق التي أباح الله قتلها شرعًا كالقصاص وكمن زنا وهو محصَنٌ أو ارتد عن دينه وفارق جماعة المسلمين، قال النبي ﷺ: ((لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ)).

﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: 151] هذه الوصايا المذكورة في هذه الآية وصاكم الله بها لأجل أن تعقلوا هذه الوصايا وتعملوا بها.

أيها المسلمون، ثم ذكر اللهُ الوصيةَ السادسة فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام: 152] أي: ولا تقربوا مال اليتيم إلا بما يكون أصلح له وأنفع، فحافظوا على مال اليتيم، ونمُّوا له ماله بالطرق التي يغلب على الظن أن لا خسارة فيها، فإذا بلغ رشدَه وعلِمتُم منه حسنَ تصرفه في ماله، فادفعوا إليه حقه، ولا تنقصوا منه شيئًا، واحذروا من الحِيَل والتساهلِ في أكل مال اليتيم بالباطل والكذب والتزوير والخداع، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: 10]، وما أكثرَ الناسِ الذين يظلمون اليتامى ويأكلون أموالهم بغير حق! وأكثرُ من يظلمُ اليتامى هم بعضُ أقاربهم كالأخ الكبير والعم والأم ونحوهم، يُغالطونهم ويُعطونهم أقل من حقهم، ويبادرون أكلَ أموالهم بغير حق قبل أن يكبَروا، قال الله تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: 2]، ومن كان وصيًا على مال اليتيم وكان فقيرًا فليأكل من مال اليتيم بقدر أُجرتِه إن كان هناك عملٌ في مال اليتيم، ويُقدرُ الأجرة بالعدل بلا زيادة، كأن يكون لليتيم أراضٍ زراعيةٌ أو بيوتٌ مؤجَّرةٌ أو مصانعُ وشركاتٌ ونحوُ ذلك، وإن كان الوصي غنيًا فليستعففْ وليجعلْ حفظَ مالِ اليتيم وتنميتَه والعملَ فيه بلا أجرة، قال الله تعالى: ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: 6]، وقد أوصى الله بإكرام اليتيم، وحذَّر من قهره وظلمه، وأمر بالإحسان إليه بقدر الاستطاعة، فمن لم يستطع إكرام اليتيم بماله فليُكرمه اليتيم ولو بالقولِ الكريم والمسحِ على رأسه رحمةً به.

اللهم اهدِنا لأحسن الأعمال والأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم ولوالِدينا ولجميعِ المسلمين والمسلمات، الأحياءِ منهم والأموات.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله الذي أوصانا بعبادته وشكره، وأوصانا بالوالدين إحسانًا، ونهانا عن الفواحش والمنكرات ما ظهر منها وما بطن، والصلاةُ والسلام على رسول الله الذي بعثه الله ليتمم مكارمَ الأخلاق، ومحاسنَ الآداب، بعثه الله بالهدى ودين الحق، بالعلم النافع والعمل الصالح، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وبعد:

أيها المسلمون، ثم ذكر اللهُ الوصيةَ السابعة فقال: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ [الأنعام: 152]، أيها التجار، أوفوا الكيل والميزان، لا تبخسوا الناس الكيل إذا كِلتُم لهم، ولا تبخسوهم الوزن إذا وزنتم لهم، إياكم والغشَّ ولو بقدرٍ يسير، فمن غشنا فليس منا، ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ \* الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ \* وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ \* أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ \* لِيَوْمٍ عَظِيمٍ \* يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: 1 - 6]، فواجبٌ على المسلم أن يوفي الحقوق لأصحابها تامة بالعدل في الأخذ والإعطاء والإجارة والاستئجار، فلا تنقصْ شيئًا من عملك، ولا تنقصِ الأجير شيئًا من أُجرتِه، وأعطوا الأجيرَ أجرَه قبل أن يَجفَّ عرقُه، والدينُ المعاملة.

قال الله تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: 152] أي: من اجتهد في أداء الحقوق تامة، وتحرى العدل بجهده، ثم أخطأ أو وقع منه نقصٌ وتقصيرٌ بعد استفراغ وسعِه، فلا إثم عليه، فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

الوصية الثامنة: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [الأنعام: 152] أيها المسلمون، إذا حكمتم بين الناس فقولوا الحق، واعدلوا في الحكم، ولا تجاملوا القريب لقرابته، ولا تجاملوا الغني لغناه، ولا تجاملوا الفقير لفقره، قولوا الحق ولو كان مُرًّا، ولو على أنفسكم وأقاربكم وأصدقائكم، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا﴾ [النساء: 135].

الوصية التاسعة: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ [الأنعام: 152] أي: أوفوا بما أمركم الله به، واجتنبوا ما نهاكم عنه، سواء فيما يتعلق بحقوق الله أو حقوق عباده، ولا تخونوا اللهَ بتركِ بعضِ الفرائض أو فِعلِ بعضِ المحرمات، والدينُ كلُّه أمانةٌ عندك، الصلاة أمانة، والزكاة أمانة، والصوم أمانة، وهكذا جميع الواجبات أمانةٌ يجب أن تقوم بها، وجميع المحرمات أمانة يجب أن تجتنبها، وهذا عهدُ الله إلينا، وإذا حلفت وحنثت فأخرجِ الكفارة، وإذا نذرت فأوف بنذرك، ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 34].

﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 152] أي هذا الذي بيَّنه الله لكم من الأوامر والنواهي عهدُ الله إليكم لتتذكروه وتأخذوا به، فلا تضيعوا ما وصاكم الله به.

أيها المسلمون، الوصية العاشرة والأخيرة في هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: 153]، الصراط المستقيم هو الإسلام، فوصَّانا الله باتباع الإسلام الذي جاء به محمدُ بنُ عبدِ الله ﷺ، ونهانا عن اتباع البدع والمحدثات التي لم يعمَلْها النبي ﷺ ولا أصحابُه، فالحق واحد، وهو الإسلامُ الطريقُ الموصلُ إلى رضا الله وجنته، طريقٌ واضحٌ لا اعوجاج فيه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًا ثم قال: ((هذا سبيلُ الله))، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله ثم قال: ((هذه سُبُلٌ، على كل سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه))، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: 153].

هذه وصيةُ الله لنا باتباع القرآن والسنة، وتركِ البدعِ المحدَثة، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: 153] أي: ولا تتبعوا الطرقَ المخالفةَ لطريقِ الإسلامِ فتُضلُّكم عنه، وتُبْعِدُكم عن دينه الذي شرعه لكم، والسبل هي الشهواتُ والشبهاتُ، والبدعُ والمحدثات، التي تُضِلُّ من اتبعها عن الصراط المستقيم، وعن دينِه القويم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: 159]، وقال سبحانه: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ \* مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: 30 - 32].

ثم قال الله: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153] أي: وصَّاكم الله باتباع سبيله، ونهاكم عن اتباع السبل المتفرقة لكي تتقوا الله، فمن أراد تقوى الله فلْيلزمِ الصراطَ المستقيم، ولْيتبعْ كتابَ اللهِ وسنةَ رسولِه، وهذا الصراط المستقيم هو الذي أنعم الله به على النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهو الصراط الذي نسأل الله في كل ركعة من صلاتنا أن يهدينا إليه.

اللهم ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: 6، 7]، اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وحبِّب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، واجعلنا من العاملين بكتابك، المهتدين بآياتك، الموفين بعهدك، وارزقنا طاعتك وطاعة رسولك ﷺ.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمدُ لله رب العالمين.

## (10) تدبر سورة ق

الحمد لله الذي أنزل القرآنَ المجيدَ هدى للمتقين، وجعله تذكرة وموعظة للمؤمنين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، الذي أمره أن يُذكِّر بالقرآن من يخاف وعيده، أما بعد:

فنتدبر معكم في هذه الخطبة سورة ق، التي كان النبي ﷺ يُكثِر من قراءتها في خُطَب الجمعة، وكان أحيانًا يقرؤها في صلاة العيد، يُذكِّر المسلمين بهذه السورة الكريمة في المجامع العظيمة، ففي سورة ق موعظة بليغة لكل من كان له قلب حيٌ غير مريض، فمن قرأها متدبرًا لمعانيها الجليلة أو استمع لآياتها الكريمة وهو حاضر بقلبه غير ساه ولا غافل فإنه لا بد أن يتذكر ويتعظ وينتفع إن كان من المؤمنين، كما قال الله سبحانه في آخر هذه السورة: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37]، وختم الله هذه السورة بقوله: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: 45]، فخير ما نتذكر به هو القرآن العظيم، فهو أعظم المواعظ، وفيه الشفاءُ التام لأمراض القلوب، وفيه الهداية والرحمة، ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ \* وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: 203، 204].

يقول الله تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: 1] أي: أُقسِم بالقرآن الكريم، الواسعِ المعاني، ذي الصفات العظيمة الكاملة.

﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق: 2] يعني: بل تعجب الكفار واستنكروا مجيءَ رسولٍ من البشر يُحذرهم من عذاب الله، فقال الكافرون: هذا شيءٌ مستغربٌ ومستبعدٌ أن يأتينا رسولٌ من البشر يخبرنا بأن الله يبعثنا بعد موتنا للحساب والجزاء، ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: 3] أئذا متنا وصرنا ترابًا نُبعث أحياءً بعد ذلك! هذا البعث بعيدٌ وقوعُه، ومستحيلٌ حدوثُه، فأنكر الكفار قدرة الله على بعث عباده، وجهلوا أن الله على كل شيء قدير، وأنه يعلم ما تأكل الأرض من أجسادهم بعد موتهم، ولا يخفى عليه شيءٌ من أجزاء أجسامهم المتفرقة التي تصير بعد موتهم ترابًا، ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ [ق: 4]، أي: وعندنا اللوح المحفوظ من التغيير، المكتوب فيه كل شيء من أحوالهم وأعمالهم، فلا يظن الكافرون أننا غير قادرين على إحيائهم بعد موتهم.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ [ق: 5] بل سارع الكفار إلى التكذيب بالقرآن حين جاءهم، وكذَّبوا بقدرة الله على بعث عباده يوم القيامة، فهم في أمرٍ مختلطٍ مضطربٍ ملتبسٍ عليهم، فهم يكفرون بالله ورسله، ويعملون المعاصي ولا يخافون الحساب؛ لأنهم لا يصدقون بقدرة الله على إحياء الموتى يوم القيامة.

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: 6] أفلم ينظر هؤلاء المكذبون إلى السماء التي رفعها الله فوقهم وجعلها سقفًا للأرض، فيتأملوا كيف بناها الله بقدرته، وزينها بالنجوم اللامعة، وليس في السماء أيُّ تشققاتٍ ولا خلل، فالذي قدر على خلق السماء وما فيها من النجوم لا يعجزه بعث الناس بعد موتهم.

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [ق: 7] والأرض بسطنا سطحها، ولم نجعل جميع سطحِها جبالًا وصخورًا فلا يستطيعون العيش فيها، وجعلنا فيها جبالًا راسية تُثبِّتُ الأرض حتى لا تضطرب بأهلها، وأنبتنا في الأرض من كل نوع من أنواع النباتات والثمار المتنوعة التي تسر الناظرين إليها.

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: 8] أي: فعلنا ذلك من أجل أن يُبصر ويتذكر كلُّ عبدٍ رجَّاعٍ إلى الله، مُقبلٍ على طاعته، فيتفكر في مخلوقات الله العُلويةِ والسُّفلية، ونعمِه الظاهرةِ والباطنة، فيستدل بها على كمال قدرة الله ورحمته وكمال صفاته سبحانه.

أيها المسلمون، ثم ذكر الله نعمة المطر المبارك الذي يُنزله الله من السحاب بقدرته، ويحفظه للعباد في باطن الأرض برحمته ولطفه، ويُنبت بسببه البساتينَ المشتملةَ على الفواكه المتنوعة، ويُنبت للناس أنواع الحبوب التي يحصدونها ويتقوتونها، ويُنبت النخل الطويلات العاليات التي لها طلع، وهو أول ما يظهر من ثمر النخيل في غلافه، ﴿نضيدٌ﴾ أي: متراكبٌ بعضُه فوق بعض، ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ \* وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ \* رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: 9 - 11]، أنبت الله هذه الأشجار والزروع والثمار رزقا لعباده ليشكروه، ويؤمنوا به ولا يكفروه، وأحيا الله بسبب مياه الأمطار الأراضي المجدِبة بقدرته، وكما قدَرَ اللهُ على إحياء الأرض بعد موتها كذلك يقدر على أن يُخرج الناس يوم القيامة أحياء بعد موتهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: 39].

ثم قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ \* وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ \* وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق: 12 - 14] يذكُّرنا الله بعذابه الذي وقع على الأمم السابقة التي كذَّبت رسله، فأهلكهم الله في الدنيا قبل الآخرة، وجعلهم لمن يأتي بعدهم عبرة، ومن تلك الأمم: قومُ النبيِّ نوح، وأصحابُ الرَّس، والرَّس البئر، وهم قومُ نبيٍّ لم يذكر الله لنا قصته، وثمودُ قومِ النبي صالح، وعادٌ قومُ النبي هود، وفرعونُ الطاغيةُ الذي كذَّب النبيَّ موسى، وقومُ النبي لوط، وأصحابُ الأيكة، وهي الشجر الكثيف، وهم قومُ النبي شعيب، وأهل اليمن قوم تُبَّع، كلُّ هؤلاء كذَّبوا رسلهم فحق عليهم عذاب الله.

﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15] أي: أفعَجِزنا عن ابتداء الخلق أول مرة؟ ليس الأمر كذلك، فالذي قدَرَ على ابتداء الخلق أول مرة قادرٌ على إعادة الخلق بعد موتهم، والإعادة أهون من الابتداء، والله إذا أراد شيئا فإنما يقول له: كن فيكون، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وإنما الكفار في شك وحيرة من قدرة الله على بعث عباده، فالتبس عليهم الأمر بسبب كفرهم وتكذيبهم بكمال قدرة الله وسعة علمه.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: 16] ولقد خلقنا كل إنسان ونحن نعلم ما تُحدِّثه به نفْسُه سرا، ونعلم ما في قلبه وخاطره، ونحن أقرب إليه من حبل وريده الذي في عنقه. ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: 17] جعل الله لكل إنسان منا ملَكِين يكتبان أعمالَه، أحدهما عن يمينه يكتب حسناتِه، والآخر عن شماله يكتب سيئاتِه، كلٌ من الملكين موصوف بأنه رقيبٌ يراقب العبد، عتيدٌ حاضرٌ معه. ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18] لا يتكلم الإنسان بأي كلمة إلا وعنده ملَكٌ حافظٌ يراقبُ كلامه ليكتبه، حاضرٌ لا يفارقه.

أيها المسلمون، ثم ذكَّرنا الله في هذه السورة بالموت، وكفى بالموت واعظا، ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: 19] وجاءت شدة الموتِ وغمرتُه التي تغشى الإنسان، فيظهر للإنسان عند الموت صدقُ ما أخبرتْ به الرسلُ، ويعلم حقارةَ الدنيا الفانية، ويعلم أن المستقبل الحقيقي الأبدي هو في الآخرة الباقية، ذلك الموت هو ما كنت -أيها الإنسان- تهرب منه، وتبتعد عن أسبابه، فإن جعت أو عطشت سارعت إلى الطعام والشراب، وإن مرضت سارعت إلى العلاج، وتحذر من المهالك بجهدك، لكن لا ينفعك الحذر إذا جاء قدرك، فقد أدركك الموتُ في الوقت الذي قدَّره الله عليك، فلا يؤخر أجلُك ساعة، ولا ينفعك أيُّ علاج ولا دواءٍ ولا رقية.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ [ق: 20] ونفخ الملَكُ في القرن، وهما نفختان، فيبعث الله جميع عباده الأولين والآخرين، المؤمنين والكافرين، ويتحقق يوم القيامة ما توعد الله به الكافرين والظالمين والمنافقين من العذاب الأليم، ومن أسماء يوم القيامة: يومُ الوعيد.

أيها المسلمون، في يوم القيامة يُعيد الله كل إنسان كما كان، بعد أن صار عِظامًا وتُرابًا يُرجعه الله بقدرته، وترجِعُ الأرواحُ إلى الأجساد، ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: 21] وجاءت كل نفس يوم القيامة ومعها سائقٌ من الملائكة يسوقها إلى أرض المحشر للحساب، ومعها شهيدٌ من الملائكة يشهد عليها بما عملته في الدنيا من الأعمال.

ثم يقال للإنسان الكافر والغافل عن يوم القيامة: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: 22] لقد كنت في الدنيا في غفلةٍ من يوم الحساب، فلم تستعد له بالتوبة والأعمال الصالحة، فأزلنا عنك الغطاء، ورفعنا عنك الحجاب، فيظهرُ للإنسان يوم القيامة حقائقُ الآخرة، ويكون بصرُه في غاية الحِدَّة والقوة، فيرى ما لم يكن يراه في الدنيا من الملائكة والجحيم والأهوال.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [ق: 23] أي: وقال الملَك الذي كان في الدنيا يكتب سيئات الكافر والمنافق والفاجر: يا رب، هذا عبدُك المجرِمُ الذي وكَّلتني بكتابة أعماله، قد أحضرتُه ليلقى جزاءه، وهذا عملُه السيءُ قد أحصيتُه عليه بلا نقصانٍ ولا زيادة.

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ \* مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ﴾ [ق: 24، 25] فيقول الله تعالى للملَكين: ألقيا في نار جهنم كلَّ كثير الكفر بالله وآياتِه، الذي عبد هواه وشهواتِه، ولم يشكر نعم الله؛ شديدَ العنادِ للحق، الذي كان يُصِرُّ على الباطل والمعاصي، لا يتعظ ولا يتوب، الذي كان يمنع نفسه وغيره من فعل الخيرات، وكان يتعدى حدود الله، ويخالف شرع الله، وكان ظالمًا لعباد الله، شاكًّا في وحدانية الله وقدرته، ووعدِه ووعيده.

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ [ق: 26] الذي أشرك بالله، فعبد معه معبودًا آخر من خلقه، وعبد الدنيا والكُبَراء والهوى، فألقياه في عذاب النار الشديد.

أيها المسلمون، قد يعبد الإنسان هواه ودنياه، فيُقدمها على عبادة الله وطاعته، كما قال الله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: 23]، وقال النبي ﷺ: ((تعِسَ عَبْدُ الدِّينارِ والدِّرهَم)).

ثم أخبر الله أن الشيطان يتبرأ يوم القيامة من الكافر والفاجر، ويُخبِر الشيطانُ أن ذلك الإنسان الذي أغواه كان في نفسه ضالًا، يفعل المعاصي من غير أن يأمره الشيطان بها لفساد قلبه ومرضه، ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [ق: 27] يعني: ربنا ما أضللته ولا أغويته، ولكنه كان بعيدًا عن الحق باختياره، مبادرًا إلى الضلال بطبعه، فيختصم الإنسان وشيطانُه يوم القيامة، فيدَّعي الإنسان أن الشيطان أغواه، ويدَّعي الشيطان أن ذلك الكافر والفاجر كان بنفسه في ضلال بعيد من غير أن يوسوس له.

﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ \* مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق: 28، 29] قال الله تعالى لأولئك المجرمين وقرنائهم من الشياطين :لا تختصموا عندي وقد سبق أن أقمتُ عليكم الحجة في الدنيا بإنزال الكتب، وإرسال الرسل، ووصلكم وعيدي لمن كفر بي وعصاني، فلا نجاة لكم من جهنم، ولا فائدة في اختصامكم، فكلكم مجرمون مستحقون العذاب، ولا أحدَ يستطيع أن يغير قولي الذي قلتُه من قبل بأني سأملأُ جهنم من الجن والناس، وما أنا بظلامٍ لعبادي، فأنا لا أعاقب أحدًا بغير ذنبه، ولا أَزيد في سيئاته، ولا أُنقِص من حسناته.

ثم أخبرنا الله أنه يقول يوم القيامة لجهنم: هل امتلأتِ من الجن والإنس المجرمين؟ فتطلب الزيادة ولو من المؤمنين والصالحين، فلا يزال فيها متسعٌ لمن يشاء الله عذابه، ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: 30].

اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، وبعد:

ثم قال الله سبحانه في سورة ق: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: 31] أي: وقُرِّبت الجنة يوم القيامة للذين اتقوا الله تعالى بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وهذا الوعد غير بعيد، فهو واقع لا محالة، وكلُّ ما هو آتٍ آتٍ، فما أسرع انقضاءَ أعمارنا! وما أسرع زوالَ الدنيا الفانية! وسنتذكرها يوم القيامة وكأنها ساعة، فالدنيا أمد، والآخرة أبد.

﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ [ق: 32] أي: جزاء الجنة الذي وعدتُّم به هو لكل كثيرِ الرجوع إلى الله، يرجع من المعصية والغفلة إلى الطاعة والعبادة، شديدِ المحافظةِ على فرائض الله في أوقاتها، لا يتعدى حدود الله، ولا ينتهك محارمه، يحفظ سمعه وبصره وبطنه وفرجه عن الحرام، يخاف الله وهو في الدنيا لم يره، فهو يتقي الله في سره وعلانيته؛ لأنه يعلم أن الله يراه، ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: 33] جاء يوم القيامة بقلبٍ مقبلٍ على طاعة الله ومحبته والإخلاص له، فقلبه سليمٌ من الشرك والشهوات وإرادة المخالفات.

يُقال لهؤلاء المتقين يوم القيامة: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [ق: 34] ادخلوا الجنة بأمان من كل سوء ومكروه، لا منغصاتٌ في الجنة ولا شرٌ ولا أذى، ماكثين فيها أبدًا في نعيمٍ مقيم، وعِيشةٍ راضية، ومن أسماء يوم القيامة: يومُ الخلود.

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ [ق: 35] لهم في الجنة كلُّ ما يشتهون، ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: 35] وهو النظر إلى وجه الله الكريم، كما قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: 26].

ثم قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ [ق: 36]، فما أكثر الأممَ الماضية التي أهلكها بسبب كفرهم وفسقهم، وكانوا أشد منا قوة! عمروا الحصون، وبنوا الحيطان، وحفروا الآبار، وزرعوا وحصدوا، وأكلوا وشربوا وتمتعوا، وسافروا في الأرض لمصالحهم، فهل وجدوا لهم مهربا من الموت ومن عذاب الله؟! كلا، وهكذا حالُنا ومن سيأتي بعدَنا، كلنا سنموت ونلقى ربَّنا كما مات من قبلنا، فلنستعد للقاء الله بالتوبة والأعمال الصالحة.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37] إن في سورة ق موعظةً وعبرة لمن كان له عقلٌ يعقل به أو استمع وأنصت إلى آياتها وهو حاضر بقلبه غير غافل ولا ساه.

أيها المسلمون، ثم أخبر الله عن خلقه السماوات والأرض في ستة أيام، أولها الأحد وآخرها الجمعة، وردَّ الله على اليهود المغضوب عليهم الذين كذَبوا على الله فزعموا أنه استراح يوم السبت بعد خلق السماوات والأرض، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: 38] أي: من تعب، فالله سبحانه قويٌ قادرٌ عظيم، مُنزَّهٌ عن التعب، ومنزٌّه عن كل نقص وعيب، فهو الكامل في صفاته.

ثم أمر الله نبيه محمدًا أن يصبر على ما يقول الكفار من الكذب والافتراء؛ فإنهم لن يضروا الله شيئًا، وإنما يضرون أنفسهم، وأمره بالإكثار من تسبيح الله لا سيما في أول النهار وفي آخره، وأمره بصلاةِ الفجر قبل طلوع الشمس، وصلاةِ العصر قبل غروب الشمس، وخصهما الله بالذكر لأنهما أفضل الصلوات، وكثير من الناس لا يحافظ عليهما في أوقاتهما، ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ \* وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ [ق: 39، 40]، وسبِّحِ الله في بعض أوقات الليل مُنزِّها لله عن كل ما لا يليق به من النقائص التي يصفه بها الجاهلون، الذين يزعمون أن له شريكًا في العبادة أو يدَّعون له ولدًا أو صاحبة، وصلِّ لله في الليل الصلوات المكتوبة وما تيسر من النوافل كصلاة الوتر، وسبِّح عقِب الصلوات المفروضة بقولك: سبحان الله، وكذلك صلِّ صلاة النوافل البعدية بعد الصلوات المفروضة، وأمرُ لنبيه أمرٌ لأمته، فالله يأمرنا أن نكثر من تسبيحه والصلاة له، كما قال تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا \* وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: 25، 26].

ثم قال الله تعالى مخاطبًا نبيه ومخاطبًا كلَّ واحد من أمته: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: 41] أي: استمعْ يوم القيامة حين ينادي الملَكُ الموكَّلُ بالنفخ في الصور من موضعٍ قريبٍ يسمعه كلُّ إنسان، فيسمع تلك الصيحةَ جميعُ الموتى، ويخرجون من قبورهم أحياء، ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق: 42]، مِن أسماء يوم القيامة يومُ الخروج، يخرجُ فيه الناس أحياء من قبورهم للحساب والجزاء.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ \* يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: 43، 44] تتصدع الأرض يوم القيامة عن جميع الأموات وقد صاروا عظامًا وترابًا، فيخرجون من قبورهم أحياء، وهم مسرعون إلى أرض المحشر التي يمدها الله مدًا، ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 47]، وذلك أمرٌ سهلٌ على الله القادر على كل شيء.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [ق: 45] نحن أعلم بما يقوله الكفار من وصف الله بالنقائص، وإنكارِهم قدرةَ الله على بعث عباده، وتكذيبِهم بآياتِه ورسله، وما أنت بمتسلِّطٍ عليهم فتجبرهم على اتباع الحق، وإنما على الرسول وعلى كل ناصحٍ البلاغُ المبين، والهدايةُ بيد الله، يهدي من يستحق الهداية، وهو أعلم بالظالمين والمتكبرين الذين يستحقون الغواية.

ثم ختم الله هذه السورة بقوله: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: 45]، فكل من يخاف عذاب الله سينتفع بالموعظة والتذكير بآيات القرآن العظيم، ومن لم يصدق بعذاب الله وشك فيه فسيبقى في غفلته إلى أن يأتيه الموت فيخسر الخسران المبين.

اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم اهدنا الصراط المستقيم، وبارك لنا في القرآن العظيم، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، وتوفنا مسلمين، وأحسن خاتمتنا أجمعين.

## (11) تدبر سورتي الأعلى والغاشية

الحمد لله على نعمه التي لا تُحصى، الحمد لله الذي خلقنا من العَدَم، ورزقنا من النِّعَم، ودفع عنا النِّقَم، الحمد لله على القرآن الذي أنزله ليتدبره العباد، وليتذكر به أولو الألباب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُ الله ورسولُه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. أما بعد:

فالقرآن العظيم خير ما نتذكر به، وخير ما نتدبره، وقد كان النبي ﷺ يُكثر في صلاة الجمعة من قراءة سورَتي الأعلى والغاشية، وفي صلاة العيدين، فنتدبر معكم في هذه الخطبة هاتين السورتين العظيمتين، ونبدأ بسورة الأعلى، التي كان النبي ﷺ يقرؤها كل ليلة في صلاة الوتر، فلنتدبرْ ما فيها من المعاني العظيمة، يقول الله تعالى:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: 1] أي: نزِّه اسم ربِّك عن كل سوء، فإنه الخالق المالك المدبر كلَ شيء، المتصفُ بصفات الكمال، فاعبده وعظِّمه، واذكر اسمه الأعلى بقولك: سبحان ربي الأعلى.

والأمر للنبي ﷺ، ويدخل فيه أمتُه، فكل واحد منا مأمورٌ أن يسبح الله، والتسبيح: هو التنزيه عن النقائص، فيجب أن ننزه الله عما يصفه المشركون والجاهلون من الولد والصاحبة والشريك والنقص، كما قال الله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ \* وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ \* وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: 180 - 182]، وقال تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: 40]، وحين يذكر الله بعض ما يصفه الجاهلون في كتابه يسبح نفسه، كقوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ﴾ [البقرة: 116].

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [الأعلى: 2] أي: الذي خلق كل شيء من العدم فأتقن خلقه، وجعله في أحسن هيئةٍ تناسبه.

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: 3] أي: والذي قدَّر مقادير الخلائق في ذواتها وصفاتها وأحوالها ومآلها، فهدى كلَ مخلوق لمصالحه، ويسَّر له تحصيلَ رزقِه وتدبيرَ مسكنه، وكيفيةَ منكحِه وتغذيةِ صِغاره. كما قال تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: 50]. والمتفكر في الحيوانات والطيور بمختلف أنواعِها يجدُ العجبَ العجاب في هداية الله لها في جميع مصالحها، ولو تكلمنا عن هداية الله للنحل أو النمل لطال الكلام بنا، فتكفي الإشارةُ عن الإطالة.

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ [الأعلى: 4] أي: والذي أخرج من الأرض بقدرته أنواعَ النبات والحشيشَ الذي ترعاه الأنعام.

﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ [الأعلى: 5] أي: فجعل الله ذلك المرعى يابسًا مسودَّا بعد أن كان أخضر رطبًا.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ [الأعلى: 6] هذه بشارة خاصة للنبي ﷺ، أي: سنُحفِّظك - أيها الرسول - القرآن، فلا تنساه بعد أن تسمعه من جبريل عليه السلام. وهذه من أعظم معجزات النبي، فقد كان يقرأ عليه جبريل ما يُنزله الله عليه من الوحي، وهو أُميٌّ لا يكتب ولا يقرأ، فيحفظه حفظًا متقنًا، ويبقى محفوظًا في صدره لا ينساه أبدًا، مع كونه لا يرجع إلى كتابٍ مكتوبٍ ليراجعَ ما حفظه!

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعلى: 7] يعني: إلا ما شاء الله أن يُنسيك - أيها الرسول - من آيات القرآن التي ينسخها الله لحِكمةٍ بالغة. كما قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة: 106]. فبعضُ الآيات والأحكام ِكانت ثابتة في أول الإسلام، ثم نسخها الله وأتى بخير منها أو مثلها، مثل استقبال بيت المقدس في الصلاة، نسخه الله بالأمر باستقبال المسجد الحرام. فوعد الله رسوله أنه لا ينسى ما يُحفِّظه من القرآن إلا ما شاء الله أن ينسخه ويأتي بخير منه أو مثله.

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ [الأعلى: 7] أي: إن الله يعلم ما يُظهره الخلقُ من الأفعال والأقوال، وما يُخفونه من أعمالهم، وما يسرونه في صدورهم. ومن ذلك أن الله يعلم ما يصلح عباده، فشرع لهم ما يصلحهم في دينهم ودنياهم.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ [الأعلى: 8] أي: ونسهل لك - أيها الرسول - عمل الخير والدعوة إليه، ونجعل لك شريعة سهلة لا ضيق فيها أبدًا. كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]. فالنبي ﷺ بعثه الله بالحنيفية السمحة، فالدين يسر، ولكنَّ كثيرًا من الناس يوقعون أنفسهم أو غيرهم في الضيق والحرج بمخالفة شرع الله، وتركِ الاستقامةِ كما أمرهم الله، فمنهم من يغلو ويتنطع، ومنهم من يجفو ويتميع، ودينُ اللهِ وسطٌ بين الغالي فيه، والجافي عنه.

﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ [الأعلى: 9] أي: فعِظ جميعَ الناس مُسلمِهم وكافرِهم بكتاب الله، وبيِّن لهم عظمة الله، وخَوِّفْهم عذابه، إن نفعت الموعظةُ بعضَ من يسمعُها. كما قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: 45]. وقال سبحانه: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: 55]. فقد أمر الله بتذكير كلِ أحد، فمن انتفع كان تذكُّره تامًا نافعًا، وإلا قامت عليه الحجة، وربما انتفع بالتذكير بعد مدة، أو انتفع بها غيرُه، وبعد أن يكرر الداعي إلى الله الذكرى تكريرًا تقوم به الحجة يكون مأمورًا بالتذكير عند ظن الفائدة، فمن علم أنه مصرٌ على الكفر أو المعصية، فلا يجبُ عليه تكرير الذكرى له دائمًا.

﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ [الأعلى: 10] أي: سيتعظُ من يخافُ الله، ويعلمُ عظمته، ويخافُ عذابَه في الدنيا والآخرة.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ [الأعلى: 11] أي: ولا ينتفعُ بالموعظةِ ويَبعُدُ عنها الكافرُ الأشقى.

﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ [الأعلى: 12] أي: الذي يدخل نارَ جهنمَ العظمى. كما قال تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى \* لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ [الليل: 14، 15].

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ [الأعلى: 13] أي: ثم لا يموت الكافرُ في جهنمَ فيستريحَ من عذابِها، ولا يحيا حياةً تنفعُه. كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: 56].

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى: 14] أي: قد فاز بالنجاة من النار والخلودِ في الجنة من تطهرَ من الكفرِ والمعاصي والأخلاقِ السيئة، فآمن ووحَّد الله، وعمل الأعمالَ الصالحةَ التي منها ذكرُ الله والصلاةُ والزكاة. كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا \* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: 7 - 9]. وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ كان يقول: ((اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا)).

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: 15] أي: وذكر اسم الله بتسبيحِه وتحميدِه وتهليله وتكبيره واستغفاره، ودعاه وحدَه، فصلى الصلواتِ الخمسَ والنوافلَ مخلصًا لله تعالى.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الأعلى: 16] أي: بل تُقدِّمون - أيها الناس - متاعَ الحياةِ الدنيا على ثوابِ الآخرة، وتهتمون بأمور دنياكم أكثرَ من اهتمامكم بأمورِ دينكم إلا من رحم الله. كما قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: 14].

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: 17] أي: وثواب الله في الجنة أفضل لكم من متاع الدنيا القليل، وأدومُ لكم من الدنيا الفانية، فنعيمُ الجنةِ كاملٌ لا نقص فيه، أبديٌ لا ينتهي. كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص: 60]. وقال النبي ﷺ: ((واللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَه هَذِهِ - وأشار بالسبابة - في اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرجِع؟!)).

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى \* صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: 18، 19] الإشارة في قوله: ﴿لا﴾ إلى الآيات الأربعِ الأخيرة، أي: إن ما أخبرتُكم في هذه السورة من فلاح من زكى نفسه، وذكرَ اسم ربه فصلى، وإيثارِ الناسِ الدنيا على الآخرة، وأن الجنةَ خير وأبقى؛ مذكورٌ بمعناه في الكتب السابقة المنزَّلة قبل القرآن، في الصحف المنزلة على إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام.

فما أعظمَ موعظة هذه السورة! أسأل الله أن يبارك لنا في القرآن، وأن يجعلنا من المتدبرين له، العاملين به، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، وعلى كل من والى الله ورسوله والمؤمنين، أما بعد:

نتدبر في هذه الخطبة سورة الغاشية، التي بدأها الله بسؤال لكل واحد منا فقال سبحانه:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: 1] فالخطاب لكل إنسان، أي: هل وصلك أيها الإنسان خبرُ القيامة التي تغشى الناسَ والكونَ بأهوالها؟! فمن أسماء يوم القيامة الغاشية، عظَّم الله ذلك اليوم وحذره عباده، ومن أسماء يوم القيامة أيضًا: يومُ التلاق، ويومُ الخروج، ويوم التناد، ويوم الدِّين، واليوم الحق، والطامة الكبرى، والصاخة، والآزفة، والحاقة، والقارعة، فإذا أتاك أيها الإنسان خبر يوم القيامة فماذا عملت استعدادًا له، هل تزودت بالأعمال الصالحة التي تنفعك ذلك اليوم؟ هل زكَّيتَ نفسك واتقيت ربك؟

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ [الغاشية: 2] أي: وجوه الكافرين يوم القيامة ذليلةٌ، متغيرةُ اللون من شدة العذاب والخوف.

﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ \* تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: 3، 4] أي: عاملةٌ ما لا تطيق، تاعبةٌ بالعذاب يوم القيامة، فالكفار والمنافقون والفجار والظلمة يُكلَّفون يوم القيامة ما لا يُطيقون، ويُعذَّبون في النار عذابًا شديدًا لا يخفف عنهم، فهم يسحبون في النار، ويأكلون الزقوم، ويشربون الحميم، وغيرُ ذلك من أنواع العذاب الأليم.

وفي الآية معنى آخر، أي: عاملةٌ تاعبةٌ في الدنيا بالعبادات الباطلة كعُبَّاد النصارى وغيرِهم ممن يعبدون الله بما لم يشْرعُه، فهم يُتعِبون أنفسَهم بعبادات لا يقبلها الله منهم، ويكون مصيرُهم في الآخرة نارَ جهنم.

وفي الآية معنى ثالث، أي: عاملةٌ تاعبةٌ بأمور الدنيا من جمعِ الأموال، وفعلِ المعاصي والشهوات بكدٍّ وتعب، ثم في الآخرة تصلى نار جهنم الحامية، فلا تنفعهم أموالهم يوم القيامة، وتذهب عنهم تلك اللذاتُ المحرمة، ويبقى عليهم عذابُها في الآخرة.

وكل هذه المعاني الثلاثة صحيحة، فمعنى الآية: عاملةٌ تاعبةٌ في الدنيا بالمعاصي واتَّباع الشهوات، أو بالعبادات الباطلة، وعاملةٌ تاعبةٌ في الآخرة بالعذاب الشديد في يوم القيامة يُدخلهم الله نارًا حامية.

﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ [الغاشية: 5] أي: يُسقى الكفار والفجار في جهنم من عينِ ماءٍ بلغت الغايةَ في شدةِ الحرارة والغليان. كما قال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: 15].

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: 6] أي: ليس لهم طعام في جهنم إلا شوكًا يابسًا سامًا. قال المفسرون: الضريع شوكٌ سامٌ يابس، وأهل النار لهم أنواع من الطعام يُعذَّبون بأكله، ففي وقتٍ لا يأكلون إلا الضريع، وفي وقتٍ لا يأكلون إلا الغِسلين، وفي وقتٍ لا يأكلون إلا الزَّقُّوم.

﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ [الغاشية: 7] أي: لا يُسمن الضريعُ بدنَ من يأكلُه من أهل النار، ولا يدفع عنه شيئًا من ألم الجوع.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ [الغاشية: 8] أي: وجوه المؤمنين يوم القيامة فيها أثر النعمة والسرور.

﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [الغاشية: 9] أي: لما عملته في الدنيا من الأعمال الصالحة راضية، حين وجدت ثوابَه العظيمَ في الجنة.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الغاشية: 10] أي: في بستانٍ عالِ المكان والقدر، مرتفعِ القصورِ والغرف.

﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ [الغاشية: 11] أي: لا تسمع في الجنة أيَّ كلمةِ لغوٍ لا فائدةَ في سماعها، من الباطل والكذب والسب وغير ذلك.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ [الغاشية: 12] أي: في الجنة عيونٌ متدفقةٌ من الماء وأنواع الأشربة. كما قال تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد: 15].

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية: 13] أي: في الجنة أسِرَّةٌ عاليةُ القدر في حسن فِراشِها ولِينه، وفي ارتفاعِ محلِّها؛ ليرى المؤمنُ الجالسُ عليها ما حوله من النعيم العظيم.

﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: 14] أي: وفي الجنة أكوابٌ ممتلئةٌ بأنواع الأشربة اللذيذة، موضوعةٌ في أماكنهم، ومُعّدَّةٌ على حافَة الأنهارِ الجاريةِ لمن يشتهي الشربَ بها.

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ [الغاشية: 15] أي: وفي الجنة وسائدُ مرتبةٌ أحسنُ ترتيب، كلُ وسادةٍ بجانبِ الأخرى في صفٍّ واحد، مُعَدةٌ للاتكاءِ عليها.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: 16] أي: وفي الجنة فُرُشٌ كثيرةٌ كاملةُ الحسن، مبسوطةٌ ومفرَّقةٌ في المجالس؛ للزينة والجلوس عليها.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: 17] أي: أفلا ينظر الناسُ متفكرين إلى الجِمَال كيف خلقها الله؛ ليستدلوا بخلقها العجيبِ وأحوالِها الغريبة على كمال قدرة الله وحكمته، فيؤمنوا بالبعث بعد الموت، ويوحدوا الله سبحانه؟! والإبل تتميز عن غيرها من الحيوانات بأشياءَ كثيرة، منها: أنها تُقتنى لمنافعَ كثيرةٍ لا تجتمع في غيرها، يُؤكلُ لحمُها، ويُشربُ لبنُها، وتَحمِلُ الإنسانَ وأمتعتَه في أسفاره، وفيها زينةٌ وجمالٌ وغنى لأصحابها، وتنقادُ مع قوتها للإنسان ولو كان صبيًا، ويُحمل عليها وهي باركةٌ ثم تقومُ بِحِملها الثقيل، ومن عجائبها: أنها تأكل الشوك ولا يضرُها، وتتحمل العطش والسير في الصحراء، وفي عينها غشاء شفَّافٌ يقيها الرمال ولا يمنعها من الرؤية، وحين تمشي تُقدِّمُ يدَها ورجلَها اليمنى في وقتٍ واحد، ثم تُقَدِّم يدَها ورجلَها اليسرى في وقت واحد، بخلاف جميع الحيوانات التي تمشي بتقديم يدِها اليمنى ورجلِها اليسرى، ثم يدِها اليسرى ورجلِها اليمنى، وفي الإبل أشياءُ كثيرةٌ عجيبةٌ.

﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [الغاشية: 18] أي: وألا ينظر الناس متفكرين إلى السماء كيف رفعها الله فوق الأرض بمسافةٍ عظيمة، ورفع ما فيها من الشمس والقمر والنجوم بلا عَمَدٍ بقدرته؟! فالسماء الدنيا تحيط بالكرة الأرضية من جميع جهاتها، فأينما كنت في الأرض فهي فوقَك، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: 6] أي: ليس فيها شقوقٌ ولا عيوب.

﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [الغاشية: 19] أي: وألا ينظر الناس متفكرين إلى الجبال العظيمة كيف نصبها الله بقدرته، وجعلها راسخة لا تزول عن أماكنها برحمته؟!

﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: 20] أي: وألا ينظر الناس متفكرين إلى الأرض كيف بسطها الله ووسَّعها، وسهَّل منافعها؛ ليستقر الخلقُ عليها، ويتمكنَ الناسُ من السير والبناء عليها، والحفرِ فيها، وحرثِها وغرسِها؟! كما قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ [ق: 7]. ولا ينافي جعلُ الأرضِ مسطحة ًكونَها كُروية، فالأرض سطحها واسعٌ ليستقر عليها الخلقُ وينتفعوا بها، فلو كانت كلها صخورًا وجبالًا فلن يتمكن الناس من الانتفاع بها، فمن رحمة الله أن ذللها لعباده، وسطَّحها بقدرته، وقد ذكر غير واحد من علماء المسلمين القدامى أن الأرض كرويةُ الشكل.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: 21] أي: فعِظ - أيها الرسولُ - جميعَ الناس بالقرآن، وخوِّفهم عذاب الله، إنما أنت واعظ، بعثك الله لدعوة الناس إلى الله. وأمرُ الله لرسولِه أمرٌ لأمته، فعلى المسلمِ أن يعظَ وينصحَ من يستطيعُ من الناس، لا سيما أهلُه وأصحابُه، وأن يذكرهم ولو بآية من كتاب الله، ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: 55].

﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: 22] أي: لست على الناس بمتسلطٍ تُجبرهم على الإيمان والعمل الصالح، إنما عليك التذكير والبلاغ، وحسابهم على الله، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: 272].

﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ \* فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ [الغاشية: 23، 24] أي: لكن من أعرض عن طاعة الله، وكفر بالحق الذي جاء من عند الله، فيعذبه الله أشدَ العذابِ في جهنم. كما قال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه: 127].

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ [الغاشية: 25] أي: إن إلينا مرجعَ الناس بعد موتهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: 26] أي: ثم إن علينا أن نحاسب الناس ونجازيهم على أعمالهم.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكِّها أنت خيرُ من زكاها، واجعلنا الذاكرين المصلين، واجعلنا من المتذكرين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم ارحمنا في حياتنا وبعد موتنا، اللهم حاسبنا حسابًا يسيرًا، واغفر لنا ولجميع المؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، وصل اللهم وسلم على نبينا محمد.

## (12) عبادة الصبر

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ [أي: واتقوا الأرحامَ أن تقطعوها] إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70، 71]. أما بعد:

فإنَّ خير الكلام كلام الله، وخيرَ الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة.

أيها المسلمون، ذكر الله الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعًا، فالصبر عبادةٌ عظيمةٌ حث الله عليها في كتابه، قال العلماء: الإيمان نصفان: نصفٌ صبر، ونصفٌ شكر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: 5].

الصبر هو حبس النفس على الاستقامة على طاعة الله، وحبسُها عن المحرمات، وحبسُها عن التسخط لأقدار الله المؤلمة.

وأنواع الصبر ثلاثة: صبرٌ على الطاعات فتؤديها، وصبرٌ عن المحرمات فتجتنبها، وصبرٌ على أقدار الله المؤلمة، يقول الله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [مريم: 65]، ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: 28]، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: 132]، وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى \* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: 40، 41]، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ \* لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: 22، 23]، وقال عز وجل: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران: 142]، وقال ربنا: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: 31]، وقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ \* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 155 - 157].

أيها المسلم، ما دمتَ في هذه الدارِ فلن تسلمَ من البلاء والأكدار، فاصبر لحكم الله الشرعي وحكم الله الكوني، حكم الله الشرعي هو الواجبات والمحرمات، فاصبر على أداء الواجبات، واصبر على ترك المحرمات، وحكم الله الكوني هو المقادير، فاصبر على ما يبتليك الله من المصيبات، اصبر لحكم الله ولا تطع من يأمرك بترك الواجبات أو فعل المحرمات أو يدعوك إلى التسخط على أقدار الله والكفر بقدره وتقديره، قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: 24]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 51]، فما كتبه الله على المؤمنين من المصائب هو لهم لا عليهم؛ لأنهم يؤمنون بالله وقدره وقضائه، فيزدادون إيمانًا وهداية، ويعوضهم الله خيرًا في الدنيا أو في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: 11] قال المفسرون: هو الرجل يبتليه الله بالمصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم، فيهدي الله قلبه، ويزداد إيمانًا إلى إيمانه، قال النبي ﷺ: ((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)).

أيها المسلمون، الصبر عبادةٌ عظيمة، فيجب أن تكون خالصةً لوجه الله، قال الله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: 7] ، وقال سبحانه مثنيًا على عباده الصابرين المخلصين في صبرهم: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ \* جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ \* سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: 22 - 24].

أيها المسلمون، الصبر من أسباب النصر والنجاح، فمن صبر قدَرْ، ومن ثبَتَ نبَتْ، ومن جدَّ وجدَ، سواء في أمور الدين أو الدنيا، فالله مع الصابرين بمعونته وتوفيقه وهدايته، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 153]، وقال النبي ﷺ: ((واعلم أنَّ النصر مع الصبر، وأنَّ الفرَج مع الكرْب، وأنَّ مع العسر يسرًا)).

إنَّ البلاءَ وإنْ طالَ الزمانُ به ... فالموتُ يقطَعُهُ أو سوفَ يَنقطِعُ

أيها المسلمون، الصبر من عزائم الأمور التي يجب علينا أن نتحلى بها، وأن يوصي بها بعضنا بعضًا، وأن نحث بها أولادنا، قال الله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: 186]، وقال سبحانه حاكيًا وصية لقمان لابنه: ﴿يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: 17].

أيها المسلمون، للصابرين المخلصين أجرٌ عظيم بغير حساب، سواء الذين صبروا على فعل الفرائض كالصلاة والصيام والحج والجهاد، أو صبروا عن المعاصي فتركوها ونهوا أنفسهم عن هواها، أو صبروا على ما قدره الله وقضاه عليهم من المصائب، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10].

أيها المسلمون، هل تعلمون أن الله يحب الصابرين؟ قال الله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 146]، فهنيئًا للصابرين الأجر العظيم، والفضل الكبير.

اللهم اجعلنا من الصابرين الشاكرين، واغفر لنا ولجميع المسلمين.

**الخطبة الثانية:**

الحمد للهِ الذي يحب الصابرين المتقين، والصلاةُ والسلامُ على رسوله محمدٍ قدوةُ الصابرين الشاكرين، والسلامُ علينا وعلى عباد الله الصالحين، وبعد:

يقول الله تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: 1 – 3]، أقسم الله أن جميع الناس في خسارة إلا من اتصف بأربع صفات، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، فلا نجاة لنا من الخسران إلا بالتواصي بالصبر، فلنتواصى بالصبر على طاعة الله، والصبر عن المعاصي، والصبر على أقدار المؤلمة، ونعلم أنها بقضاء الله وقدره، وبذلك نكون من الفائزين بالجنة.

أيها المسلمون، كان النبي محمد ﷺ يصبر صبرًا عظيمًا وهو سيد الأولين والآخرين، فكان يجوع ويتعب، وكان يمرض كما يمرض رجلان، وابتلاه الله بفقد أبنائه صغارًا، وماتت جميع بناته في شبابهن، وماتت زوجته أم المؤمنين خديجة في مكة قبل الهجرة وهو في أمس الحاجة للسكن إليها ومعونتها، وقُتِل في المدينة كثير من أصحابه شهداء، فصبر صبرًا عظيمًا، وأخبر النبي ﷺ أنَّ أَشَدَ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ، وقال النبي ﷺ: ((مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ))، وفي الحديث القدسي: يقول الله تعالى: ((إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ)) يريد عينيه.

أيها المسلمون، اسمعوا هذا الحديث النبوي الشريف، قال عليه الصلاة والسلام: ((مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، [النَّصَبُ التعب، والوصَبُ الوجع] وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ، [الهمُّ يكون لمكروهٍ يُتوقَّعُ حصولُه في المستقبل، والحزنُ لمكروهٍ وقعَ في الماضي] وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ))، ((مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ، وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ)).

أيها المسلم، اصبر في تعاملك مع الناس، فلا بد أن تجد منهم أذى كثيرًا، فاكظم غيظك يأجرك الله، واعف عمن ظلمك يعفو الله عنك، قال الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134]، وقال عليه الصلاة والسلام: ((الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ)).

أيها المسلمون، لا سعادة إلا للصابرين، قال بعض الصحابة: (وجدنا خيرَ عيشِنا بالصبر).

أيها المسلم، هل للصبر حدود؟ وإلى متى تصبر؟

قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: 109]، اصبر حتى يحكمَ الله، وقال الله سبحانه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ \* وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ \* إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: 126 - 128].

اللهم اجعلنا مِنَ الصابرين الشاكرين، واجعلنا من المتقين المحسنين، اللهم وفقنا للصبر على عبادتك، والصبر عن محارمك، والصبر على أقدراك، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

اللهم صلِّ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِ محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

اللهم وسلِّم على نبينا محمد وعلى جميع عباد الله الصالحين الصابرين من السابقين واللاحقين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10].

عبادَ الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]، فاذكروا الله يذْكُرْكُم، واشكروه على نِعَمِه يَزِدْكُم، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: 45].

## (13) عبادة الشكر

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ، مَنَّ عَلَيْنَا فَهَدَانَا وَأَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكُلَّ بَلَاءٍ حَسَنٍ أَبْلَانَا، الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مُوَدَّعٍ، وَلَا مُكَافَئٍ، وَلَا مَكْفُورٍ، وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ مِنَ الطَّعَامِ، وَسَقَى مِنَ الشَّرَابِ، وَكَسَا مِنَ الْعُرْيِ، وَهَدَى مِنَ الضَّلَالَةِ، وَبَصَّرَ مِنَ الْعَمَى، وَفَضَّلَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ تَفْضِيلًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الحمد لله على نعمه التي لا تحصى، الحمد لله الذي خلقنا من العَدَم، ورزقنا من النِّعَم، ودفع عنا النِّقَم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُ الله ورسولُه، سيد الشاكرين والصابرين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. أما بعد:

فالشكر أعلى منازل العابدين، وعبادة الله تكون بالشكر على نعمه، والصبر على بلائه، فالدين صبرٌ وشكر، والمنتفعون بآيات الله هم الصابرون الشاكرون، كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: 5].

والشكر عبادةٌ عظيمةٌ تتضمن الرضا بشرع الله وقدره، وقد جعل الله سبحانه الشكر هو الغاية من خلقه وأمره، فقال: ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: 26]، ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 6].

وأخبر الله سبحانه أن المقصود بالتقوى شكرُه فقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: 123].

وأخبر أنه إنما يعبده من شكره، ومن لم يشكره فليس من أهل عبادته فقال: ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: 172].

والمتدبر للقرآن الكريم يجد فيه آياتٍ كثيرةً في تعريف الناس بنعم الله عليهم، وبيانِ أنها نعمٌ ظاهرة وباطنة، وفي القرآن الأمرُ بتذكر نعم الله الدينية والدنيوية، والحثُّ على شكر الله عليها، وتخويفُ العباد من الكفر بنعم الله، وتحذيرُهم من الغفلة عن شكر الله بالإعراض عن عبادته، ونهيُهم عن استعمالِ نِعَمِ اللهِ في معصيته، وأخبر الله أنه يحب الشاكرين، وأنه لا يحب الكافرين والعاصين، فالقرآن يهدي إلى شكر النعم، ففي أول المصحف في سورة الفاتحة التي تسمى سورة الحمد قال الله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: 1 - 3].

فالله هو الرحمن الرحيم، وأمرنا أن نحمده بالثناء والشكر؛ لأنه الذي ربى العالمين بنعمه.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: 152].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: 172].

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ \* وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ \* لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: 33 - 35].

وقال الله عن الأنعام والحيوانات التي سخرها لعباده: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: 73]، وقال: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 8].

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ \* أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ \* لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: 68 - 70]، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [الملك: 30].

وذكر الله نعمة البحر الذي سخره لمنافع العباد، ومِنْ أعظمِها جريانُ السفنِ فيه لنقل البضائع من بلادٍ إلى بلاد، فيحصل بذلك أرزاقٌ كثيرة ومنافعُ عديدة ومصالحُ عظيمة للعباد، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 14].

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: 10].

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الروم: 46].

﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ \* وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ \* وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ \* تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: 3 - 6].

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ \* وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 20، 21]، فأمرنا الله أن ننظر في أنفسنا لنتذكر نعمه علينا، دخل أحد الوعاظ على الخليفة العباسي هارون الرشيد، فطلب الخليفة شَربة ماء، فقال له الواعظ: يا أمير المؤمنين، لو مُنِعت هذه الشَّربة بكم تشتريها؟! قال: بمُلكي كلِّه، ولما شرب الماء قال له: يا أمير المؤمنين لو مُنِعت إخراج هذه الشَّربة - يعني لم تستطع إخراج البول - كم تبذل في طلب العلاج؟ قال: ملكي كلَّه، قال: ملكُك كلُّه لا يساوي شَربة ماء! فكم من نِعمٍ فينا لا تُقدَّر بثمن، نعمة السمع، نعمة البصر، نعمة العقل، نعمة الكلام، نعمة الكِلى التي تُصفِّي الدماء، نعمة الهواء الذي لو حصل لأحدِنا ضيقُ نفس لضاقت عليه الدنيا، نعمة القلب الذي ينبض ليلًا ونهارًا بلا توقف منذ كان أحدنا في بطن أمه، نعمة البلع من غير أن ينزل الطعام أو الشراب إلى القصبة الهوائية الملاصقة للبلعوم، فقد جعل الله من رحمته ولطفه بنا لحمةً زائدة تسد الفتحة التي بين الأنف وداخل الفم حين البلع، وجعل لحمةً أخرى صغيرة تسد مجرى النَّفَس، فلو دخل شيءٌ من الطعام أو الشراب أو الريق إلى القصبة الهوائية عند البلع لمات الإنسان، فلو لم نشكر الله بعباداتنا كلِّها إلا على هذه النعمة العظيمة لكانت جديرةً بالشكر، فلله الحمد الذي ينجينا من الموت إلى منتهى آجالنا، وجعل قلوبنا حية تنبض من غير عملٍ منا، فلا نحيا إلا بالله، ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود: 56]، ونستغفر الله على تقصيرنا في شكر نعمة واحدة من نعمه، ذكروا أن الإنسان يتنفس كل يوم وليلة ما يقارب 24 ألف نفَسٍ، فهذه 24 ألف نعمة فقط في إدخال الهواء وإخراجه، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: 18].

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ \* وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ \* وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الروم: 21 - 23].

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: 13].

﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: 73].

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 78].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: 3].

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 89].

وقد بين الله لنا في كتابه أن جميع العبادات المراد بها تحقيق تقوى الله وشكره، فيزكي المسلمُ نفسَه بالطاعات، فيشكرُ الله على نعمه، ولا يستعملها في معصيته، قال الله عن الصلاة: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: 45]، وقال في آيات الصيام: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183]، وقال: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 185].

وقال سبحانه عن الهدي والأضاحي التي شُرِعت للحُجاج وغيرهم في أيام عيد الأضحى: ﴿كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج: 36].

فالطاعات كلها شكرٌ لله، وترك المعاصي شكرٌ لله، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: 123].

وقد حذرنا الله من ترك شكر نعمه، وبين أنه يعاقب الأمم والأفراد الذين لا يشكرونه، قال الله سبحانه: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل: 71].

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ \* وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ \* فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: 112 - 114].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: 58].

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا \* وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: 16، 17].

﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: 58].

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ \* ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ \* قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ \* فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ \* مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ \* لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [الروم: 40 - 45].

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: 147].

﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: 7].

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: 80].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: 12].

وحكى الله سبحانه عن نبيه سليمان عليه الصلاة والسلام أنه قال: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: 40].

فمن شكر الله بإحسان عبادته أحسن الله إليه، قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: 60]، وقال سبحانه: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ \* وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 55، 56]، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134].

وقد أخبر الله الشاكر الشكور عن جميع الأنبياء والصالحين أنهم كانوا يشكرون الله على نعمه، فاستحقوا بذلك فضلَ الله في الدنيا والآخرة.

قال الله عن نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 3].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [النحل: 120 - 122].

ودعا إبراهيم عليه الصلاة والسلام لذريته أن يكونوا من الشاكرين فقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: 37].

وأخبر الله أن إنجاءه آل لوط كان بسبب شكرهم لله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ \* إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ \* نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ [القمر: 33 - 35].

وقال الله لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 144].

وثبت أن النبي ﷺ كان يقوم الليل يصلي ويتلو القرآن حتى تتفطر قدماه، وقال: ((أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟)).

وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا)).

وعن صُهيبٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)).

فحياة المؤمن كلها شكر لله على نعمه، وصبر على بلائه، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 162، 163]، وكان النبي ﷺ إذا استيقظ من نومه قال: ((الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ))، وكان إذا أوى إلى فراشه قال: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَ)).

والصلاة أعظم الشكر، فمن أولها تحمد الله سبحانه، فسورة الفاتحة أولها شكر وثناء، وآخرها دعاء، وتقول في ركوعك: سبحان ربي العظيم وبحمده، وتقول في القيام من الركوع: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، وتقول في سجودك: سبحان ربي الأعلى وبحمده، أو تقول في ركوعك وسجودك: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي، وفي أول التشهد تحمد الله بقولك: التحيات لله والصلوات والطيبات، وتحمد الله في الأذكار بعد الصلوات، وهكذا الصيام هو شكرٌ لله، والزكاة هي شكرٌ لله، والحج شكرٌ لله سبحانه، يقول الحاج والمعتمر في التلبية: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنَّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك. ومعنى لبيك: أي أنا مقيم على طاعتك، وأجيبك إجابة بعد إجابة، أمرتني بالصلاة فصليت، أمرتني بالصيام فصمت، أمرتني بالزكاة فزكيت، أمرتني بالحج إلى بيتك فأتيت إليك، شاكرا لنعمك، مقرا بطاعتك.

**أيها المسلمون، كيف يكون شكرُ الله على نِعَمِه؟**

الشكرُ يكون بثلاثة أشياء: بالقلب وباللسان وبالعمل.

فشكرُ الله بالقلب يكون بالاعتراف بأن النعم من الله وحده، ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: 53]، فتعلم أن الله وحده برحمته وقدرته هو الذي أنعم عليك بالنعم الظاهرة والباطنة، ولو شاء لمنعك إياها ابتداء، أو سلبها منك متى شاء.

وشكرُ الله باللسان يكون بالتحدث بنعم الله الدائمة والمتجددة، كما قال النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ \* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: 79، 80]، وإذا رأيت مبتلى شكرت الله أن عافاك مما ابتلى من شاء من خلقه، فمن شكر النعمة أن يتحدث الإنسان بها بلا فخر، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 11]، وذم الله الذين يكتمون نعمه فقال: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: 37]،

وشكرُ الله بالعمل يكون بفعل الطاعات من صلاة وزكاة وصيام وحج وذكر وتلاوة للقرآن وغير ذلك من الطاعات، واستعمالِ نعم الله فيما يرضيه، وتركِ معصيته بنعمه، قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13].

فشكرُ كلِّ نعمةٍ يكون باعتراف القلب أنها من الله وحده، والتحدثِ بها ظاهرًا، والاستعانةِ بها على طاعة الله، ومن عصى الله بنعمة من نعمه فلم يقم بشكر الله عليها، فمن عصى الله بماله لم يشكره على نعمة المال، ومن عصى الله بصحته أو سمعه أو بصره أو لسانه لم يقم بشكر هذه النعم، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: 61].

عبادَ الله، كل الخير في شكر الله، قال الله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144]، وقال: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7].

أيها المسلمون، كما يكون الشكر لله سبحانه بالعبادة يكون أيضا للوالدين بالإحسان إليهما في حياتهما وبعد موتهما، قال الله تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: 14]، ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 24]، ويكون الشكر أيضا للناس الذين أحسنوا إليك بأي معروف كبير أو صغير، روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا يشكرُ اللهَ من لا يشكرُ الناس)).

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ \* الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ \* فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 6 - 8].

أيها الإنسان، خلقك الله لتعبده وتشكره، فإما أن تكون شاكرا لله أو تكون كفورا لنعم الله، قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا \* إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا \* إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: 1 - 3].

فمن ترك الشكر فقد اتبع سبيل الشيطان، قال الله سبحانه: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: 27].

وقد أقسم الشيطان الكفور أنه سيُضل الناس عن عبادة الله وشكره، ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ \* ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 16، 17].

فالمؤمنون يحرصون على عبادة الله وذكره شكرا له على نعمه الدينية والدنيوية، ويرضى كلُ واحدٍ منهم عن الله فيما آتاه، وفيما ابتلاه، فيجازيهم الله الجنة في الآخرة، وأهل الجنة يحمدون الله ويشكرونه في الآخرة كما حمدوه وشكروه في الدنيا، قال الله عنهم: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: 10]، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: 43]، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ \* وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: 74، 75].

والكافر والفاجر كفور لنعم ربه، لا يشكره عليها، ويستعملها في معصيته، كما قال الله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ \* وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات: 6، 7] كنودٌ لا يشكرُ اللهَ على نعمه.

والكافرون يتحسرون يوم القيامة على تركهم شكر الله، ويتمنون الرجوع إلى الدنيا ليشكروا الله بالعمل الصالح، قال الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ \* وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر: 35 - 37].

يا عباد الله، سيسألُنا الله عن شكرِ نِعَمِه الدينية والدنيوية، كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: 8]، وقال: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36]، وقال الله عن القرآن الكريم مبينا أننا سنُسأل عن تلاوته وتعلمه والعمل به: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: 44]، والقرآن أعظم نعم الله على عباده، وهو حجة لك أو عليك.

قال رسول الله ﷺ: ((لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ))، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أن الله يقول للعبد يوم القيامة: ((أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ، وَنُرْوِيَكَ مِنَ المَاءِ البَارِدِ؟))، ويقول له: ((أَلَمْ أَجْعَلْكَ سَمِيعًا بَصِيرًا؟ أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ مَالًا وَوَلَدًا؟ فَمَاذَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ؟))، فكلُّ واحدٍ منا سيسألُه اللهُ على نِعَمِه، فلنحرص - يا عباد الله - أن نكون من الشاكرين الذين مدحهم الله في كتابه، وأخبر أنهم قلة، فقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]، وقال: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: 53].

فالشاكرون الله بقلوبهم وألسنتهم وأعمالهم الصالحة هم القليل، وهم المستحقون فضلَ الله وجنتَّه، والغافلون عن شكر الله هم أكثر الناس، وهم المستحقون عذاب الله وسخطَه، فلا نغتر بكثرة الغافلين عن شكر الله وعبادته، قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 205].

ولنتواصى بعبادة الله وشكره كما أمرنا الله في قوله: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: 66].

ولا ننسى قول ربِّنا: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: 62].

ومن الأدعية القرآنية التي علينا أن نُكثِر من دعاء الله بها: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: 15].

ومن الأدعية النبوية التي أوصى النبي عليه الصلاة والسلام المصلي أن يقولها في آخر صلاته: ((اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ)).

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم إنا نسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين الصابرين، اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ونستغفر الله لذنوبنا وللمؤمنين والمؤمنات.

## (14) أسماء الله الحسنى

الحمدُ للهِ كما وصفَ نفسَه، وفوقَ ما يَصِفُه خلقُه، يسمعُ ويرى، وهو خيرٌ وأبقى، له الأسماءُ الحسنى، والصفاتُ العلى، أحاط بكل شيء عِلمًا، وأحصى كلَّ شيء عددًا.

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ \* هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ \* هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

هو الحيُّ القيومُ العليُ العظيم. الأولُ الآخِر، الظاهرُ الباطن. القابِضُ الباسطُ المقدِّمُ المؤخِّر. الأعلى المتعال، الأكرمُ الكريم. الإلهُ الواحد، الأحدُ الصمد. البرُّ البصير، التواب. الجميلُ، الحاسِبُ الحسيب، الحافِظُ الحفيظ، الحقُّ الحَكَم، الحليمُ الحميد. الخبير، الخلَّاق، الدَّيَّان. الرازقُ الرزاق، الربُّ الرءوف، الرفيق الرقيب. السُّبُّوح السميعُ السيِّد. الشافي الشاكرُ الشكورُ الشهيد. الصادقُ الطيِّب. العالمُ العليم العفُو. الغفارُ الغفورُ الغني، الفتَّاح. القادرُ القدير، القاهرُ القهار، القريبُ القوي. الكبيرُ اللطيف. المبينُ المتين، الـمُجيبُ المجيدُ المحيط، المقتدرُ الـمُقِيت، المليكُ المنَّانُ، المولى. النصيرُ الهادي. الوارثُ الواسِع، الوِتْرُ الودود، الوكيلُ الوليُّ الوهاب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، مَنْ يتَّبِعْ سُنَّته فقد اهتدى، ومَنْ يرغَبْ عن سُنَّته فقد ضل وغوى، ومن اتقى الله فقد نجا، أما بعد:

فإن خير الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة.

يقول الله تعالى مثنيًا على نفسه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180]، أي: ولله سبحانه أحسنُ الأسماءِ الدالةِ على صفاتِ كماله، فادعوا الله وحده - أيها المسلمون - بهذه الأسماء العظيمة، ولا تدعوا غير الله، ولا تدعوا الله بأسماءٍ غيرِ أسمائه الحسنى.

أيها المسلمون، أسماءُ اللهِ كلُّها حسنى بالغةٌ الغايةَ في حُسنِ ألفاظها، وفي حُسنِ معانيها، فهي متضمنةٌ لصفاتٍ كاملةٍ لله لا نقص فيها بوجه من الوجوه، فالله سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، وأسماءُ اللهِ سبحانه أعلامٌ وأوصاف، فكلُّ اسمٍ من أسماء الله متضمنٌ صفةً من صفاته العليا التي وصف بها نفسه، فمثلًا اسمُ اللهِ يدل على صفة الألوهية، والرحمنُ الرحيمُ يدلان على صفة الرحمة، والعليمُ يدل على صفة العلم، والسميعُ البصيرُ يدلان على صفة السمع والبصر، وهكذا.

والأسماء الحسنى لله وحده، وكذلك الصفات الكاملة لله وحده، وكل ما سوى الله فهو فانٍ ناقص، وأسماء الله توقيفية، فلا يجوز تسميةُ الله باسمٍ بلا دليل من القرآن والسنة الصحيحة، ومن رحمة الله بعباده أن عَرَّفهم بأسمائه الحسنى؛ ليعرفوا عظمتَه، ويدعوه بأسمائه الحسنى، ولم يكلفهم معرفتها بعقولهم القاصرة.

أيها المسلمون، علينا أن نعرف أسماء الله الحسنى الثابتةَ في القرآن الكريمِ والسنةِ الصحيحة، وفي حفظِها ومعرفةِ معانِيها فضلٌ عظيم، قال النبي ﷺ قال: ((لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ))، وفي رواية: ((مَنْ أحْصَاهَا))، ومعنى (أحصاها) أي: حفظها، وسردها غيبًا، ومن كمال الإحصاء أن يعرف معانيها العظيمة.

وأسماء الله تعالى غيرُ محصورةٍ بعدد معين، ففي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: ((أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ))، فدل هذا الحديث أن أسماء الله أكثرُ من تسعة وتسعين اسمًا، لكن من أحصى منها تسعة وتسعين اسمًا فيُرجى له دخولُ الجنة بفضل الله، إن كان من الصالحين.

أيها المسلمون، الراجحُ عند أكثر العلماء أن اسم الله الأعظم هو الله؛ لأنه متضمنٌ كلَّ اسم من الأسماء الحسنى، وجميعُ الأسماء الحسنى تابعةٌ له، مضافةٌ إليه، ولا يضافُ اسمُ الله إليها، وقيل: الاسم الأعظم هما اسمان: الحي القيوم، وقيل: الاسم الأعظم جميع أسماء الله الحسنى، فكلها عظيمة، والأصح عند المحققين - والله أعلم - هو القول الأول، وهو أن الاسم الأعظم (الله).

أيها المسلمون، نتدبر معكم في هذه الخطبة معاني بعض الأسماء الحسنى، يقول الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ \* هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ \* هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: 22 - 24].

﴿هو الله الذي لا إله إلا هو﴾ أي: هو الله الذي لا معبود بحقٍّ إلا هو وحده سبحانه، وكلُّ ما عُبِد من دونه فهو باطل.

﴿عالمُ الغيبِ والشهادة﴾ أي: العالِم بكل شيء، يعلمُ ما غاب عنا وما نشاهده، يعلم ما مضى وما سيأتي بالتفصيل، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

﴿هو الرحمن الرحيم﴾ أي: الله ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، الموصل رحمته إلى من يشاء من عباده المؤمنين.

﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك﴾ أي: هو الله الذي لا معبود بحقٍّ إلا هو وحده، الملك الحق، المالك لجميع الأشياء، الكاملُ التصرف في جميع خلقه بما يشاء، يدبر الأمر، يصرف الكون، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: 26، 27].

﴿القُدُّوس﴾ أي: المتصفُ بالطهر التام، والنزاهة البالغة.

﴿السلام﴾ أي: المتصف بالسلامة التامة من كل شر وأذى وسوء، في ذاته وصفاته وأفعاله.

﴿المؤمِن﴾ أي: واهبُ الأمن في الدنيا والآخرة، فلا يأمن إلا من أَمَّنه الله، الذي يُصدِّقُ رسله بالآيات والمعجزات، ويَصدُقُ المؤمنين ما وعدهم به من الثواب، ويصدُقُ الكافرين ما أوعدهم من العقاب.

﴿المهيمن﴾ أي: الشاهد الحافظ الرقيب على خلقه، القائم عليهم بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم.

﴿العزيز﴾ العزيز الذي له معاني العزة كلها: عزةُ القوة، وعزةُ القدرِ والعظمة، وعزةُ القهر والغَلَبة، وعزةُ الامتناع، والعزيزُ الذي لا نظير له ولا مثيل. فالله سبحانه عزيزٌ بمعنى قوي، وعزيزٌ بمعنى عظيمِ القدر لا مثيلَ له، وعزيزٌ بمعنى قاهرٍ وغالبٍ لكل شيء، وعزيزٌ بمعنى الغني بذاته، لا يحتاج إلى أحد من خلقه، ولا يبلغ العبادُ ضرَّه ولا نفعَه، فهو يمتنع أن يناله أحدٌ بسوءٍ سبحانه.

﴿الجبَّار﴾ لهذا الاسم الجليل معنيان مشهوران: المعنى الأول: أنه العظيم القاهر الذي قهر جميع العباد، والمعنى الثاني: أنه المصلح أمور خلقه، الذي يجبرُ الضعيف فيقويه، ويجبرُ الكسير فيعافيه، ويُجيبُ دعاءَ المضطرِّ، ويَكشِفُ السوء متى شاء، فالله جبارٌ بالمعنيين: قاهرُ الجبابرةِ وقاهرُ جميعِ عبادِه، ومصلِحُ عبادَه، الذي يُصرِّفهم فيما فيه صلاحهم بما يشاء.

﴿المتكبِّر﴾ أي: المتعظِّم على جميع خلقِه، والله متكبرٌ بحق، فهو خالقُ كلِّ ما سواه، وكلُّ المخلوقات فقيرةٌ إليه، كل ما سوى الله عبدٌ محتاج إلى ربِّه، والله هو المتعالي والمترفع الذي لا يكون في الكون إلا ما شاء، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: 16]، ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الجاثية: 37].

﴿سبحان الله عما يشركون﴾ أي: تنزه اللهُ عن كل نقص وعيب وسوء، وعن أن يكون له شريكٌ كما يزعم المشركون الذي لم يعرفوا قدْرَ اللهِ وعظمَتَه وجبروتَه.

﴿هو الله الخالق﴾ أي: الذي تفرد بتقدير وإنشاء جميع المخلوقات على غيرِ مثالٍ سابق.

﴿البارئ﴾ أي: الذي أحيا وأوجد الخلق من العدم، فأوجد الخلق على مقتضى ما خلَق وقدَّر.

﴿المصوِّر﴾ أي: الذي يصوِّر كلَّ مخلوقٍ على الصفةِ واللونِ والصورة التي يختارها الله له، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: 6]، وقال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ \* الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ \* فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 6 - 8].

﴿له الأسماء الحسنى﴾ أي: لله وحده الأسماءُ الكثيرةُ الكاملةُ في حُسنِها، الدالةُ على صفات كماله سبحانه، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: 8]، ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: 110].

﴿يُسبِّح له ما في السماوات والأرض﴾ أي: يُنزِّه اللهَ وحده عن النقائص والعيوب جميعُ ما في السموات والأرض من الكائنات، كما قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: 44]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: 41].

﴿وهو العزيز الحكيم﴾ أي: واللهُ هو العزيزُ القويُّ الغالبُ الذي لا يُغلب، وهو الحكيمُ في كل ما خلقه وشرعه وقدَّره، فالله لا يخلق شيئًا من المخلوقات الكبيرةِ والصغيرةِ إلا لحكمةٍ، ولا يُشرِّع شيئًا من الأحكام الشرعية إلا لحكمة، ولا يُقدِّر شيئًا من مقاديرِ الخيرِ والشرِ إلا لحكمة، عَلِمَ ذلك من عَلِمه، وجَهِله مَنْ جَهِله، والله أحكم الحاكمين، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216].

اللهم إنا ظلمنا أنفسنا ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لنا مغفرة من عندك، وارحمنا، إنك أنت الغفور الرحيم.

**الخطبة الثانية:**

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سبأ: 1]، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى \* لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى \* وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى \* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: 5 - 8]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: 59]، أما بعد:

فواجبٌ على العباد أن يسألوا الله وحده، فهو العظيم المستحق للدعاء والعبادة، والدعاء هو العبادة، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18]، وقد أمرنا الله أن ندعوه بأسمائه الحسنى فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180]، وقال سبحانه: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء:110]، فيجب أن ندعو الله وحده، وأن نتوسل في دعائه بأسمائه الحسنى، ولا نتوسل في الدعاء بأحدٍ من خلقه، فالله لم يأذن لنا بذكر اسم غيره في دعائه، فلا يجوز في دعاء اللهِ ذكرُ أيِّ اسمٍ غيرِ أسماء الله الحسنى، فلا نتوسل بالأنبياء ولا بالملائكة ولا بالأولياء، وإنما نتوسل إلى الله بأسمائه الحسنى، وهذا أفضل الدعاء بإجماع العلماء، والمتأمل في أدعية الأنبياء والصالحين المذكورةِ في القرآن الكريم يجد فيها التوسلَ بأسماء الله الحسنى، وليس في شيءٍ منها توسلٌ بغير الله سبحانه، فلنقتدي بهم في دعاء الله وحده بأسمائه الحسنى، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: 90].

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ \* ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 127، 128].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ \* رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: 8، 9].

﴿رَبَّنَا﴾ ﴿ارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المائدة: 114].

﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: 151].

﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: 109].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10].

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ \* رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: 4، 5].

﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: 8].

يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ نَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَنَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَنَسْأَلُكَ قُلُوبًا سَلِيمَةً، وأَلْسِنَةً صَادِقَةً، وَنَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ.

اللًّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ \* وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ \* وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: 180 - 182].

## (15) شركيات منتشرة

الحمد لله الأعلى، الذي خلق فسوَّى، والذي قدَّر فهدى، أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، سبحانه هو الواحد الأحد الصمد، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: 111]، هو العلي العظيم الكبير، الأعز الأكرم الأكبر، له ما في السماوات وما في الأرض، خالقُ كلِّ شيء، ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا \* لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا \* وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: 93 - 95].

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأقر له بالربوبية والألوهية، وبما أخبرنا به عن نفسه من أسمائه الحسنى، وصفاته العلى. وأشهد أنَّ محمدًا عبدُ الله ورسوله، أرسله الله إلى الناس كافة، شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا. أما بعد:

فإن أعظمَ ما أمر الله به التوحيد، وأعظمَ ما نهى الله عنه الشرك، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: 36]، وإن أظلم الظلم، وأعظم الإثم: الإشراك بالله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: 72] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: 116]، وقد حذر الله كل نبي من الشرك كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ \* بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: 65، 66].

وأخبر الله أن أكثر من يؤمن به يقع في الشرك فقال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: 105، 106]، سواء كان شركًا أكبر أو أصغر، فالأمر خطير، وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: ((الشِّرْكُ أَخْفَى فِي أُمَّتِي مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا))، وقال النبي ﷺ: ((إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ)) قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: ((الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟!)).

فعلى المسلم أن يخاف على نفسه من الشرك كبيرِه وصغيرِه، وهذه بعض صور الشرك المنتشرة بين أوساط المسلمين:

الاستغاثة بغير الله تعالى: فمن الناس من يدعو القبور والأولياء، ويستغيث بهم عند الشدائد، وهذا شركٌ أكبرٌ مخرج من الملة، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ \* وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: 5، 6]، فالدعاء هو العبادة، ومن صرفه لغير الله فقد عبد غير الله وأشرك مع الله، وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: ((الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ))، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60].

ومن الشرك القولي: قول بعضهم: دخلت على الله وعليك، ما لي إلا الله وأنت، الله لي في السماء وأنت لي في الأرض، وقول: ما شاء الله وشئت، ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: ((لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ)).

ومن الشرك: نسبة النعمة إلى إنسان، أو إلى بقعة، أو إلى فعل فاعل، أو إلى صنعة، أو إلى مخلوق، وكل ذلك من نسبة النعم إلى غير الله، وهو نوع من أنواع الشرك الأصغر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: 22] قال: (الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صخرة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتِك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلان، هذا كله شرك).

ومن أسباب الشرك: الغلو في قبور الصالحين، فمجاوزة الحد في قبور الصالحين سببٌ لتعظيمها وعبادة أصحابها، والغلو في القبور يكون برفعها، أو بالبناء عليها، أو باتخاذها مساجد، وكل هذا من الوسائل المؤدية إلى الشرك الأكبر، ومن صور الغلو في قبور الصالحين أن تُجعل وسيلة من الوسائل التي تقرب إلى الله أو أن يُتخذ القبر أو مَن في القبر شفيعًا عند الله، ووصل الحال ببعض المفتونين بالقبور أن يدعو الميت أو ينذر له، أو يذبح له، أو يستشفع به أو يتمسح بترابه وجدرانه اعتقادًا أن ذلك ينفعه، ولا فرق بين التبرك بالقبور أو التبرك بالأشجار والأحجار، وكله من الشرك.

ومن الشرك الاعتقادي: اعتقاد أن غير الله بيده الضر أو النفع، قال سبحانه: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: 17]، وقال عز وجل: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: 38].

أيها المسلمون، ومن الشرك: السحر والكهانة، والذهاب إلى المشعوذين والمنجمين، قال النبي ﷺ: ((مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ)).

ومن الشرك: الحلف بغير الله تعالى، كالحلف بالنبي أو بجاهه، وقول بعضهم: وحياة أبيك، وقول بعضهم: بشرفي، والحلف بالأمانة، وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن النبي ﷺ قال: ((مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ))، وقال رسول الله ﷺ: ((مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا))، فلا يجوز أن تحلف إلا بالله تعظيمًا له، وأنت صادق، ولا تُكثِر من الحلف بالله، وقال النبي ﷺ: ((مَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ))، فلا تحلفْ بغير الله سبحانه، ومن ذلك الحلفُ بالطلاق والحرام، وهذا مشهورٌ عند كثير من الناس، والله المستعان.

ومن الشرك: الذبح لغير الله تعالى، وهو من الشرك الأكبر؛ لأن الذبح عبادةٌ لا يجوز صرفها لغير الله تعالى، فقد أمرنا الله أن نذبح له، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: 162، 163]، وقال سبحانه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: 2]، فمن ذبح لله فقد عبد الله، ومن ذبح لغير الله تعالى فقد أشرك بالله، كالذبح للقبور والأولياء تقربًا إليهم، والذبح للجن تقربًا إليهم من قِبَل السَّحرةِ والمشعوذين أو من يُطيعهم من الجهال الذين يأتون إليهم طلبًا للشفاء، ومن ذلك الذبح عند بناء البيت بنية صرف الشياطين، وتلطيخ دم الذبيحة على قواعد البناء عند تأسيسه أو بعد الانتهاء من بنائه؛ من أجل حمايته من الجن، وهذا كله شرك لا يجوز.

ومن الشرك: النذر لغير الله، فالنذر عبادة لله لا يجوز صرفها إلا لله وحده، فالعبادات كلها لله، كالقيام مع الخشوع والركوع والسجود، وصرف أي عبادة لغير الله شرك.

ومن الشرك: التعلق بالأسباب من دون الله تبارك وتعالى، والواجب التوكل على الله وحده، فيتعلق القلب بالله وحده مع الأخذ بالأسباب الشرعية، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23].

ومن الشرك: التطير، وهو التشاؤم ببعض الأيام أو الشهور أو الطيور أو الأسماء أو الألفاظ أو البقاع وغيرها، فبعض الناس يتشاءم بيوم معين كالأربعاء أو يتشاءم بشهر صفر أو يتطير إذا رأى غرابًا أو غيره من الطيور أو إذا سمع اسمًا أو مر بقعة، وهذا كله مخالف للتوحيد والتوكل على الله، وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: ((الطِّيَرةُ شِرْكٌ)).

ومن الشرك: اتخاذ حلقةٍ أو خاتمٍ أو حبلٍ أو أيِّ حرزٍ لجلب الخير أو دفع الشر، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إنَّ الرُّقى والتَّمائمَ والتِّوَلةَ شرك))، والتِّوَلةُ شيءٌ تصنعه بعض النساء لأزواجهن لزيادة المحبة، وهذا من الباطل والشرك.

أيها المسلمون، ومن الشرك: قولُ بعضِ الجهلة: (مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا)، ومُطِرْنا بالنجم الفلاني، وإذا أراد بذلك أن النجم هو الذي أحدث المطر وأنه المتصرف في الكون فهذا شرك أكبر، وإن كان قصده أن النجم سبب للمطر فهذا شرك أصغر، فليس للنجوم أيُّ سببٍ ولا أثرٍ في نزول الأمطار، بل المطر ينزل بأمر الله ورحمته ومشيئته، يصيب به من يشاء، ويصرفه عمن يشاء، والمشروع عند نزول المطر أن يقال: مُطِرنا بفضل الله ورحمته.

ومن الشرك: اعتقاد تأثير النجوم والكواكب في الحوادث وحياة الناس، والتنجيم: هو الاستدلال بالأحوال الفلَكية على الحوادث الأرضية، فينظر المنجم في النجوم واجتماعها وافتراقها وطلوعها وغروبها وتقاربها وتباعدها بدعوى علم الغيب، وهذا كله من الباطل والشرك، فلا يعلم الغيبَ إلا الله وحده، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: 65]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: 179]، وأمر الله نبيه محمدًا أن يبين للناس أنه لا يعلم الغيب، وإنما أطلعه الله على بعض الغيب مما شاء الله أن يطلعه عليه كأخبار الأمم الماضية وعلامات الساعة وما يكون يوم القيامة، ونحو ذلك، قال الله سبحانه: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 188]، ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا \* عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا \* إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن: 25 - 27]، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: 46].

أيها المسلمون، ومن الأخطاء اللفظية قول بعض الناس: شاءت الأقدار، أو شاءت الظروف أن يحصل كذا وكذا، وهذا قولٌ منكرٌ لا يجوز؛ لأن الظروف أو الأقدار لا تشاء شيئًا، وإنما المشيئة والأقدار بيد الله تبارك وتعالى وحده.

ومن الأخطاء القولية المنتشرة في الوسائل الإعلامية: نسبة الكوارث إلى أسبابها الطبيعية، لا إلى الله المتفرد بالخلق والتدبير في الكون، فالزلازل والفيضانات والبراكين والأعاصير كلها بتقدير الله ومشيئته، فلا يصح نسبتها إلى الطبيعة كما يقول الجاهلون.

ومن الأخطاء: قول الإنسان إذا حصل له أمرٌ يكرهه: لو أنني فعلت كذا لكان كذا وكذا، وهذا الاعتراض محرم، والواجب الرضا بالقضاء، قال النبي ﷺ: ((احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ)).

اللهم اهدنا لما اخْتُلِف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم، وارزقنا عبادتك بإخلاص، ونعوذ بك أن نشرك بك شيئًا ونحن نعلم، ونستغفرك لما لا نعلم.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله الذي لا يستحق العبادة إلا هو وحده، وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد:

أيها المسلمون، علينا أن نُعظِّم اللهَ حق تعظيمِه، ونعرفَ قدْره وعظمتَه، فنعبدَه وحده لا شريك له، ونحذرَ من جميع صور الشرك، ومن أعظم الأخطاء التي تؤدي بصاحبها إلى الشرك والكفر: موالاة الكفار، والموالاة هي المحبة بالقلب والنصرة بالفعل والقول، وهذه الصفة مناقضة لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام؛ لأن الكفار أعداءٌ لله ولرسوله وللمؤمنين، فكيف يحبهم المسلم ويناصرهم؟!

**وهناك صور شائعة لأنواع من موالاة الكفار منها:**

* محبة الكفار، وذلك يكون غالبًا بسبب كثرة الاختلاط بهم في بلادهم أو في بلاد المسلمين، وكثرةِ مشاهدتهم في وسائل الإعلام، والواجب بغضهم لكفرهِم بالله ورسوله، وتكذيبِهم بالقرآن، وتركِهم عبادةَ الله وحده والعملَ بشريعته، اتباعًا للأهواء أو تقليدًا للآباء أو انشغالًا بالدنيا والشهوات والمغريات، قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: 4].
* ومن ذلك: السفرُ إلى بلاد الكفار لغير حاجة ولا ضرورة، والبقاءُ في بلادهم مع الوقوع في الفتنة.
* ومن ذلك: التعلقُ ببعض الكفار من اللاعبين والمغنين والممثلين والسياسيين.
* ومن ذلك: الثناء على الكفار وتلميع أحوالهم بما يؤدي إلى احتقار المسلمين.
* ومن ذلك: مناصرة الكفار ومعاونتهم ضد المسلمين، وهذه ردة عن الدين، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ \* وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ \* إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ \* وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: 51 - 56].

أيها المسلمون، يجب على كل مسلم أن يوالي جميع المؤمنين من السابقين والتابعين والمعاصرين، كما قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: 71]، فيُحب المسلمين، ويناصرهم على الحق، ويتعاون معهم على إقامة الصلاة وشعائر الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يجوز الاستهزاء بالصالحين وبشعائر الإسلام، كالصلاة أو اللحية أو غير ذلك مما ورد في القرآن أو السنة، قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ \* لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: 65، 66]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ \* وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ \* وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ \* وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ \* وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ \* فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ \* عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ \* هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: 28، 36].

أيها المسلمون، ومن الشرك: طاعة الكُبَراء في تغيير أحكام الله، وهذا شركٌ أكبر؛ لأن التحليل والتحريم حقٌّ لله تعالى وحده، فجعلُه لغير الله شركٌ ورِدة، قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: 21]، وقال سبحانه عن أهل الكتاب من قبلنا: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 31]، فذكر كفرَهم بسبب طاعتِهم لكبرائهم في تحليل ما حرَّم الله، وتحريمِ ما أحل الله، فالحلالُ ما أحلَّه الله، والحرامُ ما حرَّمه الله، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ومن الشرك: الحكمُ بغير ما أنزل الله تعالى، وفصلُ الدين عن الدولة، ورفضُ بعضِ أحكام الشريعة، قال الله سبحانه: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 40]، فخلاصة الإسلام شيئان: أن يكون الحكم لله وحده، وأن نعبد الله وحده، وفي ذلك صلاحُ الناس في دينهِم ودنياهم وآخرتِهم.

ومن الشرك: عبادة الهوى، واتخاذه إلهًا من دون الله، كمن يترك الصلاة وطاعة الله انشغالًا بدنياه واتباعًا لهواه، قال الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا \* أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 43، 44].

أيها المسلمون، يجب علينا أن نستسلم لله بالتوحيد، ونخلصَ له العبادة والنية، ونحذرَ من الشرك في الإرادات والنيات، فمن أراد بعمله الصالح غير وجه الله، ونوى بعمله غير التقرب إلى الله فقد أشرك في نيّتِه وإرادته، ولا يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصًا له، والرياءُ يُحبط الأعمال الصالحة، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ وفي الحديث القدسي: ((قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ)).

اللهم ارزقنا التوحيد الخالص، واجعل أعمالنا خالصة لوجهك، ونعوذ بك من الشرك والرياء والسمعة، اللهم اجعلنا من الموحدين المخلصين، الصالحين الصادقين، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، اللهم وجَّهنا وجوهَنا إليك، ربنا آمنا بما أنزلتَ واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين، ونبرأ إليك من كل الكفار والمشركين، ونبرأ إليك من كل شرك ورياء، اللهم لك نصلي، ولك نركع ونسجد، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك، اللهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غِلًّا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم، اللهم اهدنا وجميعَ المسلمين، واغفر لنا أجمعين، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، واهدنا الصراط المستقيم بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين، إنك تهدي من تشاء، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين، أنت ولينا في الدنيا والآخرة، توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، والحمد لله رب العالمين.

## (16) وجوب الاعتصام بالقرآن والسنة وذم التفرق والبدع

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ [أي: واتقوا الأرحامَ أن تقطعوها] إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70، 71]. مَنْ يُطعِ اللهَ باتباعِ القرآن، ويُطعِ الرسولَ باتباعِ السُّنَّة، فقد فاز فوزًا عظيمًا، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: 36]، من يعصِ اللهَ بمخالفة كتابِه، ويعصِ رسولَه بمخالفة سنتِه، فقد ضل ضلالًا واضحًا لا شك فيه، أما بعد:

فإنَّ خير الكلامِ كلامُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ فصاحبها في النار.

أيها المسلمون، أمرنا الله في آيات كثيرة بطاعته وطاعةِ رسوله، وطاعةُ الله باتباع القرآن، وطاعةُ الرسول باتباع السنة، والسُّنَّة النبوية هي المبينة للقرآن الكريم، ومِنْ حِفظِ الله للقرآن أن حفظ السنة التي تبينُ مُجْمَلَه، وتُفصِّلُ أحكامَه، فحفظُ القرآنِ الكريم يستلزمُ حفظَ بيانِه وهو السنة، فحين أمرنا الله في كتابه العظيم بطاعته وطاعة رسوله كان لا بد أن يحفظهما من الضياع حتى نستطيع أن نطيعه باتباع كتابه، ونطيع رسوله باتباع سنته، والسنة كلها تدخل في قول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7]، وقد ضَمِنَ اللهُ لمن اتبع رسوله بالهداية فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: 54].

أيها المسلمون، النبي ﷺ كان يُعلِّمُ أصحابَه القرآن والسنة، كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: 2، 3]، فالكتاب هو القرآن، والحكمة هي السنة، وقد أخبر الله في هذه الآية أن آخرين سيأتون بعد الصحابة فهم منهم، وسيلحقون بهم في تعلم القرآن والسنة والهداية، وهذا الذي حصل، ففي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: ((تَسْمَعُونَ، وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ، وَيُسْمَعُ مِمَّنْ سَمِعَ مِنْكُمْ))، فتعلَّمَ الصحابةُ رضي الله عنهم من النبي ﷺ القرآن الكريم والسنة النبوية، وتفقهوا في دين الله، ثم علَّموا التابعين هذا العلم النافع من القرآن الكريم وتفسيره والسنة النبوية والفقه، ثم علَّم التابعون هذا العلم من جاء بعدهم من أتباع التابعين، وحفظ علماءُ الأمةِ الميراثَ النبويَّ من العلم الشرعي النافع، ونقله علماءُ كلُّ عصر إلى من بعدهم جيلًا بعد جيل، وكانوا يحفظون العلم في صدورهم، ويُعلِّمونه طلابهم، واستعانوا على حفظه وتعليمه بتقييده وتأليفه في الكتب حتى لا يضيع، فبأقلام العلماء حفظ الله لنا دين الإسلام، وقد بين الله لنا فضل القلم وأهميته في أول سورة أنزلها على رسوله فقال: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: 3، 4]، وأقسم الله بالقلم في ثالث سورة أنزلها على رسوله فقال: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: 1]، فبالقلم تقوم مصالحَ الدين والدنيا، وفي ذكر القلم وفضله منذ بداية اﻹسلام تأكيدٌ على أهمية القلم، وأن على المسلمين الاهتمام بتدوين العلوم، فقد صاروا باﻹسلام خير أمة أخرجت للناس، وصاروا أهل العلم ومعلمي البشرية.

أيها المسلمون، كان الصحابةُ أعلمَ الناس بتفسير ِكتاب الله وسنة رسوله، فقد عاصروا التنزيل، وعلموا التأويل، وأنزل الله القرآن بلغتهم العربيةِ الفصحى، وهم أفقهُ الأمةِ وأفضلُها، ثم التابعون الذين تعلَّموا منهم، ثم أتباعُ التابعين، فالصحابة ثم تلامذتهم التابعون ثم أتباع التابعين هم أعلم الأمة بكتاب الله وسنة رسوله، وهم خير الناس بشهادة الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110]، وقال النبي ﷺ: ((خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ))، وقد أمرنا الله باتباع الصحابة، وأثنى عليهم في آياتٍ كثيرة من كتابه، بيانًا لفضلهم، وثناءً على من اتبعهم بإحسان، قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 100]، وقال تبارك وتعالى مخاطبًا الصحابة: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: 137]، فمن آمن كما آمن الصحابةُ فقد اهتدى، ومن أعرض عن اتباعِهم فقد ضلَّ وغوى، فالصحابةُ هم أول المؤمنين من هذه الأمة، إجماعُهم حجةٌ قاطعة، واختلافُهم رحمةٌ واسعة، ومن اتبع غيرَ سبيلِهم فقد توعده الله أن يزين له الباطل عقوبة له، ويعذبه في الآخرة، قال الله سبحانه: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: 115].

أيها المسلمون، الإسلام بالاتباع لا بالابتداع، وهذه وصية الله لعباده، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153]، فالحق واحد، وهو الصراط المستقيم، والسبلُ كثيرةٌ من الشهوات والشبهات، والبدعِ المحدَثات، وقد أوصانا النبي ﷺ بالتمسك بسنته، ونهانا عن اتباع البدعِ المحدَثة، فعن العِرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلَّى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظةً بليغةً، ذرَفَت منها العيون، ووجِلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فأوصنا؟ فقال: ((أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)).

قال عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: (مَنْ كان مُسْتنًا فليسْتَنَّ بمَن قد مات، أولئك أصحابُ محمدٍ ﷺ، كانوا خيرَ هذه الأمة، أبرَّها قلوبًا، وأعمقَها عِلمًا، وأقلَّها تكلُّفًا، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينِه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم كانوا على الهدى المستقيم).

وقال الأوزاعي: "عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراءَ الرجال وإن زخرفوا لك القول، واصبر نفسك على السنة، وقِف حيثُ وقف القوم، وقُلْ بما قالوا، وكُفَّ عما كَفُّوا عنه، واسلُك سبيل سلَفِك الصالح؛ فإنه يسعُك ما وَسِعَهم".

أيها المسلمون، الله سبحانه حفظ كتابَه وسنةَ رسولِه ودينَه بواسطة أهل العلم العدول، الذين ورِثوا علم القرآن والسنة عمن قبلهم بحظ وافر، وورَّثوا هذا العلم من بعدهم، ونفَوا عن دين الله تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهلين، والعلم الشرعي هو الميراث النبوي الذي نقله علماء كل عصر إلى من بعدهم جيلًا بعد جيل، فنقلوا لنا القرآن الكريم بقراءاته المتعددة، وبيَّنوا كيفيةَ تلاوتِه وتجويدِه، ودوَّنوا التفسير المأثور، ودوَّنوا السنة النبوية القولية والفعلية والتقريرية والخَلقية والخُلقية، واجتهدوا في جمعِ أسانيدِها، وضبطِ أسماءِ الرواةِ وأنسابِهم، ومعرفةِ تاريخ وفاتهم، وبيانِ مواطِنِهم، ومعرفةِ أحوالِهم من حيثُ الحفظِ والعدالة، ومعرفةِ شيوخِهم وتلاميذِهم، وقارنوا بين رواياتِهم ليتميز لهم الخطأُ من الصواب، وميزوا صحيحَ السنة من سقيمِها، وألَّفوا في ذلك المؤلفات العظيمة التي تفتخر بها أمة الإسلام إلى آخر الدهر، وحفظوا لنا اللغة العربية، فدوَّنوا أشعار العرب في الجاهلية والإسلام كالمعلَّقات السبع وغيرها مما هو محفوظٌ في دواوين الشعراء وكتبِ الشِّعر والأدب؛ ليستعينوا بذلك على فهم القرآن الذي أنزله الله باللغة العربية، وكل هذا دونوه بالأقلام، وعلَّموه الطلاب، ونقله المتأخر عن المتقدم بأسانيدهم عن شيوخهم.

أيها المسلمون، الصراط المستقيم واحد، وهو دين الله الذي رضيه لعباده، وإنما حصلت الخلافات بسبب مخالفةِ القرآن والسنة، واتباع الأهواء والآراء المخالفة لما كان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابُه، وقد حذَّرنا الله من التفرق في الدين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: 159]، وقال سبحانه: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: 31، 32].

وأخبر الله أن التفرق والاختلاف ليس بسبب خفاء الحق، بلِ الحقُّ واضحٌ بين، ومع بيانِه حصل الخلاف في هذه الأمة وفي الأمم السابقة من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم، فأعرض الجهال عن تعلم العلم الشرعي، واتبعوا الأهواء، وأعرض علماءُ السوء عن العمل بالعلم، واتبعوا أهواء الذين لا يعلمون، واشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا، فضلوا وأضلوا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: 19]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: 105]، وقال عز وجل: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ \* ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ \* إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ \* هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: 17 - 20].

أيها المسلمون، كل ما تحتاج إليه الأمةُ لمعرفة دينِها محفوظٌ في كتاب الله سبحانه، وفيما صح من سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وفيما أجمع عليه الصحابة والتابعون وما نُقِل عنهم من الفتاوى والأحكامِ المستنبطة من القرآن والسنة، فيجب على المسلم أن يعتصم بكتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه الصحابةُ ومن اتبعهم بإحسان، فهم لا يجتمعون على ضلالة، ومن اقتدى بهم فقد اهتدى، ومن اتبع الهوى فقد ضل وغوى، ومن سأل أهل العلم الثقات فقد برِئت ذمتُه، والخطأ مغفورٌ للعلماء في المسائل الاجتهادية، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 5]، وقال النبي ﷺ: ((إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ))، وبحمد الله أكثر الأحكام الشرعية لا خلاف فيها بين الفقهاء أو فيها خلاف تنوع أو أفهام، وإنما المحذور الخلافات التي فيها مشاقة للقرآن والسنة، واتباعٌ للأهواء والآراء والبِدَع المحدثة، وهذا هو الذي فرَّق الأمة.

تمَســـَّكْ بحبــــلِ اللهِ واتَّبـِعِ الهـــدى ولا تـــــــكُ بِدْعيــًـــا لعلك تُفلِـــــحُ

ودِنْ بكتابِ اللهِ والسننِ التي أتتْ عن رســـــولِ الله تنجو وتَربَحُ

ودَعْ عنكَ آراءَ الرجــــــــالِ وقولَهم فقولُ رسولِ الله أزكى وأَشــــْـرحُ

ولا تكُ مِنْ قومٍ تلَهَّو بِدينـــِــــهم فتطعنُ في أهلِ الحديــــــثِ وتقدحُ

أسأل الله أن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، أقول ما سمعتم ويغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله الذي أمرنا باتباع كتابه وطاعة رسوله، وصلى الله وسلم على نبينا القائل: ((مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))، وبعد:

يقول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65]، أقسم الله في هذه الآية بنفسه الكريمة أننا لن نؤمن حتى نُحَكِّم النبيَّ ﷺ في خلافاتنا، ونرضى بحكمه كائنًا ما كان، ونُسلِّم لحكمه تسليمًا بلا اعتراض.

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59]، فأوجب الله علينا أن نرد خلافاتِنا إلى الله والرسول، أي: إلى القرآن والسنة، فإن كنا مؤمنين فلنستجب لأمر الله بالرجوع إلى القرآن والسنة، وفي ذلك خير عظيم لنا في ديننا ودنيانا.

ويقول الله سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63]، فمخالفة أمرِ النبي وسنتِه سببٌ عظيم للفتنة والعذاب الأليم.

أيها المسلمون، كان النبي ﷺ يُحذِّر من البدع؛ لأنها مخالفة لسنته، ومخالفة لقول الله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]، فالدين كاملٌ لا يحتاج إلى بدع، والبدعة: هي ما خالف القرآن والسنة وما كان عليه الصحابة من الاعتقادات والعبادات المحدَثة التي يقصد بها الإنسانُ التقربَ إلى الله، ولم يدُل عليها دليلٌ شرعي.

والبدع والمحدثات في الدين خطورتها عظيمة، وآثارها سيئة على الفرد والمجتمع وعلى الدين كله، فهي إحداثٌ في الدين، وقولٌ على الله بغير علم، وشرعٌ في الدين بما لم يأذن به الله، والبدعةُ سببٌ في تفريق الأمة، والمبتدِع الذي ابتدأ البدعة يحمل وزره ووزر من تبعه في بدعته، والبدعةُ سببٌ في عدم قبول العمل، وكل بدعة ضلالة.

أيها المسلمون، من أعظم أسباب انتشار البدع: عدمُ تعلم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، والجهلُ بما كان عليه السلفُ الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم، والتعلقُ بالشبهاتِ الفلسفية، والخيالاتِ الظنية، والاعتمادُ على العقلِ المجرد المخالف للوحي، ومجالسةُ أهلِ الأهواء، والاعتمادُ على الأحاديثِ الضعيفةِ والموضوعة التي يستدل بها المبتدعة على بدعهم، والتشبهُ بالكفار، وتقليدُ أهل الضلال، والتعصبُ الأعمى للآباء والأجداد.

أيها المسلمون، كل البدع في الدين محرمةٌ ومردودةٌ على أصحابها من غير فرقٍ بين بدعة وأخرى، وإن كانت تتفاوتُ درجاتُ التحريمِ بحسب نوع البدعة، فقد تكون البدعةُ اعتقاديةً أو قوليةً أو فعلية، وقد كان النبي ﷺ يقول في خُطَبه: ((أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهُدَيِ هُدَيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ))، وقال عليه الصلاة والسلام: ((مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ))، وفي رواية: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)).

أيها المسلمون، يُرجع في بيان البدعِ إلى أهل العلم الراسخين، والواجبُ الاستقامةُ كما أمرنا الله بلا غلوٍ وطغيانٍ، ولا تميعٍ وتفريطٍ، قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: 112]، فاتباع الكتاب والسنة هي الوسطية المشروعة، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]، وأهلُ السنة هم أهلُ الجماعة المتبعين للقرآن والسنة ظاهرًا وباطنًا بقدر الاستطاعة، وهم الطائفة المنصورة دون غيرهم من سائر فرق الأمة، وهم الفرقة الناجية في الآخرة برحمة الله وفضله، وأهلُ البدعِ هم أهلُ الفرقة والضلالات، المتبعون للأهواء المختلفة، المخالفة للقرآن والسنة، وما كان عليه الصحابة.

أيها المسلمون، قد أخبرنا الله في كتابه أن الناس لا يزالون مختلفين، وأن ذلك بمشيئة الله ليختبرَ عبادَه، فيتبين من يتبعُ الهدى، ومن يتبع الهوى، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ \* إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: 118، 119]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: 48].

اللهم اهدِنا لما اخْتُلِف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم، اللهم ارزقنا طاعتك، وطاعة رسولك، ووفقنا للاعتصام بكتابك وسنة رسولك ﷺ، اللهم إنا نعوذ بك من البدع والفتن، ونعوذ بك من الغلو والطغيان، ونسألك الاستقامة كما أمرتنا، ونستغفرك لما تعلم منا، اللهم اغفر لنا ذنوبنا كلَّها دِقَّها وجِلَّها، وأوَّلها وآخرَها، وعلانيتها وسِرَّها، اللهم ألِّف بين قلوبِنا، وأصلِحْ ذات بينِنا، واهدِنا سبُلَ السلام، وأخرجْنا من الظلمات إلى النور، اللهم أرِنا الحقَّ حقًا وارْزقْنا اتِّباعَه، وأرِنَا الباطِل باطلًا وارْزُقْنا اجتنابَه، واجْعلْنا مِن أهلِ القرآنِ والسُّنَّةِ والجماعة، اللهم وصلِّ وسلِّم على نبينا محمد، وعلى أهل بيتِه وأزواجِه وذريتِه الصالحين، وارضَ اللهم عن الخلفاء الراشدين، وعن الصحابة والتابعين، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

## (17) السيرة النبوية

الحمد لله الذي وسِع كل شيء رحمة وعِلمًا، وتبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلى الله عليه وعلى أهل بيته وأزواجه وأصحابه وأتباعه وسلَّم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فيقول الله سبحانه وتعالى عن نبيه محمد ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، ويقول الله سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: 5]، ويقول الله عز وجل: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: 80]، ويقول تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: 54]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح: 13]، ولا يؤمن أحدٌ حتى يكونَ الرسولُ أحبَّ إليه من نفسه وأهله ووالده وولده وماله والناس أجمعين، والواجب على كل مسلم أن يؤمن بالرسول الأعظم، ويعرف قدره، ويُعظِّمه، ويقتدي به، ويتبع سنته، قال الله جل وعلا مخاطبًا رسوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: 4]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: 7]، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21]، وعلى المسلم أن يعرف سيرة النبي الكريم، سيد الأولين والآخرين.

هو محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ، ينتهي نسبُه إلى إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ عليهما الصلاة والسلام، قبيلتُه قريشٌ أفضلُ قبائلِ العرب، وأسرتُه الهاشميةُ أشرفُ قريشٍ وأفضلُها.

وُلِد رسول الله ﷺ في مكة عام حادثة الفيل، وهي السنة التي أهلك الله فيها جيش أبرهة الحبشي حينما أراد أن يهدم الكعبة، فأرسل الله عليهم طيرا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل.

نشأ النبي محمد ﷺ يتيمًا، إذ مات أبوه وهو حملٌ في بطن أمه، ثم ماتت أمه وهو ابن ست سنين، وكان يرعى الغنم في صغره، ولما شب ذهب للتجارة إلى الشام، وعُرِف في معاملاته بغاية الأمانة والصدق والعفاف حتى لُقِّب بالأمين، وكان بفضل الله جامعًا للصفات الحميدة، والأخلاق النبيلة، وأحاطه الله بالحفظ والرعاية، وبغّض إليه ما كان عليه قومه من شرك وفساد وخرافة.

لما اكتملت سنُّ النبي ﷺ أربعين، أتاه الملَك جبريل بالقرآن المبين، وكان ذلك في شهر رمضان، والنبي عليه الصلاة والسلام معتكف في غار حراء، وأول ما أنزل الله عليه قوله: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1 - 5]، ثم أنزل الله عليه أول سورة المدثر: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ \* قُمْ فَأَنْذِرْ \* وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ \* وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ \* وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ \* وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ \* وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: 1 - 7]، فقام النبي ﷺ يدعو الناس سرًا إلى توحيد الله لمدة ثلاث سنوات، فاستجاب له بعض أهل مكة، ثم أمره الله أن يجهر بالدعوة، فعاداه المشركون أشد العداوة، وقاموا بشتى الوسائل للقضاء على دعوته، ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا \* قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 19، 20]، وأمر النبي ﷺ أصحابه المستضعفين أن يهاجروا إلى الحبشة؛ ليفروا بدينهم من كفار قريش الذين آذوهم أشد الإيذاء، وعذبوا بعضهم، وقتلوا بعض الرجال والنساء، وأقام النبي ﷺ بين كفار قريش يدعوهم إلى الله، ويتلو عليهم كتاب الله، فما زادهم ذلك إلا نفورًا واستكبارًا، وكانوا يؤذون النبي عليه الصلاة والسلام بأنواع الأذى قولًا وفعلًا، وهو صابرٌ لربه صبرًا جميلًا، قال الله سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: 26]، وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [الإسراء: 41].

وبعد البعثة النبوية بقي عليه الصلاة والسلام في مكة 13 عاما قبل الهجرة، وكان يحج كل عام، ويدعو القبائل الوافدة للحج إلى الإسلام، فكان يلقى منهم التكذيب والاستهزاء أو السكوت عنه والإعراض، حتى التقى ببعض أهل المدينة من الأوس والخزرج فأسلموا، وأرسل معهم بعض أصحابه ليعلمهم القرآن، فانتشر الإسلام في المدينة النبوية التي كانت تسمى يثرب، وفي موسم الحج سنة 13 من البعثة اجتمع النبي ﷺ بأكثر من سبعين مسلمًا من أهل المدينة من قبيلتي الأوس والخزرج، وبايعوه على أن ينصروه إذا قدم إليهم.

وبعد هذه البيعة هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة، ورجع إليها عامة من كان بأرض الحبشة، واستمر النبي ﷺ يدعو كفار قريش إلى الله، حتى قرروا قتله، فأمره الله بالهجرة إلى المدينة، ونجاه الله من كيدهم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30]، وقال سبحانه: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 40].

ولما استقر عليه الصلاة والسلام في المدينة بدأ في بناء المسجد النبوي، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وعقد معاهدات بين المسلمين وبين اليهود الساكنين في المدينة، وأصبحت المدينة وضواحيها دولة إسلامية ذات استقلال وسيادة.

وأحاط الخطر بالمسلمين في المدينة من داخلها وخارجها، بسبب مكائد الكفار للقضاء على المسلمين، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ \* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: 39، 40]، وغزا النبي ﷺ بنفسه 19 غزوة، وهذه أهم غزواته:

1- غزوة بدر الكبرى سنة 2 هجرية، وكانت هذه الغزوة أول معركة فاصلة بين المسلمين وكفار قريش، وكان عدد المسلمين فيها 313 رجلًا، وعدد المشركين ألف رجل، وقد نصر الله فيها المسلمين نصرا مؤزرًا، فقتلوا (70) من المشركين، وأسروا (70)، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: 123]، وفي بداية المعركة أخذ النبي ﷺ كفًا من تراب فرمى به وجوه الكفار، فأصابت تلك الرمية أعينهم جميعًا، وكانت سببًا في فرارهم وهزيمتهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: 17].

2- غزوة أحد سنة 3 ﻫـ، جهز كفار قريش (3000) مقاتل للانتقام من المسلمين، ووصل هذا الجيش إلى ضواحي المدينة قرب جبل أحد، فخرج النبي ﷺ لقتالهم، وكان عدد المسلمين (700) مقاتل، وعيّن النبي ﷺ (50) رجلًا من الرماة على جبل صغير ليحموا ظهور المسلمين، وأكّد لهم أن لا يتركوا مكانهم حتى يأتيهم أمرُه، سواء انتصر المسلمون أو انهزموا، وبدأت المعركة، ووقعت الهزيمة بالمشركين ففروا، وأخطأ الرماة فنزل أكثرهم ليجمعوا الغنائم، فانقض فرسان المشركين على المسلمين من خلف الجبل، ورجع المشركون المنهزمون؛ فانهزم المسلمون وتشتتوا، وشُج رأس رسول الله ﷺ، وكُسرت رباعيته، واستُشهد (70) من أصحابه، ونجح رسول الله ﷺ في إنقاذ جيشه المطوق، وسحب من بقي معه إلى مكان مرتفع في جبل أحد، واكتفى المشركون بما حققوا من نصر، فانصرفوا إلى مكة، وأنزل الله على رسوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: 128]، وقال الله سبحانه: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 165، 166]، وقال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: 140]، وعفا الله عن المسلمين المنهزمين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 155].

وفي صباح اليوم الثاني من المعركة أمر النبي ﷺ المسلمين أن يلحقوا المشركين خوفًا من أن يرجعوا لغزو المدينة، وكان المسلمون منهكين من الجراح والتعب، ومن الحزن والألم، فلما سمع المشركون أن النبي ﷺ قد لحقهم عجَّلوا الارتحال إلى مكة، وقد كانوا يريدون غزو المدينة، ثم رجع المسلمون إلى المدينة سالمين آمنين، قال الله سبحانه مثنيًا على الصحابة: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ \* الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ \* فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: 172، 173].

3- غزوة الأحزاب سنة 5 ﻫـ، حرّض اليهود قريشًا وغطفان على استئصال المسلمين في المدينة، فاستشار النبي ﷺ أصحابه، فأُشير عليه بحفر خندق شمال المدينة، وهي الجهة الوحيدة التي يمكن منها دخول الجيوش إلى المدينة، فحفر المسلمون الخندق في أسرع وقت ومعهم رسول الله ﷺ، واستمروا في حفر الخندق ليلًا ونهارًا، وتعبوا في حفره أشد التعب، مع شدة الجوع والبرد والخوف، وحاصر المشركون المدينة بعد أن تفاجأوا بالخندق، وكانوا (10000) مقاتل، وكان المسلمون (3000) مقاتل يرشقونهم بالنبل والحجارة حتى لا يقتربوا من الخندق، ونقض يهود بني قريظة العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، فأصاب المسلمين بلاء كبير، وكرب عظيم، وزُلزِلوا زلزالا شديدا، وظهر نفاق المنافقين، وثبَّطوا المسلمين عن القتال، واستمر حصار الكفار للمسلمين نحو شهر، ثم يسر الله أمورا حتى تخاذلت أحزاب المشركين، وأرسل الله عليهم ريحا شديدة؛ فانصرفوا خائبين، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا \* إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا \* هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: 9 - 11]، وقال سبحانه: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: 25].

ثم غزا النبي ﷺ يهود بني قريظة الذين نقضوا العهد، وتآمروا مع المشركين على إبادة المسلمين، فتحصن اليهود في حصونهم المنيعة، وحاصرهم المسلمون خمسة وعشرين يومًا حتى استسلموا، وطلب اليهود أن يكون الحُكمَ فيهم إلى سعد بن معاذ الأنصاري، وكان حليفًا ليهود بني قريظة قبل الإسلام، فلم يجاملهم، وحكم بقتل رجالِهم الخونة، وقسمِ أموالهم، وسبيِ ذراريهم الذين أسلموا بعد ذلك.

4- غزوة خيبر سنة 7 ﻫـ، يهود خيبر هم الذين جمعوا الأحزاب ضد المسلمين، وأغروا يهود بني قريظة على الغدر والخيانة، وكانوا يتصلون بالمنافقين للكيد بالمسلمين، فغزا رسول الله ﷺ خيبر ومعه (1400)، وحاصر المسلمون حصون خيبر حتى فتحوها، ثم طلب اليهود الأمان على أن يخرجوا من خيبر بنسائهم وذراريهم، فأجابهم نبي الرحمة ﷺ، ولما حصل اليهود على الأمان اقترحوا على النبي ﷺ أن يتركهم في خيبر على أن يقوموا على النخل والزرع، ولهم نصف ما يخرج منها من الثمر، فقبِل نبيُّ الرحمة اقتراحهم على أن يُجليهم من خيبر متى شاء.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

ثم في السنة الثامنة جاء نصر الله والفتح.

5- فتح مكة سنة 8 ﻫـ، كان النبي ﷺ قد صالح كفار قريش في الحديبية سنة 6 ﻫـ على وقف الحرب لمدة عشر سنوات، عاملًا بقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: 61]، فنقض كفار قريش صلح الحديبية، فأمر النبي عليه الصلاة والسلام المسلمين بغزو مكة، وكان المسلمون عشرة آلاف مقاتل، ودخل المسلمون مكة في شهر رمضان، وأمر نبي الرحمة مناديًا ينادي: من أغلق عليه بابه فهو آمِن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمِن، ودخل رسول الله ﷺ مكة فاتحا منتصرا، وهو مطأطئ رأسه تواضعًا لله وشكرًا، وكان حول الكعبة 360 صنمًا، فجعل النبي يُسقِطها بعودٍ في يده ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: 81]، ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: 49]، وكان كفار قريش في المسجد الحرام مستسلمين، فخطب النبي عليه الصلاة والسلام فيهم خطبة بليغة بيّن فيها كثيرًا من أحكام الإسلام، وأسقط أمور الجاهلية، وعفا عن كفار قريش، فأسلم أكثر أهل مكة من الرجال والنساء.

6- غزوة حُنَين، بعد فتح مكة اجتمعت قبائل هوازن وثقيف على قتال المسلمين، وعلم رسول الله ﷺ بتجمعهم، فخرج من مكة في شوال سنة 8 هـ ومعه اثنا عشر ألفًا، وكمِنَ العدو للمسلمين في وادي حنين، ثم باغتوا المسلمين بالرمي بالنبال، فانهزم المسلمون، وثبت رسول الله ﷺ في قليل من المهاجرين والأنصار، ونزل عن بغلته ودعا ربه، وأمر من ينادي أصحابه المنهزمين بالرجوع، فرجعوا، واجتمع حول رسول الله ﷺ جمع عظيم من المسلمين، فكرّوا على المشركين حتى هزموهم، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ \* ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: 25، 26]. وكانت قبائل العرب تنتظرون نتيجة الصراع القائم بين قريش والنبي ﷺ، فلما أكرم الله رسوله ﷺ بفتح مكة بدأت وفود القبائل العربية تأتي إلى المدينة لتقر بتوحيد الله وطاعة الله ورسوله، وصار الناس يدخلون في دين الله أفواجا، حتى اتسعت رقعة الدولة الإسلامية فشملت جميع شبه الجزيرة العربية، وأخذ النبي ﷺ ينظِّم أمور هذه البلاد الشاسعة، فيرسل الدعاة، وينصب الولاة، ويبعث جباة الصدقات، ويحكم بين الناس بشرع الله الذي فيه صلاح العباد والبلاد.

7- غزوة تبوك سنة 9 هـ، سمع رسول الله ﷺ بتجمع الروم النصارى في الشام لغزو المسلمين، فاستنفر الرسول جميع المسلمين، وحث الموسرين على تجهيز المعسرين، وخرج من المدينة ومعه (30000) مقاتل متجهًا إلى شمال الجزيرة العربية، وكانت هذه الغزوة عسيرة على الصحابة؛ بسبب قلة الإبل والزاد، وبُعد المسافة، وشدة الحرّ، ونزل رسول الله ﷺ تبوك بعد خمسة عشر يومًا من السفر الطويل الشاق، ولما علمت الروم بذلك خارت عزائمهم، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وتفرقوا داخل بلادهم، وبقي رسول الله ﷺ في تبوك 20 يومًا يُرهِب العدو، ويستقبل الوفود، وصالح بعض القبائل على الجزية، وكانت هذه الغزوة آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ، وأنزل الله فيها قوله: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 117]، وهذه فضيلة عظيمة للصحابة رضي الله عنهم، وأخبر الله أن المتخلفين فيها لن يخرجوا بعدها مع رسول الله في أي سفر من أسفاره عقوبة لهم، قال الله سبحانه: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ [التوبة: 83]، ثم بعد غزوة تبوك عزم رسول الله ﷺ على الحج سنة 10 هـ، فحج مع الرسول عشرات الآلاف من المسلمين، وكل من صحب النبي ﷺ في حجة الوداع فهو بريء من النفاق، فإن الله أمر رسوله أن يخبر المنافقين بعدم تشرفهم بصحبة النبي ﷺ بعد رجوعه من غزوة تبوك في أي سفر من أسفاره أبدًا، فكل من سافر مع الرسول للحج فهو بريء من النفاق.

وعلّم رسول الله ﷺ المسلمين مناسك الحج، وأوصاهم ووعظهم، ونزل عليه قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

وبعد أن تم له عليه الصلاة والسلام 63 سنة مرِض أيامًا، ثم مات يوم الاثنين الثاني عشر من شهرِ ربيعٍ الأول سنة 11 هـ، ودينُه باقٍ إلى يوم القيامة، واختار الصحابة أبا بكر الصديق رضي الله عنه خليفة لرسول الله ﷺ، ودفنوه في حجرة زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في الموضع الذي توفي فيه، وقال أبو بكر كلمته المشهورة: (من كان يعبدُ محمدًا فإنَّ محمدًا قد مات، ومن كان يعبدُ اللهَ فإنَّ الله حيٌّ لا يموت)، وتلا قول الله سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: 30].

مات النبي ﷺ بعد أن علَّم أصحابه الكتاب والسنة، وزكاهم، فكانوا خير أمة أخرجت للناس، وأثنى الله عليهم في كتابه في آيات كثيرة، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: 2، 3]، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا \* وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا \* وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا \* وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الفتح: 18 - 21]، ووعد الله كل الصحابة الذين آمنوا وجاهدوا قبل فتح مكة أو بعدها أنهم من أهل الجنة يقينا، فقال سبحانه: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: 10].

وقد قام الصحابة رضي الله عنهم بإقامة الدين، والدعوة إلى الله، وفتحوا البلدان، وعلَّموا المسلمين القرآن والسنة والفقه في دين الله، وكما جاهد الصحابة الكفار مع الرسول فقد جاهدوا أيضا الكفار بعد موت الرسول، وتحقق لهم ما وعدهم الله في قوله: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الفتح: 22]، فلم يقف أمام جيوش الصحابة أحد من الكفار، بل نصرهم الله على جميع الكفار الذين قاتلوهم من المرتدين واليهود والروم النصارى والفرس المشركين وغيرهم، وفتحوا فارس والشام ومصر وشمال أفريقيا، وهذه من معجزات القرآن، فقد أخبر الله بنصر الصحابة وتمكينهم، فوقع ذلك كما أخبر الله سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: 55].

وقد أخبر الله عن الأعراب الذين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله أنهم سيُدعون إلى قتال قوم كفار أشداء في الحرب، فوقع ذلك حين دعاهم الخلفاء الراشدون إلى حروب الردة، ثم دعوهم إلى قتال فارس والروم، قال الله سبحانه: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: 16].

وتوعد الله الأعراب في هذه الآية الكريمة إذا لم يجيبوا الخلفاء الراشدين إلى الجهاد بالعذاب الأليم فقال: ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، فدلت هذه الآية الكريمة دلالة واضحة على صحة خلافة الخلفاء الراشدين؛ لأن الله أوجب على المسلمين طاعتهم، فكلُّ واحدٍ منهم إمامٌ للمسلمين، وكلُّهم هداةٌ مهتدون، وكلهم من السابقين الأولين.

قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 100].

أيها المسلمون، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56]. اللهم صل وسلِّم على نبينا محمد وعلى أهل بيته وأزواجه وذريته، وارضَ اللهم عن الخلفاء الراشدين أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ، وعن جميع المهاجرين والأنصار، واجعلنا ممن اتبعهم بإحسان.

اللهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًا للذين آمنوا، ربنا إنك رءوف رحيم. اللهم ارزقنا طاعتك وطاعة رسولك، والعمل بكتابك وسنة نبيك.

اللهم إنا نسألك من خير ما سألك نبيك محمد ﷺ، ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد ﷺ.

## (18) معجزات النبي محمد ودلائل نبوته عليه الصلاة والسلام

الحمد لله ولي الصالحين، أنزل القرآنَ الكريم على نبيِّه محمدٍ خاتَمِ النبيين، وأرسله رحمة للعالمين؛ ﴿بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 33]، أرسله كافة للناس ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: 28]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحاط بكل شيء عِلمًا، وأحصى كل شيء عددًا، لا يُعجِزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُ اللهِ ورسولُه، أيَّده الله بالمعجزات العظيمة، ودلائلِ النبوة المتواترة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه. أما بعد:

فإن نبينا محمدًا ﷺ أكثر الرسل معجزة، وأبهرهم آية، وأظهرهم برهانًا، وقد بلغت معجزاتُه ودلائل نبوتِه فيما جمعه بعض العلماء نحو 1400، كلها مروية بالأسانيد المعروفة عند أهل الحديث، وللبيهقي كتاب دلائل النبوة مطبوع في 7 مجلدات، ومن أشهر معجزات النبي عليه الصلاة والسلام ودلائل نبوته:

**انشقاق القمر:** ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انشقت القمر على عهد النبي ﷺ شقتين، فقال النبي ﷺ: ((اشهدوا))، وأنزل الله قوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ \* وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: 1، 2]، وهذه معجزةٌ ثابتةٌ بإجماع المسلمين، وقد أسلم كثيرٌ ممن كانوا يُكذِّبون النبي ﷺ من أهل مكة، وآمنوا بالقرآن، فلو لم يكونوا رأوا انشقاق القمر لما آمنوا بالقرآن الذي يُثبتِ انشقاق القمر في زمنهم، وكان النبي ﷺ يقرأ سورة القمر في صلاة الجماعة لا سيما في صلاة العيدين التي تجمع كثيرًا من المسلمين؛ ليُسمِع الناس ما فيها من آيات النبوة، فلو لم يكن القمرُ انشق لما كان يُخبر به ويقرؤه في مجامع الناس العظيمة، ويستدل به على صدق نبوته، فعُلِم بهذا أن انشقاق القمر كان معلومًا عند الناس في زمن النبوة، وقد حدَّث بانشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة، وروى ذلك عنهم التابعون، ودوَّنه علماء الحديث في كتبهم بالأسانيد الصحيحة.

أيها المسلمون، ومن معجزات النبي محمد عليه الصلاة والسلام: **الإسراء والمعراج:** والمراد بالإسراء ذهاب النبي ﷺ من مكة المكرمة إلى بيت المقدس في فلسطين بصحبة جبريل عليه السلام في جزء من ليلة، والمعراج صعود النبي عليه الصلاة والسلام من بيت المقدس إلى السماوات العُلى في تلك الليلة، حتى وصل إلى السماء السابعة، وكان ذلك بجسده وروحه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1]، وقال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى \* أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى \* وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى \* عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى \* عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى \* إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى \* مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى \* لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: 11 - 18].

ومن دلائل نبوة النبي: **تكثير الطعام القليل حتى يكفي المئات من الناس:** وقد وقع هذا أكثر من مرة في السفر والحضر، ومن ذلك أن جابر الأنصاري في غزوة الخندق صنع طعامًا للنبي عليه الصلاة والسلام يكفي خمسة من الرجال، وكان الطعام لحمًا وخبزًا، فدعا النبي ﷺ جميع الذين يحفرون الخندق وكانوا نحو ألف رجل، فأكلوا كلُّهم من ذلك الطعام حتى شبعوا، وانصرفوا وما زال العجين كما هو، وما زالت بُرمة اللحمِ ملآنة لم ينقص منها شيء!

ومن دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام: **نبع الماء من بين أصابعه:** وقد وقع هذا أكثر من مرة سفرًا وحضرًا، ومن ذلك ما وقع في غزوة تبوك، وكان عدد جيش المسلمين نحو ثلاثين ألفًا، فشربوا كلُّهم من الماء الذي خرج من بين أصابع النبي عليه الصلاة والسلام، وسقوا ما معهم من الإبل، وملأوا ما معهم من الأواني والقِرَب!

ومن دلائل النبوة: **حَنِينُ الجِذع:** كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع شجرةٍ كانت في قبلة مسجده، فلما صُنِع له المنبر وارتقى عليه، حنّ الجذعُ لفقده قُرب النبي عليه الصلاة والسلام، وصاح صياح الصبي، حتى ضمه النبي إليه ومسحه حتى سكت.

ومن دلائل النبوة: **استجابة الله لدعاء نبيه أكثر من مرة:** ومن ذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يخطب الجمعة في مسجده، فطلب منه رجل أن يدعو الله بنزول المطر، فدعا النبي عليه الصلاة والسلام ربه أن يُنزِل المطر، ولم يكن في السماء قطعةُ سحاب، فأنشأ الله السحاب مباشرة بعد دعاء نبيه، ونزل المطر الغزير والناس في المسجد، واستمر نزول المطر أسبوعًا بلا انقطاع إلى الجمعة الثانية، حتى دعا النبي ربه في خطبته في الجمعة الثانية أن يمسك المطر عن المدينة، وأن يجعله حواليهم، فانقطع المطر مباشرة بعد دعاء النبي عليه الصلاة والسلام، وانقشعت السحب، وخرج الناس من المسجد يمشون في الشمس، وكانت آيةً عظيمةً رآها كل من حضر الجمعتين.

ومن دلائل النبوة: **إبراء المرضى على يديه أكثر من مرة:** ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم خيبر: ((لأُعطِينَّ الرايةَ غدًا رجلًا يفتح الله على يديه، يحب اللهَ ورسولَه، ويحبه اللهُ ورسولُه))، فقال: ((أين علي بن أبي طالب؟))، فقيل: هو مريضٌ يشتكي عينيه من الرَّمَد، فأُتِي به، فبصق في عينيه ودعا له؛ فبرِأ عليٌّ كأن لم يكن به وجع، وفتح الله حصن خيبر على يديه كما أخبر النبي ﷺ.

ومن دلائل النبوة: **ما أطلع اللهُ نبيَّه من علم ما سيكون:** فقد وعد النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه بفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق، وأخبر بقسمتهم كنوز كسرى وقيصر، وغير ذلك مما وقع وتحقق في حياته أو بعد موته، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 3 - 4].

أيها المسلمون، ومن الأدلة على نبوة النبي ﷺ: أنه اجتمع فيه من الأخلاق العظيمة، والأوصاف الجزيلة، والكمالات والمحاسن، ما يجزم العقل معها أنه نبي لا يكذب، **فسيرته خير دليل على نبوته، وشريعته التي جاء بها خير شاهد على نبوته،** فقد اشتملت على الاعتقادات الصحيحة، والعبادات الكاملة، والمعاملات العادلة، والسياسات الحكيمة، والآداب الحسنة، والأخلاق الطيبة، بما لا يشك العاقلُ المنصفُ أنها من عند الله سبحانه، وأن المبعوث بها نبي كريم.

ومن الأدلة على نبوته: أنه **كان من قوم أميين لا كتاب لهم، ولا حكمة فيهم، فبعثه الله من بينهم بكتاب منير، وشريعة كاملة،** فقام مع ضعفه وفقره وقلة أعوانه يدعو الناس إلى عبادة الله وحده، وإلى قبول شريعة الله التي ارتضاها لعباده، مخالفًا جميعَ أهل الأرض من الأقارب والأباعد، واليهودِ والنصارى، والملوكِ وغيرهم، فقام يدعو إلى الله، وقال: إني رسول الله، وضلّل آراءَهم، وأبطل مِلَلَهم، وصبر على أذيتهم، وبلّغ رسالة الله التي أرسله بها، ولم يجامل أحدًا، ولم يكتم شيئًا، ولم يخش في الله لومة لائم؛ فأظهر الله دينه على جميع الأديان في مدة قليلة شرقًا وغربًا، ولا يزال دينه إلى آخر الزمان مستمرًا ظاهرًا، ولم يقدِر أعداؤه مع كثرة عَدَدِهم وعُدَدِهم واختلافِ مِلَلَهِم وشدةِ قوتهم وفَرْطِ تعصبهم وبذلِ غايةِ جهدهم أن يُطفِئوا نور الإسلام، فهل يكون ذلك إلا بعونٍ من الله الذي أرسله؟! قال الله سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ \* هو الذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف:8، 9].

ومن الأدلة على نبوته: أنه **ظهر في وقت كان الناس في أمس الحاجة إلى من يهديهم إلى الصراط المستقيم، ويدعوهم إلى دين الله القويم؛** لأن العرب كانوا على عبادة الأصنام، والفرسَ على عبادة النار ونكاح الأمهات والبنات، والتُّركَ على تخريب البلاد وتعذيب العباد، والهندَ على عبادة البقر، والصينَ على عبادة الأوثان، واليهودَ على تشبيه الخالق بالمخلوق، وتحريفِ التوراة، وكتمانِ الحق، والنصارى على القول بالتثليث، وعبادةِ الصليب، والضلال المبين، وتحريفِ الإنجيل، وهكذا سائر العالم كانوا في ظلمات يخبطون، وبالباطل يشتغلون، ولا يليق بحكمة الله أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين إلا أن يُرسل لعباده رسولًا يكون رحمة للعالمين، قال الله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، وقال: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: 1].

أيها المسلمون، ومن الأدلة على صدق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام: **آثاره العظيمة في المسلمين المتبعين لسنته، فقد أحيا بإذن الله أمة ميتة، وأخرجها من الظلمات إلى النور،** وعلَّمها من بعد جهل، وأعزها من بعد ذلة، ووحدها من بعد فرقة، وزكاها حتى صارت خير أمة أخرجت للناس.

ومن الأدلة على نبوته: **إخبار الأنبياء السابقين عن نبوته، وتبشيرهم بمجيئه،** قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157].

اللهم صل وسلم على نبينا محمد، واجعلنا من أتباعه المتمسكين بسنته، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، إنه هو الغفور الرحيم.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله الذي أيده الله بالمعجزات الباهرة، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، أما بعد:

أيها المسلمون، **القرآن الكريم هو أعظم معجزات النبي عليه الصلاة والسلام،** وهو المعجزة الباقية إلى قيام الساعة، ووجوه إعجاز القرآن الكريم كثيرة منها:

حُسْنُ سياقِه، وكمالُ فصاحتِه وبلاغتِه، والرَّوعةُ التي تلحق قلوبَ سامعيه وأسماعِهم عند سماع القرآن، والهيبةُ والطمأنينةُ التي تعتريهم عند تلاوته واستماعه.

ومنها: ما اشتمل عليه من الإخبار بما لم يكن فوقع على الوجه الذي أخبر به، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ \* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ \* فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: 2 - 4].

ومنها: أن قارئه وسامعه لا يَمِلُّه، بل الإكثار من تلاوته يزيدُه حلاوة، وترديدُه يوجب له محبة، لا يزال غضًا طريًا، وغيره من الكلام يُمَلُّ مع كثرة الترديد.

ومنها: ما أنبأ به القرآنُ من أخبار القرون السالفة، والشرائع الداثرة، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا القليلُ من أحبار أهل الكتاب، فيأتي به النبي عليه الصلاة والسلام على نصه، وقد علموا أنه كان أُمّيًّا لا يقرأ ولا يكتب، ولا اشتغل بمدارسة أهل الكتاب في صغره وشبابه، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [هود: 49].

ومنها: جمعُه لعلومٍ لم تعرفها العرب، ومعارفَ لم يكن يحيطُ بها أحد من الأمم في ذلك الزمن، وتضمنُه خيرَ المواعظ والحكم، وبيانَ حقيقةِ الدنيا الفانية، وأخبارَ الآخرة الباقية، ومحاسنَ الآدابِ، ومكارمَ الأخلاق، وإرشادُه إلى الجمعِ بين طلبِ حسنةِ الدنيا وحسنةِ الآخرة، ومجيئُه بصلاح الدين والدنيا، وتكفُّله لمن اتبعه بالسعادة في الدنيا والأخرى، وبيانُه كلَّ ما يحتاج إليه المسلمون نصًا أو استنباطًا أو دلالة، قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89]، وقال سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29].

ومنها: تيسيرُ الله تعالى حفظه لمتعلميه، وتيسيرُ فهمه لدارسيه، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: 17]، فما أكثرَ من يحفظ القرآن عن ظهر قلب من الكبارِ والصغار، والرجالِ والنساء، والعربِ والعجم، في كل زمان ومكان!

أيها المسلمون، وإن **من معجزات النبي ﷺ أنه بعد أربعين سنة من عمره أتى الناس بكتابٍ من عند الله، فيه الأخبار الصادقة** عن الله وأسمائه وصفاته، وفيه قصصُ الأنبياء الأولين، والأممُ الماضية، وفيه بعض ما كان يقوله المؤمنون والكافرون، وما كان يسره المنافقون، وفيه أخبار عن أمور مستقبلية وقعت كما أخبر الله بها، وفيه النبأ عما سيكون يوم القيامة، **وفيه الأحكام العادلة التي لا يمكن أن يوجدَ أحسنُ منها،** فاشتمل القرآن على الأخبار الصادقة والأحكام العادلة، وكان النبي ﷺ يتلوه على الناس غيبًا من حفظه ليلًا ونهارًا، ويعلمه أصحابَه سرًا وجهرًا، فلا يخطئ في قراءته، ولا يضطرب في حفظه، مع أنه كان عليه الصلاة والسلام أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: 48]، إنها معجزة إلهية، فقد وعده الله بحفظ القرآن فقال سبحانه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: 17] أي: أن نجمع القرآن في صدرك يا نبينا، فتقرأه على الناس كما أُنزل عليك بلا زيادة ولا نقصان، ولا يشق عليك تلاوته في أي وقت كان، وقال سبحانه: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى \* إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعلى: 6، 7] أي: سنقرئك -أيها الرسول- القرآن، ونجمعه في صدرك فلا تنساه، إلا ما شاء الله أن يُنسيك من الآيات التي كانت تنزل لمصلحةٍ مُؤقَّتَةٍ ثم تُنسَخ بعد ذلك بحسبِ الِحكمة، كما قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة: 106]، مثلُ نسخ استقبال بيت المقدس في الصلاة إلى استقبال المسجد الحرام، وقد بين الله هذه المعجزة العجيبة بقوله: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: 16].

عباد الله، وإن من معجزات النبي ﷺ المتعلقة بالقرآن أنه نزل عليه القرآن خلال ثلاث وعشرين سنة، فلم يخالِف أولُه آخره، ولم يحتج إلى تنقيحه وتهذيبه مع نزوله خلال هذه الفترة الطويلة، وتحدَّى العربَ الفصحاء أن يأتوا بعشر سور مثله أو بسورة مثله، فما استطاعوا ولن يستطيعوا، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88]، وقد تكفل الله بأن يبقى القرآن محفوظًا للأمة، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، فوفَّق الله أصحاب نبيه رضوان الله عليهم لكتابته في المصاحف، وعلَّموا القرآنَ مَنْ جاء بعدهم كما تعلموه من نبيهم، وحفظ الله للأمة السنة النبوية المبينة للقرآن، واستمر المسلمون يتعلمون القرآن جيلًا بعد جيل، ويقرؤونه كما كان يقرؤه النبي ﷺ بقراءاته المتعددة، ويعملون بأحكامه التي بينها الرسول في سنته المحفوظة، فما أعظمها من معجزة خالدة!

عباد الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56]، اللهم صل على محمد وعلى أهل بيته وأزواجه وذريته، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم، وارزقنا طاعتك وطاعة رسولك، ووفقنا للعمل بكتابك وسنة نبيك محمد ﷺ، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، واغفر لنا وللمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين.

## (19) خطبة منتقاة من خطب النبي والصحابة والتابعين وغيرهم

الحمدُ للهِ حَمدًا كَثيرًا طَيبًا مُباركًا فيه، سُبحانه لا نُحصِي ثَناءً عليه، رَحْمتُه وَسِعَتْ كلَّ شَيء، وقُدْرتُه لا يُعجِزُها شَيء، أحاطَ بكلِّ شيء علما، وأحصى كلَّ شيء عددا، نحمدُه على نِعمِه الظاهرة والباطنة، التي لا نستطيع أن نُحصيها بالعدِّ، فلِلَّهِ الحمدُ عَدَدَ خَلقِهِ، ورِضَا نفْسِهِ، وزِنةَ عَرشِهِ، ومِدادَ كلِمَاتِه.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ \* وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ \* وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون: 78 - 80].

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ \* أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ \* هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: 13 - 15].

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: 165].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريكَ له، ولا مَثِيلَ له، لا نعبدُ إلا إياه، ولا ندعو غيرَه، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُ الله ورسولُه، لا ينطق عن الهوى، إنْ هو إلا وحيٌ يوحى، نصدقه في أخبارِه، ونتبعُهُ في سُنَّتِه. أما بعد:

فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْقَصَصِ هَذَا الْقُرْآنُ، وَأَحْسَنَ السُّنَنِ سُنَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ الْأَنْبِيَاءِ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَخَيْرَ الْعَمَلِ مَا نَفَعَ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ مَا اتُّبِعَ، وَشَرَّ الْعَمَى عَمَى الْقَلْبِ، وَمَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى، وَشَرَّ الْمَعْذِرَةِ عِنْدَ حُضُورِ الْمَوْتِ، وَشَرَّ النَّدَامَةِ نَدَامَةُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَكْثَرَ الْخَطَايَا خَطَايَا اللِّسَانِ، وَرُبَّ شَهْوَةِ سَاعَةٍ تُورِثُ حُزْنًا طَوِيلًا، وَخَيْرَ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ، وَخَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى، وَرَأْسَ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللَّهِ، وَخَيْرَ مَا فِي الْقُلُوبِ الْيَقِينُ، وَشَرَّ الْمَكَاسِبِ كَسْبُ الرِّبَا، وَشَرَّ الْمَآكِلِ أَكَلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالسَّعِيدَ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَالْأَمْرَ بِآخِرِهِ، وإنما الأعمالُ بالخواتيم، وَكُلَّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ، ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام: 134].

أيها المسلمون، يقول الله سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا \* وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: 61، 62].

خلق الله الليل والنهار بقدرته، وجعل كلا منهما يخلف الآخر بتقديره؛ ليتذكر فيهما المتذكر، ويعبد الله فيهما الشاكر، فيا حسرة من كان فيهما غافل!

اعْبُدُوا اللَّهَ كَأَنَّكُمْ تَرَوْنَهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْبِرَّ لَا يَبْلَى، وثوابَه عند الله لا يفنى، وَأَنَّ الْإِثْمَ لَا يُنْسَى، ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: 46].

عَجَبًا لِمَنْ يُؤْمِنُ بِدَارِ الْخُلُودِ كَيْفَ يَرضَى بِدَارِ الْغُرُورِ! ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا \* أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: 77، 78]، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: 185]. قَالَ النَّبيُّ ﷺ: ((مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ)).

الدنيا أَمَد، والآخرةُ أَبَد، لما اجتمع النبي يوسف عليه الصلاة والسلام بأبويه، وجمع الله شمله بأهله، قال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: 101]، علم أن بعد ذلك اللقاء فرقة، وأن الآخرة هي الباقية، فسأل الله أن يتوفاه مسلمًا، وأن يلحقه بالصالحين.

ألا كُلُّ شيءٍ ما خَلا اللهَ باطلُ ... وكلُّ نعيمٍ لا مَحالةَ زائلُ

وكلُّ أُناسٍ سوف تَدخُلُ بينهم ... دُوَيْهِيَّةٌ تَصفَرُّ مِنها الأَنَاملُ

عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ.

سَافَرَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ في طَلَبِ حقٍّ لهُ مِنْ بَعضِ أَقَارِبِه المشْرِكِين، فتَأخَّرَ حتى خافَ عليه أهلُه، فَلَمَّا رجَعَ إِلَى أَهْلِهِ فَرِحُوا بِقُدُومَه، فَقَالَ: افَتَرَقْنَا ثُمَّ اجْتَمَعْنَا، وَيُوشِكُ أَنْ نَفْتَرِقَ ثُمَّ لَا نَجْتَمِعَ، فَهَلْ لَكُمْ أَنْ تَتَوَاصَوْا بِالْخَيْرِ وَالْعِبَادَةِ وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى ذَلِكَ؟!

أيها المسلمون، إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تُنَالُ إِلَّا بِالأَعْمَالِ الصَّالِحةِ، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 63]، وقال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: 72]، فَأَخْلِصُوا لِلَّهِ أَعْمَالَكُم، واتَّقُوْا اللهَ فِي سِرِّكُمْ وجَهْرِكُم، وَالْقَوا اللَّهَ بِقُلُوبٍ سَلِيمَةٍ، وَأَعْمَالٍ صَادِقَةٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ، رَحِمَ اللَّهُ امْرَءًا سَارَ إِلَى رِزْقِهِ سَيْرًا جَمِيلًا، فَإِنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ فِي مَعَاصِي اللَّهِ، فَاقنَعُوا بِالحَلالِ وإن كان قليلا، ففيه الخير والبركة، ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 100]، فإيَّاكُم وَأَكْلَ أَمْوالِ النَّاسِ بِالبَاطِل، قال النبي ﷺ: ((إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)).

أيها الناس، الظلمُ ظلماتٌ يوم القيامة، والظالمُ يظلمُ نفسَه قبل أنْ يَظلمَ غيرَه، وما أخذه بالحرام فلن يبقى معه، فليس له من ماله إلا ما أكله فأفناه، أو لبِسَه فأبلاه، أو تمتَّعَ به فنسيه، أو بناه فتركه بعد موته لغيره، فإياكم والظلم، واتَّقوا دعوةَ المظلوم، ((فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ)).

أَلَا وَإِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَإِنَّ لَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقًّا، أَلَا فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، وَإِنَّمَا نَكَحْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَإِنَّ الْمُسْلِمَ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ، وَلَا يَحِلُّ لِلْمُسْلِمِ مِنْ أَخِيهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ مِنْ طِيبِ نَفْسٍ، أَلَا وَمَنِ اؤْتُمِنَ عَلَى أَمَانَةٍ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنِ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا، وإياكم ومنعَ الحقوق، وظلمَ النِّساءِ والأيتامِ والضعفاءِ، ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ \* وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ \* وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا \* وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا \* كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا \* وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا \* وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى \* يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي \* فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ \* وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ [الفجر: 17 - 26].

أيها المسلمون، التفكرُ عبادةٌ عظيمة، قال بعض الصحابة: (تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيرٌ مِنْ قِيامِ لَيلَة)، فبالتفكرِ يزدادُ الإيمانُ، ويحصلُ اليقينُ، ويرسخُ العلمُ، وتنفعُ العِبرةُ والموعظة، تَفَكَّرْ في عظمةِ الخالقِ الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وتَفَكَّرْ في كَثرةِ نِعَمِه عَليكَ وعلى جَمِيعِ خَلْقِه، وتَفَكَّرْ في القُرآنِ والسُّنَّة، وتَفَكَّرْ في حقيقةِ الدنيا الفانية، وتَفَكَّرْ في الآخرةِ الباقية، وتَفَكَّرْ في مخلوقاتِ اللهِ الدالةِ على رحمته وعظمتِه وحِكمتِه، وتَفَكَّرْ في الخيرِ ومنفعَتِه، وتَفَكَّرْ في الشَّرِّ ومَضَرَّتِه، تَفَكَّرْ في كلِّ ما تراهُ وتَسْمَعُهُ وتَقرَأُه، فَمَنْ تَفَكَّرَ عَرفَ الحقائق، ولم يغترَّ بالمظَاهِرِ والْمُغْرِيات، تَفَكَّرْ في تَقلُّبِ الليلِ والنهار، ونَقصِ الأعمار، تَفَكَّرْ في حالِكَ بعد موتِك، وعسى أن يكونَ قدِ اقتربَ أَجَلُك، تَفَكَّرْ بمفردِك أو مع غيرِك، قال الله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ [سبأ: 46].

وإنَّ أقربَ الناسِ إلى التوبةِ همُ العُصاةُ الذينَ أضاعُوا أعمارَهُم في الشَّهواتِ إذا تفكروا في حقيقة المعصية، فهم أعرفُ الناسِ بحقارةِ المعاصي وشرِّها وتشتِيتِها القلب، وإذا تابوا حسُنت توبتُهم أكثرَ من غيرهم؛ لأنهم يجدون بعد التوبة لذةَ الإيمان، وبركةَ الطاعة، وطُمَأنِينةَ القلب، ورضا الرحمن الذي يفرح بتوبة العبد.

أيها الناس، أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَرْضَى مِنْكُمْ بِالْمُحَقَّرَاتِ مِنْ الذنوب، فَإِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الإِنْسَانِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ، وَاعْلَمْوا أنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ لَهَا مِنَ اللهِ طَالِبًا، فلا تَنظُر إلى صِغَرِ المعْصِية، وانظرْ إلى عظمةِ من عَصَيت، وطُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا.

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، وللمسلمين والمسلمات، ﴿رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، أما بعد:

فمِنَ الْيَقِينِ أَنْ لَا تُرْضِي النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَلَا تَحْمَدَنَّ أَحَدًا عَلَى رِزْقِ اللَّهِ، وَلَا تَلُومَنَّ أَحَدًا عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ، فَإِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لَا يَسُوقُهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهَةُ كَارِهٍ، وَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْفَرَحَ فِي الْيَقِينِ وَالرِّضَا، وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحَزَنَ فِي الشَّكِّ وَالسُّخْطِ، المؤمنُ مطمئنٌ بذكر الله، راضٍ عن الله فيما قدَّره وشرعه، رضي بالله ربًّا يعبدُه وحده لا شريك له، ورضي بشرع الله ولو على نفسه وولده، لا يرضى بحكمٍ يخالفُ حُكمَ الله، رضي بالله ربا مدبرا، ورضي بقَدَرِ اللهِ وتقْديرِهِ، فلا يحسُدُ أحدا، ولا يَسخَطُ على ما كتب الله له وعليه، واللهُ يرضى عن هذا العبدِ الذي رضي عن ربِّه، وتقول له الملائكة عند موته: ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً \* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: 27 - 30].

أيها المسلمون، يقول النبي ﷺ: ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ)).

الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ يَأْكُلُ مِنْهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالْآخِرَةُ أَجَلٌ صَادِقٌ، يَحْكُمُ فِيهَا مَلِكٌ قَادِرٌ، يَفْصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: 17].

أيها المسلمون، مَنْ الَّذِي سَأَلَ اللَّهَ مُخلِصًا فَلَمْ يُعْطِهِ أَوْ دَعَاه خَاشِعًا فَلَمْ يُجِبْهُ أَوْ تَوَكَّلَ عَلَيه فَلَمْ يَكْفِهِ أَوْ وَثِقَ بِهِ فَلَمْ يُنْجِهِ؟!

يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: 2، 3]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 4]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: 5].

أيها المسلم، أفضلُ أوقاتِ حياتِك حين تكونُ في صلاتِك، فحافِظْ عَليها أعظمَ المحافظةَ، واهتمَّ بها أعظمَ الاهتمام، فهي رأسُ مالِك في حياتِك، فأقمها بشروطِها وأركانِها وواجباتِها في أوقاتها، ولا تتهاونْ بِأيِّ صلاةٍ منها، فهيَ نورٌ لك في حياتِك وفي قبرِك وعلى الصراطِ يوم القيامة، وهي خيرُ عونٍ لكَ على متاعِبِ الدنيا، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 153].

وَاعْلَمُوا أَنَّ الله اشْتَرَى مِنْكُمُ الْقَلِيلَ الْفَانِيَ بِالْكَثِيرِ الْبَاقِي، وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ فِيكُمْ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ، وَلَا يُطْفَأُ نُورُهُ، فَصَدِّقُوا أَخْبارَه، واعْمَلوا بِأَحْكَامِه، وَخُذُوا مِنْهُ زادكم لِيَوْمِ الظُّلْمَةِ، وَإِنَّمَا خَلَقَكُمْ اللهُ لِعِبَادَتِهِ، وَوَكَّلَ بِكُمُ الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7، 8]، وَإِنَّمَا ثَقُلَتْ مَوَازِينُ مَنْ ثَقُلَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْحَقَّ فِي الدُّنْيَا، وَحُقَّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعُ فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا، وَإِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَّتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ فِي الدُّنْيَا، وَحُقَّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعُ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَخِفَّ.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ \* وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ \* وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: 9 - 11].

تَصَدَّقُوا، تَصَدَّقُوا، تَصَدَّقُوا، ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 280]، اللَّهَ اللَّهَ فِي يَتَامَاكُمْ وَضُعَفَائِكُمْ، اللَّهَ اللَّهَ فِي أَرَامِلِكُمْ وأَرْحَامِكُم، اللَّهَ اللَّهَ فِيمَنْ لَا أَحَدَ لَهُ إِلَّا اللَّهُ، وَارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56].

أيها المسلمون، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله، وهي وصية الله للأولين والآخرين، قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: 131]، فلا سعادةَ لنا إلا بالتقوى، ولا راحةَ لقلوبِنا إلا بالتوبَة، ولا صَلاحَ لنا في الدُّنيا والآخِرةِ إلا بِعِبادةِ اللهِ والتَّمَسُّكِ بِدِينِه.

اللهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى، اللَّهُمَّ إِنَّا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِرْ لَنَا مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنَا، إِنَّك أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ، اللَّهُمَّ اكْفِنَا بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنَا بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ الْخَيْرَ وَلَا نَكْفُرُكَ، وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُكَ، اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ، نَرْجُو رَحْمَتَكَ، وَنَخْشَى عَذَابَكَ، إِنَّ عَذَابَكَ الْجِدَّ بِالْكُفَّارِ مُلْحِقٌ، اللهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ، وَانْصُرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللهُمَّ الْعَنِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَيُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيُقَاتِلُونَ أَوْلِيَاءَكِ، اللهُمَّ خَالِفْ بَيْنَ كَلِمَتِهِمْ، وَزَلْزِلْ أَقْدَامَهُمْ، وَأَنْزِلْ بِهِمْ بَأْسَكَ الَّذِي لَا تَرُدُّهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ.

اللهم وصلِّ وسلِّم على نبينا محمدٍ وعلى أهلِ بيتهِ وأزواجهِ وذريته، وارضَ اللهم عن الخلفاء الراشدين، والصحابة أجمعين، ومن اتَّبَعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10].

عبادَ الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90].

فاذْكُرُوا اللهَ يذْكُرْكُمْ، واشْكُرُوهُ على نِعَمِه يَزِدْكُم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: 45].

## (20) خطبة مجموعة من خطب النبي والصحابة والتابعين

الحمد لله الذي أحاط بكل شيء عِلمًا، وأحصى كل شيء عددًا، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له: كن فيكون، الحمد لله على حلمه مع علمِه، وعلى عفوه مع قدرتِه، سبقتْ رحمتُه غضبَه فله الحمد، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة فله الحمد، اللهم لك الحمد على رحمتك ولطفك، ولك الحمد على فضلك وإحسانك، لك الأسماء الحسنى، والصفات العلى، سبحانك لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ \* هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ \* هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: 22 - 24].

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ \* لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ \* يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الحديد: 4 - 6].

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: 47].

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: 54].

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: 62].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُ الله ورسولُه، اللهم صل وسلم على نبينا محمد وآله، وعلى أهل بيته وأزواجه وذريته، وعلى أصحابه وأتباعه، أما بعد:

فخيرُ الكلام كلام الله، وخيرُ الهدي هديُ محمدٍ عليه الصلاةُ والسلام، وخيرُ الكلام ما قلَّ ودل، وخيرُ المواعظِ ما نفع وزجر، ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: 55].

أيها المسلمون، اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا عَاهَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا ائْتُمِنْتُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ عَنِ الْحَرَامِ. قدْ أَفْلَحَ مَنْ حَفِظَ نَفْسَهُ مِنَ الْهَوَى وَالطَّمَعِ وَالْغَضَبِ. مَنْ يَكْذِبْ يَفْجُرْ، وَمَنْ يَفْجُرْ يَهْلِكْ، إِيَّاكُمْ وَالْفُجُورِ، وَمَا فُجُورُ عَبْدٍ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ، وَإِلَى التُّرَابِ يَعُودُ، وَهُوَ الْيَوْمَ حَيُّ، وَغَدَا مَيِّتٌ؟ اعْمَلُوا يَوْمًا بِيَوْمٍ، وَاجْتَنِبُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، وَعُدُّوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ الْمَوْتَى، فَمَنْ عَاشَ مَاتَ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ.

أيها الناس، تُوشِكُونَ أَنْ تَخْرُجُوا مِنَ الدُّنْيَا الْعَرِيضَةِ إِلَى ظُلْمَةِ الْقَبْرِ وَضِيقِهِ، فَكَيْفَ يَكُونُ عَاقِلًا مَنْ آثَرَ دُنْيَاهُ عَلَى آخِرَتِهِ؟! ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: 16، 17]، ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ \* وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ [القيامة: 20، 21].

قال النبي ﷺ: ((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا)).

وثبت في الحديث الصحيح أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ زَمَانٌ يُغَرْبَلُ النَّاسُ فِيهِ غَرْبَلَةً، تَبْقَى حُثَالَةٌ مِنَ النَّاسِ، قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ، وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ، وَاخْتَلَفُوا فَكَانُوا هَكَذَا)) وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، فَقَالُوا: فَمَا الْمَخْرَجُ مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((تَأْخُذُونَ مَا تَعْرِفُونَ، وَتَذَرُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُونَ عَلَى أَمْرِ خَاصَّتِكُمْ، وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَامَّتِكُمْ)).

أيُّها المسلم، خُذْ مَا تَعْرِفُ مِنَ الحَلالِ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ مِنَ الحَرَام، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ، فاحرِصْ على ما يَنْفَعُكَ في دِينِكَ ودُنْياك، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ الْمُسَارِعِينَ في الفِتَنِ والشَّهَوات، اللَّاهِينَ بِالْمُغْرياتِ بلا حِلْم، الخَائِضِينَ في الدِّينِ بِلا عِلم، ولا تَغْترَّ بِكثرةِ الهَالِكين، ولا تَسْتَوحِشْ مِنْ قِلَّةِ الصَّالِحين، ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 205]، ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: 66].

أَلَا وَإِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ قَدِ اقْتَرَبَتْ، وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِالْفِرَاقِ، وَإِنَّ الْغَايَةَ النَّارُ، وَإِنَّ السَّابِقَ مَنْ سَبَقَ إِلَى الْجَنَّةِ، وأَكثرُ النَّاسِ في غُرُورٍ وغَفْلَة، وفي خُسْرٍ وضَلالَة، فلا تَغْتَرُّوا بِكَثْرةِ الهَالِكِين، ولا تَسْتَوحِشُوا من قِلةِ الصَّالِحينَ، قال الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: 1 - 3]، ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ \* إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: 116، 117].

خَيرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ، أَيُّها العَبدُ، تَقرَّبْ إِلى رَبِّكَ بِالأعْمَالِ الصَّالِحة، وافْعَلْ مَا تَسْتَطِيْعُ مِنَ الخَيرِ ما دُمْتَ حيًّا مستطيعًا، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: 77]، وقال النبي ﷺ: ((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)).

أيها المسلم، اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ.

أيها المسلمون، الدُّنْيَا حَلَالُهَا حِسَابٌ، وَحَرَامُهَا عَذَابٌ، قال النبي ﷺ: ((لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ)).

فطُوبى لِمنْ أفنى عُمْرَه فِي طَاعَةِ ربِّه، وقَنِعَ بِالرِّزقِ الحَلال، إنْ أَصَابتْه سَرَّاءُ شَكَر، وإنْ أَصَابتْه ضرَّاءُ صَبَر، وإِنْ أذنبَ اسْتَغْفَر، وطُوبى لِمنْ عَمِل بِعِلْمِه، وخشِيَ ربَّه بالغيب، وإن وقَعَ في معصيةٍ سَارَعَ إلى التَّوبة، ولم يَطْمَئِنَّ إلا بِذْكرِ ربِّه، ونِعمَ المالُ الصَّالحُ لِلْرَّجُلِ الصَّالح، الذي اكتسبه مِنَ الحَلال، وأنْفقَهُ فيما أباحَ اللهُ لَه، لم يَنسْ نَصِيبَه مِنْ مَتاعِ الدُّنيا المباح، بِلا إِسرافٍ ولا تَبْذير، ولا فَخْرٍ ولا خُيَلاء، وقدَّم من مالِه لآخرتِه، وأحْسَنَ بمالِه كما أحْسَنَ اللهُ إليه، وطُوبى لِمنِ اغْتَنَمَ صِحَّتَه وأوقاتَ فراغِه في عبادةِ ربه، وفي تلاوةِ القُرآنِ وتَدَبُّرِه، وفي طلبِ العِلمِ النافع، وفي الإحسانِ إلى والِدَيهِ وأهْلِهِ وجِيرانِه وأصْحَابِه، وفي نفعِ المسلمين، والإصلاحِ بينَهم، وكلُّ معروفٍ صدقة، والكلمةُ الطيبةُ صدقة، وتُمِيطُ الأذى عنِ الطريقِ صدقة، وتَعدِلُ بينَ اثنينِ صدقة، ومِنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْمُسْلِمِ، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، قال النبي ﷺ: ((لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ))، وقال النبي ﷺ: ((أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَكُونُوا إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ))، وقال عليه الصلاة والسلام: ((لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ))، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: 1]، ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: 128]، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: 40]، وَمَنْ يَغْفِرْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ يَعْفُ يَعْفُ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ يَكْظِمِ الْغَيْظَ يَأْجُرْهُ اللَّهُ، ومن يُسَامِحِ الناسَ يُسامِحْهُ الله، ومنْ يَغْفِرْ لهم أخْطَاءَهم وتَقْصِيرَهُم يَغفِرِ اللهُ لَهُ ذُنوبَه وتَقصِيرَه في حَقِّه، وكما تدِينُ تُدان، وقد مدحَ اللهُ الكاظمينَ الغيظَ والعافينَ عن الناس فقال: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134]، وقال سبحانه: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: 22]، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم.

**الخطبة الثانية:**

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: 59]، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ خَبَرًا، وَفِي الْأَرْضِ عِبَرًا، ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ \* وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ \* وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ \* تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: 3 - 6]، كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظًا، فَمَنْ سَبَقَنا بالموتِ فإنَّا بعده لاحِقون، ومَنْ يَدفِنُ ميتا فسيأتِي يوما يُدفَنُ فيه، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ \* وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 26، 27]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: 185].

خَرَجَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فِي جَنَازَةٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: منْ هوَ الميت؟ فقال: «أَنْتَ الميِّتُ»، ورَأَى أَهْلَ الْمَيِّتِ يَبْكُونَ فَقَالَ: «مَوْتَى غَدًا يَبْكُونَ عَلَى مَيِّتِ الْيَوْمَ!»، وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا رَأَى جَنَازَةً قَالَ: «مَوْعِظَةٌ بَلِيغَةٌ، وَغَفْلَةٌ سَرِيعَةٌ، كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظًا، يَذْهَبُ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ».

خطبَ النبيُّ ﷺ يومًا فقال: ((إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ)).

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: «أَيْنَ الْحَسَنَةُ وُجُوهَهُمْ، وَالْمُعْجَبُونَ بِشَبَابِهِمْ؟ أَيْنَ الَّذِينَ بَنَوُا الْبُنْيَانَ فَحَصَّنُوهَا بِالْحِيطَانِ؟ أَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا يُعْطَوْنَ الْغَلَبَةَ فِي مَوَاطِنِ الْحَرْبِ؟ قَدْ تَضَعْضَعَ بِهِمُ الدَّهْرُ، فَأَصْبَحُوا كَلَا شَيْءٍ، وَأَصْبَحُوا قَدْ فُقِدُوا، وَأَصْبَحُوا فِي ظُلُمَاتِ الْقُبُورِ».

وَقَرأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ عَلَى الْمِنْبَرِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [فصلت: 30] فَقَالَ: «اسْتَقَامُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ، ثُمَّ لَمْ يَرُوغُوا رَوَغَانَ الثَّعْلَبِ».

وخَطَبَ عُثْمانُ بنُ عفانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أَعْطَاكُمُ الدُّنْيَا لِتَطْلُبُوا بِهَا الْآخِرَةَ، لَا لِتَرْكَنُوا إِلَيْهَا، إِنَّ الدُّنْيَا تَفْنَى، وَالْآخِرَةَ تَبْقَى، لَا تَبْطَرَنَّكُمُ الْفَانِيَةُ، وَلَا تُشْغِلَنَّكُمْ عَنِ الْبَاقِيَةِ، آثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى، فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ، وَإِنَّ الْمَصِيرَ إِلَى اللَّهِ، اتَّقُوا اللَّهَ، وَالْزَمُوا جَمَاعَتَكُمْ، وَلَا تَصِيرُوا أَحْزَابًا».

وَخَطَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: «اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَيِّتُونَ وَمَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ، وَمَوْقُوفُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَمَجْزِيُّونَ بِهَا، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ، وَبِالْفَنَاءِ مَعْرُوفَةٌ، وَبِالْغَدْرِ مَوْصُوفَةٌ، فَكُلُّ مَا فِيهَا إِلَى زَوَالٍ، وَهِيَ بَيْنَ أَهْلِهَا دُوَلٌ وَسِجَالٌ، لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا، وَلَنْ يَسْلَمَ مِنْ شَرِّهَا نُزَّالُهَا، بَيْنَمَا أَهْلُهَا مِنْهَا فِي رَخَاءٍ، إِذَا هُمْ مِنْهَا فِي بَلَاءٍ، أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ، الرَّخَاءُ فِيهَا لَا يَدُومُ، وَكُلٌّ حَتْفُهُ فِيهَا مَقْدُورٌ، مَنْ مَضَى كَانُوا أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا، وَأَشَدَّ مِنْكُمْ بَطْشًا، وَأَعْمَرَ دِيَارًا، وَأَبْعَدَ آثَارًا، فَأَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً، وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً، فَأَصْبَحُوا بَعْدَ الْحَيَاةِ أَمْوَاتًا، وَبَعْدَ غَضَارَةِ الْعَيْشِ رُفَاتًا، سَكَنُوا التُّرَابَ، وَظَعَنُوا فَلَيْسَ لَهُمْ إِيَابٌ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 100]، فَكَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ الْبِلَى، وَالْوَحْدَةِ فِي دَارِ الْمَوْتَى، فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ قَدْ تَنَاهَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ، وَبُعْثِرَتِ الْقُبُورُ، وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ، وَأَوْقِفْتُمْ لِلتَّحْصِيلِ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ، هُنَالِكَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: 31]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 49]».

وَخَطَبَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا، فَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَبْكُونَ الدُّمُوعَ حَتَّى تَنْقَطِعَ، ثُمَّ يَبْكُونَ الدِّمَاءَ حَتَّى لَوْ أُرْسِلَتْ فِيهَا السُّفُنُ لَجَرَتْ».

وخَطَبَ عُمَرُ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمهُ اللهُ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ خُلِقْتُمْ لِلْأَبَدِ، وَلَكِنَّكُمْ تُنْقَلُونَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ، فَاعْمَلُوا لِمَا أَنْتُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ، وَخَالِدُونَ فِيهِ، إِنَّ مَا فِي أَيْدِيكُمْ أَمْوالَ الْهَالِكِينَ، وَسَيَتْرُكُهَا الْبَاقُونَ كَمَا تَرَكَهَا الْمَاضُونَ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّكُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ تُشَيِّعُونَ غَادِيًا أَوْ رَائِحًا إِلَى اللَّهِ، وَتَضَعُونَهُ فِي قَبرٍ غَيْرِ مُمَهَّدٍ، وَلَا مُوَسَّدٍ، قَدْ فَارَقَ الْأَحْبَابَ، وَأُسْكِنَ التُّرَابَ، فَقِيرًا إِلَى مَا قَدَّمَ أَمَامَهُ، غَنِيًّا عَمَّا تَرَكَ بَعْدَهُ، أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَغُرَّنَّكُمُ الدُّنْيَا وَالْمُهْلَةُ فِيهَا، فَعَنْ قَلِيلٍ عَنْهَا تُنْقَلُونَ، وَإِلَى غَيْرِهَا تَرْتَحِلُونَ، فَاللَّهَ اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ فِي أَنْفُسِكُمْ، فَبَادِرُوا بِهَا الْفَوْتَ قَبْلَ حُلُولِ الْمَوْتِ، وَلَا يَطُولُ عَلَيْكُمُ الْأَمَدُ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ، أَلَا إِنَّ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ أَدَاءُ الْفَرَائِضِ، وَتَركُ الْمَحَارِمِ».

عباد الله، سمعنا مِنَ الآياتِ القرآنية، والخطبِ النبوية، ومواعظِ الصحابةِ والتابعين ما فيه كفايةٌ لمن يتفكر، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37].

أيها المسلمون، أكثِروا مِنَ الصلاةِ والسلامِ على مَنْ أمركمُ اللهُ بالصلاةِ والسلامِ عليه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

اللهم صلِّ على نبينا محمدٍ وسَلِّم تسليمًا كثيرًا، اللهم صلِّ وبارِكْ على نبينا محمدٍ وآلِه، وارضَ اللهم عن الصحابَةِ، ومَنِ اتَّبعَهُمْ بإحسانٍ إلى يَومِ القِيامَة، واغفرْ لنا ولإخوانِنَا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعلْ في قلوبنا غِلًا للذين آمنوا، اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وكفِّر عنَّا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار، اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وحبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين.

## (21) خطبة بليغةٌ مؤثرة

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 2 - 4].

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ \* خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ \* يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [التغابن: 2 - 4].

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 6].

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 29].

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: 5].

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [يونس: 67].

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد: 12].

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ [غافر: 13].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، اللَّهُمَّ أنْتَ ربُّنا ونَحنُ عَبِيْدُك، الْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، وَالْمَهْدِيُّ مِنْ هَدَيْتَ، وَبِكَ وَإِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، سُبْحَانَكَ رَبَّ الْبَيْتِ، لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ.

وأشهد أنَّ محمدًا عبدُ الله ورسولُه، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 33]، ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: 9].

اللهم صل وسلم على نبينا محمد، وعلى أهل بيته وأزواجه وذريته، وعلى أصحابه وأتباعه، ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 43]، أما بعد:

فإنَّ خيرَ الكلام آياتُ القرآن، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ عليه الصلاة والسلام، وخيرَ الكلام ما قلَّ ودل، وخيرَ المواعظ ما نفع وزجر.

الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ، الدُّنْيا أَمَدٌ قَلِيل، والآخِرةُ أَبدٌ طَويْل، سَاعَاتُ اللَّيلِ والنَّهارِ تَنتَهِبُ الأَعْمار، يا ابْنَ آدَمَ إِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ، كُلَّمَا ذَهَبَ يَوْمٌ ذَهَبَ بَعْضُكَ.

إِنَّنَا فِي مَمَرِّ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي آجَالٍ مُنْتَقَصَةٍ، وَأَعْمَالٍ مَحْفُوظَةٍ، وَالْمَوْتُ يَأْتِي بَغْتَةً، فَمَنْ يَزْرَعْ خَيْرًا يُوشِكُ أَنْ يَحْصُدَ رَغْبَةً، وَمَنْ يَزَرَعَ شَرًّا يُوشِكُ أَنْ يَحْصُدَ نَدَامَةً، الْمُتَّقُونَ سَادَةٌ، وَالْفُقَهَاءُ قَادَةٌ، وَمَجَالِسُهُمْ زِيَادَةٌ.

أَيُّهَا الْمُسْلِم، كُنْ مِمَّنْ يَبِيتُ وَهُوَ يَذْكُرُ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ أَنْ يَشْكُرَ، يَبِيتُ حَذِرًا مِنَ الْغَفْلَةِ، وَيُصْبِحُ فَرِحًا لِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ، لَا يَعْمَلُ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ رِيَاءً، وَلَا يَدَعُ شَيْئًا مِنْهُ حَيَاءً، يَخْلُو لِيَغْنَمَ، وَيُخَالِطُ لِيَعْلَمَ، مَجَالِسُ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَجَالِسِ اللَّغْوِ مَعَ الْأَغْنِيَاءِ، وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يَتَمَنَّى الْمَغْفِرَةَ، وَيَعْمَلُ فِي الْمَعْصِيَةِ، طَالَ عَلَيْهِ الْأَمَلُ فَفَتَرَ، وَطَالَ عَلَيْهِ الْأَمَدُ فَاغْتَرَّ، إِنْ أُعْطِيَ لَمْ يَشْكُرْ، وَإِنِ ابْتُلِي لَمْ يَصْبِر، يَتَكَلَّفُ مَا لَمْ يُؤْمَرْ، وَيُضَيِّعُ مَا هُوَ أَكْبَرُ، يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ، وَيَبْغَضُ الْمُسِيئِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ، إِنْ سَجَدَ نَقَرَ، وَإِنْ جَلَسَ هَدَر، وَإِنْ سَأَلَ أَلْحَفَ، وَإِنْ سُئِلَ سَوَّفَ، وَإِنْ حَدَّثَ حَلَفَ، وَإِنْ حَلَفَ حَنَثَ، وَإِنْ وُعِظَ كَلَحَ، وَإِنْ مُدِحَ فَرِحَ، يَنْظُرُ نَظَرَ الْحَسُودِ، وَيُعْرِضُ إِعْرَاضَ الْحَقُودِ، إِنْ حَدَّثْتَهُ مَلَّكَ، وَإِنْ حَدَّثَكَ غَمَّكَ، لَا يُنْصِتُ فَيَسْلَمَ، وَلَا يَتَكَلَّمُ بِمَا يَعْلَمُ.

مَنْ لَا يَمْلِكْ لِسَانَهُ يَنْدَمْ، وَمَنْ يَدْخُلْ مَدَاخِلَ السُّوءِ يُتَّهَمْ، وَمَنْ يُصْاحِبْ صَاحِبَ السُّوءِ لَا يَسْلَمْ، وَمَنْ يُصْاحِبْ الصَّالِحَ يَغْنَمْ، وَالْمُؤْمِنُ يَعْمَلْ لِلَّهِ مُخْلِصًا، وَمَنْ يُخْلِصْ يَأْجُرْهُ اللَّهُ أَجْرًا مُضَاعَفًا، ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110].

مَا أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا إِلَّا وَهُوَ ضَيْفٌ، وَمَالُهُ عَارِيَةٌ، وَالضَّيْفُ مُرْتَحِلٌ، وَالْعَارِيَةُ مَرْدُودَةٌ، ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: 28]، قال ربُّنا سبحانه: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ \* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: 25، 26].

أيها العبد، راقب من يراك على كل حال، وما زال نظرُه إليك في جميعِ الأفعال، وطهِّر سِرَّك فهو عليم بما يخطر بالبال، قد أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا.

طوبى لمن بادر عمره القصير، فعمر به دار المصير، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى \* وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى \* بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: 14 - 17].

الدُّنْيَا غرَّارة غدَّارة، خدَّاعة مكَّارة، تظنها مُقِيمَة، وَهِي ذاهبة، لَيْسَتِ السَّاعَاتُ الذاهبةُ بعائدة.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ \* فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: 99 - 101].

أيها الناس، تَأْمَلُونَ مَا لَا تَبْلُغُونَ، وَتَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ، وتشترون ما لا تأكلون، وتفخرون وأنتم ميتون.

قال النبي ﷺ: ((لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا)).

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام: 134].

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ \* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ \* كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ \* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ \* ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ \* ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: 3 - 8].

اذكروا نعم الله عليكم لتشكروا، واعملوا بما علمتم لتتقوا، وسددوا وقاربوا وأبشروا.

وَا أسفاه مِن حَيَاةٍ على غرور، وَمَوْتٍ على غَفلَة، ومُنقَلبٍ إِلَى حسرة، ووقوفٍ يَوْم الْحساب بِلَا حُجَّة!

وَكم من فَتى يُمْسِي وَيُصْبِح آمنًا ... وَقد نُسِجَتْ أَكْفَانُه وَهُوَ لَا يدْرِي

بادِر أيها الشاب عمرك قبل الهرم، واغتنم أيها الشيخ الصحة قبل السقم، وكلنا إلى الله راجعون، وبأعمالنا محاسبون، ﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: 185].

أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَنَادَيْتُهَا ... أَيْنَ الْمُعَظَّمُ وَالْمُحْتَقَرْ

وَأَيْنَ الْمُدِلُّ بِسُلْطَانِهِ ... وَأَيْنَ الْمُزكَّى إِذَا مَا افْتَخَرْ

تَفَانَوْا جَمِيعًا فَمَا مُخْبِرٌ ... وَمَاتُوا جَمِيعًا وَمَاتَ الْخَبَرْ

تَرُوحُ وتغدو بناتُ الثَّرى [يعني الدود] ... فَتَمْحُوا مَحَاسِنَ تِلْكَ الصُّوَرْ

فَيَا سَائِلِي عَنْ أُنَاسٍ مَضَوْا ... أَمَا لَكَ فِيمَا تَرَى مُعْتَبَرْ

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: 185]. التَّوْبَة التَّوْبَة قبل أَن تَصِل إِلَيْك النّوبَة، ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: 6]. الحذر الحذر، فوالله لقد ستر حتى كأنه قد غفر!

مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ أَحَبَّهُ، ومَنْ تَذَكَّر نِعَمَهُ اجْتَهَدَ في طَاعَتِه، وَمَنْ عَرَفَ حَقِيقَةَ الدُّنْيَا الفَانِيةِ زَهِدَ فِيهَا، ومَنْ آمَنَ بِالآخِرةِ البَاقِيةِ اسْتَعَدَّ لَها، ومن تابَ مِنْ ذُنُوبِه وتَقْصِيرِه في عِبَادةِ ربِّهِ تابَ اللهُ عليه، ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: 11]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: 25].

أقول ما سمعتم، ويغفر الله لي ولكم، ولجميع المسلمين والمسلمات، الأحياءِ منهم والأموات.

**الخطبة الثانية:**

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سبأ: 1]. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: 59]، أما بعد:

فيا أيها العبد، حاسِب نفسك في خلوتك، وتفكر في انقراض مدتك، واعلم أنَّ نفسك عليك في مجاهدتك، فصبِّرها على الطاعة، وعلِّمها القناعة، وانهها عن هواها، فقد سعد من حاسبها، وفاز من حاربها، وأفلحَ من استوفى الحقوق منها وطالبها، وكلما ضعفت عن الخير عاتبها، وكلما رغبت في الشر غلبها، العاقل من حاسب نفسَه، وعمِل لما بعد موتِه، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، وليس الإيمانُ بالتمني، ولكنَّ الإيمانَ ما وقر في القلبِ، وصدقه العمل.

من لم تنهه صلاتُه عن الفحشاء والمنكر لم يزْدَدْ مِن الله إلا بُعدا، ولا يحافظ على الصلوات الخمس في أوقاتها إلا المؤمنُ الذي يعرف قدرها، ويرجو أجرها، ويخاف العقاب على تركها، وويل لمن يتكاسل عن صلاته، ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: 4، 5]، ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا \* إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [مريم: 59، 60].

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: 16]، متى تتوب إلى الله؟ متى تستقيم على طاعة الله؟! يَا مخدوعا قد فُتِن، يَا مغرورا قد غُبِن.

يَا من يعظه الدَّهْرُ وَلَا يقبَل، أَلا تَعْتَبِر بِمن رَحَل؟! تيقظ لنَفسِك وانتبه من الزلل، وَاذْكُر زوالَك وَدَعِ الأَمَل، طَالَ بِك الزَّمَانُ وَمَا سددت الْخلَل!

يَا شِدَّة الوجَل عِنْد حُضُور الْأَجَل، يَا حسْرة الْفَوْت عِنْد حُضُور الْمَوْت، يَا خجلة العاصين، يَا أَسَفَ الْمُقَصِّرِينَ ﴿يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ [يس: 30]، ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ \* أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ \* أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: 56 - 58].

يا حسرةً على مَن مَاتَ وَلم يتزَوَّدْ لِوَحْشَةِ الظُّلْمة، ولم يتأهبْ للنَّقْلةِ إلى قبره، ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ \* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: 1، 2]، السفرُ بعيد، والزادُ قليل، بعد الموت لا ينفعك مالُك ولا ولدُك، وليس لك في قبرك صديقٌ ولا أنيسٌ إلا عملُك.

يا مَنْ بِدنياه اشتغل ... وغرَّه طولُ الأمل

الموتُ يأتي بغتةً ... والقبرُ صندوقُ العمل

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ \* وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ \* وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: 9 - 11].

نُرَقِّعُ دُنْيَانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنَا ... فَلَا دِينُنَا يَبْقَى وَلَا مَا نُرَقِّعُ

يَا مَنْ يُذنبُ وَلَا يَتُوب، ويُصِرُّ على تَضْييعِ الفرائضِ ولا يؤوب، كم كُتِبتْ عَلَيْك ذنُوبٌ ذهبت لذَّتُها، وبقي حسابُها، تَأْكُلِ الحَرَام، وتَقْطَعِ الأرحام، يدعوك القرآنُ إِلَى صلاحِك وَلَا تتوب، وتسمعُ مواعظَ اللهِ ولا تؤوب، ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى \* وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى \* ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى \* أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى \* ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ [القيامة: 31 - 35]، ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾ [الصافات: 13]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ \* وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ \* فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: 48 - 50].

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281].

اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين الصابرين، وارزقنا الهدى والتقى والعفاف والغنى، اللهم أَعِنَّا على ذِكْرِك وشُكرِك وحُسْنِ عبادتك، اللهم حَبِّبْ إلينا الإيمان، وزَيِّنه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين. اللهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِلْمُؤْمِنِينَ، وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ، وَانْصُرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ.

## (22) الإسلام دين جميع الأنبياء، ومن ابتغى غيره فهو كافر من أهل النار

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدِلون أي: يعدلون به غيره، فيسوونهم بالله في عبادته، هو الذي خلقكم من طينٍ ثم قضى أجلًا وأجلٌ مسمى عنده ثم أنتم تمترون، وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون، الرحمن على العرش استوى، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعبدُه أهلُ السماوات والأرض، وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله، نُقرُّ له بالربوبية والألوهية، وبما أخبرنا به عن نفسه من أسمائه الحسنى، وصفاتِه العلية.

وأشهد أنَّ محمدًا عبدُ الله ورسولُه، أرسله اللهُ إلى الناس كافة، شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، مَنْ آمَنَ به وأطاعه دخل الجنة، ومَنْ كفرَ به وعصاه دخل النار، أما بعد:

فدينُ الأنبياءِ واحد، متَّفقٌ في الأصول، وإن اختلف في بعض الشرائع، قال الله سبحانه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48]، فالدين واحد، والشرائع مختلفة: للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، يُحِلُّ الله فيها ما يشاء، ويُحرِّم ما يشاء، بلاءً للعباد، ليعلمَ من يطيعُه ممن يَعصيه، ودينُ الله هو الإسلام الذي لا يقبل الله سواه، وهو التوحيدُ والإخلاصُ لله، وهو الدينُ الذي جاءت به جميعُ رسلِ الله، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25]، فالله لم يُشَرِّع لنبي من الأنبياء أن يُعبد غيرُ الله، وأصى الله جميع الأنبياء أن يُقيموا دين الإسلام، كما قال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: 13]، فأصل الدين واحد، وهو دين الإسلام، وإنما تتنوع الشرائع، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85]، وقال النبي ﷺ: ((الأَنْبِيَاءُ دِينُهُمْ وَاحِدٌ))، فجميعُ الأنبياءِ كانوا يدعون الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأصولُ الدينِ لا تتغيرُ في جميع الشرائع، وإنما تتغيرُ بعضُ الفروعِ بحسب الحكمة والمصلحة، وفي نَسْخِ الأحكام حِكَمٌ ومصالحُ كثيرةٌ نظرًا إلى حال المكلفين والزمان والمكان، والشرائعُ الكلية لا تتغيرُ في جميع الشرائع كعبادة الله وحده والإيمانِ بالله ورسلِه وكتبه وملائكته واليوم الآخر والقدرِ خيره وشره، والأمرِ بالصدق والعدلِ والإحسانِ والعِفَّةِ وغيرِ ذلك من الفضائل، وتحريمِ الكذبِ والظلمِ والسرقةِ والربا والزنا وعقوقِ الوالدين وغيرِ ذلك من الرذائل، فهذه الأصولُ والفروعُ متفقةٌ في جميع الشرائع، وإنما تتغيرُ بعضُ الفروع بحسب الحكمة والمصلحة كما حرَّم الله على بني إسرائيل بعض الطيبات عقوبة لهم وابتلاء ثم نسَخَ الله تحريمها بشريعة عيسى رحمةً وابتلاءً، قال الله سبحانه: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: 160]، وقال الله حاكيًا عن عيسى عليه الصلاة والسلام أنه قال لبني إسرائيل: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: 50].

أيها المسلمون، شرع الله الصلاة والزكاة والصيام على جميع الأمم لأهميتها وكثرة فضائلها وإن اختلفت كيفياتُها وأحكامُها من شريعةٍ إلى أخرى، قال الله سبحانه: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ \* وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: 4، 5] وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183]، وأمر الله نبيه إبراهيمَ عليه الصلاةُ والتسليمُ أن يبني الكعبة، وأن يدعو جميع الناس إلى الحج، قال الله: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: 27] أي: أعْلِمِ الناس بوجوب الحج عليهم، فلبَّى الناسُ نداء إبراهيم، وجاءوا للحج إلى البيت العتيق من كل فج عميق، على أرجلهم، وعلى كل بعيرٍ قد ضمُر بسبب طول المسير، وقد بدَّل اليهودُ والنصارى دينَ الإسلامِ الذي هو دينُ جميعِ الأنبياء، وغيَّروا اسمَ دينِ اللهِ إلى اليهودية والنصرانية، بل غيَّروا حتى اسمَ اللهِ، فسموه بمُسمَّياتٍ ما أنزل الله بها من سلطان، وغيَّروا الصلاة فصارت عندهم بلا ركوعٍ ولا سجود، وغيَّروا الصيام فلا يصوم اليهود إلا خمسة أيام في السنة، وابتدعوا فيه ما لم يأذن به الله، ولا يمتنع النصارى في صومهم إلا من أكل اللحوم ومشتقات الألبان، فصار صومهم بلا معنى، وأنكر اليهود والنصارى الحج، مع أنهم يعترفون بالنبي إبراهيم ويعظمونه، وقد أخبر نبيُّنا محمدٌ ﷺ أن موسى عليه الصلاة والسلام حج إلى الكعبة، وأن عيسى عليه الصلاة والسلام سيحجها في آخر الزمان.

أيها المسلمون، من الخطأ العظيم ما يقوله بعض الناس: الأديانُ السماوية ثلاثة: الإسلام واليهودية والنصرانية، وإنما هو دينٌ واحدٌ عند الله، وهو الإسلام، دينُ جميعِ الأنبياءِ وأتباعِهم، قال الله تعالى حاكيًا عن نوحٍ أولَ الرسلِ أنه قال لقومه: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 72]، وقال الله سبحانه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 67]، وقال سبحانه: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 133]، وقال يوسف عليه الصلاة والسلام في دعائه: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: 101]، ﴿وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 84]، وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 52]، وقال الله سبحانه: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ [الحج: 78]، أي: الله هو الذي سمَّاكم المسلمين من قبلِ القرآنِ في سائرِ الكتب، وسمَّاكم المسلمين في هذا القرآن، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: 19].

أيها المسلمون، الشرائع السابقة دخلها التبديلُ والتحريفُ، فلا يجوز اعتقادُ أنَّ دينَ اليهودِ والنصارى بعدَ التحريفِ والتبديلِ دينٌ سماوي من عند الله، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 78]، وقال سبحانه: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: 46]، وقد بعث الله نبيه محمدًا عليه الصلاة والسلام بالحنيفية السمحة، قال الله لنبيه: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ [الأعلى: 8] وقال لأمة نبيه: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 6].

أيها المسلمون، كل من خالف الإسلام وأعرض عنه فإنه كافرٌ شقي، إن لم يتبْ من كفره فهو من أهل النار، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85]، ويجب على المسلم أن يُبغِض الكافرين، ويتبرأَ منهم، ولا يخْلِطُ الكفرَ بالإسلام، بل يقول كما قال الله تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ \* لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ \* وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ \* وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ \* وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ \* لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 1 - 6] قال المفسرون: أي: لكم دينكم وهو الكفر، ولي ديني وهو الإسلام، فهذه الآية القصيرة ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ فيها براءةٌ من جميع الكافرين، وإعلانٌ واضحٌ بتميز المسلم عنهم، وعدمِ مداهنتهم، وفيها ردٌّ كافٍ على كلِّ من يريدُ أن يَخلطَ الإسلامَ بالكفر، والحقَّ بالباطل، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: 32]، ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ \* مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: 35، 36]، فالحمد لله على نعمة الإسلام والسنة، ونسأله الثبات على دينه حتى نلقاه، يا وليَّ الإسلامِ وأهلِه ثبِّتنا عليه حتى نلقاك، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولجميع عبادِ الله الصالحين المسلمين، من الأولين والآخرين.

**الخطبة الثانية:**

الحمد للهِ فاطرِ السماوات والأرضِ، جاعلِ الملائكةِ رسلًا أولي أجنحةٍ مثنى وثلاث ورباع، يزيد في الخلق ما يشاء، إن الله على كل شيء قدير، ما يفتِح اللهُ للناس من رحمةٍ فلا ممسك لها، وما يمسكُ فلا مرسلَ له من بعده، وهو العزيز الحكيم، ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ \* خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: 2، 3]، الحمد لله، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، والسلامُ على من اتبع الهدى، وبعد:

يجب على المسلم أن يواليَ جميعَ المسلمين، وأن يتبرأَ من جميعِ الكافرين، فإن لم يفعلِ المسلمون ما يجب عليهم من الموالاة والمعاداة حصل شرٌّ عظيم، قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: 71]، وقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: 73]، فالولاء والبراء من أعظم واجبات الدين، ومن أسباب النصر والتمكين، فواجبٌ على كل مسلم أن يوالي في الله، وأن يعادي في الله، وأن يحب في الله، وأن يبغض في الله، فيُحِبُّ جميعَ المؤمنين ويناصرُهم، ويعادي جميعَ الكافرين ويُبغِضُهم ويتبرأُ منهم، فأوثق عُرى الإيمانِ الحبُّ في الله، والبغضُ في الله، قال الله تعالى في وجوب موالاة جميع المؤمنين من السابقين والآخرين: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ \* وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: 55، 56]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: 51]، وقال عز وجل: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: 22].

أيها المسلم، لا يعني وجوبُ بُغضِ الكافرِ أن تظلمه، بل يجب العدلُ معه، والإحسان إليه مشروعٌ، وحُسنُ أخلاقِ المسلمِ في تعامله مع الكفار غيرِ المحاربين يدعوهم إلى الإسلام، وإنما الواجبُ أن تُبغضهم لكفرهم باللهِ ورسوله، وتكذيبِهم بكتابِ الله وسنةِ رسوله، وتمرُّدِهم على توحيدِ الله، وإعراضِهم عن عبادة خالِقِهم، من دون أن تظلمهم، قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8]، ويجوزُ التعاملُ مع الكفار في المعاملات الدنيوية كالبيع والشراء والإيجار والاستئجار، مع الحذرِ والتيقظِ في التعامل معهم حتى لا يضروا المسلمين بشيء؛ فإنهم أعداءُ اللهِ ورسولِه والمسلمين، وقد حذَّرنا الله من طاعتهم والركون إليهم وموالاتهم، وأخبرنا عن كيدِهم ومكرِهم لنحذرَهم.

أيها المسلمون، ويجب الحذرُ من الاغترار بالكفار المترَفِين، قال الله سبحانه: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ \* مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: 196، 197].

ويجب الحذر من فتنة النظر إلى نِعمةِ الكفار المترَفِين وحسنِ أثاثهم وجمالِ صوَرِهم، قال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾ [مريم: 74] قال المفسرون: أي: وأهلكنا قبل كفار هذه الأمة كثيرًا من الأمم الماضية وكانوا أحسنَ منهم في أمتعة مساكِنِهم، وأكثرَ أموالًا منهم، وأجملَ في منظرِهِم وصوَرِهم، فأهلكهم اللهُ بسبب كفرهم.

ويقول ربنا سبحانه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: 131]، فاحذر - يا مسلم - أن تُفتن بالنظر إلى الأموال واللباس والصور وغير ذلك من متاع الدنيا الغرَّارة، قال النبي ﷺ: ((إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))، فالله يُمتِّع بالصور كما يُمتِّع بالأموال، وكلاهما من زهرة الحياة الدنيا الفانية، وكلاهما يُفتِن أهلَه، والهلكى رجلان: مستطيع، وعاجز، فالعاجز مفتونٌ بالنظرِ ومد العينِ إلى زهرة الدنيا، والمستطيع مفتونٌ فيما أوتي منها، غارقٌ بملذات الدنيا وشهواتِها عن عبادة الله وطاعته.

يا عباد الله، كثيرٌ من الناس يُفتَن بما عليه الكفار من التقدم والتكنولوجيا والتطور في الدنيا، ويظن أنَّ هذا الخير الدنيوي دليلٌ على أنهم في الآخرة من الفائزين بالجنة، والناجين من النار، وهذا ضلالٌ مبين، فاللهُ يبتلي من يشاء بالغنى، سواء كان مؤمنًا أو كافرًا، ويبتلي من يشاء بالفقر، سواء كان مؤمنًا أو كافرًا، ويبتلي كلَّ إنسان بالخير والشر؛ ليتبين الصابرُ والشاكر، قال الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: 35]، وقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ \* وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر: 15، 16].

أيها المسلمون، كان نبيُّنا محمدٌ ﷺ يقول: ((اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَةِ)).

لا تَرْكَنَنَّ إِلى الْقُصُورِ الْفَاخِرَة ... وَاذْكُرْ عِظَامَكَ حِينَ تُمْسِي نَاخِرَة

وَإِذَا رَأَيْتَ زَخَارِفَ الدُّنيَا فَقُلْ ... يَا رَبِّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الآخِرَة

أيها المسلمون، يقول الله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ [المزمل: 11]، وقال تبارك وتعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: 17]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ [الأحقاف: 35] أي: ولا تستعجل للكافرين حلول عذابِ اللهِ عليهم فتدعو الله أن يُعجِّله عليهم، فهم مُعَذَّبون لا محالة في الوقت الذي قدَّره الله لهلاكهم كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: 84]، فيجب على المسلم أن لا ينخدع بما أعطى اللهُ الكفار والمنافقين المترَفين في الدنيا من الأموال والملاذ والشهوات، فالدنيا جنة الكافر، قال الله تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ \* أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ \* ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ \* مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء: 204 - 207]، فالله يُملِي لهم ويُمهلهم إلى آخرِ آجالهم، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ \* وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: 182، 183]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: 61].

وإنَّ من رحمةِ اللهِ سبحانه وسِعةِ حلمه أنَّه يُمهِل الكافرين والظَّلمةَ والفسقةَ عسى أن يتوبوا، ولِيُقيم عليهم الحجةَ البالغة، كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ [الكهف: 58]، ومن حكمة الله أنه يترك الكفار والمنافقين والظالمين والغافلين في ضلالهم حيارى إلى أن يأتيهم عذابٌ في الدنيا أو يتركهم إلى آخِرِ آجالِهم وقد استكثروا من السيئات واستحقوا أبلغ العقوبات، فلا يصح أن نستعجلَ عذابهم قبل وقته الذي قدَّره الله لهلاكهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس: 11]، وقال سبحانه: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ \* أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ \* نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: 54 - 56]، وقال عز وجل: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [آل عمران: 178]، وقال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ))، ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102].

فمن الخطأِ استعجالُ عذابِ الكافرين والظالمين، وإنما المشروعُ عند الدعاءِ على الكفار والظلمة أن يكون الدعاءُ عليهم من غيرِ توقيتٍ ولا استعجال، والله يفعلُ ما يشاء، ويُنزِّلُ عذابه عليهم متى شاء، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227].

اللهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِلْمُؤْمِنِينَ، وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ، وَانْصُرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللهُمَّ الْعَنِ الكَفَرَةَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ وَيُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيُقَاتِلُونَ أَوْلِيَاءَكِ، اللهُمَّ خَالِفْ بَيْنَ كَلِمَتِهِمْ، وَزَلْزِلْ أَقْدَامَهُمْ، وَأَنْزِلْ بِهِمْ بَأْسَكَ الَّذِي لَا تَرُدُّهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ، اللهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ وَلَا نَكْفُرُكَ، وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُكَ، اللهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ، نَرْجُو رَحْمَتَكَ وَنَخْشَى عَذَابَكَ، إِنَّ عَذَابَكَ الْجِدَّ بِالْكُفَّارِ مُلْحِقٌ. اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا.

اللهم صلِّ وسلِّم على نبينا محمدٍ وعلينا وعلى جميعِ عباد الله الصالحين من السابقين واللاحقين.

## (23) وجوب تحكيم شريعة الإسلام وبيان أنها صالحة لكل زمان ومكان

الحمد لله الذي أنزل القرآنَ المبين، على رسولِه محمدٍ خاتَمِ النبيين، هدىً وتذكرةً للمتقين، ورحمةً وموعظةً للمؤمنين، أرسل الله رسوله رحمةً للعالمين، بشيرًا ونذيرًا ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وللحق كارهون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أُقِرُّ له بالربوبية والألوهية، وبأنه يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، من اتَّبعَ شريعته اهتدى، ومن أعرض عنها ضلَّ وغوى، أما بعد:

فالله وحده يُحِلُّ ما يشاء، ويُحرِّم ما يشاء؛ بعلمٍ وحكمة، وليس لأحدٍ أن يُحلِّل أو يُحرِّم أو يُشَرِّع غير الله وحده، حتى الأنبياء فإنهم مبلِّغون عن الله، واجتهادُ فقهاءِ الصحابةِ والعلماءِ من بعدهم ليس تشريعًا، بل هو فهمٌ للقرآن والسنة، وتطبيقٌ لمبادئ الدين، فقد انتهى التشريع بوفاة الرسول ﷺ، ثم ابتدأ الفقهُ يستمدُّ مضمونه من نصوص القرآن والسنة، بما يُصلحُ الناس في دينهم ودنياهم، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل:116].

أيها المسلمون، الشريعة الإسلامية وافيةٌ بجميع الأحكام التي تحتاج إليها البشرية في تدبيرِ شئونها، وتنظيمِ حياتِها، صالحةٌ لمسايرةِ الحياة في جميع تطوراتها، ومراحلِ تقدُّمِها ورُقِيِّها، تُزوِّدُها في كل عصرٍ وكلِ جيلٍ بما يكفَلُ لها السعادة، ويُسبِغُ عليها السلامُ والأمنُ والعدل.

وشرعُ الله لا يُنسَخ إلا بأمر الله وإذنه، كما نُسِخَتِ الشرائعُ السابقة كشريعة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، حيث أنزلها الله خاصةً مؤقتةً، ولم يجعلها عامةً مؤبدةً، وشريعةُ خاتمِ النبيين محمدٍ ﷺ عامةٌ مؤبدةٌ إلى يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ:28]، وقال سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1]، وقال عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:107].

أيها المسلمون، شرع الله لهذه الأمةِ تشريعَه الحكيم، وهو يعلمُ السر وأخفى، ويعلم ما يُصلِح خلقه وما يفسدهم، ويعلم ما يأتي من أحوال في آخر الزمان، فهي شريعةٌ كاملةٌ شاملة، وما مات النبي عيه الصلاة والسلام إلا وقد أكملها الله كما قال سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:3].

والشريعةُ الإسلاميةُ لم تأتِ لقومٍ دون قوم، أو لدولةٍ دون دولة، وإنما جاءت للناس كافةً من عربٍ وعجم، على اختلافِ مشارِبهم، وتباينِ عاداتهم وتقاليدهم وتاريخهم، فهي شريعةٌ صالحةٌ لكلِّ إنسانٍ، ولكلِّ أسرة، ولكل قبيلة، ولكل شعب، ولكل دولة.

الشريعةُ الإسلاميةُ جامعةٌ تحكمُ كلَّ حالة، مانعةٌ لا تخرج عن حكمها حالة، شاملةٌ لأمور الأفراد والجماعات والدول، تُنظِّمُ بمرونتها وسعتها وحِكمتها الأحوالَ الشخصية، والمعاملاتِ المالية، وتُنظِّمُ شئون الحُكمِ والإدارةِ والسياسةِ، كما تُنظِّم علاقاتِ الدولِ بعضِها ببعض.

أيها المسلمون، من زعم أنَّ حكمَ اللهِ صالحٌ للزمن الذي نزل فيه في عهد النبي وأصحابه فقط، وأنَّ للناس بعدهم أن يُشرِّعوا ما يرونه صالحًا ولو كان مخالفًا لحكم الله؛ فقد كفر كفرًا بواحًا؛ لأنَّه يعتقدُ نقصَ الشريعة الربانية، ويظنُّ أنَّ عِلمَ الله سبحانه يختلف بين علمِ المشاهَد والغائب، ويرى أن يُقدِّم الإنسانُ علمَه لحاضره على عِلمِ الله للغائب عند إنزال وحيه على نبيه، وهذا كفرٌ وسوءُ ظنٍّ بالله، فإنَّ الله يستوي علمه بالأشياء غيبًا وشهادة، وحكمُ الله في الشهادة كحكمِه في الغيب.

قال العلماء: من حلَّل الحرامَ المجمعَ عليه أو حرَّم الحلالَ المجمعَ عليه أو بدَّل الشرع المجمعَ عليه كان كافرًا مرتدًا باتفاق الفقهاء.

فيجب أن نعلمَ أن الشريعةَ الإسلاميةَ لم تأتِ لعصرٍ دون عصر، أو لزمنٍ دون زمن، وإنما هي شريعةُ كلِّ وقت، وشريعةُ الزمنِ كلِّه حتى يرث اللهُ الأرض ومن عليها، لا يؤثِّر عليها مرورُ الزمن، وتتابعُ القرون، ففي نصوصِها من العمومِ والمرونةِ ما يجعلُها تحكمُ كلَّ حادثةٍ جديدةٍ، ونصوصُ الشريعةِ ثابتةٌ غيرُ قابلةٍ للتغيير والتبديل كما تتغيرُ نصوصُ القوانين الوضعية وتتبدل، وأساسُ الفرقِ بين الشريعةِ والقانونِ أن الشريعةَ من عندِ اللهِ، وهو عالمُ الغيبِ الذي وضع للناس تشريعًا صالحًا لكل زمان ومكان، أما القوانينُ فوضعها البشر بقدر حاجتِهم الوقتية، وما يظنونه مناسبًا في زمانهم، فيحصل في قوانينهم المخالفةِ للشريعة ظلمٌ ونقصٌ وخللٌ من جهاتٍ متعددة؛ ولذلك يضطرون كثيرًا لتغيير نصوص القوانين، أما أحكامُ الشريعةِ المنزَّلةِ من عند الله سبحانه فهي ثابتةٌ لا تتغير بتغير الأزمان، ولا تتبدل بتبدل البلدان والأشخاص، ولا تقبل الاجتهاد، كأركانِ الإسلام والإيمان، وأمورِ العقيدة، وجميع الأحكام الفقهية التي لا مجال للاجتهاد فيها كالصلاة والزكاة والصيام والحج وأحكامِ النكاحِ والمواريثِ والقصاصِ والحدودِ ونحو ذلك، وتحريمِ الظلمِ والزنا والربا والخمر والسرقة، فهذه الأحكام لا تتبدل بتبدل الزمان، وأما الأحكام الاجتهادية التي بُنِيت على العرفِ ودواعي المصلحة فيجوز في الشريعةِ أن تتبدل بتبدل الزمان وأخلاق الناس، فمثلًا القضاء كان يقوم به قاض واحد في الزمن الماضي، فيجوز الآن أن يكون القضاء من جماعةِ قضاةٍ لا من قاضٍ واحد، وكذلك لا بأس بإنشاء المجامع الفقهية ولجان الفتوى الجماعية، وهكذا يجوز في الشريعة إنشاءُ الجامعات العلمية، ونحو ذلك مما لم يكن في الزمن الماضي، فهذا تغييرٌ في الوسائل للوصول إلى تحقيق المصالح العامة، وكذلك يتغيرُ الحكمُ المبنيُّ على العرف بتغير أعراف الناس المختلفة؛ ولذلك قال الفقهاء: العادة مُحكَّمة، فإن اختلف مثلًا مستأجِرُ بيتٍ مع مالك البيت في شيءٍ ليس مكتوبًا في عقد الإيجار فيُرجع في ذلك إلى العرف في ذلك الزمان والمكان، وإن اختلف مستأجرُ سيارة مع صاحب السيارة في قدر الأجرة فيُرجع في تقدير الأجرة إلى العرف الذي يختلف باختلاف الزمان والمكان والحال.

أيها المسلمون، الإسلام جاء لإصلاح الناس في دينهم ودنياهم، وفيه حلُّ جميعِ مشاكلهم، وهو شاملٌ كاملٌ في جميع نواحي الحياة، ومن جعل لله الحكم في الأمور الدينية، وللبشر الحكمَ في الأمور الدنيوية فقد كفر؛ لأنَّ الشرع كله لله وحده لا شريك له، ومن جعله حقًا لغير الله فهو كمن جعل السجود لغير الله، والله يقول: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:40]، فخلاصة الدين شيئان: أن يكون الحكمُ لله وحده، وأن تكون العبادةُ لله وحده، وقد كفر أهلُ الكتاب من اليهود والنصارى حين جعلوا الحكم لغير الله، فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيتُ النبي ﷺ وسمعته يقرأ قول الله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 31]، قلت: يا رسول الله إنهم لم يكونوا يعبدونهم! قال: ((كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ، فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ لَهُمْ)).

أيها المسلمون، الشريعة الإسلامية جاءت لتنظيم أمور الدين والدنيا، وتحقق المصالحِ الدينية والدنيوية لجميع الناس، تكمل لهم المصالح وتنميها، وتدفع عنهم المفاسد وتقللها إن وجدت، وتخفف آثارها بعد وقوعها كالطلاق والقصاص، والشريعة الإسلامية تُقدِّم مصلحةَ الجماعةِ على مصلحةِ الفرد إذا تعارضتِ المصلحتان، وتُقدِّم دفعَ الضررِ العامِ على دفعِ الضررِ الخاصِ إذا لم يُمكن دفعُهما معًا.

أيها المسلمون، الإسلام جاء ليحكم بين الناس في جميع أمورهم، وينظم حياتهم، وأطولُ آية في كتاب الله هي آية المداينة في سورة البقرة، نزلت لتنظيم أمور الدين في المعاملات المالية، حتى لا تضيعُ أموالُهم فيندموا على تفريطِهم، فالله لم يأمرنا في شريعته إلا بما ينفعنا في ديننا ودنيانا، ولم ينهنا إلا عما يضرنا في ديننا ودنيانا، والشريعةُ الإسلامية سهلةٌ سمحة، ليس فيها ضِيقٌ على العباد ولا حرج، فالأصل في المعاملات والعقود والسياسات أنها جائزة ما لم تخالفِ الشريعة بسبب ظلمٍ أو نحو ذلك، وكلُّ ما ينفع الناسَ ويدفعُ الضررَ عنهم جائزٌ في الإسلام وإن لم تنصُّ الشريعةُ على جوازه خصوصًا، وكلُّ ما يضر الناسَ في دينهم أو دنياهم محرمٌ في الإسلام وإن لم تنصُّ الشريعةُ على تحريمه خصوصًا، وفي القرآن والسنة أدلةٌ عامة تدخل فيها كثيرٌ من الأمور المستجدة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:90] وقول النبي ﷺ: ((لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ))، قال العلماء: السياسة ما كان فعلًا يكون معه الناسُ أقربَ إلى الصلاح، وأبعدَ عن الفساد، وإن لم ينزل به وحيٌ، ما لم يخالفْ نصًا شرعيًّا، وقال العلماء: لا يَحرُم على الناس من المعاملات التي يحتاجون إليها إلا ما دل الكتابُ والسنة على تحريمه، كما لا يُشرَع لهم من العبادات التي يتقربون بها إلى الله إلا ما دل الكتاب والسنة على شرعه؛ إذ الدين ما شرعه الله، والحرام ما حرمه الله.

أيها المسلمون، الإسلام جاء لإصلاح الناس في دينهم ودنياهم، فالدين الإسلامي شاملٌ كاملٌ في جميع نواحي الحياة، وكل ما يصدر من المكلفين من اعتقادٍ أو قولٍ أو عملٍ فله حكمٌ في الشريعة، فإما أن يكون واجبًا أو مندوبًا أو محرَّمًا أو مكروهًا أو مباحًا، وكلُّ تصرف كائنًا ما كان يصدر من فرد أو جماعة أو دولة فإما أن يكون في الشريعة صحيحًا أو فاسدًا.

أيها المسلمون، في نصوص القرآن والسنة ما يغنينا عن كل ما سواهما، فتأملوا مثلًا قولَه تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: 58]، ففي هذه الآية الأمرُ بأداء الأمانات، وتركِ الخيانة، والحكمِ بين الناس بالعدل، فما أعظمها من آيةٍ لإصلاح البشرية في جميع معاملاتهم المالية، وفيها الطريق العادل لحل جميع مشاكلهم!

وتأملوا قول الله سبحانه: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 38]، ففي هذه الآيةِ مشروعيةُ التشاورِ بين المسلمين في المسائلِ الاجتهادية التي ليس فيها نصٌ ولا إجماع، فيجب على المسلمين أن يتشاوروا فيما ينفعهم، ويشاوروا المتخصصين في كل علمٍ للنظر في المصالح والمفاسد وتقييمها؛ ليعرفوا ما يقدِّمونه عند التعارض والاختلاف، وما يعتمدونه في النوازل المستجَدَّة.

وتأملوا قول النبي ﷺ: ((احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ))، فهذا الحديث يدل على أنَّ كل ما ينفع المسلم في أمورِ الدين أو الدنيا فعلى الفرد والأسرة والشعب والدولة أن يحرصوا عليه، ومفهومُ الحديثِ أنَّ كل ما يضر المسلم في دينه أو دنياه فالمسلم مأمورٌ باجتنابه، فما أعظم هذا الحديثَ الذي هو من جوامعِ الكلم التي أوتيها نبينا محمد ﷺ! فهذا الحديث وحده منهجُ حياةٍ يغني عن كلِّ دساتير الدنيا، فالحمد لله على نعمة الإسلام والقرآن والسنة.

أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله الذي يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، والصلاة والسلام على رسوله محمدٍ خاتمِ النبيين، الذي أوجب الله طاعَتَه واتِّباعه على الناس أجمعين، وبعد:

ففي التمسك بشريعة الله كلُّ خيرٍ وبركة في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 96]، وقال سبحانه: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن:16].

أيها المسلمون، تمتاز الشريعة الإسلامية على القوانين الوضعية بالكمال، فقد استكملت كل ما تحتاجه الشريعة الكاملة من قواعد ومبادئ تكفَل سدَّ حاجات الشعوب في الحاضر القريب والمستقبل البعيد.

وتمتاز الشريعة الإسلامية على القوانين الوضعية بالدوام والثبات والاستقرار، فنصوصها لا تقبل التعديل والتبديل مهما مرت الأعوام وتبدلت الأزمان، فهي صالحةٌ لكل زمان ومكان.

وتمتاز الشريعة الإسلامية باليسر والسهولة، ومراعاة حاجة الناس وضعفهم، فلا واجب مع العجز، ولا محرم مع الضرورة، قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78].

أيها المسلمون، الإنسان عبدٌ لله، خلقه الله لعبادته، وأمره بالتمسك بشريعته، ومن الخطأ والضلال أن تُفهَمُ الحرية بأنها الخروجُ عن شريعة الله، ومخالفةُ أمره ونهيه، فهذا تقديسٌ للنفس وما تهواه، وتقديمٌ لشهواتها على مراد الله، وعبوديةٌ للنفس وجعلها شريكًا لله سبحانه، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: 23].

فمن سوَّغ لنفسه أو لغيره أن يقول أو يفعل ما يشاء فقد أقر بعبوديته لهواه وشيطانه، وهو أضل الناس كما قال سبحانه: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 55].

والحرية في الإسلام مقيدة بأن تفعل ما تشاء مما أباحه الله للعباد، وبهذا تنضبط الحياة، فلا يظلمُ أحدٌ أحدًا، ويأخذ كلُّ إنسانٍ حقه من المباحات من غيرِ أن يُدخِل الضرر على غيره لمصلحته الخاصة، فلا يجوز في الإسلام أن يضر الإنسانُ نفسه أو غيره، فالضرر يُزال شرعًا.

فليس من الحرية أن يُشَوِّه الإنسان صورته أو يقطع بعض أعضائه، وليس من الحرية أن ينتحر الإنسان أو يقتل أولاده أو يُجهض الجنين الذي في بطن أمه، وليس من الحرية أن يسرق وينهب ويظلم، فيعيش الناس فوضى في خوف وقلق، وليس من الحرية أن يُسرِف ويُبذِّر الأموال التي جعلها الله قيامًا لمصالح العباد، وليس من الحرية أن يزني الرجال والنساء فتفسد الأخلاق، وتختلط الأنساب، ولا يأمن أحدٌ على عرضه، ولا يتيقن مِن ولده، وتُنزع الرحمة والشفقة بين الآباء والأولاد، وتتفكك الأسر، ويعيش المجتمع في فتن الشهوات والأمراض الجنسية والنفسية والمشاكل الاجتماعية، وليس من الحرية التعامل بالربا فيزداد الغني غنًى بلا عمل، ويزداد الفقير فقرًا بلا أمل، ويبقى المال دُولةً بين كبار الأغنياء يبتزون جهود المساكين ويستغلون حاجتهم، ويأكلون أموالهم بالباطل ظلمًا وبغيًا.

وقد ظهر بين المسلمين منافقون يدْعُون إلى الحرية الباطلة المخالفة لشريعة الله سبحانه، ويسعَون إلى فصل حكم الدين عن حكم الدنيا، ويزعمون أنَّ الله يُشرِّع للدين، والإنسان يُشرِّع للدنيا، وهذا كفرٌ بواحٌ، حيث جعلوا هناك مشرِّعين متعددين، والتشريع حقٌ لله وحده، قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: 21].

وظهرت العديد من التيارات الفكرية التي تدعو لفهم النصوص الشرعية من غير رجوعٍ إلى العلماء المتخصصين في علوم الشريعة، ويتلاعبون بنصوص القرآن والسنة، ويحرفون معانيهما بما يوافق أهواءهم، ويدْعُون إلى الفوضى الفكرية التي يسمونها حرية الأفراد في الرأي والتعبير، ويخوضون في غير تخصصهم، ويدْعُون إلى حرية الاعتقاد ولو برفض أحكام الشريعة، وظهر لهؤلاء المتلاعبين بنصوص الشريعة أقوالٌ شاذةٌ، وضلالاتٌ شنيعة، ووصل الحالُ ببعضهم إلى الزندقة، والخروجِ من الإسلام بدعوى الحرية!

أيها المسلمون، لا يجوز الجلوس مع المستهزئين بآيات الله، ولا متابعتهم، قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: 140].

أيها المسلمون، مَنْ كفَرَ ببعضِ القرآن فقد كفَرَ به كلِّه، قال الله عز وجل: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [البقرة: 85، 86]، وقد حذَّر الله سُبْحانَه من الخروج عَنْ حُكْمِهِ، وجعل ذلك فتنة فقال: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: 49]، ومما يسبب الفتنة مخالفة الشريعة كما قال الله عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63].

أيها المسلمون، لا يَجوزُ أَنْ يُقدَّمُ حكمُ الناسِ واختيارُهُمُ المُناقِضُ لحكمِ اللهِ، ولا عبرةَ بالأغلبية إذا اختارتِ الباطل، قال الله سبحانه: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام:116]، فالحكم في الإسلام لله العلي الكبير، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: 57]، وليس للأغلبية، ولا يجوز أن يُعطى حقُّ التشريع لأحدٍ من البشر كائنًا من كان، وواجبٌ علينا أن نرد جميع خلافاتنا إلى كتاب الله وسنة رسوله، قال الله تعالى: ﴿فَإن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59]، وقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65].

اللهم فقِّهنا في دينك، ووفقنا للعملِ بشريعتك، وتحكيمِ كتابِك وسنةِ نبيك، اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم يا رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السماوات والأرض، عالمَ الغيب والشهادة، أنت تحكمُ بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختُلِف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم، اللهم اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين، آمين.

## (24) فضل الإسلام وبيان حكم المرتد

الحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، السابقة واللاحقة، ما نعلم منها وما نجهل، الحمدُ لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، اللهم إنا نُثني عليك ولا نكفُرَك، ونعبدك وحدك لا شريك لك، نركعُ ونسجدُ لك ذُلًّا وخضوعًا، ونصلي ونصومُ لك شكرًا وتعظيمًا، وندعوك خوفًا وطمعًا، نخاف عذابك، ونرجو رحمتك، لا ملجا لنا منك إلا إليك، ولا حول لنا ولا قوة إلا بك.

وأشهد أنَّ محمدًا عبدُ الله ورسولُه، أرسله للناس عامة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه. أما بعد:

فالإسلام هو دين الله الذي رضيه لعباده، ولا يرضى لهم سواه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19]، وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85]، فالدين عند الله واحد، وهو الإسلام، وهو دينُ جميعِ الأنبياء، وإن اختلفت بعضُ الشرائع، وقد بدَّل اليهودُ والنصارى دينَ الإسلامِ، وغيَّروا اسمَ الإسلام إلى اليهودية والنصرانية، بل غيَّروا حتى اسمَ اللهِ، فسماه اليهود يَهْوَه (Yhwh)، وسماه النصارى قَاد ((God، مع أن أسماء الأعلام لا تتغير بتغير اللغات، وضيعوا الصلاة فصارت عندهم بلا ركوعٍ ولا سجود، وغيَّروا الصيام، فاليهود يصومون خمسة أيام في السنة، من غروب الشمس إلى غروبها، بلا سحور، والنصارى يأكلون ويشربون في صومهم، وإنما يمتنعون من تناول اللحوم ومنتجات الألبان، فصار صومهم بلا معنى، فضيعوا دين الإسلام الذي كان عليه الأنبياء، فمن رحمة الله أن أرسل للبشرية نبيه محمدًا ﷺ، وجعله خاتم الأنبياء، فرسالةُ النبي محمدٍ ضروريةٌ لبيان دين الله الحق الذي ضيعه أهلُ الكتاب وبدَّلوه وحرَّفوه، قال الله سبحانه: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ \* رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً \* فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ \* وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [ البينة:1-4]، ولا يليق بحكمة أرحم الراحمين أن يترك الناس في الضلال، ولا يرسل إليهم رسولًا يبين لهم الحق من الباطل، قال الله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، وقال: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: 1].

أيها المسلمون، جعل الله أمة محمدٍ خير أمةٍ أُخرِجت للناس، هداهم الله بكتابه وسنةِ رسوله، وجعلهم وسطًا عَدْلًا خِيارًا، فهم وسطٌ في توحيد الله وأسمائه وصفاته، وفي الإيمان بجميع رسله وكتبه، وهم وسطٌ في شرائع دينه، فأمرهم بالمعروف، ونهاهم عن المنكر، وأحل لهم الطيبات، وحرم عليهم الخبائث، ولم يُحرِّم عليهم شيئًا من الطيبات كما حرَّم على اليهود الإبل والشحوم، ولم يُحِل لهم شيئًا من الخبائث كما استحلَّت النصارى الخنزير.

ولم يُضيِّق الله على المسلمين باب الطهارة والنجاسة كما ضيَّق على اليهود، ولم يرفع عنهم طهارة الحدث والخبث كما رفعته النصارى.

واليهود يبالغون في طهارة أبدانهم مع خبث قلوبهم، والنصارى يدَّعون أنهم يُطهِّرون قلوبهم مع نجاسة أبدانهم، والمسلمون يُطهِّرون أبدانهم وقلوبهم جميعًا.

والمسلمون لم يستكبروا عن عبادة الله كفعل اليهود، ولا أشركوا بعبادته كفعل النصارى.

والمسلمون لم يجعلوا الخالق سبحانه متصفًا بخصائص المخلوق: من الفقر، والبخل، والعجز، والتعب كما يصفه اليهود، ولا جعلوا المخلوق متصفًا بخصائص الخالق سبحانه كفعل النصارى حيث عبدوا عيسى عليه الصلاة والسلام، وجعلوه إلهًا مع الله.

والمسلمون وسطٌ في المسيح، فاليهود يقولون: هو ساحرٌ وكذابٌ وابنُ زنا، ونحن قتلناه، والنصارى يقولون: هو إلهٌ وثالثُ ثلاثة وابنُ الله وأنه قُتِل وصُلِب ثم ارتفع إلى السماء ونحن نعبدُه، والمسلمون يقولون: هو عبدُ الله ورسولُه، وهو عيسى ابنُ مريم خلقه الله بلا أبٍ ليجعله للناس آية، وأيده بالمعجزات العظيمة، فلما كذَّبه اليهود وأرادوا قتله نجاه الله منهم ورفعه إلى السماء، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا \* بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:157-158].

واليهود قتلوا النبيين والذين يأمرون بالقسط وبخسوهم حقوقهم، والنصارى غَلَوا في الأنبياء والصالحين واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم، والمسلمون آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله، ولم يُفرِّقوا بين أحد من رسله، وآمنوا بجميع النبيين، وبكل كتاب أنزله الله، فلم يُكذِّبوا أحدًا من الأنبياء، ولا غلوا فيهم ولا عبدوهم، وكذلك أهل العلم والدين لا يبخسونهم حقهم، ولا يَغلُون فيهم.

والمسلمون لا يُجوِّزون لأحدٍ كائنًا من كان أن يُغيِّر شيئًا من شريعة الله، فلا يُحلِّلون ما حرَّم اللهُ ورسوله، ولا يُحرِّمون ما حلَّل اللهُ ورسوله، وليست عقيدةُ المسلمين آراءَ مجامعَ ولا قراراتِ كنائس، بخلافِ النصارى الذين ابتدعوا بعد المسيح بِدَعًا ليست مذكورة في كتبهم، ولا أنزل الله بها من سلطان، مثلُ تعظيمِ الصليبِ واستحلالِ لحمِ الخنزير وتركِ الختان، ويزعم النصارى أنَّ ما شرعه أكابرهم من الدين فإنَّ المسيح يُمضيه لهم، ويجعلوه دينًا لهم وإن خالف أناجيلهم!

أيها المسلمون، رسالةُ النبيِّ محمدٍ ﷺ عامةٌ لجميع المكلفين عربِهِم عجمِهِم، وإنسِهِم وجنِّهِم، كما قال الله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: 28]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1]، وقال النبي محمدٌ ﷺ: ((كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً)).

فكل من سمع بالنبي محمد صلى الله عليه سلم ولم يؤمن به فهو كافرٌ من أهل النار كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: 17]، وفي الحديث الصحيح أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)).

أيها المسلمون، من مات على الكفر فعليه لعنةُ الله، وحبط ما عمله من الأعمال الصالحة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: 161]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: 65]، وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان:23]، فما عمله الكافرُ في حياته من خيرٍ كنفع الناسِ فهذا تَسخِيرٌ كَوْنيٌّ له من الله؛ كتسخير الله سائرَ المنافعِ للعبادِ كالشمس والقمر والرياح والسحاب والبحار والماء والهواء، والعمل الصالح بلا إيمان لا ينفع صاحبه في الآخرة، وإن كان ينفعه في الدنيا بزيادة الرزق والعافية، ففي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا)).

أيها المسلمون، اعلموا أن اليهود يعتقدون أنَّ الإله واحد، ولم ينفعهم ذلك؛ لأنهم كفارٌ كذَّبوا النبي عيسى ثم النبي محمدًا صلى الله عليهما وسلم، وغضب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل ثم بالقرآن، والنصارى فرقٌ كثيرة، منهم مَنْ يقول: عيسى إله، ومنهم من يقول: هو ابنُ الله، ومنهم من يقول: هو ثالثُ ثلاثة، ومنهم من لا يقول بأنَّ عيسى إله، لكنهم يشركون بالله في دعائهم عيسى ومريم، وجميعهم يكفرون بمحمدٍ ﷺ، وبعض النصارى يعتقد أنه رسول للعرب فقط، ويُكذِّب بأنه رسولٌ للعالمين، وكلُّهم كفرةٌ لا يؤمنون بآيات القرآن، ولا يُحرِّمون ما حرَّم الله ورسوله محمدٌ ﷺ، ولا يدينون دين الحق الذي بعث به محمدًا ﷺ، وقد أخبر الله عن كفر اليهود والنصارى لكونهم يؤمنون ببعض الأنبياء ويكفرون ببعض، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا \* أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: 150، 151].

أيها المسلمون، الواجب على كل إنسان أن يستسلمَ لله بالتوحيد، وينقادَ له بالطاعة، ويتبرأَ من الشركِ وأهله، ويتمسك بشريعة الإسلام التي رضيها الله لعباده، وأمرهم أن يعملوا بها، ويحتكموا إليها، ولا يجوز للمسلم أن يداهن الكافرين بقولٍ أو فعل، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: 18]، وواجبٌ علينا أن نرد جميع خلافاتنا إلى كتاب الله وسنة رسوله، قال الله تعالى: ﴿فَإن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59]، وقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65].

ولا يجوز أن نعارض قول الله وقول رسوله بقول أحدٍ كائنًا من كان، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: 1]، ولا يجوز أن نُعرِض عن حكمٍ ثابتٍ في كتاب الله وسنة رسوله بأي مبررٍ، فليست شريعةُ اللهِ خاضعةً لأهوائنا وآرائنا، بل يجب أن نخضع لها إن كنا مسلمين.

اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم أحينا مسلِمِين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، وأستغفر الله لي ولكم وجميع المسلمين.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله الذي شرع لنا الإسلام، وأنزل القرآن، وأرسل رسوله هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، وبعد:

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [يونس: 108]، فمن تمسك بالإسلام فقد اهتدى، ونفع نفسه في الدنيا والأخرى، ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 217].

أيها المسلمون، **الردة عن الإسلام تكون بخمسة أشياء:**

بالاعتقاد أو الشك أو القول أو الفعل أو ترك الفعل، سواء كان ذلك اعتقادًا أو عنادًا مع التصديق أو استهزاء ولعِبًا.

**مثال الردة بالاعتقاد:** أن يُنْكِرَ الإنسانُ وجود الله أو يعتقدَ كذِبَ القرآن أو يُكذِّبَ الرسولَ محمدًا ﷺ أو يُكذِّبَ بالبعث بعد الموت أو يعتقدَ صحةَ دينِ الكفار من اليهود والنصارى والبوذيين وغيرهم أو يُنكِرَ وجوبَ الصلوات الخمس أو يعتقدَ عدمَ وجوبِ الحكمِ بشرع الله أو يَكرَه شيئًا من دين الله وإن عَمِل به، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: 9].

**ومثال الردة بالشك:** أن يشكَّ في وجود الخالق أو صحةِ القرآن أو يشكَّ في البعث بعد الموت، ومن الأدلة عليه قوله سبحانه حاكيًا قول صاحب البُستانَين حين شك في قيام الساعة: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا \* قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: 36، 37].

**ومثال الردة بالقول:** أن يُشْرِكَ بالله بدعاء غيرِ الله، كأن يدعو المسيح أو يدعو مريم أو يدعو الرسول محمدًا أو يدعو قبر وليٍّ صالح أو يستهزئ بالله ورسوله وآياته أو يسب الله ورسوله أو يُحلِّل شيئًا محرمًا بالنص الصحيح الصريح والإجماع القاطع أو يُحرِّم شيئًا حلالًا بالنص والإجماع، حتى لو كان إنكاره بقوله عنادًا أو استهزاءً مع تصديقه بالحق، ومن الأدلة عليه قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ \* لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: 65، 66]، وقوله سبحانه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: 14].

**ومثال الردة بالفعل:** أن يُلقي المصحفَ الشريفَ في القاذورات أو يسجدَ لقبرٍ أو صنمٍ أو يستعملَ السحر باستخدامِ الشياطين أو يجلسَ مع الذين يخوضون في آيات الله بالكفر والاستهزاء مع عدم الإنكار عليهم، ومن الأدلة عليه قوله سبحانه: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: 140].

**ومثال الردة بالترك:** أن يتركَ الصلاة بالكلية، ويمتنعَ من أدائها، حتى وإن كان مصدِّقًا بالله واليوم الآخر، كما امتنع إبليسُ عن امتثال أمر الله بالسجود لآدم فكفر، مع تصديقه بالله وبالبعث وبالجنة والنار، قال النبي ﷺ: ((العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ)).

ومن سوَّغ لنفسه الخروج عن حكم الله وشرعه فهو كافر بالله، مستحقٌ للعقوبة في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ \* أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:49-50].

أيها المسلمون، الدخول في الإسلام واجب، والخروج منه ردةٌ توجب القتل، ففي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: ((مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ))، فيُستتاب المرتد فإن تاب وإلا قُتِل بحكمٍ قضائيٍّ شرعي، فالشريعة الإسلامية تعاقب على الردة بالقتل؛ لأنَّ الردة تقع ضد الدين الإسلامي الذي عليه يقوم النظام الاجتماعي للجماعة المسلمة، فالتساهل في هذه الجريمة يؤدي إلى زعزعة هذا النظام، ومن ثَمَّ عوقب عليها بأشد العقوبات استئصالًا للمجرم من المجتمع، وحمايةً للنظام الاجتماعي من ناحية، ومنعًا للجريمة، وزجرًا عنها من ناحية أخرى.

وأكثر الدول اليوم تحمي نظامها الاجتماعي بأشد العقوبات على من يخرج على نظامها أو يحاول هدمه أو إضعافه، وأول العقوبات التي تفرضها القوانين الوضعية لحماية النظام الاجتماعي هي عقوبة القتل، والإسلام لا يُبيح للمسلمين الخروجَ من الإسلام؛ لأنَّ هذا يُعتبر خِذلانًا لدين الله، والذي يرتد عن الإسلام ويجهرُ بردته يكون عدوًا للإسلام والمسلمين، فهو يُعلن بردتِه حربًا شعواء على الإسلام والمسلمين، أما من لم يجهر بردته فإنه منافق، يُعامل معاملة المسلمين بحسب الظاهر، وحسابُه على الله.

والردة ليست مجرد موقف عقلي، بل هي أيضًا تغييرٌ للولاء، وتبديلٌ للهُوية، وتحويلٌ للانتماء، فبعد أن أنعم الله على المرتد بالإيمان بالله ورسوله وكتابه باع دينه بعرضٍ من الدنيا قليل، واشترى الضلالة بالهدى، والعذاب بالمغفرة.

وإنَّ التهاون في عقوبة المرتد يُعرِّض المجتمع كلَّه للخطر، ويفتحُ عليه بابَ فتنةٍ لا يعلم عواقبَها إلا الله، فلا يلبثُ المرتد أن يُغرِّر بغيره من أقاربه وأصدقائه ومن حوله من البسطاء من الناس، وتتكون جماعةٌ تستبيح لنفسها الاستعانةَ بأعداء المسلمين، وبذلك تقع الأمةُ في صراعٍ وتمزقٍ فكريٍّ واجتماعيٍّ وسياسي، وقد يتطور إلى صراعٍ دموي وحربٍ أهلية، فمن حكمة الشريعة أن أمرت بقتل المرتد صونًا للمجتمع من شره، وردعًا للمنافقين من إظهار ما في قلوبهم من الكفر.

وإن الواجب على كل مسلم أن يوالي جميع المؤمنين، وأن يتبرأ من الكافرين والمرتدين، ولا يجوز لمسلمٍ أن يتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، فمن أحب الكافرين ونصرهم على المؤمنين فهو كافرٌ مرتدٌ، عدوٌ للإسلام والمسلمين، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: 51].

اللهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ، وَانْصُرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللهُمَّ الْعَنِ الكَفَرَةَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ وَيُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيُقَاتِلُونَ أَوْلِيَاءَكِ، اللهُمَّ خَالِفْ بَيْنَ كَلِمَتِهِمْ، وَزَلْزِلْ أَقْدَامَهُمْ، وَأَنْزِلْ بِهِمْ بَأْسَكَ الَّذِي لَا تَرُدُّهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ، اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا، وصلِّ اللهم وسلِّم على نبيِّنا محمد.

## (25) تدبر آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة

الحمدُ لله على نِعَمِه التي لا تُحصى، الحمدُ لله الذي خلقنا من العدَم، ورزقنا من النِّعم، ودفع عنَّا النِّقم، الحمدُ لله عدَدَ ما خلق، الحمدُ لله مِلءَ ما خلق، الحمدُ لله عددَ ما في السماوات وما في الأرض، الحمدُ لله على ما أحصى كتابُه، الحمدُ لله عددَ ما أحصى كتابُه، الحمدُ لله عددَ كلِّ شيء، الحمدُ لله ملءَ كلِّ شيء، الحمدُ لله ملءَ السماواتِ وملءَ الأرضِ، وملءَ ما بينهما، أحقُّ ما قال العبد، وكلُّنا لك عبد، اللهم لك الحمدُ على نِعَمِك الظاهرة والباطنة، والسابقة واللاحقة، والدينية والدنيوية، ما نعلمُ منها وما نجهل، لك الحمدُ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، نعبدُك وحدك لا شريك لك، نركعُ ونسجدُ لك ذُلًّا وخضوعًا، ونُصلي لك شُكرًا وتعظيمًا، وندعوك خوفًا وطمعًا، نخاف عذابَك، ونرجو رحمتَك، لا ملجا لنا منك إلا إليك، ولا حول لنا ولا قوة إلا بك.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله، مَنْ يتَّبِعْ سُنَّته فقد اهتدى، ومَنْ يرغَبْ عن سُنَّته فقد ضل وغوى، ومن اتقى الله فقد نجا، أما بعد:

فنتدبر معكم في هذه الخطبة آية الكرسي التي هي أعظم آية في كتاب الله، وفضلُها عظيم، ويُستحب قراءتُها بعد كل صلاة مفروضة، وعند النوم.

أيها المسلمون، هذه الآية المباركة فيها عشر جملٍ اشتملت على معانٍ عظيمة، يقول الله سبحانه:

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: 255] أي: الله لا معبود بحق إلا هو سبحانه، هو وحده المستحق للعبادة حبًا وتعظيمًا؛ لكمال صفاته، فلا أحدَ يشاركه في استحقاق العبادة، لا ملَكٌ ولا نبيٌ ولا وليٌ.

﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: 255]، هذان اسمان من أسماء الله الحسنى، فالله هو الحي حياة كاملة لم يتقدمها عدَم، ولا يَلحقُها موت، القيوم بمعنى: القائم بنفسه، والمقيم لجميع خلقِه بالإيجاد والرزق والتدبير، فهو الغني عن جميع خلقه، والخلق كلُّهم فقراءُ إليه، فلا يستغني أحدٌ من الخلق عن الله، كما قال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: 15]، وقال عز وجل: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود: 56]، وقال عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الروم: 25].

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: 255] المعنى: أن الله سبحانه لا ينعَس ولا ينام، لكمالِ حياتِه وكمالِ صفاته.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: 255] هذا بيانُ سَعةِ مُلكِ الله، فكل ما في السماوات وما في الأرض عبيدٌ لله، مملوكون له، وهو المتصرف وحده في جميع خلقه بمشيئته وحكمته.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: 255] أي: مَنْ هذا الذي يملك الشفاعة عند الله إلا بإذن الله؟ فلا يجرؤ أحدٌ يوم القيامة أن يتكلم إلا بإذن الله سبحانه، ولا يشفع الملائكةُ والأنبياءُ والصالحون إلا بعد أن يأذن الله لمن يريد أن يرحمهم، كما قال تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا \* يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: 37، 38]، وقال سبحانه: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: 26]، وقال عز وجل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: 28].

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: 255] هذا بيانُ سَعةِ علمِ الله، فهو يعلم الحاضر والماضي والمستقبل لكلِّ مخلوق بالتفصيل، لا يخفى عليه شيءٌ من أحوال خلقه في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: 5]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: 6]، وقال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: 19]، فهو سبحانه يعلمُ مستقرَّ كلِّ مخلوق كبيرٍ أو صغيرٍ حالَ حياته، ويعلمُ مستودعه في الأرض بعد موتِه، ويعلمُ جميعَ أحوالِنا التي نتقلب فيها في الدنيا، ويعلمُ مثوى كلَّ واحدٍ منا في الآخرة في الجنة أو في النار، وكلُّ ذلك مكتوبٌ عنده في اللوح المحفوظ، قال الله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: 59].

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: 255] هذا بيانُ قلةِ علمِ المخلوقين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85]، فالعباد لا يعلمون شيئًا من علم الله الواسع إلا بما شاء الله أن يُطلعهم عليه، سواءً من العلم الديني أو العلم الدنيوي، فمثلًا لا نعلمُ من أسماء الله الحسنى ولا من قصص الأنبياء إلا ما أطلعنا الله عليه، كما قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: 164]، ولا نعلم من أسرار الطبيعة إلا ما شاء الله أن يُطلع العباد عليه في الوقت الذي يريده الله، كالكهرباء التي كانت موجودةً في الأرض منذ خلقها الله، ولكن لم يشأ الله أن يُطلع الناسَ عليها إلا في هذه الأزمنة المتأخرة، وما يخفى على الناس أكثرُ مما يعلمونه.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: 255] هذا بيانُ عظمةِ الله سبحانه، فالكرسي مخلوقٌ من مخلوقات الله، يسعُ السماواتِ السبعَ والأرضَ، فالسماء الدنيا التي زيَّنها الله بالنجوم تُحيط بالأرض من جميع جوانبها، والسماءُ الثانيةُ تحيطُ بالسماء الأولى، وهكذا تُحيطُ كلَّ سماءٍ بالسماء التي دونها، والكرسيُّ فوقَ السماء السابعة، وفوقُه العرشُ العظيم، وهو مستَقِرٌّ على ماءٍ عظيم بقدرةِ الله كما أخبرنا الله بذلك في قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: 7] أي: كان ولم يزل، وثبت عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (مَا بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ مَسِيرَةَ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ مَسِيرَةَ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ عَلَى الْمَاءِ، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ)، ولا نعلم كيفيةَ الكرسيِّ ولا العرشِ، وإنما نعلم أنهما مخلوقان عظيمان، والعرشُ أعظمُ من الكرسي، بل هو أعظم المخلوقات، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: 129].

﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: 255] أي: ولا يُثقِل اللهَ ولا يُتعِبُه ولا يشقُّ عليه حفظُ السماواتِ السبع والأرضِ وما فيهما من الخلق، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [فاطر: 41]، وقال سبحانه: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29]، فهو يحيي ويميت، ويُقدِّر الأرزاق، ويجيب الدعوات، ويُقلِّب الليل والنهار، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، وهو أحكم الحاكمين في تدبير خلقه بقدرته.

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: 255] هذان اسمان من أسماء الله الحسنى، فالله هو العلي بذاتِه وقدْرِه وقهرِه، العظيمُ الذاتِ والصفات، فهو أكبرُ من كل شيء، ولا شيءَ أعظمُ منه، فيجب على المسلم تعظيمُ الله، وتعظيمُ أمرِه ونهيه، وتعظيمُ شرعِه، وطاعتُه، والخوفُ من عقابه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 67].

أيها المسلمون، يجب الإيمانُ بصفةِ العلو لله على خلقه علوًا يليق بجلاله وعظمته، قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5]، وقال سبحانه: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: 16]، وقال عز وجل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: 10]، وقال جل شأنُه: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: 1]، وقال تبارك وتعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: 9]، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: ((الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)).

أقول ما سمعتم، ويغفر الله لي ولكم.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله، هو العلي العظيم، الأعلى المتعال، الأكرمُ الكريم، الإلهُ الواحد، الأحدُ الصمد، القابِضُ الباسطُ، المقدِّمُ المؤخِّر، أنعم علينا بكتابه، وأمرنا بتدبره والتمسك به، والصلاة والسلام على رسولِه محمدٍ وآله وأصحابه، أما بعد:

فتدبرنا في الخطبة الأولى آية الكرسي التي يُستحب قراءتُها بعد الفرائض وفي كل ليلة، ومما يُستحب قراءتُه كلَّ ليلةٍ خواتيمَ سورة البقرة، قال النبي ﷺ: ((الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ))، وثبت أن آخر سورة البقرة نزلت على النبي ﷺ من كنزٍ تحت العرش، فنتدبر معكم في هذه الخطبة خواتيمَ سورةِ البقرة:

يقول الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: 284] يبين الله لنا سَعة ملكِه، فله كلُّ ما في السماوات وما في الأرض، وهو العالم بكل شيءٍ، فإن أظهرنا ما في أنفسنا أو أضمرناه من الخير أو الشر فالله يعلمه وسيحاسبنا عليه.

﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 284] فيغفر الله لمن يشاء ويعذب من يشاء، وهو على كل شيء قدير، فلنصلِح نياتِنا وقلوبَنا، فالله يعلم السر وأخفى، يعلم ما في قلب العبد من الإخلاص والصدق والخوف والرجاء، ويعلم ما في قلب العبد من الرياء والعُجب والكِبر والحِقد والحسَدِ واحتقارِ الخلق وسوءِ الظن وحبِّ الشهوات المحرمة وغيرِ ذلك من السرائر التي تخفى على الناس، ولا تخفى على الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 285] أي: آمن رسول الله محمدٌ بما أنزل الله عليه من القرآن الكريم والسنةِ المبينة للقرآن، وكذلك آمن المؤمنون بما آمن به الرسول.

﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: 285] كلٌّ منَ الرسول محمدٍ عليه الصلاة والسلام وأصحابِه المؤمنين ومن جاء بعدهم يؤمنون بالله، أنه واحدٌ لا شريك له، ولا مثيلَ له، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، ويؤمنون بجميع ملائكته، وجميع كتبه، وجميع رسله.

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: 285] يؤمنون بجميع رسل الله دون أيِّ تفريقٍ بين أحد منهم، فلا يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون ببعض، مثل اليهود والنصارى الذين كفروا ببعض الرسل.

﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285] أي: قال المؤمنون: سمعنا قولَ ربِّنا، وأمرَه ونهيَه، فقبلناه، فامتثلْنا ما أمر، واجتنبنا ما عنه نهى، وقالوا: نسألك يا ربَّنا أن تستر لنا ذنوبنا، ولا تعاقبنا عليها، وإليك يا ربَّنا مرجعُ العباد بعد موتهم، فتبعثهم يوم القيامة وتجازيهم بما عملوا من خير وشر.

أيها المسلمون، تأملوا ذكر السماع قبل الطاعة، فالسماع يكون أولًا، وهو العلم النافع، والطاعة تكون ثانيًا، وهي العمل الصالح، والواجب على المسلم أن يتعلمَ العلم النافع ويعملَ به، ومن عرف الحكم الشرعي فعليه أن يقول: سمعنا وأطعنا، ولا يقل: سمعنا وعصينا.

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286] أي: لا يُحمِّل الله نفسًا فوق طاقتها، وهذا من يسر الشريعة وسماحتها، فالله لا يعذب أحدًا بما لا يمكنه دفعَه كالإكراه والوساوس وخطرات القلوب، قال النبي ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ)).

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: 286] أي: لكل نفس ما عملت من خير، وعليها ما عملت من شر، ولا يُحاسَب الإنسانُ بذنب غيره إلا أن يكون بسببه، فيكون مما اكتسبه.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: 286] علَّمنا الله أن ندعوه بهذا الدعاء العظيم ليستجيب لنا: أي: قولوا: يا ربنا لا تعاقبنا إن نسينا فعلَ بعضِ الواجبات أو أخطأنا ففعلنا بعض المحرَّمات جهلًا منا، قال الله: ((قَدْ فَعَلْتُ)) كما في الحديث القدسي، أي: استجبتُ لكم هذا الدعاء، فمن نسي فعل بعض الواجبات لا يأثم؛ لأنه لم يتعمد تركها، فإن ذكر فعليه أن يقضي تلك العبادة كالصلاة من نام عنها أو نسيها فليصلها إذا قام من نومه أو ذكرها، ولا إثم عليه في نسيانه، ومن أكل أو شرب ناسيًا فليتم صومه، ولا قضاء عليه، ومن صلى وهو يظن أنه متوضئٌ، ونسي أنه نقض وضوؤه، فلا إثم عليه، فإن تذكر أعاد الصلاة، وإن لم يتذكر فصلاتُه صحيحةٌ، ولا يعاقبه الله على صلاته بلا طهارة؛ لأنه نسي حدثَه، ولم يتعمد الصلاة بلا طهارة، وهكذا من أخطأ ففعل بعض المحرمات جهلًا لا يأثم، كمن توضأ بماء نجس وهو لا يعلم نجاسته فصلاته صحيحة، أو صلى مجتهدًا إلى القبلة فتبين خطؤه فصلاته صحيحة، ولا إعادة عليه، ونصوم ونفطر لرؤية الهلال، فإن غمَّ علينا أتممنا الشهر ثلاثين يومًا، ولا إثم علينا حتى ولو طلع الهلالُ فلم نره بسبب السحاب، وكذلك لا يأثم من قتل إنسانًا خطًا، وإن كان عليه الكفارة لعِظَمِ قتلِ النَّفس، وهكذا لا يأثم العالم المجتهد إذا أخطأ في فتواه ولا القاضي المتحرِّي إذا أخطأ في قضائه، ولا إثم على من أخذ بفتوى العالم الثقة ولو كانت فتواه خطًا، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 5].

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [البقرة: 286] أي: قولوا: يا ربنا، لا تُكلِّفنا القيام بأحكامٍ شرعيةٍ شاقةٍ تثقُل علينا، كما كلَّفت اليهود والنصارى مِن قبلِنا أحكامًا ثقيلةً عقوبةً عليهم، قال الله في الحديث القدسي: ((قَدْ فَعَلْتُ))، فالحمد لله الذي لم يكلفنا إلا ما نستطيع، وما جعل علينا في الدين من حرج، فلا واجب مع العجز، ولا محرم مع الضرورة، وكل ما أمرنا الله به أو نهانا عنه فهو ميسَّرٌ بحمد الله، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]، فالصلوات خمسٌ في اليوم والليلة، ومن كان مريضًا لا يستطيع الصلاة قائمًا صلى جالسًا، فإن لم يستطع صلى على جنبه، ومن سافر قصر الصلاة، ويجوز الجمع بين الصلاتين للحاجة كالمرض والسفر، وهكذا الصيامُ إنما هو شهرٌ في السنة، فمن كان مسافرًا أو مريضًا فأفطر قضى أيامًا أُخر، فإن كان عاجزًا عن الصوم أطعم عن كل يوم مسكينًا، وهكذا الحج إنما يجب في العمر مرة على المستطيع، والزكاة إنما تجب على من مَلَك النصاب، وهي شيء يسير.

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: 286] أي: يا ربنا لا تكلفنا من الأعمال ما لا نُطيق القيام به، ولا تبتلِنا ببلاءٍ عظيمٍ لا نستطيع تحمُّلَه.

﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ [البقرة: 286] أي: يا ربنا، اعف عنا واغفر لنا ذنوبنا، وارحمنا في الدنيا والآخرة.

﴿أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 286] أنت وحدك وليُّنا وناصرُنا؛ لأننا مؤمنون بك وكتابِك ورسولِك، مطيعون لأمرِك ونهيِك، فانصرنا على القوم الكافرين المحاربين لنا، قال الله كما في الحديث القدسي: ((قَدْ فَعَلْتُ))، فالصحابة عندما حققوا الإيمان، وأطاعوا الله ورسوله؛ استجاب لهم كلَّ ما في هذا الدعاء العظيم، ونصرهم على أعدائهم الكافرين، فإن أردنا أن يغفر لنا الله ويرحمنا في الدنيا والآخرة وينصرنا على الكفرة فلنؤمن بالله ورسوله، ولْنستجب لأوامرهما ونواهيهما، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: 7]، وقال سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47].

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: 53]

﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: 109]

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 286].

## (26) تدبر خواتيم سورة آل عمران

الحمد لله القادرِ القدير، القاهرِ القهار، الحقِّ المبينِ، أنعم علينا بالقرآن ذي الذكر المبين، هدىً للمتقين، وموعظةً للمؤمنين، ورحمةً للمحسنين، والصلاةُ والسلامُ على رسولِه محمدٍ خاتَمِ النبيين، المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعلى آله الصالحين، وأصحابه والتابعين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، هو أهل التقوى وأهل المغفرة، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله قدوة المؤمنين، وإمام المتقين، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70، 71]، من اتقى الله فقد اهتدى، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 194]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: 196]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 231]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: 203]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 223] أما بعد:

فنتدبر معكم في هذه الخطبة الآيات العشر الأخيرة من سورة آل عمران، فقد كان النبي ﷺ يقرؤها إذا استيقظ من نومه، وثبت في الحديث الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام بكى حين أُنزلت عليه هذه الآيات وقال: ((وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا)).

أيها المسلمون، هذه الآيات المبكيةُ بدأها الله بذكر خلقِه السماوات والأرض واختلافِ الليل والنهار، وبيَّن أن في ذلك لآياتٍ لأولي الألباب الذين يتفكرون في مخلوقات الله، وذكر الله ثلاث صفاتٍ لأولي الألباب، وهي: التفكر، والإكثار من ذكر الله، والإكثار من دعاء الله وحده لا شريك له.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 190] أي: إن في خلق السماوات والأرض وتعاقبِ الليل والنهار واختلافِهما طولًا وقِصَرًا لعلامات لأصحاب العقول السليمة، فيستدلون بهذه المخلوقات العجيبة على أن خالقها هو الرب المعبود وحده.

وفي كلِ شيءٍ له آيةٌ ... تدُلُّ على أنه واحدٌ

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 191] يُكثرون من ذكرِ الله في جميع أحوالهم، في حالِ قيامهم، وجلوسِهم، واضطجاعِهم.

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: 191] من صفات العقلاء الصالحين أنهم يتفكرون بعقولهم في خلق الله للسموات والأرض، فيستدلون بما فيها على أن الله هو الإله الحق، وأنه أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين، وأنه قادر على كل شيء، والتفكر في المخلوقات عبادةٌ عظيمة، وتفكرُ ساعةٍ خيرٌ من قيام ليلة.

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: 191] يقولون: يا ربنا، إنك لم تخلق هذا الخلق عبثًا بلا حكمة؛ فأنت منزٌّه عن ذلك، ولكنك خلقت المخلوقات لحكمةٍ عظيمة، وهي أن يعبدك الناس ويؤمنوا بك، ويشكروك على نِعَمِك، ويعلموا عظمتك وعُلوَّ صفاتِك، ويعملوا بشرعك، ويعلموا أنك تحيي وتميت، وأنك قادرٌ على بعثهم يوم القيامة، وأنك ستحاسبهم وتجازيهم على أعمالهم، فيا من خلقت الخلق بالحق والعدل، وأنت منزَّهٌ عن النقائص والعيوب، أجِرنا من عذاب النار.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [آل عمران: 192] يا ربنا من أدخلته النار بسبب كفره وظلمه فقد أهنته وفضحته، وليس للظالمين يوم القيامة أحدٌ يُنقذهم من عذاب الله.

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ [آل عمران: 193] يا ربنا إننا سمعنا داعيًا يدعو إلى الإيمان، وهو محمدٌ ﷺ وأتباعُه من العلماء والدعاة، الذين يُبلِّغون الناس كتاب الله، فسمعنا من يقول: آمنوا بربكم، فبادرنا إلى الاستجابة، وتعلمنا العلم النافع، وعمِلنا العمل الصالح، وتذكَّرنا واهتدينا بكتاب الله.

﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: 193] أي: يا ربنا بإيماننا واتباعِنا كتابَك ونبيَّك استُر ذنوبنا، وامحُ خطايانا، واجعلنا إذا قبضت أرواحنا من جملة عبادك الصالحين.

﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: 194] أي: يا ربنا أعطنا ما وعدتنا به على ألسنة رسلك عليهم الصلاة والسلام، من الثواب على الأعمال الصالحة، والنصر على الكفار، ولا تفضحنا بذنوبنا يوم القيامة، فإنا نعلم أنك لا تخلف وعدك لعبادك.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: 195] أي: فأجاب الله دعاء الصالحين بأنَّ عمَلَ كلُّ عاملٍ منهم محفوظٌ عند الله، فلا يضيع الله أجر حسناتهم القليلة والكثيرة، سواء كان المؤمن ذكرًا أو أنثى، فلا فرق بينهم في الثواب وإجابة الدعوات.

﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [آل عمران: 195] أي: إن المهاجرين الذين تركوا أوطانهم التي لم يستطيعوا أن يعبدوا الله فيها، واستوطنوا بلاد المسلمين ليعبدوا الله، وصبروا على ما ضايقهم المشركون والمنافقون من أنواع الأذى بسبب إيمانهم بالله وبسبب أعمالهم الصالحة، وقاتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمته، وقُتِلوا شهداء، فالله سبحانه يمحو عنهم خطاياهم، ويُدخلهم جناتٍ تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها.

﴿ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران: 195] هذا الجزاء العظيم لهم بسبب إيمانهم وجهادهم وصبرهم على الأذى الذي أصابهم، والله عنده الجزاء الحسن لمن آمن وعمل صالحًا، ففي الجنة ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلب بشر، فإن فات الشهداء البقاء في الدنيا فما عند الله خيرٌ وأبقى، والآخرةُ خيرٌ من الأولى.

اللهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، واجعلنا من أولي الألباب، الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، المتفكرين في خلق السماوات والأرض، الذين يدعون ربهم وحده، ولا يدعون سواه، وتقبل دعاءنا، واغفر لنا وارحمنا.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله، هو الغفارُ الغفورُ الغنيُّ الفتَّاح، القادرُ القدير، القاهرُ القهار، القريبُ القوي، الكبيرُ اللطيف، المبينُ المتين، الـمُجيبُ المجيدُ المحيط، المقتدرُ الـمُقِيت، المليكُ المنَّانُ، المولى النصيرُ الهادي، الوارثُ الواسِع، الوِتْرُ الودود، الوكيلُ الوليُّ الوهاب، سبحانه له الأسماء الحسنى، أنعم علينا بالقرآن لعله يُحدِث لمن سمعه ذكرى، والصلاة والسلام على رسولِه محمدٍ الداعي إلى الله بكتابه وسنته، من أطاعه اهتدى، ومن عصاه فقد ضل وغوى، أما بعد:

فيقول الله تعالى في آخر سورة آل عمران: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ [آل عمران: 196] أي: لا تنخدع - أيها المسلم - بظاهر ما عليه الكفارُ المترفون من السفر في البلدان، والتنقل بأنواع المكاسب والتجارات، والتمتع بالملذات والشهوات.

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: 197] أي: متاع الكفار بالدنيا متاعٌ قليلٌ، فالدنيا جنة الكافر، يتمتع بها في زمن محدود ينتهي بانقضاء عمره، ثم مأواهم جهنم يُعذَّبون فيها أبد الآبدين، خالدين في العذاب الأليم، وبئس الفِراش والمقرُّ جهنم.

﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 198] أي: لكن الذين اتقوا الله بامتثال الواجبات واجتناب المحرمات فإنهم في الآخرة في جناتٍ تجري من تحتها أنواعٌ من الأنهار، خالدين في ذلك النعيمِ على الدوام، قد أعد الله لهم في الجنة منزلَ ضيافةٍ دائمًا، إكرامًا من الله لهم على تقواهم.

﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: 198] أي: ما عند الله من النعيم المقيمِ والعِيشةِ الراضية خيرٌ للطائعين من متاع الدنيا الفانية، فالدنيا أمد، والآخرة أبد، ومن مات من الصالحين فما عند الله خير له من متاع الدنيا القليل الفاني.

أيها المسلمون، ثم قال الله سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: 199] أي: إن طائفةً من أهل الكتاب من اليهود والنصارى يؤمنون بالله حق الإيمان، ويُقرون بوحدانيته، ويؤمنون بالقرآن الذي أنزل الله على محمد ﷺ، ويؤمنون أيضًا بالكتب السابقة، والحال أنهم خاضعون لله، متذللين له، لا يكتمون ما في كتبهم من البشارات بمحمد ﷺ، وبيانِ صفته؛ ليحصلوا في مقابل كتمانهم على متاعٍ دنيوي زائل، من منصبٍ، أو جاهٍ، أو مالٍ، بل آمنوا بمحمدٍ عليه الصلاة والسلام، ودخلوا في الإسلام، واتبعوا القرآن، فلهم ثوابٌ عظيمٌ عند الله سبحانه، وأكثر أهل الكتاب اشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا، ومن الصالحين من أهل الكتاب الذين قدَّموا الآخرة على الدنيا، ولم يكتموا الحق: عبدُ الله بن سلام سيدُ اليهود في المدينة النبوية، فإنه أسلم وآمن، وترك ما كان يعطيه اليهود من المال والجاه، وكذلك النجاشي ملِك الحبشة الذي كان نصرانيًا فأسلم وآمن، ولا يزال بعض أهل الكتاب إلى يومنا هذا من يدخل في الإسلام، ويؤمن بالقرآن، ويتبع الرسول محمدًا الذي بشَّر به موسى وعيسى عليهم جميعًا الصلاة والتسليم.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: 199] أي: إن حساب الله قريب؛ لسرعة انقضاء الدنيا، والله يحاسب الخلائق يوم القيامة في مدة وجيزة جدًا.

ثم ختم الله هذه الآيات بقوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ [آل عمران: 200] أي: اصبروا على طاعة الله، واصبروا عن معصيته، واصبروا على أقداره المؤلمة، وغالبوا بالصبر أعدائكم الكفرة الذين يقاتلونكم حتى تنتصروا عليهم، فالنصر مع الصبر، فلا يكونون أصبر منكم، والزموا الإقامة في الثغور للاستعداد لقتال الكفار، وخذوا حذركم منهم، ومن الرباط ما جاء في الحديث الصحيح: ((أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟)) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ((إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ)).

ثم قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200]، اتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، حتى تكونوا من الفائزين بالنجاة من النار، ودخول الجنة مع الأبرار.

اللهم اجعلنا من المتقين، المتدبرين كتابك، والمهتدين بآياتك، والمتبعين القرآنَ العظيم والرسولَ الكريم.

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ \* ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 285، 286].

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: 16].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 147].

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ \*رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ \* رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ \* رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: 191 - 194].

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: 201].

اللهم وصل وسلم على نبينا محمد سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه وأتباعهم المحسنين، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، والحمد لله رب العالمين.

## (27) تدبر أول سورة المؤمنون وآخرها

الحمد لله الذي أنعم علينا بالقرآن ذي الذكر المبين، هدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين، وتذكرةً للمتقين، وموعظةً وذكرى للمؤمنين، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ رسولِ اللهِ الصادقِ الأمين، المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعلى آلِه الصالحين، وأصحابِه أجمعين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده وليُّ المؤمنين، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه إمامُ المتقين.

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا \* وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: 45 - 47]، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ \* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ \* لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ \* لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 18 - 21]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 223] أما بعد:

فنتدبر معكم في هذه الخطبة الآيات الأولى من أول سورة المؤمنون، فقد وصف الله فيها المؤمنين بصفاتٍ عظيمة يجب أن نعلمها، وأن نعمل بها عسى أن نكون من المؤمنين.

﴿بسم الله الرحمن الرحيم قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: 1] أي: قد فاز بخير الدنيا والآخرة المؤمنون الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، فهم يؤمنون بالغيب، ويعملون الأعمال الصالحة التي أعظمها الصلاة.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: 2] أي: المؤمنون من صفاتهم أنهم في صلاتهم خاضعون لله، متذللون ساكنون، متدبرون لما يقولون فيها من القراءة والأذكار، مطمئنون في صلاتهم، لا يلتفتون فيها بأبصارهم، ولا يعبثون بجوارحهم.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: 3] ومن صفات المؤمنين أنهم معرضون عن الباطل الذي لا ينفعهم في دينهم ولا دنياهم، فاللغو يعمُّ المعاصي وكلَّ ما لا يفيدُ في أمور الدين والدنيا، فالمؤمنون حريصون على أوقاتهم وأعمارهم، ولا ينشغلون بما لا ينفعهم، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: 72]، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: 55]، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يَعْنِيه، وما لا ينفَعُه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: 4] ومن صفات المؤمنين أنهم يؤدون زكاة أموالهم، وينفقون مما رزقهم الله ولو كانوا فقراء، كما قال الله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [آل عمران: 134].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: 5] ومن صفاتهم أنهم يحفظون فروجهم عن الحرام، فلا يقعون في فاحشة الزنا وغيرها من الفواحش التي حرَّمها الله.

﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: 6] أي: هم يحفظون فروجهم إلا عن زوجاتهم أو إمائهم اللاتي يملكونهن، فقد أباحهن الله لهم.

﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: 7] أي: فمن تمتع بغير زوجته وأمتِه، وقضى شهوته بغير ما أباح الله فأولئك هم المعتدون، المستحقون عذاب الله.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: 8] ومن صفات المؤمنين أنهم لا يخونون ما ائتمنهم الله عليه من العبادات والأحكام الشرعية، ولا يخونون ما ائتمنهم الناس عليه من الودائع والديون، ويوفون بعهودهم مع الله ومع عباده، فلا ينقضون العهود، ولا يغدرون.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: 9]، وكما بدأ الله صفات المؤمنين بأنهم في صلاتهم خاشعون، ختم صفاتهم بأنهم مواظبون على أداء الصلوات الخمس في أوقاتها، بأركانها وشروطها وواجباتها، فهم دائمون على الصلوات، ليسوا ساهين عن صلاتهم، كمن يصلي بعض الفرائض ويترك بعضها، أو لا يطمئن فيها، وهذا هو الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يحافظ على صلاته في الحضر وفي السفر، وعند الفراغ أو الشغل، فالصلاة عمودُ الإسلام، وهي أولُ ما يُحاسبُ عليه العبدُ يوم القيامة، والصلاةُ أعظمُ مشروعٍ تقيمه أيها الإنسان في حياتك، ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: 40]، وأعظمُ أوقاتِ حياتِك حين تكون في صلاتك، فحافظ عليها في أوقاتها، واطمئن فيها، واستكثر من النوافل بعد الفرائض، واسجدْ واقتربْ من ربك، فالمؤمن يُعظِّم قدر صلاتِه ظاهرًا وباطنًا، ويحرص على الخشوع فيها، ويقيمها بقلبه وجوارحه، وبقدر إقامة الإنسان للصلاة ظاهرًا وباطنًا تكون هدايتُه في الدنيا، ودرجاته في الآخرة.

قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ \* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: 10، 11] أي: المؤمنون الموصوفون بتلك الصفات الطيبة هم الوارثون يوم القيامة جنات الفردوس، خالدون فيها بفضل الله ورحمته، في عيشة راضية.

اللهم اجعلنا من المؤمنين الصادقين، وحقِّق الإيمان في قلوبنا، واهدنا لأحسن الأعمال والأخلاق، وأصلح قلوبنا وأعمالنا، واجعلنا من الوارثين الفردوس الأعلى برحمتك وفضلك، إنك تهدي من تشاء، وترفع درجات من تشاء، واغفر لنا وارحمنا وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله الذي له الأسماء الحسنى، أنعم علينا بالقرآن لعله يُحدِث لنا ذكرى، والصلاة والسلام على رسولِه محمدٍ الذي من أطاعه اهتدى، ومن عصاه فقد ضل وغوى، أما بعد:

فتدبرنا معكم في الخطبة الأولى أول سورة المؤمنون، ونتدبر معكم في هذه الخطبة آخر سورة المؤمنون، يقول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: 99] أي: حتى إذا حضرت الوفاةُ المفرِّطَ الظالم، فظهر له الحق، وعرف حقارةَ الدنيا الفانية، وعلِم أن الآخرة خير وأبقى، قال نادمًا: يا رب، ارجعوني إلى الدنيا ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: 100] أي: لأعملَ عملًا صالحًا أستدرك به ما ضيعته من الصلوات والعبادات، وفرطتُ فيه من الإيمان والطاعات.

﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ [المؤمنون: 100] أي: ليس الأمر كما قال هذا الظالم لنفسه؛ فلن يستجيب الله طلب إمهاله وإرجاعه إلى الدنيا ليعمل صالحًا، وهذا الكلام يقوله الميت عند وفاته وإن كان مَن حوله لا يسمعه.

﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 100] البرزخ هو الحاجز بين الدنيا والآخرة، فلا يُمكن لمن مات أن يرجع إلى الدنيا، بل يمكثون في البرزخ في نعيمٍ أو عذابٍ من وقتِ موتِهم إلى يوم القيامة الذي يبعث الله فيه عباده أحياء بعد أن صارا ترابًا وعظامًا، وترجعُ الأرواحُ إلى الأجساد التي يعيدها الله بقدرته.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: 101] فإذا نُفِخَ في الصور نفخةُ البعث، وقام الناس من قبورهم، فلا تنفع الناسَ يوم القيامة الأنساب، ولا يسألُ أحدٌ منهم أحدًا عن حالِه، ولا يطلبُ منه منفعة، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ \* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ \* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ \* لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: 34 - 37].

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون: 102] فمن ثقلت موازينه بالحسنات التي رجحت على سيئاته؛ فأولئك هم الفائزون بالنجاة من النار، والخلودِ في الجنة.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: 103] ومن خفت موازينُ حسناته، ورجحتْ موازينُ سيئاته؛ فأولئك الذين خسروا أنفسهم بدخول النار، وفاتهم نعيمُ الجنة، فهم في جهنم ماكثون لا يخرجون منها.

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: 104] أي: تُصيبُ نارُ جهنمَ وجوهَهم فتُحرقها إحراقًا شديدًا، وهم في جهنم عابسون من أثر العذاب الشديد الأليم.

﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمنون: 105]، يقول الله لأهل النار يوم القيامة: ألم تكن آياتُ كتابي تتلى عليكم في الدنيا، فكنتم تكذبون بها، وتُعرضون عن العمل بها.

﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ [المؤمنون: 106]، فيقول أهل النار: ربنا غلب علينا ما قدَّرته علينا من شقاوة، فلم نهتدِ بكتابِك بعد قيام الحجة علينا، وكنا في الدنيا قومًا ضالين عن الحق، تائهين في الباطل.

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: 107]، يقولون: ربنا أخرجنا من النار إلى الدنيا، فإن عُدنا إلى الكفر والمعاصي فنحن ظالمون لأنفسنا.

﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: 108]، فيقول الله لأهل النار: امكثوا في النار ذليلين مبعَدين حقيرين، ولا تكلموني، فيمنعهم الله أن يكلموه، فقد لعنهم وطردهم من رحمته.

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ﴾ [المؤمنون: 109] أي: إنه كان في الدنيا جماعةٌ من عبادي المؤمنين يقولون في دعائهم: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: 109]

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: 110] أي: فاستهزأتم بالمؤمنين الذين كانوا يعبدون الله ويدعونه إلى أن أنساكم اشتغالُكم بالسخرية منهم ذكري وعبادتي، وكنتم تضحكون منهم وتستهزئون بهم.

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون: 111] أي: إني جزيتُ المؤمنين بسبب صبرِهم على أذاكم واستهزائكم، وصبرِهم على طاعتي، وصبرِهم عن المعاصي، أنهم الفائزون بالجنة، الناجون من عذاب النار.

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [المؤمنون: 112] أي: قال الله في الآخرة لأولئك الكفرة والمنافقين والفجار والظلمة: كم كانت مدةُ مُكثِكم في الأرض من السنين؟

﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾ [المؤمنون: 113] قالوا: مَكثْنا في الأرض يومًا أو بعض يوم، فاسأل الحاسبين الضابطين لمقدارِ مُكثِنا في الدنيا.

﴿قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: 114] قال الله لهم: ما لبثتم في الأرض إلا وقتًا يسيرًا، لو أنكم كنتم تعلمون قِصَرَ بقائكم في الدنيا لما آثرتم الدنيا الفانية على الآخرة الباقية، فتركتم طاعة الله في تلك المدة القصيرة، وخسرتم النعيم الأبدي، فالدنيا أمد، والآخرة أبد.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: 115] أي: أفظننتم أنني خلقتكم لعبًا وباطلًا بلا حكمة، لا تؤمرون ولا تنهون، ولا تثابون ولا تعاقبون؟

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: 116] أي: فتعاظم وتقدس الله عن كل ما لا يليق به سبحانه، ومن ذلك أن يخلق الدنيا والناس عبثًا، فالله هو الملك الحق، وكل ما سواه عبدٌ له، ربُّ العرشِ الحسنِ المنظر، الذي هو سقفُ المخلوقاتِ وأعظمُها.

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: 117] أي: ومن يعبدْ مع الله معبودًا آخر لا حجة له على عبادته؛ فالله ربه هو الذي سيحاسبه يوم القيامة، ويُعذِّبه على شركه به وكفرِه؛ إنه لا يفوز الكافرون، فهم أهل النار المعذَّبون.

ثم أمر الله كل عبد أن يستغفر الله ويطلب رحمته، ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: 118].

﴿رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: 118].

﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: 109].

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: 16].

﴿رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعرَاف: 47].

﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: 151].

﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: 8].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 147].

اللهم وصل وسلم على نبينا محمد سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وأصحابه وأتباعهم المؤمنين، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، والحمد لله رب العالمين.

## (28) الزلازل عِبرٌ وعِظات، وتعاونٌ وأخلاق

[**ملاحظة:** هذه الخطبة وإن كانت خاصةً بالزلازل إلا أنها مناسبة للخطبة في غير الزلازل كالسيول والفيضانات والبراكين والإعصارات والحرائق والطاعون وغير ذلك مع تغيير بعض العبارات وحذف بعض الفقرات]

الحمدُ للهِ على نِعَمه التي لا تُحصى، خلقنا من العَدَم، ورزقنا من النِّعم، ودفع عنا النِّقم، الحمدُ لله على نِعَمه الظاهرة والباطنة، والسابقة واللاحقة، والدينية والدنيوية، ما نعلم منها وما لا نعلم، اللهم لك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، نعبدك وحدك لا شريك لك، نركع ونسجد لك ذُلًّا وخضوعًا، ونصلي لك شكرًا وتعظيمًا، وندعوك خوفًا وطمعًا، نخاف عذابك، ونرجو رحمتك، لا ملجا لنا منك إلا إليك، ولا حول لنا ولا قوة إلا بك.

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حيٌ لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، فعَّالٌ لما يريد، أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملًا.

وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، أرسله الله رحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فيقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ \* قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ \* قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ \* وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ \* لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 63 - 67].

أيها الإنسان، ما دُمت في هذه الدار لا تسلَم من الأكدار.

طُبِعَت على كَدَرٍ وأنت تريدُها ... صَفْوًا من الأقْذاءِ والأكدارِ

أيها المسلمون، الله سبحانه خلقنا لعبادته، وسخر لنا النعم الظاهرة والباطنة لنشكره، قال الله سبحانه: ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: 51]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: 26].

فمَنْ أكل من رِزق الله واستعمل نعمه في معصيته فقد استحق عذابَه، قال الله العزيز القهار: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: 147].

ومَنْ آمَن وعمِل صالحا فقد وعده الله بالحياة الطيبة في الدنيا، والفوز بالجنة في الأخرى، قال الله عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ \* أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ \* أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ \* أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ \* أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: 96 - 100].

أيها المسلمون، من حكمة الله سبحانه أن الناس إذا لم يشكروا الله سبحانه على نِعَمِه، ونسُوا ذِكرَه، وأعرضوا عن عبادته، فإنه يبتليهم بالشدائد من الأمراض والزلازل والفيضانات والبراكين والإعصارات وغير ذلك لعلهم يرجعون عن الكفر إلى الإيمان، وعن المعصية إلى الطاعة، فمِن الناس من يعتبر ويتعظ ويتوب إلى الله سبحانه، ومن الناس من يستمر في غفلته، ولا يفيقُ من سكرتِه إلا عند موتِه، وهذا حال أكثر الناس إلا من رحم الله.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآَيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: 59].

وقال سبحانه: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 60].

وقال عز وجل: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: 41].

نُهالُ للأَمرِ الذي يَروْعُنا ... ونَرتَعي في غَفلةٍ إذا انقضى

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ \* حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [المؤمنون: 76، 77].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ \* فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ \* فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ \* قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: 42 - 47].

وقال الله عز وجل: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: 21].

وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل: 69].

من تأمل في أحوال الناس يجد أن الله سبحانه يعذب الغافلين عن عبادته بأنواع من العذاب الدنيوي لعلهم يتوبون إليه، فمنهم من يتوب، وأكثرهم لا يعقلون، ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: 18].

اقرءوا التاريخَ إذْ فيه العِبَر ... ضلَّ قومٌ ليس يَدرون الخبَر

ففي الزمن القريب حصلت زلازلُ وفيضاناتٌ وإعصاراتٌ وأمراضٌ متفشيةٌ وجدْبٌ وغلاءٌ وخوفٌ وجوعٌ، وكل ذلك بسبب ذنوب العباد، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30].

وإنَّ كثرة الزلازل من علامات اقتراب يوم القيامة، كما أخبر النبي ﷺ، وكم تُخلِّفُ هذه الزلازل من قتلى ومصابين ومشردين وخسائرَ ماديةٍ كثيرة، ومن الزلازل المشهورة في الزمن القريب:

* زلزالٌ في الصين سنة 1920م قتل نحو 200,000 شخص.
* زلزالٌ في اليابان سنة 1923م قتل نحو 143,000 شخص.
* زلزالٌ في آخر الصين سنة 1927م قتل نحو 200,000 شخص.
* زلزالُ في بنجلاديش سنة 1970م قَتَل نحو 500,000 شخص.
* زلزالٌ ثالث في الصين سنة 1976م قتل نحو 255,000 شخص.
* زلزالُ المحيط الهندي سنة 2004م الذي سبب إعصار تسونامي، وخلَّف أكثر من 000, 150 قتيل، بالإضافة إلى عشرات الآلاف من المفقودين، وأكثر من مليون مشرد.
* زلزال وتسونامي اليابان سنة 2011م الذي خلَّف نحو 000, 18 قتيل.
* ومن الزلازل القريبة الوقوع فيما حولنا من بلاد المسلمين:
* زلزال في اليمن في ذمار سنة 1403 هـجرية الموافق 1982 ميلادية.
* زلزال في شمال غرب إيران سنة 1414 هـ.
* زلزال في مدينة القاهرة بمصر سنة 1413 هـ.
* زلزال خليج العقبة في الأردن وفلسطين سنة 1416 هـ.
* زلزال في شمال غرب تركيا سنة 1420 هـ.
* زلزال في شمال المغرب سنة 1425 هـ.
* زلزال في شمال باكستان وكشمير سنة 1426 هـ، وفي نفس العام زلزال في شرق أندونيسيا.
* زلزال في شمال الجزائر سنة 1427 هـ، وفي نفس العام زلزال قوي في جزيرة جاوا الأندونيسية، وزلزال آخر في شمال أندونيسيا.
* زلزال في باكستان سنة 1429 هـ، وفي نفس العام زلزال قوي في شمال أندونيسيا.
* زلزال في إيران سنة 1430 هـ.
* زلزال قوي في شرق تركيا سنة 1432 هـ.
* زلزال عظيم في جنوب غرب تركيا وشمال سوريا سنة 1444 هـ.

أيها المسلمون، عذاب الله إن وقع عاما في الدنيا يشمل الصالح والفاسد، ويكون عقوبةً للمجرمين، وتنبيها للغافلين، وتطهيرًا للصالحين، ورفعَ درجات للمؤمنين، ويكون عظةً وعبرةً للمعتبرين.

قال الله سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 25].

فالله يأمرنا أن نعلم أنه شديد العقاب، والله لا يحابي أحدا، وهو يغضب على من كفر وعصاه، ويُعذِّب مَنْ لم يشكره على نعمه كائنا من كان، قال الله سبحانه: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ \* كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: 78، 79]، وقال عز وجل: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: 123].

فهذه الزلازل ونحوها من المصائب العامة عقوباتٌ دنيوية من الله العزيز القهار، ومن يموت بالزلازل والفيضانات من المسلمين فإنه من الشهداء، فقد قال النبي ﷺ: ((الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْهَدَمِ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرَقِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ فِي نِفَاسِهَا شَهِيدَةٌ))، وهذه الدنيا دار بلاء، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: 198]، ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: 17]، فالدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وقد يبتلي الله الصالحين فيها بما يشاء في الدنيا، ويجعل ذلك كفارة لهم، قال النبي ﷺ قال: ((مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ، وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ))، وعِظَمُ الجزاءِ مع عِظَمِ البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سَخِط فله السَّخَط، فالمؤمن يرضى بالله ربًا، ويرضى بحكمه الشرعي وحكمه القدري، فهو راضٍ عن الله فيما شرعه، وفيما قدَّره، ويموت المسلم وهو راض عن ربه فيما ابتلاه به، فيرفع الله درجاتِه، ويغفر له ذنوبه، ولا يصل إلى منزلة الرضا عن الله في كل ما شرَعَه، وفي كل ما قدَّره إلا من كان يخشى الله ويتقيه، ويطمئن بذكره ويشكرُه، كما قال الله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: 8]، وتبشر الملائكة هؤلاء المتقين بالجنة عند موتهم وتقول لهم: ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً \* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: 27 - 30]، فهم الفائزون وإن أصابهم ما أصابهم من بلاء الدنيا الفانية، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: 185].

أيها المسلمون، يجب على المسلم أن يعلم أن الله فعال لما يريد، وأنه أحكم الحاكمين، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وكل شيء عنده بمقدار، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: 2]، ومَنْ أصابته مصيبة فهي بإذن الله وتقديره، وقد كتب الله ذلك عليه قبل أن يخلقه، قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ \* لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: 22، 23]، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ \* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 155 - 157].

والقدَرُ سرُّ اللهِ في خلقه، فلا يجوز الخوضُ فيه بالرأي، فالقَدَر كالشمس، من أكثر النظر إليها ضعف بصرُه، ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85]، فيجب أن نؤمن بالقدر خيره وشره، حلوِه ومرِّه، فالله خالق كل شيء، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: 107].

دعِ الاعتراضَ فما الأمرُ لك ... ولا الحكمُ في حركاتِ الفَلَك

ولا تسألِ اللهَ عن فعلِه ... فمَنْ خاضَ لُجَّةَ بحرٍ هَلَك

إليه تَصيرُ أمورُ العِباد ... دعِ الاعتراضَ فما أجهلَك

**الخطبة الثانية:**

الحمد للهِ وليِّ الصالحين في الدنيا والأخرى، وسِع كلَّ شيء رحمة وعلما، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، والله يعلم وأنتم لا تعلمون، يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله. أما بعد:

ففي الزلازل عبرة وعظة للمعتبرين، ومن ذلك أنها تبين للناس قوةَ الله وكمالَ قدرته، وتذكر الناس بالزلزلة الكبرى يوم القيامة، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ \* يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: 1، 2].

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ [المزمل: 14]

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ \* تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: 6، 7]

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا \* وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا \* وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا \* يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا \* بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [الزلزلة: 1 - 5].

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: 21].

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ \* وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً \* فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: 13 - 15].

أيها المسلمون، يقول النبي ﷺ: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى))، فيجب على المسلمين أن يسارعوا في مساعدة إخوانهم المنكوبين بأي مصيبة أينما كانوا، ويسارع كل مسلم في إغاثتهم بما يستطيع ببدنه وماله، ويجوز تعجيل الزكاة للمتضررين من المسلمين، ومن لم يستطع أن يعينهم ببدنه أو ماله فليحرص على الدعاء لهم، ويحث غيره من المستطيعين على نفعهم، فخير الناس أنفعهم للناس، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، ومن نفَّس عن مؤمنٍ كربةً من كُرَب الدنيا نفَّس اللهُ عنه كُربةً من كُرَب يوم القيامة.

وقد أمر الله عباده بالتعاون على فعل الخيرات وتحقيق المصالح، ودفع الشرور والمفاسد الدينية والدنيوية، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: 2].

وأمر الله بالإحسان إلى جميع عباده، وكل معروف صدقة، ولو على حيوان، فما بالك بإنسان؟! وإنَّ من أعظم المعروف عند النوازل إغاثةَ المنكوبين، وتخفيفَ مصابهم، والصدقةَ عليهم، وصيانةَ أعراضِهم وأموالِهم، وعدمَ استغلالِ حاجتِهم، ومن الخير مساعدة المنكوبين والمتضررين ولو كانوا فسقة أو كافرين، فكم من فاسقٍ أو كافرٍ يرجع إلى ربه بعد مصيبته. وحسنُ الأخلاق من أساليب الدعوة إلى دين الإسلام، فإذا علم الفاسق أو الكافر أن المسلمين الصالحين يحرصون على إغاثته وتفريج كربته، وأنهم يحسنون إليه لإصلاح دنياه، فإنه يقبل منهم إصلاح دينه، ومن مات منهم على كفره ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: 117].

أيها المسلمون، لا يجوز أن نظن الزلازل كوارث طبيعيةً كما يقول الجاهلون، بل هي بأمر الله سبحانه وقدرته وتدبيره وحكمته، فهو الذي يقدر المقادير، ويسبب الأسباب، وهو على كل شيء قدير، فالمسلم يعتبر ويتعظ، ويعلم أن الله قادر عليه في نومه ويقظته، وفي ليله ونهاره، والكافر والفاجر لا يتعظ بهذه الآيات، ويظنها أمورًا طبيعية، ولا يعلم أنها عقوبات إلهية على بعض ذنوب الناس، وأنها تحذير من الله لعباده ليخافوا عقوبته، وتنبيه لهم ليتوبوا إليه، ولو يؤاخذ الله الناس في الدنيا بجميع ذنوبهم لأهلك الأرض ومن عليها، كما قال الله العزيز القهار: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر: 45].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعد: 31].

وقال سبحانه: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ \* أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ \* أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: 45 - 47].

وقال عز وجل: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ \* أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ \* وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الملك: 16 - 18].

أيها المسلمون، نحن ضعفاء، ولا حول لنا ولا قوة إلا بالله الذي خلقنا، فمن يعطينا الهواء الذي نتنفسُّه؟ ومن يُنزِل علينا الماءَ الذي نشربُه؟ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [الملك: 30]، ولو شاء الله لأمات الواحد منا بغصةٍ من الطعام أو الماء، أو بسكتة قلبية أو جلطة دماغية، ولو شاء الله حين ينام الواحد منا لا يبعثه من نومه، فالنوم أخو الموت، فإذا بعثك الله بعد نومك فاحمد الله على أن أحياك بعد موتك، واعمل صالحًا واشكر ربك، ولا تجعل يقظتك للمعاصي والغفلة عن ذكر الله، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 60]، ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: 42].

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: 50]، فلنتب إلى الله توبة نصوحا، ولنستعد للقاء الله بالتوبة والأعمال الصالحة، ﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 185].

أيها المسلمون، ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: 24].

اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، اللهم أصلح أحوالنا وأحوال جميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم اجعلنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، اللهم وصل وسلم على نبينا محمد وأهل بيته وأزواجه وذريته.

## (29) حقيقة شركات التأمين

الحمد للهِ الذي خلق كل شيء فقدَّره تقديرًا، قدَّر وقضى، ويسمع ويرى، أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، من يعتصم بكتابه فقد نجا، ومن أعرض عن ذكره فإن له معِيشة ضنكًا.

وأشهد أن لا إله إلا اللهُ العليُّ الأعلى، له الأسماء الحسنى، وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، مَنْ يتَّبِعْ سُنَّته فقد اهتدى، ومَنْ يرغَبْ عن سُنَّته فقد ضل وغوى، صلى الله وسلم عليه وعلى عباده الذين اصطفى، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ \* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ \* لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: 18 - 20]، أما بعد: فإنَّ خير الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة.

يقول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23] التوكل هو اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار الدينية والدنيوية مع الأخذ بالأسباب الشرعية، والتوكل عبادة لله وحده، فلا يجوز التوكل على غيره، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن: 13]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: 3]، ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: 38].

عبادَ الله، صار كثير من المسلمين اليوم يتوكلون على غير الله وهم لا يشعرون، ومن ذلكم التوكل على شركات التأمين، فقد استطاعت شركات التأمين التجاري أن تُخفي حقيقتها، وتكتم أسرارَها وخباياها، وتَغُرُّ بدعاياتها المنتشرة كثيرًا من الناس، دعاياتٌ في الجرائد والمجلات والقنوات والطرقات، ومن ذلك كتابتُهم: (التأمين حياة) في لوحاتٍ إعلانيةً كبيرة!

الله يقول: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: 179]، وهم يقولون: التأمين حياة مضاهاة لكتاب الله! وكذبوا والله، بل التأمين هلكة للدين أولًا؛ لأنه توكل على غير الله وتعليق للقلب بغير الله، وهذا شركٌ ينافي التوحيد، وهلكة للمال ثانيًا بما يدفعه المشترك في التأمين دون أن يستفيد منه شيئًا، بل بعض المشتركين في التأمين يتعمد إتلاف ماله المؤمَّن عليه ليحصل على مبلغ التأمين، خاصة إذا كان قد دفع مبالغ كبيرة لشركة التأمين دون أن يستفيد منها شيئًا، فيهلك ماله بيده بدافع التشفي فكيف يقال: التأمين حياة؟!

ما أقل الناس الذين يعرفون حقيقة شركات التأمين، ويطَّلعون على خباياها وأسرارها!

اعلموا أيها المسلمون أن الرابح الحقيقي من التأمين التجاري هم قادة التأمين في العالم، والجميع خاسرون لأموالهم دون فائدة ظاهرة ملموسة، ولا يستثنى من هؤلاء سوى قلة نادرة من الذين يقع عليهم الحادث المؤمَّن ضده، وتدفع لهم شركات التأمين التعويضات، ولا فائدة لهم في ذلك إلا إذا جاوزت تكاليف الحادث ما دفعوه من أقساط مع اعتبار زمن استثمار هذه الأقساط لو استثمروها بأنفسهم، فخسارة الأمة بالتأمين باهظة، وهي عامة شاملة، وتُعتبر من أنكى الخسائر الاقتصادية، وأشدها غَبْنًا.

اعلموا أيها الإخوة أن شركات التأمين لها شروط متنوعة: منها ما يخص القسط، ومنها ما يخص مبلغ التأمين، ومنها ما يخص الخطر المؤمَّن ضده، ومنها ما يخص التعويض عن الحادث، ومنها العام الذي تشترك فيه جميع شركات التأمين، ومنها الخاص بشركة معينة، ومنها الظاهر الذي يعلمه أكثر الناس، ومنها الخفي الذي لا تعلمه إلا الخاصة من أصحاب الخبرة والممارسة، ومن شروطها سقوط حق المطالبة بمبلغ التأمين في الظروف غير العادية كالحروب، والزلازل، والاضطرابات العامة.

وشروط شركات التأمين كلها شروط إذعان، على المؤمَّن له قبولها دون مناقشة، وهذه الشروط تحمي شركات التأمين وتُحكِم القبضة على المؤمَّن لهم في الانتظام في دفع القسط، وتضع العراقيل دون حصولهم على مبلغ التأمين.

يقول مؤلف كتاب (فخ التأمين): شركات التأمين ليس لها هدف في التعاون وخدمة الناس، وإنما هدفها الوحيد هو الربح والثراء السريع على حساب المؤمَّن لهم.

ويعتقد كثير من الناس أن من وقَّع عقدًا مع إحدى شركات التأمين ضد حادث معين فقد أمِنَ شر هذا الحادث، ونسي همه إلى الأبد، وهذا خطأ فاحش، وفهم قاصر لحقيقة عقود التأمين؛ فقد وضعت شركات التأمين شروطًا للتعويض لا يأتي بها كاملة إلا قلة من الناس، فيندر أن يسلَم أحدٌ من المؤمَّن لهم من شر هذه الشروط التي تجد شركات التأمين فيها أعظم مجال لتصيُّد الثغرات والتحلل من الالتزامات.

يقول صاحب كتاب (الأمن الخادع): شركات التأمين تعقد الكثير، ولا تفي إلا بالقليل.

ويقول أحد خبراء التأمين الألمان: وقع في عام 1984م مليون حادث كلُّها مؤمَّنة، ومع ذلك لم تعوِّض شركات التأمين منها إلا 3 %!

شركات التأمين لها أعوان من المستشارين، والمحامين، والخبراء، وغيرهم من المختصين في حماية شركات التأمين، وإبطال أي دعوى تقام ضدها، ويتولون التحقيق في الحوادث، وتقويمها، وبيان وجهة القانون فيها، وما يترتب عليها من مسؤوليات وتعويضات.

أيها المسلمون إن كان للتأمين بعض المحاسن، فمساوئه تطغى على كل أثر حسن، فللتأمين سلبيات ومساوئ كبيرة وكثيرة جدًا، ومن أخطرِها وأضرِّها بالناس الأمور الآتية:

**أولًا: الوقوع فيما حرمه الله تعالى:**

فالتأمين يعلق قلبك بغير الله، ثم هو قائم على الربا والقمار كما بين ذلك علماء الشريعة؛ وقد أفتت المجامع الفقهية المعاصرة بحرمة التأمين التجاري، ولا خير لك في معصية الله ورسوله.

**ثانيًا: التأمين خسارة اقتصادية:**

الكثرة الكاثرة في التأمين هي الجماعة الخاسرة، والقلة النادرة هي الفئة الرابحة؛ فإنَّ قدْرًا لا يستهان به من أموال الأفراد والجماعات والجهات والدول يُرمى به في صناديق التأمين في العالم دون سبب حقيقي لهذا التصرف!

**ثالثًا: الإغراء بإتلاف الأموال عدوانًا:**

يتعمد بعض المؤمَّن لهم إتلاف ماله المؤمَّن عليه بحريق أو غيره ليحصل على مبلغ التأمين، وخاصة إذا كانت البضاعة المؤمَّن عليها كاسدة في الأسواق، أو فات وقتها، أو اكتشف فيها عيبًا، وهذه الحوادث مشهورة ومنتشرة، وهي أشد ما تخشاه شركات التأمين، وتشدد في التحقق منه عند وقوع الحادث، ومثل هذا التصرف خسارةٌ على اقتصاد الأمة، وعدوان بغير حق.

**رابعًا: التسبب في كثير من الجرائم:**

بسبب إغراء المال والطمع في الحصول على مبالغ التأمين يُقْدِمُ عددٌ من المؤمَّن لهم بهذه المبالغ، أو المستحقين لها بعد أصحابها على ارتكاب جرائم شنيعة من القتل وإفساد الأموال بما لا يخطر على بال، وإنه لمنتهى العجب أن يكون التأمين الذي يُقصد به اتقاءَ الأخطارِ أعظمُ سببٍ لأشنع الأخطار!

**خامسًا: إبطال حقوق الآخرين:**

تستخدم شركاتُ التأمين أعدادًا كبيرة من أشهر المحامين في العالم ليتولوا الدفاع بالحق أو الباطل لإبطال حُجَج خصومِها من المؤمَّن لهم، وهي لا تقف عند هذا الحد، بل إنها تستميل بالمال من تستطيع من الأطباء المقررين، وقضاةِ المحاكم القانونيين، وكل من له أثر في تقرير الحوادث.

**سادسًا: ضياع المحافظة الفردية على الممتلكات:**

يتسبب التأمين في وقوع كثير من الإهمال لدى المؤمَّن لهم الذين لا يعتنون ولا يحافظون على أموالهم وممتلكاتهم كمحافظتهم على أموالهم غير المؤمَّن عليها، بل قد يصل الأمر بهم إلى حد الرغبة في تلف بعض الأعيان المؤمَّن عليها طمعًا في مبلغ تأمينها الذي قد يفوق قيمتها، فعدم المبالاة وترك الحراسة الفردية المشددة على الأموال والممتلكات بسبب التأمين إهدارٌ لأعظم أسباب الأمن والسلامة، وإغراءٌ بارتكاب الجرائم والنهب والاختلاس، وتعطيلٌ لغريزة الوقاية التي خلقها الله في الإنسان.

**سابعًا: تخويف الناس والتغرير بهم:**

إذا كان السبب والأصل الذي دفع الناس إلى الأخذ بالتأمين هو الخوف من المستقبل المجهول، وعدم توكلهم على الله، وعدم ثقتهم بأنفسهم في مواجهة الأحداث؛ فإن شركات التأمين قد استغلت هذا الدافع أسوأ استغلال، فجسَّمت أمامَهم المخاطر، وعظَّمت في أعينهم الأحداث، وربَّتِ الناس على عدم قدرة الفرد أو الجماعة على مواجهة المستقبل، بل أخافت الدول نفسها، وزينت لها وللناس اللجوء إلى شركات التأمين التي جعلتها أمامهم هي وحدها القادرة على مواجهة هذه الأمور العِظام، وعلى التصدي لتجنيب الناس أضرار الكوارث ومساوئ الأحداث؛ فهي في الحقيقة شركاتُ تخويفٍ لا تأمين؛ فإنها تُبعِد الناس عن التوكل على الله، وتخيفهم وترعبهم، وتدمر ثقتهم بأنفسهم، ثم تدعوهم إلى تأمين أنفسهم ضد ما أخافتهم؛ وهذا هو المرتكز والمبدأ الأول في سياستها الدعائية، وهو مبدأُ تغريرٍ وخداعٍ لا يُقره دين، ولا عقلٌ ولا خُلُق.

أيها المسلمون، التأمينُ قائمٌ على أربع دعائم كلُّ واحدةٍ منها كفيلةٌ بتحريمه والنهي عنه، ألا وهي:

الربا، والقمار، والغرر، وأكل أموال الناس بالباطل.

**أولًا الربا:** فالتأمين قائم على الربا بنوعيه ربا الفضل والنسيئة، فإذا دفعت شركة التأمين للمستأمن أو لورثته أكثر مما دفعه من النقود فهو ربا فضل، وهي تدفع ذلك للمستأمن بعد مدة من العقد بلا مقابضة، وهذا ربا النسيئة.

**ثانيًا القمار والميسر:** فلا يتصور قيام تأمينٍ إلا بوجود احتمال الغُنم أو الغُرم، وهذا هو الميسر المحرِّم بنص القرآن، فحقيقة عقد التأمين أن شركة التأمين تقول للمغرَّر به: ادفع شيئًا معلومًا، فإن أصابك حادثٌ دفعنا لك شيئًا مجهولًا، وإن لم يصبك خَسِرْت ما دفعت.

**ثالثًا حصول الغَرر بأنواعه الثلاثة: غرر الحصول، وغرر الأجل، وغرر المقدار:** وقد نهى النبي ﷺ عن الغرر، وهو كل ما فيه خطر، ويكون مجهولَ العاقبة لا يُدرى أيكون أم لا، فالمشارك في التأمين لا يدري أيحصل عليه حادثٌ أو لا، ولا يدري متى يحصل، ولا يدري مقدار ما يعوَّض!

**رابعًا أكل أموال الناس بالباطل:** والله سبحانه يقول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: 29].

ولهذه الأسباب أجمعت المجامعُ الفقهيةُ على حرمة التأمين التجاري بجميع أنواعِه سواء كان على النفس أو الصحة أو السيارة أو المحلات أو البضائع أو غير ذلك، وأجاز العلماءُ التأمين التعاوني الذي لا يُقصد به الربح، وإنما يُقصد به التعاونُ على تفتيت الأخطار، والتعاونُ على تحمل الضرر، والاشتراكُ في تحمل المسئولية عند نزول الكوارث، وذلك عن طريق إسهام أشخاصٍ بمبالغ نقديةٍ تُخصص لتعويض من يصيبه الضررُ منهم، من غير قصدِ التجارة، ولا قصدِ الربح من أموالِ غيرهم، ولكنَّ هذا التأمينَ التعاونيَّ قلَّ أن يوجد، وقد ادعت بعض شركات التأمين أنها تعاونية والحقيقة أنها شركاتُ تأمينٍ تجاريةٍ مخادعِة! فليس كلُّ بيضاء شحمة، وما أكثرَ الكذبِ والتدليسِ في المعاملات المالية، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 27، 28]، ويقول النبي ﷺ: ((إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ)).

أيها المسلمون، أهل العلم يحذِّرون المسلم من التعامل مع شركات التأمين التجاري في حال الاختيار، أما في حال الاضطرار فالإثم على من ألزمك بالتأمين، فإن حصل عليك حادثٌ فلك أن تأخذ منهم قدر ما دفعت لهم بلا زيادة، ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 279].

أيها المسلمون لنتوكل على الله في جلب ما ينفعُنا، ودفع ما يضرنا، مع الأخذ بالأسباب الشرعية، وترك الأسباب الموهومة المخالفة للشريعة، ولنتواصى بالحق، ولنتواصى بالصبر، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 51]، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: 12]، ويقول الله سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ \* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 155 - 157].

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن: 16]، وأقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله الذي جعل الجنة ثوابًا للمؤمنين المتقين، وجعل النار مثوى الكافرين والفجار والمنافقين والمرابين والمخادعين، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أما بعد:

أيها المسلمون، ليس هناك على وجه الأرض نظامٌ يؤمِّن الإنسان تأمينًا حقيقيًا في دينِه وعيشِه ومالِه ونفسه وعرضه إلا نظام الإسلام، فنحن قوم أعزنا اللهُ بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله، فنظام الإسلام شاملٌ كاملٌ وافٍ بكل احتياجات الإنسان، وقد أوجد الإسلام حلولًا عمليةً حقيقةً لما يتعرض له الإنسان من مخاطر وحوادث، فمن تلك الحلول:

أولًا: بيتُ مال المسلمين، ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ وَلَمْ يَتْرُكْ وَفَاءً فَعَلَيْنَا قَضَاؤُهُ))، فيجب على الدولة شرعًا أن تعين من وقع عليه حادثٌ أو أصابته جائحة، وهذا من مسئوليات الدولة في الإسلام.

ثانيًا: الزكاة، وهي ركنٌ من أركان الإسلام، ولو أُخرِجتِ الزكاةُ على الوجه المشروع، وصُرِفَت في مصارفها الشرعية؛ لما وُجِد في بلاد المسلمين فقيرٌ ولا محتاج، ففي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ)).

ثالثًا: الصدقات العامة، وهذا بابٌ واسع، وهو ساحةُ سباقٍ لفُرسان البذلِ والإحسان من أغنياء المسلمين، لمدِّ يدِ العونِ لكل منكوبٍ أو متضررٍ أو محتاج.

رابعًا: رفعُ الحرج وأضرار الحوادث عن طريق تعاون العائلةِ أو أهلِ المسجد أو الحيِ أو أهلِ القرية، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2].

خامسًا: أن يدخر الإنسان سواء كان فردًا أو مؤسسة مبلغًا ماليًّا يحتفظ فيه، ويستقطعه من أرباحه، فبدلًا من أن يُسلم هذا المبلغ شهريًّا لشركات التأمين، يقوم هو بادخاره والمتاجرة به لوقت الأزمات، وينتفع منه في وقت الكوارث والملمات.

سادسًا: إذا وُجِدت شركةُ تأمينٍ إسلاميةٍ حقيقة لا ادعاء، قصدها التعاون مع المشتركين لا التجارة، وكان فيها هيئةُ مراقبةٍ شرعيةٍ من العلماء الراسخين، فلا حرج في التعامل معها بعد التحري والتأكد والتبين والتثبت من عدم مخالفتها للشريعة، وإلا فدعْ ما يَريبك إلى ما لا يَريبك، وللأسف بعض شركات التأمين تدَّعي أنها شركاتُ تأمينٍ تعاونيةٍ وإسلامية، وهي في الحقيقة شركاتُ تأمينٍ ربحيةٍ ابتزازية، يقولون ما لا يفعلون، ويَغُرون الناس بالدعاوى الكاذبة، ويحتالون على الحرام بالدعايات الخادعة.

أيها المسلمون، يجب أن نتقي اللهَ فنُحِل ما أحل الله، ونُحرِّم ما حرم الله، ونؤمنَ بأن شريعة الله حكيمةٌ تجلب لنا المصالح في ديننا ودنيانا، وتدفع عنا المفاسد كلها، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: 8]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50]، والحكم في التحليل والتحريم والتشريع هو لله وحده كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 26] وقال: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: 40]، وعلى المؤمن أن يذعن لشرع الله، ويسأل عن حكم الله في المعاملات المالية ليعمل به، ولا يرضى بحكم غير الله، ولا يُقدِّم على حكم الله هوى أو عادة أو استحسانًا، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: 36].

وعلينا أن نسأل علماء الشريعة عن الحلال والحرام كما أمرنا الله بقوله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: 7]، ووظيفة العلماء أن يبينوا للناس الحلال والحرام من كتاب الله وسنة رسول الله، ولا يحل لأحدٍ أن يُحلل ويحرم بلا دليل من شرع الله، قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: 116].

وعلى المسؤولين أن يتقوا الله تعالى في أمتهم، وألا يُجبِروا الناس على التأمين وقد أفتى العلماء بحرمته وضرره، فهم في غِنية عن تحملِ أوزارِ الناسِ إلى أوزارهم، يقول النبي ﷺ: ((إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)).

اللهم أصلِح قلوبَنا وأعمالَنا وأحوالَنا، ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: 4]، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، واغننا بفضلك عمن سواك، اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، ونعوذ بك من أكل الحرام، ومن الربا والقمار، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، اللهم أصلح أحوالنا وأحوال جميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم اجعلنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، اللهم وصل وسلم على نبينا محمد وأهل بيته وأزواجه وذريته.

## (30) خطبة منتقاة من كتب الزهد

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَا شَاءَ صَنَعَ، وَمَا شَاءَ رَفَعَ، وَمَا شَاءَ وَضَعَ، وَمَا شَاءَ أَعْطَى، وَمَنْ شَاءَ مَنَعَ.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: 26، 27].

اللهم لك الحمد ملءَ السماوات وملء الأرض وما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجَد منك الجَد.

وأشهد أن لا إله إلا االله وحده، المعبود بحقٍ، لا شريكَ له، ولا مثيلَ له، هو خيرٌ وأبقى، له الآخرةُ والأولى، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله، أرسله الله شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، أما بعد:

فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا \* وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: 7، 8]، إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ غُرُورٍ، وَزِينَةٌ تَتَقَلَّبُ، تُضْحِكُ بَاكِيًا، وَتُبْكِي ضَاحِكًا، وَتُخِيفُ آمِنًا، وَتُؤَمِّنُ خَائِفًا، تُفْقِرُ مُثْرِيهَا، وَتُثْرِي فَقِيرَهَا، مَيَّالَةٌ لَاعِبَةٌ بِأَهْلِهَا، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾.

يَا عِبَادَ اللَّهِ اتَّخِذُوا كِتَابَ اللَّهِ إِمَامًا، وَارْضُوا بِهِ حُكْمًا، وَاجْعَلُوهُ لَكُمْ قَائِدًا، فَإِنَّهُ نَاسِخٌ لِمَا كَانَ قَبْلَهُ، وَلَنْ يَنْسَخَهُ كِتَابٌ بَعْدَهُ، وَاعْلَمُوا يَا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَجْلُو كَيْدَ الشَّيْطَانِ، وأنه شِفاءٌ لما في الصدور، وأنه ينابيع العلم، فمنْ تَعلَّمَه وتَدبَّره فهو خيرُ الناسِ وأعلَمُهم، قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89].

القرآن يُعرِّفك حقيقة حياتك الفانية، وما يجب عليك فيها من عبادة الله بالإخلاصِ والمداومة، ومعاملةِ الناس بالصدق والأمانة، ويُحذِّرُك من الاغترار بالدنيا الغدارة، ويحثك على الإقبال على الآخرة الباقية، مع عدم نسيان نصيبك من الدنيا بالحلال الذي لا شبهة فيه، والشكر على نعم الله التي لا تعد ولا تحصى، والصبرِ على كل بلوى، وتذكرِ الموت والبِلى.

كَيْفَ يَفْرَحُ بِالدُّنْيَا مَنْ يَوْمُهُ يَهْدِمُ شَهْرَهُ، وَشَهْرُهُ يَهْدِمُ سَنَتَهُ، وَسَنَتُهُ تَهْدِمُ عُمْرَهُ؟ كَيْفَ يَفْرَحُ بِالدُّنْيَا مَنْ يَقُودُهُ عُمْرُهُ إِلَى أَجَلِهِ، وَتَقُودُهُ حَيَاتُهُ إِلَى مَوْتِهِ؟!

أيها العبد، إِنَّكَ اسْتَدْبَرْتَ الدُّنْيَا مُنْذُ دَخَلْتَهَا، وَاسْتَقْبَلْتَ الْآخِرَةَ، فَأَنْتَ إِلَى دَارٍ تَقْرُبُ مِنْهَا أَقْرَبُ مِنْكَ إِلَى دَارٍ تُبَاعِدُ عَنْهَا، بِئْسَتِ الدَّارُ الدُّنْيَا إِلَّا لِمَنْ أَطَاعَ اللهَ فِيهَا، وخرج منها وَرَبُّه رَاضٍ عَنْه بما سعى فيها، فالدنيا مزرعةُ الآخرة، فازرعْ فيها الخير لتحصده في الجنة، وتكون ممن يقول الله لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: 24].

وَيْلٌ لِصَاحِبِ الدُّنْيَا كَيْفَ يَمُوتُ وَيَتْرُكُهَا، وَتَغُرُّهُ وَيَأْمَنُهَا، وَتَخْذُلُهُ وَيَثِقُ بِهَا؟ وَيْلٌ لِلْمُغْتَرِّينَ بِالدُّنْيَا كَيْفَ أَرَتْهُمْ مَا يَكْرَهُونَ، وَفَارَقَهُمْ مَا يُحِبُّونَ، وَجَاءَهُمْ مَا يُوعَدُونَ؟ وَيْلٌ لِمَنِ الدُّنْيَا هَمُّهُ، وَالْخَطَايَا عَمَلُهُ، كَيْفَ يَفْتَضِحُ غَدًا بِذَنْبِهِ؟

عَجَبًا مِمَّنِ الدُّنْيَا مُوَلِّيَةٌ عَنْهُ وَالْآخِرَةُ مُقْبِلَةٌ إِلَيْهِ، وَهُو يَشْتَغِلُ بِالْمُدْبِرَةِ، وَيُعْرِضُ عَنِ الْمُقْبِلَةِ! عَجَبًا مِمَّنْ يَحْزَنُ عَلَى نُقْصَانِ مَالِهِ، وَلَا يَحْزَنُ عَلَى فَنَاءِ عُمْرِهِ، أَمَا يَكْفِي أَهْلَ الدُّنْيَا مَا يُعَايِنُونَ مِنْ كَثْرَةِ الْفَجَائِعِ، وَتَتَابُعِ الْمَصَائِبِ فِي الْمَالِ وَالْإِخْوَانِ، وَالنَّقْصِ فِي الْقُوَى وَالْأَبْدَانِ؟!

حَيَاتُكَ بِالْهَمِّ مَقْرُونَةٌ ... فَمَا تَقْطَعُ الْعَيْشَ إِلَّا بِهَمِّ

إِذَا تَمَّ أَمْرٌ بَدَا نَقْصُهُ ... تَوَقَّعْ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمّ

يَا ابْنَ آدَمَ فَرِحْتَ بِبُلُوغِ أَمَلِكَ، وَإِنَّمَا بَلَغْتَهُ بِنُقْصَانِ أَجَلِكَ، ثُمَّ سَوَّفْتَ بِعَمَلِكَ، كَأَنَّ مَنْفَعَتَهُ لِغَيْرِكَ!

مَا أَعْطَى اللَّهُ الدُّنْيَا لِمَنْ أَعْطَاهَا إِلَّا اخْتِبَارًا، وَلَا زَوَاهَا عَمَّنْ زَوَاهَا إِلَّا اخْتِبَارًا، ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: 2]، ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ \* وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ \* كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ \* وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ \* وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا \* وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا \* كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا \* وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى \* يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: 15 - 24].

يَا ابْنَ آدَمَ، تَذَكَّرْ مَوتَكَ، وَتَهَيَّأْ َلِنَشْرِ حِسَابِكَ، فَيَسْأَلُكَ اللَّهُ عَنِ النَّقِيرِ وَالْفَتِيلِ وَالْقِطْمِيرِ، وَمَا هُوَ أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَكْبَرُ، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 49]، وَمَا تُغْنِي حَيَاةٌ بَعْدَهَا الْمَوْتُ؟! ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورِ﴾ [لقمان: 33].

أكثر الناس في غفلة عن طاعة ربهم، لاهين بدنياهم، تاركين العمل للآخرة وهي خير من الدنيا وأبقى، ترى الغافل يعملُ كَدًّا كَدًّا لِمَا يَفْنَى، وَهو غافلٌ عَمَّا يَدُومُ وَيَبْقَى، إن أغناه الله طغى ولم يشكر، وإن أفقره الله وابتلاه ضجر ولم يصبر، وسيندم الغافل حين يأتيه الموت فجأة، فيعلم أنه قد فرط في طاعة ربه، وأنه كان في غرور وغفلة، فيتمنى الرجوع إلى الدنيا للتوبة، فيا حسرة على من عاش في الدنيا غافلا عن عبادة الله العظيم، معرضا عن ذكره وشكره، كيف سيكون حسابه؟ وماذا سيكون جوابه؟

﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: 66]، ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 205].

مَا الدُّنْيَا كُلُّهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا إِلَّا كَرَجُلٍ نَامَ نَوْمَةً فَرَأَى فِي مَنَامِهِ مَا يُحِبُّ، ثُمَّ انْتَبَهَ!

أَحْلَامُ نَوْمٍ أَوْ كَظِلٍّ زَائِلٍ ... إِنَّ اللَّبِيبَ بِمِثْلِهَا لَا يُخْدَعُ

النَّاسُ نِيَامٌ، فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا وَنَدِمُوا، وَإِذَا نَدِمُوا لَمْ تَنْفَعْهُمْ نَدَامَتُهُمْ.

نُرَقِّعُ دُنْيَانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنَا ... فَلَا دِينُنَا يَبْقَى وَلَا مَا نُرَقِّعُ

الْمَوْتُ مِنَ الْإِنْسَانِ قَرِيبٌ، وَفِي كُلِّ يَومٍ يَنْتَقِصُ مِنْهُ نَصِيبٌ، وَلِلْبِلَى فِي جِسْمِهِ دَبِيبٌ، فَبَادِرْ بِالْعَمَلِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكَ الأَجَلُ، فَالدُّنْيَا مَمَرٌّ، وَالْآخِرةُ هِيَ الْمُسْتَقَرُّ.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ \* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ \* كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ \* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ \* كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ \* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ \* ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ \* ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: 1 - 8].

وَيْلٌ لِمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا أَمَلَهُ، وَالْخَطَايَا عَمَلَهُ، عَالِمٌ بِأَمْرِ دُنْيَاهُ، جَاهِلٌ بِأَمْرِ آخِرَتِهِ.

﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: 6]، ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ \* الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ \* فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ \* كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ \* وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ \* كِرَامًا كَاتِبِينَ \* يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: 6 - 12].

أَلَا إِنَّ الْأُمُورَ غَدًا ... تَصِيرُ إِلَى حَقَائِقِهَا

أيها الناس، تَفَكَّرُوا وَاعْمَلُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمُوا، وَلَا تَغْتَرُّوا بِالدُّنْيَا الخدَّاعَة، فَإِنَّ صَحِيحَهَا يَسْقَمُ، وَجَدِيدَهَا يَبْلَى، وَنَعِيمَهَا يَفْنَى، وَشَبَابَهَا يَهْرَمُ، وهي أمد، والآخرة هي الأبد.

أيها المسلم، اتق الله، ولا تتعد حدود الله، ولا تخالف سنة رسول الله، فمن عصا الله ورسوله فإنه من الضالين، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: 36]، لا تتهاون بمعصية الله، ولا تنظر إلى صِغَر المعصِية، وانظرْ إلى عظمة من عصيت!

ومما يدعو المسلم إلى الخوف الشديد من الله العظيم هذه القصة التي ذكرها الله في كتابه، وهي قصة القرية التي كانت حاضرة البحر، حرم الله على أهلها اليهود الصيد يوم السبت، وابتلاهم بمجيء الحيتان إلى الشاطئ بكثرة يوم السبت دون بقية الأيام، فلم يصبروا، وتعدوا ما نهاهم الله عنه من الصيد يوم السبت، فاحتالوا على النهي بأن وضعوا شباك الصيد يوم الجمعة، فلما جاءت الحيتان يوم السبت علِقت في الشباك وتم صيدُها، ثم سحبوا الشباك المليئة بالأسماك يوم الأحد، فغضب الله عليهم، ولعنهم، وجعلهم قردة خاسئين؛ لأنهم ارتكبوا ما نهاهم الله عنه بتلك الحيلة، فكيف بمن يرتكب ما نهاه الله عنه بكل جرأة أو يحتال على أخذ حقوق الناس بالمكر والحيلة؟! كيف بمن يعصي الله وهو يعلم أنها حرام عليه ولا يبالي، وربما برر لنفسه استحلالها بالأماني؟!

تأملوا في هذه القصة التي فيها عبرة، فإنه لم ينفعهم إيمانهم بالله حين عصوه، وقد نصحهم الناصحون فاغتروا برأيهم، وطمعوا في زيادة المال، ولم يقنعوا بالحلال، وظنوا أن مخالفة نهي الله بصيد الحيتان يوم السبت أمرًا صغيرًا لا يضرهم، ولم يظنوا أن تلك المخالفة كانت سببا لغضب الله عليهم، مع أن تلك الحيتان لم تكن مِلْكًا لأحد، ولا شك أن أخذ حقوق الناس أعظم من صيد الحيتان، وأن بعض المعاصي التي نقع فيها أعظم إثما من مجرد تلك المخالفة بالصيد يوم السبت في شريعة بني إسرائيل، ولكن الله يؤخر العقاب ليوم الحساب، وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى.

أيها المسلم، تُبْ إلى اللهِ الذي يَفْرحُ بِتوبةِ عَبدِه حِينَ يَتُوبُ إِليه، وقَدِّمْ صَالِحَ الْأَعْمَالِ، وَدَعْ عَنْكَ كَثْرَةَ الْأَشْغَالِ، بَادِرْ بَادِرْ قَبْلَ نُزُولِ مَا تُحَاذِرُ.

يا مَن بِدُنياهُ اشتَغَل ... وَغَرَّهُ طُولُ الأَمَل

المَوتُ يَأتي بَغتَةً ... والقبرُ صندوقُ العَمَل

فالتوبةَ التوبةَ، فلا سعادة للإنسان إلا بالتوبة، ولا حياة طيبة للعبد إلا بالعبادة، ولا طمأنينة للقلب إلا بذكر الله وتلاوة كتابه.

أيها العاقِل، لا تغترَّ بِكل غَافِل، أَصْلِحْ مَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِكَ يُغْفَرْ لَكَ مَا مَضَى مِنْ سَيِّء عَمَلِك، ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: 11].

اللهم إنا ظلمنا أنفسنا ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لنا مغفرة من عندك وارحمنا، إنك أنت الغفور الرحيم، اللهم اغفر لنا ذنوبنا كلَّها، دِقَّها وجِلَّها، أولها وآخرها، علانيتها وسرها، رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين.

**الخطبة الثانية:**

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَحْمُودِ بِآلَائِهِ، الْمَعْبُودِ فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ، أَفْضَلَ الْحَمْدِ وَأَعْلَاهُ، وَغَايَةَ الْحَمْدِ وَمُنْتَهَاهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ، وَخِيرَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ، أَفْضَلَ مَا صَلَّى عَلَيْهِ مُصَلٍّ مِنْ أُمَّتِهِ، أَمَّا بَعْدُ:

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: 20]، وَقَالَ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نَوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود: 15]، وَقَالَ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: 19]، وَقَالَ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 21]، وَقَالَ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 14]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: 38].

أيها المسلمون، كُونُوا مِنَ اللَّهِ عَلَى حَذَرٍ، وَمِنْ دُنْيَاكُمْ عَلَى خَطَرٍ، وَلِقُدُومِ الْآخِرَةِ عَلَى وَجَلٍ، تَذَكَّرُوا الموْتَ حتَّى لا تَغْتَرُّوا بِالدُّنْيَا الفَانِيَة، واعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ الَّتِي تَنْفَعُكُمْ فِي الآخِرةِ البَاقِيَة، ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص: 60]، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى \* وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى \* بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: 14 - 17].

عَجَبًا لِمَنْ يَعْرِفُ حَقِيقَةَ الدُّنْيَا وتَغَيُّرِهَا بأَهْلِهَا حَالًا بَعْدَ حَالٍ كَيْفَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا؟! وَعَجَبًا لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ كَيْفَ لَا يَسْتَعِدُّ لَه؟! وَعَجَبًا لِمَنْ يُؤْمِنُ بِالْحِسَابِ كَيْفَ يَعْمَلُ الْخَطَايَا ولا يَتُوبُ؟!

أيها الناس، الدُّنْيَا دَارُ أَشْغَالٍ، وَالْآخِرَةُ دَارُ أَهْوَالٍ، وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ بَيْنَ الْأَشْغَالِ وَالْأَهْوَالِ حَتَّى يَسْتَقِرَّ بِهِ الْقَرَارُ، إِمَّا إِلَى جَنَّةٍ وَإِمَّا إِلَى نَارٍ.

أيها المسلمون، إِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَارِ قَرَارِكُمْ، دَارٌ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْفَنَاءَ، وَكَتَبَ عَلَى أَهْلِهَا مِنْهَا الظَّعْنَ، فَكَمْ عَامِرٍ عَمَّا قَلِيلٍ يَخْرَبُ، وَكَمْ مُقِيمٍ عَمَّا قَلِيلٍ يَظْعَنُ، فَأَحْسِنُوا مِنْهَا الرِّحْلَةَ، وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى، إِنَّمَا الدُّنْيَا كَظِلَالٍ قَلَصَ فَذَهَبَ، بَيْنَمَا ابْنُ آدَمَ فِي الدُّنْيَا قَرِيرَ الْعَيْنِ إِذْ دَعَاهُ اللَّهُ بِقَدَرِهِ، وَرَمَاهُ بِيَوْمِ حَتْفِهِ، فَسَلَبَهُ آثَارَهُ وَدُنْيَاهُ، وَصَيَّرَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ مَغْنَاهُ، إِنَّ الدُّنْيَا لَا تَسُرُّ بِقَدْرِ مَا تَضُرُّ، إِنَّهَا تَسُرُّ الغافلَ قَلِيلًا، وَتُحْزِنُهُ حُزْنًا طَوِيلًا، ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: 82].

إِنَّا لَنَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ نَقْطَعُهَا ... وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الْأَجَلِ

أيها الناسُ، لَا تَجْمَعُوا مَا لَا تَأْكُلُونَ، وَلَا تَبْنُوا مَا لَا تَسْكُنُونَ، وَلَا تَنَافَسُوا فِي شَيْءٍ غَدًا عَنْهُ تَزُولُونَ، وَارْغَبُوا فِي الآخِرةِ الَّتِي فِيهِا تَخْلُدُونَ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.

قال بعض العُلماءُ الحُكَماء: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالتَّرْكِ لِلدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ لَا تُحِبُّونَ تَرْكَهَا، الْمُبْلِيَةِ أَجْسَامَكُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ تَجْدِيدَهَا، فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَمَثَلِ مُسافِرينَ سَلَكُوا طَرِيقًا، فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ، وَكَمْ عَسَى أَنْ يَبْقَى مَنْ لَهُ يَوْمٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَطَالِبٌ حَثِيثٌ يَطْلُبُهُ حَتَّى يُفَارِقَهَا؟ فَلَا تَجْزَعُوا لِبُؤْسِهَا وَضَرَّائِهَا، فَإِنَّهُ إِلَى انْقِطَاعٍ، وَلَا تَفْرَحُوا بِنَعِيمِهَا، فَإِنَّهُ إِلَى زَوَالٍ، عَجِبْتُ لِطَالِبِ الدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَغَافِلٍ لَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ!».

أيها المسلمون، اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْبَصَرَ النَّافِذَ عِنْدَ مَجِيءِ الشُّبُهَاتِ، وَالْعَقْلَ الْكَامِلَ عِنْدَ نُزُولِ الشَّهَوَاتِ، ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى \* وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى \* وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى \* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى \* يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا \* فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا \* إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا \* إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا \* كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: 37 - 46].

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بِتَقْوَى اللَّهِ، وَصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَوَفَاءِ الْعَهْدِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَتَرْكِ الْخِيَانَةِ، وَرَحْمَةِ الْيَتِيمِ، والصَّدَقَةِ عَلَى المَسْكِين، وَحِفْظِ الْجِوَارِ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ، وَلِينِ الْكَلَامِ، وَبَذْلِ السَّلَامِ، وَالتَّفَقُّهِ فِي الْقُرْآنِ، واتِّبَاعِ السُّنَّةِ، وَحُبِّ الْآخِرَةِ، وقَمْعِ النَّفْسِ، ومُخَالَفَةِ الهَوَى، ومُرَاغَمَةِ الشَّيطَانِ، وَقِصَرِ الْأَمَلِ، وَحُسْنِ الْعَمَلِ، وَالْجَزَعِ مِنَ الْحِسَابِ، وَأَنْ نُحْدِثْ لِكُلِّ ذَنْبٍ تَوْبَةً، السِّرُّ بِالسِّرِّ، وَالْعَلَانِيَةُ بِالْعَلَانِيَةِ.

اللهم حبّب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، واغفر لنا أجمعين، اللَّهُمَّ زِدِ الصَّالِحين مِنَّا صَلاحًا وتَوفِيقًا، وزِدِ المُحْسِنِينَ إِحْسَانًا وإِخْلَاصًا، واهدِ المسِيئِينَ مِنَّا إِلَى التَّوْبَةِ النَّصوحِ، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ مَنْ كَانَ فِي صَلَاحِهِ صَلَاحٌ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ، وَأَهْلِكْ مَنْ كَانَ فِي هَلَاكِهِ صَلَاحٌ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، اللهم عليك باليهود والنصارى المعتدين الظالمين، اللهم خالف بين كلمتهم، وزلزل أقدامهم، واقذف الرعب في قلوبهم، وأنزل عليهم بأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين، اللهم أنج المستضعفين من المسلمين في فلسطين، واجعل لهم فرجا ومخرجا، وانصرهم نصرا مؤزرا، اللهم ارحم موتاهم، وتقبل شهداءهم، واشف جرحاهم، وعاف مبتلاهم، وأنزِل عليهم السَّكينةَ والرحمة، اللهم هيء الأسباب لتحرير المسجد الأقصى، فإنك على كل شيء قدير، وأنت القوي العزيز.

اللهم صل وسلم على نبينا محمدٍ سيدِ المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

## (31) خطبة وعظية مجموعة من خطب السابقين

الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ، وَأُومِنُ بِهِ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ \* يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ \* وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ \* وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل: 10 - 13].

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ \* هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [غافر: 67، 68].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، ولَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا يُنَازَعُ فِي أَمْرِهِ، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: 23]، وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله، من أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، من اتبع سنته اهتدى، ومن رغب عن سنته ضل وغوى، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 36، 37].

عن أنس رضي الله عنه قال: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، قَالَ: ((لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا)).

كان أبو بكر الصديق يقول في خطبته: «أَيْنَ الْحَسَنَةُ وُجُوهَهُمْ، وَالْمُعْجَبُونَ بِشَبَابِهِمْ؟ أَيْنَ الَّذِينَ بَنَوُا الْبُنْيَانَ فَحَصَّنُوهَا بِالْحِيطَانِ؟ قَدْ تَضَعْضَعَ بِهِمُ الدَّهْرُ، فَأَصْبَحُوا كَلَا شَيْءٍ، وَأَصْبَحُوا قَدْ فُقِدُوا، وَأَصْبَحُوا فِي ظُلُمَاتِ الْقُبُورِ».

وقرأ عُمَر بْن الْخَطَّابِ وَهُوَ يَخْطُبُ قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [فصلت: 30]، فَقَالَ: «اسْتَقَامُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ، ثُمَّ لَمْ يَرُوغُوا رَوَغَانَ الثَّعْلَبِ».

وخَطَبَ عُثْمَانُ بنُ عفَّانَ فقال: «إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أَعْطَاكُمُ الدُّنْيَا لِتَطْلُبُوا بِهَا الْآخِرَةَ، لا لِتَرْكَنُوا إِلَيْهَا، إِنَّ الدُّنْيَا تَفْنَى، وَالْآخِرَةَ تَبْقَى، آثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى، فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ، وَإِنَّ الْمَصِيرَ إِلَى اللَّهِ، اتَّقُوا اللَّهَ، وَالْزَمُوا جَمَاعَتَكُمْ، وَلَا تَصِيرُوا أَحْزَابًا، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: 103]».

وقال عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالتَّرْكِ لِلدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ لَا تُحِبُّونَ تَرْكَهَا، الْمُبْلِيَةِ أَجْسَامَكُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ تَجْدِيدَهَا، فَلَا تَجْزَعُوا لِبُؤْسِهَا وَضَرَّائِهَا، فَإِنَّهُ إِلَى انْقِطَاعٍ، وَلَا تَفْرَحُوا بِنَعِيمِهَا، فَإِنَّهُ إِلَى زَوَالٍ، عَجِبْتُ لِطَالِبِ الدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَغَافِلٍ لَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ!».

إِنْ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ طُولُ الْأَمَلِ وَاتِّبَاعُ الْهَوَى، فَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ يُنْسِي الْآخِرَةَ، وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ مُدْبِرَةً وَالْآخِرَةُ مُقْبِلَةٌ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلَ

وخَطَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ: «أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ أَدَاءُ الْفَرَائِضِ، وَاجْتِنَابُ الْمَحَارِمِ».

أيها المسلمون، إِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَارِ قَرَارِكُمْ، دَارٌ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْفَنَاءَ، وَكَتَبَ عَلَى أَهْلِهَا مِنْهَا الظَّعْنَ، فَكَمْ عَامِرٌ مُونِقٌ عَمَّا قَلِيلٍ يُخَرَبُ، وَكَمْ مُقِيمٌ مُغْتَبِطٌ عَمَّا قَلِيلٍ يَظْعَنُ، فَأَحْسِنُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ مِنْهَا الرِّحْلَةَ، وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى، إِنَّمَا الدُّنْيَا كَفَيْءِ ظِلَالٍ قَلَصَ فَذَهَبَ، بَيْنَمَا ابْنُ آدَمَ فِي الدُّنْيَا يُنَافِسُ فِيهَا قَرِيرَ الْعَيْنِ قَانِعًا، إِذْ دَعَاهُ اللَّهُ بِقَدَرِهِ، وَرَمَاهُ بِيَوْمِ حَتْفِهِ، فَسَلَبَهُ آثَارَهُ وَدُنْيَاهُ، وَصَيَّرَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ مَصَانِعَهُ وَمَغْنَاهُ، إِنَّ الدُّنْيَا لَا تَسُرُّ بِقَدْرِ مَا تَضُرُّ، إِنَّهَا تَسُرُّ قَلِيلًا، وَتُحْزِنُ حُزْنًا طَوِيلًا.

مَثَلُ الدُّنْيَا كَرَجُلٍ نَامَ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ مَا يَكْرَهُ وَمَا يُحِبُّ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذِ انْتَبَهَ.

أَحْلَامُ نَوْمٍ أَوْ كَظِلٍّ زَائِلٍ ... إِنَّ اللَّبِيبَ بِمِثْلِهَا لَا يُخْدَعُ

دَخَلْنا الدُّنيا عُرَاةً، وسَنَخْرُجُ مِنْهَا عُرَاةً، ليس لنا منها إلا الكفن، وليس للواحد منا في قبره أنيسٌ ولا جليس.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: 94].

كلُّ ابنِ أُنثَى وإِنْ طَالَتْ سَلامَتُهُ ... يومًا عَلى آلَةٍ حَدْباءَ محمولُ

لا تَغُرَّنَّكُم الدُّنيا فتكونوا عبيدًا لها، فمن رضي بالدنيا عن الآخرة واطمأنَّ بها فقد عبدها، واتخذ إلهه هواه، وسُكْرُ الدنيا أشدُ ضَررا مِنْ سُكْرِ الخمر، فالغافل المغرور بالدنيا لا ينتبه من سَكْرته إلا عند موته.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ \* أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: 7، 8]، وقال سبحانه: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا \* أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 43، 44]، وقال عز وجل: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ \* مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ \* لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: 1 - 3]، وقال تبارك وتعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 99، 100].

لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ، وَلَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عَمَلُكَ، وَأَنْ تُبَادِرَ فِي عِبَادَةِ رَبِّكَ، وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ: رَجُلٌ أَذْنَبَ ذُنُوبًا فَهُوَ يَتَدَارَكُ ذُنُوبَهُ بِالتَّوْبَةِ، أَوْ يُسَارِعُ فِي دَارِ الْآخِرَةِ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحة، فَرَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا اسْتَعَانَ بِنِعْمَتِهِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَعِنْ بِنِعْمَتِهِ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، اطْلُبُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ، وَاهْرُبُوا مِنَ النَّارِ جُهْدَكُمْ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ مُحَفَّفَةٌ بِالْمَكَارِهِ، وَإِنَّ الدُّنْيَا مُحَفَّفَةٌ بِاللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ، فَلَا تُلْهِيَنَّكُمْ شَهَوَاتُ الدُّنْيَا وَلَذَّاتُهَا عَنِ الْآخِرَةِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْلَغَ فِي الْمَعْذِرَةِ، وَبَلَّغَ الْمَوْعِظَةَ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَلَّ كَثِيرًا طَيِّبًا لَكُمْ فِيهِ سَعَةٌ، وَحَرَّمَ الخَبَائِثَ، فَاجْتَنِبُوا مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ، وَاقْنَعُوا بِمَا أحَلَّ اللهُ لَكُمْ.

أيها المسلم، عظِّم الصلاة التي عظمها الله، وحافظ عليها في أوقاتها، واهتم بإقامتها، وأمر أهلك بها، فهي أعظم مشروع تقيمه في حياتك، وهي نور لك في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى \* وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى \* وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: 130 - 132].

وكان من دعاء النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: 40].

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا \* وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: 54، 55].

وقال عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: 31].

وقال الله عن جميع الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: 73].

وقال الله سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا \* إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا \* جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا \* لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا \* تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 59 - 63].

اللهم اجعلنا من المتقين، وارزقنا المحافظة على الصلوات في كل حين، واجعلنا من المحسنين المتصدقين، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم والمسلمين.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأنَّ محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدْى وَدِينِ الْحَقِّ لِيَزِيحَ بِهِ عِلَّتَكُمْ، وَلِيُوقِظَ بِهِ غَفْلَتَكُمْ، أما بعد:

فعَجَبًا كُلَّ الْعَجَبِ لِلْمُصَدِّقِ بِدَارِ الْخُلُودِ وَهُوَ يَسْعَى لِدَارِ الْغُرُورِ! مَا زِلْتَ أيها الإنسانُ فِي هَدْمِ عُمُرِكَ مُنْذُ سَقَطْتَ مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّنْيَا غَرَّارَةٌ، أَهْلَكَتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ، أَلَا وَهِيَ مُهْلِكَةٌ مَنْ بَقِيَ، أَلَا فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الدُّنْيَا، كَمْ عَسَى أَنْ يَبْقَى مَنْ لَهُ يَوْمٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَطَالِبٌ حَثِيثٌ يَطْلُبُهُ حَتَّى يُفَارِقَهَا؟ مَنْ صَحَّ فِيهَا أَمِنَ، وَمَنْ سَقِمَ فِيهَا نَدِمَ، وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ، فِي حَلَالِهَا الْحِسَابُ، وَفِي حَرَامِهَا النَّارُ.

العَاقِلُ مَنْ لَمْ يَنْسَ الْقَبْرَ وَالْبِلَى، ولَمْ تَغُرُّه زِينَةُ الدُّنْيَا، وَآثَرَ مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى، وَعَدَّ نَفْسَهُ فِي الْمَوْتَى، مَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا هَانَتْ عَلَيْهِ الْمُصِيبَاتُ، وَمَنِ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ فِي الْخَيْرَاتِ.

يا حسانَ الوُجُوهِ سَوفَ تَموتُونَ ... وتَبلى الوُجُوهُ تَحتَ التُّرابِ

روى البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: ((كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ))، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ».

أيها الإنسانُ الضعيفُ المغرورُ، كَانَتِ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ تَكُونَ فِيهَا، وَهِيَ كَائِنَةٌ بَعْدَك، وَإِنَّمَا لكَ فِيهَا أَيَّامٌ مَعْدُودَةٌ، فأحسِنِ العمل، فالدنيا مزرعةُ الآخرة، وما زرعتَ في الدنيا من عملٍ حصدته في الآخرة، الدُّنْيَا غَنِيمَةُ الْصَّالِحِينَ، وَغَفْلَةُ الجَاهِلِينَ، لَمْ يَعْرِفُوهَا حَتَّى أُخْرِجُوا مِنْهَا، فَسَأَلُوا الرَّجْعَةَ فَلَمْ يَرْجِعُوا.

أيها العبد، عَلَيْكَ بِالْوَرَعِ يُخَفِّفِ اللَّهُ حِسَابَكَ، وَدَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، وَادْفَعِ الشَّكَّ بِالْيَقِينِ يَسْلَمْ لَكَ دِينُكَ.

أَلَّا وَإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا فِيهَا عَلَى وَجَلٍ، لَمْ تَمْضِ بِهِمْ نِيَّةٌ، وَلَمْ تَطْمَئِنَّ بِهِمْ دَارٌ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا، وَلَا تُؤْمَنُ فَجَائِعُهَا، ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ \* ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ\* مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء: 205 - 207].

أيها العبدُ الضعيفُ المغرورُ، تُبِ الْآنَ قَبْلَ أَنْ تَسْقَمَ فَتَضْنَى، وَتَهْرَمَ فَتَفْنَى، ثُمَّ تَمُوتَ وَتُقْبَرَ، فَتُنْسَى وَتَبْلَى، ثُمَّ تُبْعَثَ فَتَحْيَى، ثُمَّ تُوقَفَ فَتُجْزَى بِمَا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ، تُحاسَبُ على مَا نَسِيتَ مِنْ مُوبِقَاتِ سَيِّئَاتِكَ، وَمُتْلِفَاتِ شَهَوَاتِكَ، فَالتَّوبةَ الْآنَ الْآنَ وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ.

إنَّ الْحُزْنَ عَلَى الدُّنْيَا طَوِيلٌ، وَالْمَوْتَ مِنَ الْإِنْسَانِ قَرِيبٌ، وَيَنْتَقَصُ مِنْهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ نَصِيبٌ، وَلِلْبِلَى فِي جِسْمِهِ دَبِيبٌ، فَبَادِرْ بِالْعَمَلِ قَبْلَ أَنْ يُنَادَى بِالرَّحِيلِ، وَاجْتَهِدْ فِي الْعَمَلِ فِي دَارِ الْجَهَادِ قَبْلَ أَنْ تَدْخُلَ دَارَ الْمَصِير.

خَطَبَ بعضُ العلماء الحكماء فَقَالَ: «احْفَظُوا مِنِّي ثَلَاثًا: إِيَّاكُمْ وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَقَرِينَ سُوءٍ، وَإِعْجَابَ الْمَرْءِ بِرَأْيِهِ».

أيها المسلم العاقل، إِنَّ أَخَاكَ مَنْ نَصَحَكَ، وَمَنْ نَصَحَكَ خَيْرٌ لَكَ مِمَّنْ يَغُرُّكَ وَيُمَنِّيكَ، وتدبروا ما قال مؤمن آل فرعون لقومه: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ \* يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ \* مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ \* وَيَاقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ \* تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ \* لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ \* فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: 38 - 44].

بدايةُ الهدايةِ التفكرُ في النِّهاية، تفكر في سرعة انقضاء عمرك، تفكر في موتك، تفكر في وحدتك في قبرك، تفكر في آخرتك، اعمل بعلمك، فإنك تعلم أن الله ربك، وأنه خلقك لعبادته وشكره، وأنه وعد من أطاعه بالجنة، وتوعد من عصاه بالنار، فاعلم أن الله شديد العقاب، وأنه الغفور لمن تاب، ومن نوى الخير يسره له، ومن تاب فرح بتوبته.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: 20]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: 5 - 7]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: 11]، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: 15، 16]، ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى \* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى \* وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [الليل: 8 - 11].

أيها المسلمون، أصلحوا نياتِكم، فإن الله ينظر إلى قلوبكم، وإذا صلح القلب صلَحتِ الجوارح والأعمال، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11]، فإذا أردت التوفيق من الله والهداية فغيِّر ما في نفسك من الشر والنية الفاسدة، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: 235].

أيها العاقل، إن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد فافعل، فاترك المعاصي تكن أعبد الناس، ولا تهم بمعصية، وطهر قلبك من المخالفة، سُئِل بعض العلماء: أيجد طعم العبادة من يعصي الله؟ قال: لا، ولا ومن يهم بالمعصية!

وقال بعض العلماء: لا تنظر إلى صِغَر المعصية، وانظر إلى عظمة من عصيت!

ماذا ربح من مات وهو عاصٍ لربه؟! فهو كالعبد الآبق الذي يُرد إلى سيده وهو غاضبٌ عليه!

وطوبى لمن يلقى الله وهو راض عنه، ذلك الفوز العظيم.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ أَحْسَنَ مِنْكُمْ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ أَسَاءَ فَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ، والله يحب التوابين، ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31].

كَانَ بعض التابعين إِذَا فَرَغَ مِنْ خُطْبَتِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يقول: «اللَّهَ اللَّهَ فِي يَتَامَاكُمْ، اللَّهَ اللَّهَ فِي أَرَامِلِكُمْ، اللَّهَ اللَّهَ فِيمَنْ لَا أَحَدَ لَهُ إِلَّا اللَّهُ».

اللهم اغفر لنا ذنوبنا كلها، دِقَّها وجِلَّها، أولها وآخرها، علانيتها وسرها، وارزقنا توبة نصوحًا.

يا حليم يا عليم، يا علي يا عظيم، اغفر لنا ذنوبنا، وكفر عنا سيئاتنا، يا ربنا إنا ضعفاء فقونا على فعل الخير، وترك الشر، يا من تحول بين المرء وقلبه أصلح قلوبنا ونياتنا، اللهم حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم إنا في زمان الفتن والشهوات والشبهات، وإن لم تهدنا نضل ونغفل بالملهيات والمغريات، اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، اللهم قلوبنا مريضةٌ بالمعاصي فأصلحها، وأنفسنا كسلة عن الطاعات فزكها، وأعنا على قمعِها ومخالفة هواها ومجاهدتها، اللهم لا تجعل قلوبنا تطمئن إلا بذكرك، ولا تُسعدنا إلا بحلالك وطاعتك، اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

## (32) حِكمٌ وزواجرٌ من خُطَب البُلغاء

الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا يُنَازَعُ فِي أَمْرِهِ، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، من أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، من اتَّبع سنته اهتدى، ومن رغب عن سنته ضل وغوى، أما بعد:

فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْقَصَصِ قَصَصُ الْقُرْآنِ، وَأَحْسَنَ السُّنَنِ سُنَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَخَيْرَ الْعَمَلِ مَا نَفَعَ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ مَا اتُّبِعَ، وَشَرَّ الْعَمَى عَمَى الْقَلْبِ، وَمَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى، وَشَرَّ الْمَعْذِرَةِ عِنْدَ حُضُورِ الْمَوْتِ، وَشَرَّ النَّدَامَةِ نَدَامَةُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَكْثَرَ الْخَطَايَا خَطَايَا اللِّسَانِ، وَرُبَّ شَهْوَةِ سَاعَةٍ تُورِثُ حُزْنًا طَوِيلًا، وَخَيْرَ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ، وَخَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى، وَرَأْسَ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللَّهِ، وَخَيْرَ مَا فِي الْقُلُوبِ الْيَقِينُ، وَشَرَّ الْمَكَاسِبِ كَسْبُ الرِّبَا، وَشَرَّ الْمَآكِلِ أَكَلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالسَّعِيدَ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وإنما الأعمالُ بالخواتيم، وَكُلَّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ، ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام: 134].

أيها المسلمون، خلق اللهُ الليلَ والنهار بقدرته، وجعل كُلًا منهما يخلف الآخر بتقديره؛ ليتذكر فيهما المتذكر، ويعبد الله فيهما الشاكر، فيا حسرةً على من كان فيهما غافل!

اعْبُدُوا اللَّهَ كَأَنَّكُمْ تَرَوْنَهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْبِرَّ لَا يَبْلَى، وثوابَه عند الله لا يفنى، وَأَنَّ الْإِثْمَ لَا يُنْسَى، ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: 46].

عَجَبًا لِمَنْ يُؤْمِنُ بِدَارِ الْخُلُودِ كَيْفَ يَرضَى بِدَارِ الْغُرُورِ! ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا \* أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: 77، 78].

الدنيا أَمَد، والآخرةُ أَبَد، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ.

أيها المسلمون، إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تُنَالُ إِلَّا بِالأَعْمَالِ الصَّالِحةِ، فَأَخْلِصُوا لِلَّهِ أَعْمَالَكُم، واتَّقُوْا اللهَ فِي سِرِّكُمْ وجَهْرِكُم، وَالْقَوا اللَّهَ بِقُلُوبٍ سَلِيمَةٍ، وَأَعْمَالٍ صَادِقَةٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ، رَحِمَ اللَّهُ امْرَءًا سَارَ إِلَى رِزْقِهِ سَيْرًا جَمِيلًا، فَإِنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِالظُّلمِ والمَعَاصِي، فَاقنَعُوا بِالحَلالِ وإن كان قليلًا، ففيه الخير والبركة، فإيَّاكُم وَأَكْلَ أَمْوالِ النَّاسِ بِالبَاطِل، فالظلمُ ظلماتٌ يوم القيامة، والظالمُ يظلمُ نفسَه قبل أنْ يَظلمَ غيرَه، وما أخذه بالحرام فلن يبقى معه، فليس له من مالِه إلا ما أكله فأفناه، أو لبِسَه فأبلاه، أو تمتَّعَ به فنسيه، أو بناه فتركه بعد موته لغيره.

أيها المسلمون، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ، وَلَا يَحِلُّ لِلْمُسْلِمِ مِنْ أَخِيهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ مِنْ طِيبِ نَفْسِه، وإياكم والغشَّ والخِيانَةَ ومنعَ الحقوق، وظلمَ النِّساءِ والأيتامِ والضعفاءِ.

أيها الناس، أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَرْضَى مِنْكُمْ بِالْمُحَقَّرَاتِ مِنْ الذنوب، فَإِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الإِنْسَانِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ، وَاعْلَمْوا أنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ لَهَا مِنَ اللهِ طَالِبًا، فلا تَنظُر إلى صِغَرِ المعْصِية، وانظرْ إلى عظمةِ من عَصَيت، وطُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا.

خَلِّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا ذَاكَ التُّقَى

واصْنَعْ كَمَاشٍ فَوْقَ أَرْضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى

لا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

أيها المسلمون، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: 2، 3]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 4]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: 5].

أيها المسلم، مِنَ الْيَقِينِ أَنْ لَا تُرْضِي النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَلَا تَحْمَدَنَّ أَحَدًا عَلَى رِزْقِ اللَّهِ، وَلَا تَلُومَنَّ أَحَدًا عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ، المؤمنُ مطمئنٌ بذكر الله، راضٍ عن الله فيما قدَّره وشرعه، رضي بالله ربًّا يعبدُه وحده لا شريك له، ورضي بحكم الله ولو على نفسه وولده، لا يرضى بحكمٍ يخالفُ شرعَ الله، رضي بالله ربًّا مُدَبِّرًا، ورضي بقَدَرِ اللهِ وتقْديرِهِ، لا يحسُدُ أحدًا، ولا يَسخَطُ على ما كتب الله له وعليه، واللهُ يرضى عن هذا العبدِ الذي رضي عن ربِّه، وتقول له الملائكة عند موته: ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً \* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: 27 - 30].

أيها المسلمون، الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ يَأْكُلُ مِنْهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالْآخِرَةُ أَجَلٌ صَادِقٌ، يَحْكُمُ فِيهَا مَلِكٌ قَادِرٌ، يَفْصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: 17].

أيها المسلم، أفضلُ أوقاتِ حياتِك حين تكونُ في صلاتِك، فحافِظْ عَليها أعظمَ المحافظةَ، واهتمَّ بها أعظمَ الاهتمام، فهي رأسُ مالِك في حياتِك، فأقمها بشروطِها وأركانِها وواجباتِها في أوقاتها، ولا تتهاونْ بِأيِّ صلاةٍ منها، فهيَ نورٌ لك في حياتِك وفي قبرِك وعلى الصراطِ يوم القيامة، وهي خيرُ عونٍ لكَ على متاعِبِ الدنيا، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 153].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ \* وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ \* وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: 9 - 11].

تَصَدَّقُوا، تَصَدَّقُوا، تَصَدَّقُوا، ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 280]، اللَّهَ اللَّهَ فِي يَتَامَاكُمْ وَضُعَفَائِكُمْ، اللَّهَ اللَّهَ فِي أَرَامِلِكُمْ وأَرْحَامِكُم، اللَّهَ اللَّهَ فِيمَنْ لَا أَحَدَ لَهُ إِلَّا اللَّهُ، وَارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، خَيرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ، ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56].

قال النبي ﷺ: ((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)).

أيها المسلم، اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ.

أيها المسلمون، الدُّنْيَا حَلَالُهَا حِسَابٌ، وَحَرَامُهَا عَذَابٌ، فطُوبى لِمنْ أفنى عُمْرَه فِي طَاعَةِ ربِّه، وقَنِعَ بِالرِّزقِ الحَلال، إنْ أَصَابتْه سَرَّاءُ شَكَر، وإنْ أَصَابتْه ضرَّاءُ صَبَر، وإِنْ أذنبَ اسْتَغْفَر، وطُوبى لِمنْ عَمِل بِعِلْمِه، وخشِيَ ربَّه، وإن وقَعَ في معصيةٍ سَارَعَ إلى التَّوبة، ولم يَطْمَئِنَّ إلا بِذْكرِ ربِّه، ونِعمَ المالُ الصَّالحُ لِلْرَّجُلِ الصَّالح، الذي اكتسبه مِنَ الحَلال، وأنْفقَهُ فيما أباحَ اللهُ لَه، لم يَنسْ نَصِيبَه مِنْ مَتاعِ الدُّنيا المباح، بِلا إِسرافٍ ولا تَبْذير، ولا فَخْرٍ ولا خُيَلاء، وقدَّم من مالِه لآخرتِه، وأحْسَنَ بمالِه كما أحْسَنَ اللهُ إليه، وطُوبى لِمنِ اغْتَنَمَ صِحَّتَه وأوقاتَ فراغِه في عبادةِ ربه، وفي تلاوةِ القُرآنِ وتَدَبُّرِه، وفي طلبِ العِلمِ النافع، وفي الإحسانِ إلى والِدَيهِ وأهْلِهِ وجِيرانِه وأصْحَابِه، وفي نفعِ المسلمين، والإصلاحِ بينَهم، وكلُّ معروفٍ صدقة، والكلمةُ الطيبةُ صدقة، وتُمِيطُ الأذى عنِ الطريقِ صدقة، وتَعدِلُ بينَ اثنينِ صدقة، ومِنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْمُسْلِمِ، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، قال النبي ﷺ: ((أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَكُونُوا إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ))، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: 1]، ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: 128]، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: 40]، وَمَنْ يَغْفِرْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ يَعْفُ يَعْفُ اللَّهُ عَنْهُ، ومن يُسَامِحِ الناسَ يُسامِحْهُ الله، ومنْ يَغْفِرْ لهم أخْطَاءَهم وتَقْصِيرَهُم يَغفِرِ اللهُ لَهُ ذُنوبَه وتَقصِيرَه في حَقِّه، وكما تدِينُ تُدان.

أيها المسلمون، اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا عَاهَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا ائْتُمِنْتُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ عَنِ الْحَرَامِ، قدْ أَفْلَحَ مَنْ حَفِظَ نَفْسَهُ مِنَ الْهَوَى وَالطَّمَعِ وَالْغَضَبِ.

أيها الناس، تُوشِكُونَ أَنْ تَخْرُجُوا مِنَ الدُّنْيَا الْعَرِيضَةِ إِلَى ظُلْمَةِ الْقَبْرِ وَضِيقِهِ، فَكَيْفَ يَكُونُ عَاقِلًا مَنْ آثَرَ دُنْيَاهُ عَلَى آخِرَتِهِ؟!

أيُّها المسلم، خُذْ مَا تَعْرِفُ مِنَ الحَلالِ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ مِنَ الحَرَام، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ، فاحرِصْ على ما يَنْفَعُكَ في دِينِكَ ودُنْياك، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ الْمُسَارِعِينَ في الفِتَنِ والشَّهَوات، اللَّاهِينَ بِالْمُغْرياتِ، ولا تَغْترَّ بِكثرةِ الهَالِكين، ولا تَسْتَوحِشْ مِنْ قِلَّةِ الصَّالِحين، ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 205]، ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: 66].

أَلَا وَإِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ قَدِ اقْتَرَبَتْ، ومَنْ عَاشَ مَات، ومَنْ مَاتَ فَات، وما هُو آتٍ آت، وَإِنَّ السَّابِقَ مَنْ سَبَقَ إِلَى الْجَنَّةِ، وأَكثرُ النَّاسِ في غُرُورٍ وغَفْلَة، وفي خُسْرٍ وضَلالَة، ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ \* إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: 116، 117].

أيها المسلمون، التفكرُ عبادة ٌعظيمة، قال بعض الصحابة: (تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيرٌ مِنْ قِيامِ لَيلَة)، فبالتفكرِ يزدادُ الإيمانُ، ويحصلُ اليقينُ، ويرسخُ العلمُ، وتنفعُ العِبرةُ والموعظة، تَفَكَّرْ في عظمةِ الخالقِ الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وتَفَكَّرْ في كَثرةِ نِعَمِه عَليكَ وعلى جَمِيعِ خَلْقِه، وتَفَكَّرْ في القُرآنِ والسُّنَّة، وتَفَكَّرْ في حقيقةِ الدنيا الفانية، وتَفَكَّرْ في سرعة انقضاء عمرك، وتَفَكَّرْ في موتك، وتَفَكَّرْ في وحدتك في قبرك، وتَفَكَّرْ في الآخرةِ الباقية، وتَفَكَّرْ في مخلوقاتِ اللهِ الدالةِ على رحمته وعظمتِه وحِكمتِه، وتَفَكَّرْ في الخيرِ ومنفعَتِه، وتَفَكَّرْ في الشَّرِّ ومَضَرَّتِه، تَفَكَّرْ في كلِّ ما تراهُ وتَسْمَعُهُ وتَقرَأُه، تَفَكَّرْ في حالِكَ بعد موتِك، وعسى أن يكونَ قدِ اقتربَ أَجَلُك، فَمَنْ تَفَكَّرَ عَرفَ الحَقَائِقَ الصَّادِقَة، ولم يغترَّ بالمظَاهِرِ والْمُغْرِيات الخَادِعَة، بدايةُ الهدايةِ التفكرُ في النِّهاية، اعمل بعلمك، فإنك تعلم أن الله ربك، وأنه خلقك لتعبده وتشكره، وأنه وعد من أطاعه بالجنة، وتوعد من عصاه بالنار، واعلم أن الله شديد العقاب، وأنه الغفور لمن تاب، ومن نوى الخير يسَّره له، ومن تاب فَرِحَ بتوبته وأحبَّه، وبدَّل سيئاتِه حسناتٍ برحمتِه، ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: 11].

وإنَّ أقربَ الناسِ إلى التوبةِ همُ العُصاةُ الذينَ أضاعُوا أعمارَهُم في الشَّهواتِ إذا تفكَّروا في حقيقة المعصية وحقارتها، فهم أعرفُ الناسِ بضررِ المعاصي وشرِّها وتشتِيتِها القلب، وإذا تابوا حسُنت توبتُهم أكثرَ من غيرهم؛ لأنهم يجدون بعد التوبة لذةَ الإيمان، وبركةَ الطاعة، وطُمَأنِينةَ القلب، ورضا الرحمنِ الذي يفرحُ بتوبة العبد، والله يحب التوابين.

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، وللمسلمين والمسلمات.

**الخطبة الثانية:**

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: 59]، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ خَبَرًا، وَفِي الْأَرْضِ عِبَرًا، كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظًا، فَمَنْ سَبَقَنا بالموتِ فإنَّا بعده لاحِقون، ومَنْ يَدفِنُ ميتًا فسيأتِي يومًا يُدفَنُ فيه، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ \* وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 26، 27].

خطبَ النبيُّ ﷺ يومًا فقال: ((إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ)).

وخَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يومًا فقَالَ: ((لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا)).

أيها المسلم، لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ، وَلَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عَمَلُكَ، وَأَنْ تُبَادِرَ فِي عِبَادَةِ رَبِّكَ، فَرَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا اسْتَعَانَ بِنِعْمَتِهِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَعِنْ بِنِعْمَتِهِ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، اطْلُبُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ، وَاهْرُبُوا مِنَ النَّارِ جُهْدَكُمْ، وَإِنَّ الجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَلَا تُلْهِيَنَّكُمْ شَهَوَاتُ الدُّنْيَا وَلَذَّاتُهَا عَنِ الْآخِرَةِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْلَغَ فِي الْمَعْذِرَةِ، وَبَلَّغَ الْمَوْعِظَةَ، وقَدْ أَحَلَّ اللهُ كَثِيرًا طَيِّبًا لَكُمْ فِيهِ سَعَةٌ، وَحَرَّمَ الخَبَائِثَ، فَاجْتَنِبُوا مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ، وَاقْنَعُوا بِمَا أحَلَّ اللهُ لَكُمْ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّنْيَا غَرَّارَةٌ، أَهْلَكَتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ، أَلَا وَهِيَ مُهْلِكَةٌ مَنْ بَقِيَ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الدُّنْيَا، مَنْ صَحَّ فِيهَا أَمِنَ، وَمَنْ سَقِمَ فِيهَا نَدِمَ، وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ، إِيَّاكُمْ وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَقَرِينَ السُّوءِ، وَإِعْجَابَ الْمَرْءِ بِرَأْيِهِ.

العَاقِلُ مَنْ لَمْ يَنْسَ الْقَبْرَ وَالْبِلَى، ولَمْ تَغُرُّه زِينَةُ الدُّنْيَا، وَآثَرَ مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى، وَعَدَّ نَفْسَهُ فِي الْمَوْتَى، مَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا هَانَتْ عَلَيْهِ الْمُصِيبَاتُ، وَمَنِ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ فِي الْخَيْرَاتِ.

أيها الإنسانُ، كَانَتِ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ تَكُونَ فِيهَا، وَهِيَ كَائِنَةٌ بَعْدَك لِغَيرِك، وَإِنَّمَا لكَ فِيهَا أَيَّامٌ مَعْدُودَةٌ، فأحسِنِ العمل، فالدنيا مزرعةُ الآخرة، وما زرعتَ في الدنيا من عملٍ صالحٍ أو فاسدٍ حصدته في الآخرة، الدُّنْيَا غَنِيمَةُ الْصَّالِحِينَ، وَغَفْلَةُ الجَاهِلِينَ، لَمْ يَعْرِفُوهَا حَتَّى أُخْرِجُوا مِنْهَا، فَسَأَلُوا الرَّجْعَةَ فَلَمْ يَرْجِعُوا، ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ \* ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ\* مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء: 205 - 207].

أيها المسلم العاقل، تُبِ الْآنَ قَبْلَ أَنْ تَنْدَمَ، فالْمَوْتُ مِنَ الْإِنْسَانِ قَرِيبٌ، فَبَادِرْ بِالْعَمَلِ قَبْلَ أَنْ يُنَادَى بِالرَّحِيلِ، إِنَّ أَخَاكَ مَنْ نَصَحَكَ، وَمَنْ نَصَحَكَ خَيْرٌ لَكَ مِمَّنْ يُمَنِّيكَ ويَخْدَعَك.

أيها المسلمون، الدينُ النصيحة، فأصلِحوا نياتِكم، فإن الله ينظرُ إلى قلوبكم وأعمالِكم، وإذا صلَح القلبُ صلَحتِ الجوارحُ والأعمال، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11]، فإذا أردت التوفيق من الله والهداية فغيِّر ما في نفسك من الشر والنية الفاسدة، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: 235]، فالله غفورٌ لمن تاب، وهو حليمٌ لا يعاجلُ بالعقوبة من عصاه، ويُمهلَه حتى يعذرَه، فإن تاب قَبِله، وإن أصر على باطله أخذه أخذَ عزيزٍ مقتدرٍ متى شاء.

أيها المسلمُ الناصحُ لنفسه، إن استطعت أن لا يسبقك أحدٌ إلى الله فافعل، ولا ترضى بالقليل من الطاعات مع إمكان الكثير، واتركِ المعاصي تكن أعبد الناس، ولا تهُمَّ بمعصية، وطهِّر قلبك من المخالفة، فالخواطرُ السيئة تؤدي إلى الأعمالِ المنكرة!

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ أَحْسَنَ مِنْكُمْ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ أَسَاءَ فَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ، ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31]، وطوبى لمن يلقى الله وهو راض عنه، ذلك الفوز العظيم.

عباد الله، سمعنا مِنَ الآياتِ القرآنية، والخطبِ النبوية، ومواعظِ الصحابةِ والتابعين ما فيه كفايةٌ لمن يتفكر، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37].

أيها المسلمون، أكثِروا مِنَ الصلاةِ والسلامِ على مَنْ أمركمُ اللهُ بالصلاةِ والسلامِ عليه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

اللهم صلِّ على نبينا محمدٍ وسَلِّم تسليمًا كثيرًا، اللهم اغفرْ لنا ذنوبنا كلَّها، دِقَّها وجِلَّها، أوَّلها وآخرها، علانيتها وسرها، وارزقنا توبة نصوحًا.

يا ربنا إنا ضعفاءٌ فقوِّنا على فعلِ الخيرات، وترك المنكرات، يا مَنْ تحولُ بين المرءِ وقلبِه أصلِحْ قلوبَنا ونياتِنا بفضلِك ورحمتِك، اللهم حبِّب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم إنا في زمنِ الفتن والشهوات والشبهات، وإن لم تهدِنا نضِلُّ ونَغفلُ بالملهيات والمغريات، والبدعِ والمنكرات، اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك، يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، اللهم قلوبُنا مريضةٌ بالمعاصي فأصلِحها، وأنفسُنا كسِلةٌ عن الطاعات فزكِّها، وأعِنَّا على مخالفة هواها ومجاهدتها، اللهم اجعل قلوبنا سليمة، وأعمالنا خالصة، ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

## (33) لماذا نعبد الله؟

الحمدُ للهِ خيرِ الراحمين، وأحكمِ الحاكمين، أنزل القرآنَ المبين، على نبيِّنا محمدٍ خاتَمِ النبيين، هدىً للمتقين المتدبرين، وموعظةً وذكرى للمؤمنين، أرسله الرحمن بالفرقان رحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70، 71]. أما بعد:

فإنَّ خير الكلام كلام الله، وخيرَ الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة.

أيها المسلمون، **لماذا يجب علينا أن نعبد الله سبحانه؟**

هذه عشرة أمور تحث الإنسان على عبادة الله، وتبين لماذا يجب علينا أن نعبد الله:

* نعبد الله تعظيمًا له، فهو العظيم الذي خلق كل شيء، الكامل في أسمائه وصفاته، ونحن الفقراء إليه، هو خالقنا وسيدنا ونحن عبيده، ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: 15].
* ونعبد الله شكرًا لنعمه، فما بنا من نعمةٍ فهي من الله وحده، كل النعم الظاهرة والباطنة، العامة والخاصة، الدينية والدنيوية، كلها من فضل الله وإحسانه، فيجب علينا أن نعبده شكرًا على نعمه التي لا تحصى، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ \* هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: 59، 60].
* ونعبد الله محبةً له، نحب الله لكمال ذاته وأسمائه وصفاته، ونحبه لعظيم إحسانه لخلقه، فنعبد الله لأننا نحبه، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: 165]، ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: 73].
* ونعبد الله لأنه خلقنا لعبادته، وأمرنا بالصلاة والزكاة وإقامة دينه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: 5]، وقال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: 27]، فالله لم يخلقنا عبثًا، بل لنعبده ونتقيه، ونؤمنَ به ونشكره على نعمه، قال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: 36]، وقال سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: 115]، فالمؤمنون يعبدون الله الذي خلقهم لعبادته، وأما الكافرون فهم غافلون عن عبادة الله، وهمهم التمتع بالدنيا الفانية، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: 12].
* ونعبد الله خوفًا من ناره، فقد توعَّد الله من كفر به وعصاه، وترك عبادتِه وتقواه، أن يعذبه في نار جهنم، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 39]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: 14].
* ونعبد الله طمعًا في جنته، فقد وعد الله من آمن به واتقاه أن يدخله جنته برحمته، قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: 25]، وقال سبحانه: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 63].
* ونعبد الله طلبًا لمحبته ورضاه، نعبد الله لكي يحبنا ويرضى عنا، فالله يحب التوابين المتقين الصالحين العابدين، الذين يدعون الله وحده، ويتقون الله حق تقاته، ويخشونه ويخافونه، والله يرضى عنهم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ \* الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ \* الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: 15 - 17]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ \* جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: 7، 8]، وقال العزيز الحكيم: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: 7].
* ونعبد الله طلبًا لمغفرته، فمن عبد الله واتقاه غفر له ذنوبه، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: 69]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: 5]، وقال سبحانه: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: 31]، ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ \* الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ \* وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ \* أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: 133 - 136]، ويقول النبي ﷺ: ((الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ)).
* ونعبد الله طلبًا لكفايته وحفظه، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2، 3]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 4]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: 5 - 7]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: 97]، وقال النبي ﷺ: ((احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ)).
* ونعبد الله طلبًا لرحمته في الدنيا والآخرة، قال الله سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: 56]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: 10]، فمن عبد اللهَ رحمه اللهُ في حياتِه، وعند موتِه، وفي قبرِه، ويوم بعثِه، وأدخله الجنةَ برحمتِه وفضلِه.

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم وجميع المسلمين، وأسأل الله أن يعيننا جميعًا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الصادق الأمين، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أما بعد:

فذكرنا في الخطبة الأولى أنه يجب علينا أن نعبد الله تعظيمًا له، وشكرًا لنِعَمه، ومحبةً له، ونعبدَه لأنه خلقنا لعبادته، ونعبده خوفًا من ناره، وطمعًا في جنته، ونعبده طلبًا لمحبته ورضوانِه، وطلبًا لمغفرته، وطلبًا لكفايته وحفظه، وطلبًا لرحمته في الدنيا والآخرة.

أيها المسلمون، يجب على كل مسلم أن يخاف من التهاون في عبادة الله، وأن يحذر أشد الحذر من فعل المعاصي الظاهرة والباطنة، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60]، وقال عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ \* وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: 9، 10]، وقال سبحانه: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: 120].

أيها المؤمنون، الإيمان يتضمن التصديقَ بالحق، والعملَ به، ولا يكفي التصديقُ بلا عمل، بل قد توعد الله الذين تركوا التصديق أو تركوا العبادة، وجعلهم سواء في الوعيد فقال سبحانه: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى \* وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [القيامة: 31، 32]، وقال سبحانه متوعدًا المجرمين المتهاونين بالصلاة، المكذبين بالحق: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ \* وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ \* فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: 48 - 50].

أيها المسلمون، قد توعد الله المصلين الذين يسهون عن صلاتهم، فيصلون بعض الصلوات في غير أوقاتها، أو لا يطمئنون فيها، أو يتركون بعض الصلوات ولا يحافظون عليها، قال الله الواحد القهار: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: 4، 5]، وقال العزيز الجبار: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا \* إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [مريم: 59، 60].

وفي الحديث الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ)).

وعن بُرَيدة بن الحُصَيب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ)).

أيها المسلمون، أعظم العبادات البدنية الصلاة، وأصح أقوال أهل العلم أنَّ تارك الصلاة بالكلية كافر، وإن زعم أنه مسلم، أما من يصليها أحيانًا ويتركها أحيانًا فهو مجرمٌ فاسق، وهو من جملة المسلمين بحسب الظاهر، وإن كنا نخاف عليه النفاق، وقد كان المنافقون في عهد النبي ﷺ يصلون رياء، ولا يحافظون على الصلاة دائمًا، ويذكرون الله قليلًا، ومع ذلك ذمهم الله وتوعدهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 142]، فعلى من يتهاون بصلاته أن يخاف على نفسه النفاق، وأن يتوب إلى الله سبحانه، ويعمل الأعمال الصالحة، وأعظمها المحافظة على الصلاة، فيا أيها المتهاون بصلاته، الله خلقك لعبادته، فإلى متى تتمرد عن طاعته؟! وإلى متى تُصر على ظلم نفسك، ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: 229]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: 11]، فصلِّ للذي خلقك، وضع وجهك في الأرض ساجدًا لله، ذليلًا للذي أحياك ثم يميتك، لا تكره الصلاة، ولا تكره عبادة الله، فمن كره الصلاة فهو كافرٌ وإن صلى أحيانًا طاعةً لهواه، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: 9]، ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ \* وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ \* وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ \* وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: 112 - 115].

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، واهدنا الصراط المستقيم، واجعلنا من التوابين العابدين الصالحين، اللهم ارزقنا طاعتك وطاعة رسولك، اللهم وفقنا للتوبة النصوح، واجعلنا من المحافظين على الصلوات الخمس في أوقاتها، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم ارحمنا في الدنيا والآخرة، ارحمنا في حياتنا، وارحمنا عند موتنا، وارحمنا في قبورنا، وارحمنا يوم الفزع الأكبر، وارحمنا عند نشر الصحف، وارحمنا عند وزن الأعمال، وارحمنا عند المرور على الصراط، وارحمنا عند القصاص، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين.

عباد الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]، فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: 45].

## (34) خطبة فقهية عن أحكام الصيام

الحمد لله العلي الأعلى، الذي خلق فسوَّى، والذي قدَّر فهدى، أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، الخير بيديه، والشر ليس إليه، سبحانه لا نحصي ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، مَنْ يتَّبِعْ سُنَّته فقد اهتدى، ومَنْ يرغَبْ عن سُنَّته فقد ضل وغوى، صلى الله عليه وعلى أهل بيته وأزواجه وذريته، وعلى أصحابه ومن اتبعهم بإحسان، أما بعد:

فإن التفقه في الدين من أفضل الأعمال، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:122]، وقال النبي ﷺ: ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ))، وسنتكلم في هذه الخطبة عن أحكام الصيام.

قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183].

الصيام هو: الإمساك عن الأكل والشرب وسائر المفطرات، مع نية الصيام، من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس.

ويجب صيام رمضان على كل مسلم بالغ، ويؤمر الأولاد الصغار إذا بلغوا سبع سنين بصيام ما تيسر لهم من أيام رمضان؛ ليعتادوا على الصيام.

ويثبت دخول شهر رمضان برؤية الهلال، فإن لم يُر الهلال وجب إكمال عدة شعبان ثلاثين يومًا، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غُمِّيَ عَلَيْكُمُ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلاَثِينَ)). وإن ثبتت رؤية الهلال في بلد ولم يُثبِته الحاكم أو القاضي الشرعي في بلد آخر فعلى أهل كل بلد الصوم والإفطار مع أهل بلدهم؛ لقول النبي ﷺ: ((الصَّوْمُ يَوْمَ تَصُومُونَ، وَالفِطْرُ يَوْمَ تُفْطِرُونَ)).

ولا يصح الصيام إلا بالنية، ولا يُشرع التلفظ بها، فمن تسَحَّر ليصوم فقد نوى، ومن خطر بقلبه ليلا أنه سيصوم في الغد فقد نوى.

ولا يجب الصوم على المسافر، ولا على المريض الذي لا يطيق الصيام، فيُفطِران ثم يَقضيان ما أفطراه من الأيام بعد انتهاء السفر أو الشفاء من المرض، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: 184]، والمسافر في رمضان مخير بين الفطر أو الصوم، والأفضل للمسافر أن يصوم رمضان في سفره إن لم يشق عليه الصيام، فإن شق عليه الصيام فيُستحب له الفطر؛ لقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185].

ولا يجوز للمسافر الفطر حتى يخرج من مدينته أو قريته ويفارق البنيان.

ولا يفطر المريض حتى تصيبه مشقةٌ غير محتملة أو يخاف زيادة المرض بصيامه، وأما المرض اليسير فلا يجوز الفطر بسببه، والمرض نوعان: مرض يُرجى برؤه، يفطر صاحبه ويقضي ما أفطره، ومرض لا يُرجى برؤه، يفطر، ولا يجب عليه القضاء، وإنما تلزمه الفدية، ومثله الكبير العاجز عن الصيام عجزًا مستمرًا، والفدية هي أن يطعم عن كل يوم مسكينًا، لكل مسكين قدر مُدٍّ من الطعام من البُر أو الأرز وغيرهما من الأقوات، والـمُد ملء الكفين المتوسطتين، فمن أفطر ثلاثين يومًا أُخرج عنه خمسة عشر كيلو من الأرز لثلاثين مسكينًا، لكل مسكين نصف كيلو، ويجوز بعد دخول شهر رمضان أن يجمع ثلاثين مسكينًا فيُطعمهم طعاما مطبوخا وجبة واحدة، وجمهور العلماء أنه لا يجزئ عن الكفارة قيمتها، فلا بد من الإطعام، وهو الأحوط والأفضل لموافقة ما أمر الله به في قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ [البقرة: 184]، فإن أخرج أكثر من مد عن كل يوم أو أطعم أكثر من مسكين عن كل يوم فهو تطوع وزيادة خير، ولا يُعطي الفدية أقاربه الأصول، وهم الآباء والأمهات والأجداد والجدات، ولا أقاربه الفروع، وهم الأبناء والبنات وأولادهم من الذكور والإناث، ويجوز أن يعطيها لغيرهم من الأقارب إذا كانوا مساكين كالإخوة والأخوات والأعمام والعمات.

وإذا كانت المرأة حاملًا أو مرضعًا، وخافت على نفسها أو ولدها بسبب الصوم أفطرت، ثم تقضي الأيام التي أفطرتها، وقال بعض الفقهاء: إن أفطرت الحامل بسبب الخوف على جنينها أو أفطرت المرضع بسبب الخوف على رضيعها فعليها مع القضاء أن تطعم عن كل يوم مسكينًا.

أيها المسلمون، **للصيام مفطرات منها:**

**الأكل أو الشرب عمدًا،** ومن أكل أو شرب ناسيًا في صيام رمضان أو غيره فصيامه صحيح، وعليه أن يتم صومه بلا قضاء، وكذلك كل من فعل شيئًا من المفطرات ناسيًا أو جاهلًا. والأصح أن الإبر المغذية تُبْطِل الصوم، وأما الإبر غير المغذية فلا تُبْطِل الصوم، ومن طلع الفجر الصادق وفي فمه طعام يجب عليه إخراجه من فمه، فإن ابتلعه بطل صومُه، ومن تعمد ابتلاع بقايا الطعام أفطر ولو بقدر حبة سمسم، ويُفْطِر مَنْ تعمد ابتلاع ما لا يؤكل عادة كحصاةٍ أو خيطٍ أو فتاتِ السواك أو رطوبةِ السواك، ولا يضر ما يجري به ريقُ الصائم من بقايا طعام بين أسنانه لا يمكنه رده، فإن أمكنه رده وابتلعه بطل صومه، والأفضل أن يتمضمض بعد السحور، وإذا تمضمض الصائم يلزمه مج الماء من جميع فمه، ولا يُفْطِر بما بقي في فمه من آثار ماء المضمضة، ولا يلزمه تنشيف الفم بعد المضمضة بلا خلاف بين أهل العلم، ومَن خرج مِن فمه دمٌ فابتلعه متعمدا أفطر، فإن وصل منه شيء إلى حلقه بلا تعمد لا يُفْطِر، والأصح أن مَن ابتلع نخامةً بعد وصولها إلى فمه وأمكنه إخراجها يُفْطِر، وإن لم تصل إلى ظاهر فمه ولم يمكنه إخراجها لا يُفْطِر، فإن كان جاهلًا أو ناسيًا أو غير متعمد لا يُفْطِر.

**ومن مبطلات الصيام: الجِماع،** ومَنْ جامع زوجته وهو صائم في نهار رمضان فعليه القضاء والكفارة، وهي عتق رقبة، فإن لم يجد صام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع أطعم ستين مسكينًا، لكل مسكين مُدٌ، فيكون قدر ما يطعم خمسة عشر صاعًا، وجمهور العلماء أن الزوجة إذا طاوعت زوجها على الجماع في نهار رمضان فعليها القضاء والكفارة مثل زوجها، وإن أكرهها على الجماع فالكفارة عليه وحده.

**ومن مبطلات الصيام: إنزال المني في اليقظة،** فإذا تسبب الصائم في إنزال المني بفعلٍ منه فسد صومُه، وعليه القضاء دون الكفارة، وإذا أنزل المني في حال نومه لا يَبْطُل صومُه، والأصح عند العلماء أن خروج المذي لا يُبْطِل الصوم، لكن يُنقص أجر الصائم، ويُكره للصائم تقبيل زوجته إذا خشي على نفسه فساد صومه أو إنقاصِ أجره، وعلى الصائم تجنُّبُ الرفث من الجماع ودواعيه، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ)).

**ومن مبطلات الصيام: التقيؤ عمدًا،** وإذا غلبه القيء بغير اختياره فلا يُفْطِر إذا لم يتعمد إرجاع شيء منه إلى جوفه.

**ومن مبطلات الصيام: الحيض والنفاس،** ولا يصح صوم الحائض والنفساء، ويجب عليهما القضاء، ويجوز للمرأة استعمالُ حبوب منع الحيض ونحوها لأجل الصيام إن كانت تلك الوسائل لا تضرها ضررًا بيِّنًا، والأولى لها ترك استعمالها، فقد نُهينا عن التكلف، وربما ضر التكلفُ أهلَه.

أيها المسلمون، لا يُفطِّر الصائمَ قلعُ الضرس، وعليه التحرز من بلع الدم، ولا يُفطِّر الصائمَ خروجُ الدم بالرعاف أو من جرح، والأولى ترك الحجامة للصائم خروجًا من الخلاف في الفطر بها، ولأنها قد تُضعِف الصائم عن إتمام صومه، فإن احتاج إلى الحجامة ونحوها فعل ذلك ليلًا، وفي معنى الحجامة: التبرع بالدم، أما إخراج دم قليل لإجراء تحاليل طبية فلا بأس به، وليس في معنى الحجامة.

والأصح أنه لا يُفْطِر من داوى جُرحًا في بطنه أو رأسه فوصل الدواء إلى داخل الجرح، ولا يفطر بتقطير شيء في أذنه أو عينه، ولا بالكحل وإن وجد طعمه في حلقه، والأولى ترك ذلك إن كان يجد أثره في حلقه، ويجوز للصائم شم البَخور لكن من غير مبالغة في استنشاقه، فإن بالغ في استنشاق البَخور أفطر عند كثير من أهل العلم إن كان متعمدًا ذاكرًا عالمًا بالنهي عنه للصائم؛ لأن البَخور له جُرمٌ يصل إلى الجوف، ويعلق أثرُه بالرئتين، فيكون مُفطِّرًا كشُرب الدخان (التِّبغ)، وجميع أنواع التبغ يحرم تناولُها بأي طريقة؛ لثبوت ضررها الخطير على جسم الإنسان، ومن ذلك ما يُسمى البُردقان والشَّمة، وهما مفسدان للصوم؛ فإذا وضُعا في الفم أو الأنف يتحللان ويدخل منهما أجزاءٌ إلى الجوف، والراجح عند أهل العلم أن بخاخ الربو والأُكسجين الصناعي لا يُفَطِّران الصائم.

ومن طلع عليه الفجر قبل أن يغتسل من الجنابة فصومه صحيح، وكذلك الحائض أو النفساء إذا طهرت في الليل وطلع الفجر قبل أن تغتسل، فتغتسل بعد طلوع الفجر، وتصوم ذلك اليوم.

ومن أفطر يومًا من رمضان بلا عذر فقد وقع في كبيرة من كبائر الذنوب، فيجب عليه أن يتوب إلى الله توبة نصوحًا، ويجب عليه إمساك بقية النهار عن المفطرات لحرمة رمضان، والمبادرة إلى القضاء بعد رمضان بلا تأخير، ومن جحد فرضية الصيام فقد كفر، ووجب على القاضي الشرعي استتابته، والحكم بقتله لردته.

ومن أفطر في رمضان بعذر فيجب عليه القضاء على التراخي إلى قبل دخول شهر رمضان الثاني، ويستحب التعجيل بالقضاء، فإن أخَّر القضاء حتى دخل رمضان الثاني بغير عذر أثم لتأخير القضاء بلا عذر، وعليه القضاء مع التوبة والاستغفار، وقال أكثر العلماء: يجب عليه مع القضاء الكفارة، وهي إطعام مسكين مُدًّا من الطعام عن كل يوم.

ويصح قضاء الصوم متتابعًا أو متفرقًا، والتتابع أفضل، ولا يجوز لمن يصوم القضاء أن يفطر بلا عذر، ويجوز للصائم المتطوع أن يفطر إن شاء.

ومن أفطر أيامًا من رمضان بعذر من الأعذار التي تبيح الفطر كالسفر أو المرض الذي يرجى برؤه أو الحيض والنفاس واستمر العذر حتى مات، ولم يتمكن من قضاء تلك الأيام قبل موته؛ فلا إثم عليه، ولا يجب على أوليائه في حقه شيء، لا صيام ولا كفارة، أما إن انقطع العذر، وتمكن من القضاء فأخره، ثم مات قبل أن يقضي، فليصم عنه أقاربُه أو يُخرجوا عنه الكفارة عن كل يوم إطعام مسكين مُدًّا من الطعام، والحي لا يجوز الصيام عنه.

ومن رأى صائمًا يأكل أو يشرب ناسيًا في نهار رمضان فيجب عليه تنبيهه، وهذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والأصح أنه إذا قدم المسافر في نهار رمضان مفطرًا أو طهرت الحائض أثناء النهار فلهما أن يأكلا بغير حضرة الناس، وإذا قدم المسافر في نهار رمضان صائما فيلزمه إتمام صومه، فإن جامع زوجته فعليه الكفارة.

ولا يجوز الفطر لأجل العمل ولو كان عملًا شاقًا، فأصحاب المهن الشاقة داخلون في عموم المكلفين بالصوم، ومن أجهده الجوع أو العطش حتى خشي الموت أو الضرر والمرض فيحرم عليه مواصلة الصيام، وعليه أن يفطر ذلك اليوم بقدر حاجته بما يدفع المشقة فقط، ثم يمسك بقية اليوم إلى الغروب، وعليه قضاء اليوم الذي أفطر فيه.

ومن نام جميع النهار صح صومُه، وعليه التوبةُ من ترك الصلوات في أوقاتها، وقضاءُ الصلوات التي فاتته، ومن أُغمي عليه جميع النهار لا يصح صومه، فإن أفاق بعض النهار صح صومه إن كان نوى الصيام من الليل، وإن بقي في غيبوبة جميع شهر رمضان ثم أفاق بعد رمضان وأمكنه الصيام فعليه قضاء صوم شهر رمضان، وإن استمر في الغيبوبة أو المرض حتى مات فلا إثم عليه في ترك الصيام، ولا يلزم ورثته شيء، لا صيام ولا كفارة.

ومن تغير عقله وأصابه الخرف بسبب الكِبَر أو مرضٍ أو حادثٍ فلم يعد يضبط الصوم ولا الصلاة، فلا تجب عليه الصلاة ولا الصيام، ويكون كالمجنون مرفوع عنه القلم.

ومن صام رمضان ولم يحافظ على الصلوات الخمس فويلٌ له من عذاب الله، كما قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: 4، 5]، وهو فاسقٌ يُخشى عليه النفاق، وقال بعض الفقهاء بكفره، وعدمِ قبولِ صومِه، لقول النبي ﷺ: ((العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ))، وقوله عليه الصلاة والسلام: ((مَنْ تَرَكَ صَلاَةَ العَصْرِ حَبِطَ عَمَلُهُ))، والواجب على المسلم أن يحافظ على الصلوات كما يحافظ على الصيام، فكلاهما من أركان الإسلام، وتارك الصلاة والصيام أعظم شرًا ممن صام وترك الصلاة.

أيها المسلمون، يجب علينا الفرح بقدوم رمضان، والفرح بما شرع الله لنا من الصلاة والصيام، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: 184، 185]، وقال النبي ﷺ: ((إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ))، وقال عليه الصلاة والسلام: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)).

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ووفقنا للتوبة من التهاون بالصلاة، وحببها إلينا، ويسر لنا الصلوات جماعة في المساجد، واجعلنا من المقيمين للصلاة وذرياتِنا، ووفقنا لصيام رمضان وقيامه، والإكثار من تلاوة القرآن، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم وجميع المسلمين.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

أيها المسلمون، **يستحب للصائم ما يلي:**

السُّحُور، ويتحقق السحور بكثير الطعام وقليله، ولو بجرعة ماء، ويستحب أكل التمر في السُّحور. ويستحب تأخير السُّحُور ما لم يخش طلوع الفجر، وجمهور العلماء أنه يجوز للشاك في طلوع الفجر أن يأكل ويشرب حتى يستيقن أو يغلب على ظنه طلوع الفجر؛ لقول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: 187]، والأفضل للشاك في طلوع الفجر ألا يأكل احتياطًا للصيام، ويجب عليه ألا يصلي الفجر حتى يستيقن أو يغلب على ظنه دخول وقت صلاة الفجر احتياطًا للصلاة.

ويُستحب للصائم تعجيل الفطور متى تحقق غروب الشمس وإقبال الليل، قال الله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: 187]، ودخول أول الليل يكون بغروب الشمس في جهة المغرب، مع إقبال الليل من جهة المشرق، حتى وإن كان هناك ضوءٌ منتشرٌ في جهة غروب الشمس، كما أن النهار يدخل بطلوع الفجر من جهة المشرق، حتى وإن كان هناك ظلامٌ في جهة المغرب، فالليل يغشى الخلق بظلامه شيئًا فشيئًا حتى يشتد الظلام، ولا يجوز للصائم تأخير الفطر بعد دخول الليل حتى يرى نجمًا تنطعًا وخلافًا للسنة النبوية، ففي الصحيحين عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ)).

ويُستحب الإفطار على رُطَبَات أو تمرات، فإن لم يجد فعلى ماء، وله أن يُفطِر بما شاء.

ويُستحب للصائم الدعاء أثناء الصيام وعند الفِطر.

ويستحب للصائم الإكثار من ذكر الله وتلاوة القرآن الكريم، والتبكير إلى المسجد لأداء الصلوات في الجماعة، والمكث في المسجد إن تيسر له الاعتكاف ولو بعض النهار.

ويستحب للصائم استعمال السواك قبل الزوال وبعده، سواء كان السواك رطبًا أو يابسًا، مع التحرز من ابتلاع شيء من فتات السواك أو رطوبته.

ويستحب للصائم الإكثار من الصدقات، وتفطير الصائمين، وسائر أعمال البر.

ويستحب للصائم السكينة والوقار، وترك الصخب والمشاجرة، فإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم.

وعلى الصائم أن يحرص على ترك الغيبة والنميمة واللغو، ويتجنب إضاعة الوقت باللهو واللعب وإن كان لعبا مباحًا، وعلى المسلم أن يغتنم أوقاته فيما ينفعه في دينه ودنياه، فإذا فرغ من أمور دنياه اجتهد في الرغبة فيما يرضي ربه، ولا سيما في حال الصيام الذي هو من أعظم أسباب تحقيق التقوى وتزكية النفوس.

ويُكره للصائم المبالغة في المضمضة والاستنشاق، حتى لا يصل الماء إلى جوفه، والأولى ترك استعمال معجون الأسنان للصائم، ويُكره للصائم ذوق الطعام إلا لحاجة، كطَبَّاخٍ يحتاج إلى تذوق ملح الطعام وما أشبهه، مع الحذر من وصول شيء من أثر الطعام إلى حلقه.

أيها المسلمون، ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((لَا تَقَدَّمُوا رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ وَلَا يَوْمَيْنِ، إِلَّا رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمًا، فَلْيَصُمْهُ))، وثبت أن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: «من صام اليوم الذي يشك فيه الناس فقد عصى أبا القاسم ﷺ»، فيحرم صوم يوم الشك، وهو يوم الثلاثين من شعبان إذا صامه إنسانٌ لاحتمال أن يكون أول رمضان، فصوم يوم الشك من التكلف والتنطع، وليس من الاحتياط المشروع، ففيه مخالفةٌ لجماعة المسلمين، والسنة للمسلم أن يصوم مع الناس الذين في بلده، كما في الحديث: ((الصَّوْمُ يَوْمَ تَصُومُونَ، وَالفِطْرُ يَوْمَ تُفْطِرُونَ))، ويجوز صوم يوم الشك لمن كان يصوم القضاء أو وافق عادة له كمن كان يصوم يومًا ويفطر يومًا أو كان يصوم الاثنين والخميس أو كان يصوم شهر شعبان.

نسأل الله أن يفقهنا في الدين، وأن يحبب إلينا الإيمان، وأن يوفقنا للعلم النافع المقتضي العمل الصالح.

اللهم انفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا، وزدنا علمًا.

اللهم ارزقنا طاعتك وطاعة رسولك، ووفقنا للعمل بكتابك وسنة نبيك ﷺ.

عباد الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]، فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: 45].

## (35) خطبة تدبر آيات صيام رمضان

الحمد لله الذي شرع لنا الصيام، وجعل شهر رمضان خيرًا لمن صام وقام، نحمده على جميعِ نِعَمِهِ الدينية والدنيوية، سبحانه لا نحصي ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه، وعلى أهل بيتِه وصحبِه وأتباعِه، أما بعد:

فآيات الصيام تضمنت كثيرًا من الأحكام، وفيها كثيرٌ من الفوائد العلمية المتنوعة، وفيها تنبيهاتٌ للمسلم في حال صيامِه وفي جميع حياتِه، وخيرُ ما يتعلمه المسلمُ القرآن، وخيرُ ما نتذاكرُ به ونُذكِّرُ به القرآن، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183]. نداءٌ من الله لجميع المؤمنين والمؤمنات بأنه فرَضَ عليهم الصيام كما فرضه على الأمم السابقة، وأن المقصود من الصيام تحقيقُ التقوى، وتقوى الله هي امتثالُ الواجبات واجتنابُ المحرمات والتوبةُ من السيئات، وبالتقوى يكون المسلم شاكرًا لله على نعمه الدينية والدنيوية، الظاهرة والباطنة، فلا يعصي الله بما أنعم عليه، بل يعبدُ الله شكرًا على نعمه، والمراد من الصيام أن تكون من المتقين، وأن تكون من الشاكرين، قال الله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 185].

ثم بين الله أن صوم رمضان ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: 184]، فشهر رمضان 29 يومًا أو 30 يومًا سرعان ما تنقضي، فعلى العاقل أن يغتنمها فيما يقربه من الله، وهكذا عمرك - أيها الإنسان - أيامٌ معدودات، والموفق من اغتنم عمره في الطاعات، فاغتنم حياتك قبل موتك.

أيها المسلمون، جعل الله شهر رمضان محطةً للتزودِ من الحسنات، والتوبةِ من السيئات، وتجديدِ الإيمان، فيا باغيَ الخيرِ أقبِل، ويا باغيَ الشرِ أقْصِر، قد سُلْسِلَتِ الشياطينُ في هذا الشهر الكريم، فاجتهد - أيها المسلم - في الطاعات، واصبر على العبادات، حتى تتعود بعد رمضان الخيرات، فتكون من المتقين الشاكرين.

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: 184]، من كان في شهر رمضان مريضًا مرضًا يُرجى بُرؤه فليُفطر ثم يَقضي الأيام التي أفطرها، وكذلك المسافر إن أفطر في سفره فعليه أن يَقضي ما أفطره من الأيام، وهذه رحمة من الله لعباده، فالدين يسرٌ، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]، وكان في أول الإسلام حين شرع الله الصيام من أطاق الصيام فهو بالخيار، إما أن يصوم وإما أن يُفطر ويُطعم عن كل يوم مسكين، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 184]، فأخبر الله في هذه الآية أن على الذي يطيق الصيام أي: يستطيعه أن يطعم مسكينًا عن كل يوم أفطره، فإن أطعم أكثر من مسكين عن كل يوم فهو خير له، وبين الله أن الصيام خير من الإطعام، ثم نسخ الله هذا الحكم في الآية التي تليها، وأوجب الصيام على الذين يطيقون الصيام، وبقي حكمُ هذه الآية للعاجز عن الصيام لِكَبرِ سنٍّ أو مرضٍ لا يُرجى بُرؤه، فهم الذين يُفطرون ويُطعمون عن كل يوم مسكين.

قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: 185] أُنزِلَ القرآنُ في شهر رمضان من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، وابتُدِئَ إنزالُه على النبي عليه الصلاة والسلام في ليلة القدر وهو في غار حراء، فرمضان هو شهر القرآن، فيُستحب الإكثارُ فيه من تلاوة القرآن أكثر من غيره من الشهور، وبين الله أن القرآن هدى للناس من كل ضلالة، وآياتِه تبين الهدى في كل الأمور، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9] أي: يهدي الناس للخصلة التي هي أحسن الخصال في جميع الأمور، وفي كل الأحوال، وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89]، والقرآن هو الفرقان، يفرق بين الحق والباطل، ففيه الرد على كل باطلٍ، فهو العلم لمن أراد العلم، وهو الموعظة لمن أراد الموعظة، وهو التذكرة لمن أراد تذكُرَ ما ينفعُه في دينِه ودنياه، ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29].

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ أي من كان صحيحًا مقيمًا في شهر رمضان فيجب عليه الصيام، وهذه الآية نسخت التخييرَ الذي كان في أول الإسلام، فواجبٌ على كل مسلم بالغٍ عاقلٍ أن يصوم رمضان، ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: 185]، أعاد الله هذا الحكم حتى لا يُظن أنه منسوخ، فقد رخص الله للمريض والمسافر أن يُفطرا ثم عليهما أن يَقضيا ما أفطراه بعد رمضان، فيُكمل جميعُ المسلمين صوم شهر رمضان كاملًا ثلاثين يومًا أو تسعة وعشرين يومًا بحسب رؤية الهلال، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 185]، ويُشرع في آخر رمضان التكبير من ليلة العيد إلى أن يصلي المسلمون صلاة العيد، فيكبرون الله بألسنتهم، ويعظمون الله في قلوبهم، ويعظمون أمره ونهيه في رمضان وبعد رمضان، حتى يكونوا من الشاكرين الله على نعمه، ولا يكونوا من الفاسقين الذين يتركون طاعةَ الله وشكرَه، فالمقصود من الصيام تحقيق تقوى الله وشكرِه، قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: 123]، وقد أخبر الله أنه لا يعبده إلا من شكره، ومن لم يشكره فليس من أهل عبادته فقال: ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: 172]، فعلى الصائم أن يحرص على تحقيق تقوى الله وشكرِه، فيزكي نفسَه بالطاعات، ويشكرُ الله على نعمه التي لا تُحصى، ولا يستعملها في معصية الله الذي سخرها، والله يرضى عمن يشكره، ويغضب على من يَكفرُ به ويُنكرُ نِعمَه أو يستعملُها فيما يُسخط ربه، قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: 7]، وقال سبحانه: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144]، وقال: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: 61].

فلنحرص يا عباد الله أن نكون من الشاكرين الذين مدحهم الله في كتابه، وأخبر أنهم قلة فقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]، فالشاكرون الله بقلوبهم وألسنتهم وأعمالهم الصالحة هم القليل، وهم المستحقون فضلَ الله وجنتَّه، والغافلون عن شكر الله هم أكثر الناس، فلا نغتر بكثرة الغافلين عن شكر الله وعبادته، قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 205]، ولنتواصى بعبادة الله وشكره كما أمرنا الله في قوله: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: 66]، ولا ننسى قول ربنا: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: 62]، وخيرُ وقتٍ نتوب إلى الله فيه هو شهر رمضان، فلنحرص فيه على التوبةِ وتحقيقِ التقوى، والحرصِ على شكر الله سبحانه، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: 80]؟

أيها المسلمون، يقول الله سبحانه في أثناء آيات الصيام: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186]، فالله العلي الأعلى المتعال قريب من عباده بعلمه وقدرته، وهو مستوٍ على عرشه لا يخفى عليه شيءٌ من عباده، فأمرهم بدعائه وحده، ووعدهم بإجابة دعائهم إذا استجابوا له في أمره ونهيه، وأخبر أنَّ الذين يطيعونه ويؤمنون به سيكونون من الراشدين في أمور دينهم ودنياهم، فمَنْ آمَن بالله واتقاه فهنيئا له خير الدنيا والآخرة، سواء كان فردا أو شعبا، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2، 3]، ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: 16]، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: 96]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97].

أيها المسلمون، مفتاح كل خير تقوى الله والاستجابةُ لأوامره واجتنابُ نواهيه، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ \* وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 24، 25]، وكل شر يصيبنا هو بذنوبنا، ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: 41].

أيها المسلمون، علينا أن نحرص على الإكثار من دعاء الله، ولا سيما في شهر رمضان، في حال الصيام، وعند الإفطار، وفي الأسحار، ادع الله لنفسك ولأهلك وللمسلمين بخير الدنيا والآخرة، وادع على الكافرين والظالمين الذين يُفسدون في الأرض بعد إصلاحها، وهم يحسبون أنهم يحسنون صُنعًا، ادع الله فالدعاء مفتاح كل خير، ومغلاق كل شر، ولا تدع غير الله كائنًا من كان، ولو كان نبيًا أو ملَكًا، ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18]، والدعاء هو العبادة، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180].

اللهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِلْمُؤْمِنِينَ، وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ، وَانْصُرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللهُمَّ الْعَنِ الكَفَرَةَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ وَيُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيُقَاتِلُونَ أَوْلِيَاءَكِ، اللهُمَّ خَالِفْ بَيْنَ كَلِمَتِهِمْ، وَزَلْزِلْ أَقْدَامَهُمْ، وَأَنْزِلْ بِهِمْ بَأْسَكَ الَّذِي لَا تَرُدُّهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ، اللهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ وَلَا نَكْفُرُكَ، وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُكَ، اللهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ، نَرْجُو رَحْمَتَكَ وَنَخْشَى عَذَابَكَ، إِنَّ عَذَابَكَ الْجِدَّ بِالْكُفَّارِ مُلْحِقٌ.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فمِنْ حكمة الله أنه شرع أحكام الدينِ بالتدريج بحسب الحكمة والمصلحة، وكان في أول الإسلام حين شُرِع الصيام لا يجوز للصائم إذا نام في الليل أن يأكل شيئًا إلى اليوم الثاني، وكان لا يجوز للرجل معاشرةُ امرأتِه في ليالي الصيام، ثم رخص الله للمسلمين أن يأكلوا في جميع ليالي الصوم إلى طلوع الفجر، وأحل لهم جماع زوجاتهم في ليالي الصيام فقال سبحانه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: 187]، فأحل الله للمسلمين ما كان محرما من جماع نسائهم في ليالي الصيام، وأخبر أنَّ كُلًّا من الزوجين سِترٌ للآخر، وأخبر أنه علم أن بعض المسلمين وقع في المحظور في ليالي الصيام، فتاب الله عليهم، وعفا عنهم، وصار الحكم الأول منسوخًا، قال الله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة: 106]، وأمر الله المسلمين أن يطلبوا ما كتبه الله لهم من خير الدنيا والآخرة بفعل الأسباب، فيطلبوا بالجماع الولد، ويطلبوا بالقيام ليلة القدر، فلا بد من فعل الأسباب المشروعة في جلب الخير ودفع الشر، ومن أعظم الأسباب الدعاء، والله يقدر ما يشاء لعباده، وهو أحكم الحاكمين، وهو على كل شيء قدير، ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: 107].

ثم قال الله سبحانه: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: 187] أي: وكلوا واشربوا في ليالي الصيام حتى يتبين لكم طلوعُ الفجرِ الصادق ببياض الفجر وانفصاله عن سواد الليل، ثم أكملوا الصيامَ بالإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق حتى غروب الشمس، وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَا هُنَا – وأشار بيده إلى المشرق -، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَا هُنَا – وأشار بيده إلى المغرب -، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ؛ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ)).

ثم قال الله تعالى في آخر آيات الصيام: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [البقرة: 187] المعتكف في المسجد إذا ذهب إلى بيته للحاجة - كأن يذهب للأكل - لا يجوز له أن يجامع زوجته، فهو معتكف وإن خرج من المسجد لحاجته، وجماع الزوجة يُبطل الاعتكاف، ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: 187] أي: تلك الأحكامُ المذكورةُ في آيات الصيام هي حدودُ الله بين الحلالِ والحرام فلا تقربوها أبدًا، فلا يجوز للصائم أن يأكل أو يشرب في نهار رمضان، ولا أن يجامع زوجته في نهار رمضان، ولا أن يجامعها في حال اعتكافه، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 187]، فالله بين لنا كل ما نحتاج إلى بيانِه، وبمثل هذا البيان الواضح الجلي لتلك الأحكام يبين الله آياتِه للناس لعلهم يتقونه بفعل أوامره وترك نواهيه، ومن ذلك أنه أمرنا بسؤال أهل الذكر عن كل شيء لا نعلمه، وأمرنا بطاعة رسوله والأخذ بسنته، وهذا من بيانِ اللهِ آياتِه للناس، وقد بين الله لرسوله عليه الصلاة والسلام القرآن الكريم كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: 19]، وكان رسول الله ﷺ يبين للناس أحكامَ القرآنِ ومعانيَه بسنتِه القولية والفعلية، كما قال سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44]، وقال عز وجل: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: 64]، فالعلم والهدى في الاعتصام بالقرآن والسنة.

أيها المسلمون، كان الله سبحانه يؤيد رسله عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات العظيمة الدالة على صدقهم، كعصا موسى ويده، وكإحياء عيسى الموتى، وكناقة صالح، وأعظم معجزات نبينا محمدٍ عليه الصلاة والسلام هو القرآن العظيم، فأثره لمن تدبره أعظم ممن رأى أي معجزةٍ من معجزاتِ الأنبياءِ السابقة، فهو معجزةُ النبي الخالدة، وعظمته وبركته لا نهاية لها، فهو كلام الله الذي جعله نورًا وهداية للناس في كل زمان ومكان، يخرجهم به من الظلمات إلى النور، ويهديهم به إلى الحق المبين في جميع أمورهم الدينية والدنيوية، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فكل ما يحتاج الناس إليه بيَّنه الله في كتابه العظيم نصًا أو دَلالةً أو استنباطًا، علِمَه من عَلِمَه، وجَهِله من جَهِلَه، فالقرآن نورٌ وهدايةٌ ورحمةٌ لكل من آمن به واتبعه، ففيه صلاحُ الأفراد والشعوب والدول، وفيه حلُّ جميع مشاكل الناس المختلفة، فهو كتاب هدايةٍ وحُكْم، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: 37]، بيَّن الله في كتابه الحق في جميع الأمور، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 103]، فأعظمُ مقاصدِ القرآنِ هدايةُ الناس إلى الصراط المستقيم، وإخراجُهم من ظلمات الكفر والشرك والجهل والمعاصي والظلم، كما قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم : 1].

فالقرآن أفضل وأعظم كتابٍ على الإطلاق، وهو أحق ما يُكتبُ ويُقرأُ ويُستمعُ له ويُحفظُ ويُدْرَسُ ويُدرَّس، كتابٌ كاملٌ لا نقص فيه، أخبارُه صادقة، وأحكامُه عادلة، كتابٌ قيِّمٌ مستقيم، لا خطأ فيه أبدًا، لا في حروفِه وألفاظِه، ولا في معانيه وأحكامِه، لا إفراطٌ فيه ولا تفريط، مقيمٌ لمصالح العباد في دينهم ودنياهم، عجبٌ في فصاحته وبلاغته، وفي معانيه وهداياته، وفي بركته وتأثيرِ مواعظه، فبه قيامُ الأمة إن تمسكت به، هذا القرآنُ حبل النجاة، من اعتصم به نجا، ومن تركه هلك، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103]، ومن اتبع القرآن فلا خوفٌ عليه بعد موته، ولا يحزن على ما ترك في دنياه، ولا يَضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 38]، وقال سبحانه: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى\* وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه :123- 124].

أولو العقول يستمعون القرآن ويتبعونه، ويتدبرونه ويهتدون به، ويتذكرون به ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَاد \* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر :17- 18]، لو أنزل الله القرآن على جبل ففهمه لتصدَّع من خشية الله سبحانه، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 21].

هذا القرآن يُثبِّت المؤمنين على الحق، كما قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 102]، ومن أراد أن يستقيم على الحق فعليه بهذا القرآن العظيم، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ \* لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: 27، 28].

ينتفعُ بالقرآنِ كلُّ مَنْ يتلوه ويتدبرُه مهتديا به، يجد كلُّ إنسان في القرآن من الهدايات ما يناسب حاله، ففيه هدايات للعلماء والعامة، والرؤساءِ والوزراء، والقادةِ والزعماء، والأغنياءِ والفقراء، والتجارِ والعمال، والأصحاءِ والمرضى، والمبتلى والمعافى، والرجالِ والنساء، فيه هداياتٌ للمنتصرين والمنهزمين، فيه هداياتٌ للمستضعفين، فيه بيان أسباب النصر والتمكين، فيه هداياتٌ لجميع الناسِ في كل زمان ومكان، فيه ذكرُ أصول الإيمان وتصحيح العقائد، فيه الأمرُ بتوحيد الله سبحانه وإخلاصِ العبادةِ له، فيه النهي عن الشرك بالله والحكمِ بغير شرعِه، فيه تزكيةُ النفوس، وتهذيبُ الأخلاق، والأمرُ بمكارم الأخلاق، فيه الحثُّ على عبادة الله وذكره ودعائه، فيه أفضلُ الدعوات، فيه بيانُ الأحكام التي شرعها الله لمصالح عباده، فيه الأمرُ بتحكيم شريعته، والأمر بطاعةِ الله وطاعةِ رسولِه محمدٍ ﷺ، المبيِّن بسنته ما أنزل الله عليه في كتابه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: 7]، وقال عز وجل: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: 54].

في هذا القرآنِ بيانُ الحق في كل ما يختلف الناس فيه، في هذا القرآنِ ذكرُ صفاتِ المؤمنين لنقتدي بهم، وفيه ذكر صفات الكافرين والمنافقين لنحذر من الاتصاف بصفاتهم، في القرآن الترغيب والترهيب، وذكر الجنة والنار، والبشارة للمؤمنين، والإنذار للكافرين والمنافقين والظالمين والفاسقين.

في القرآنِ بيانُ حقيقةِ الدنيا الفانية، وحقيقةُ الآخرةِ الباقية، فيه المواعظُ البليغة، والأمثالُ العجيبة، والقصصُ التي فيها عبرة، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: 54].

في القرآن الحججُ العقلية، ومخاطبةُ الفِطرة، وردُّ شبهاتِ من يُنكر كونَه من عند الله، وإجابةُ مَن يستعجلُ عذابَ الله، في القرآن الردُّ على كل صاحبِ فتنةٍ وشبهة، وفيه الكفايةُ لمن أراد الهداية، قال الله تعالى: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: 113].

من اهتدى بالقرآن فإنما ينفع نفسه، ومن أعرض عنه فإنما يضر نفسه، ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: 108].

أيها المسلمون، القرآن أعظم شيء بين أيدينا، لا يوجد شيءٌ في الدنيا خيرٌ من القرآن، ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ \* قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: 57، 58]، فالقرآن كلام الخالق، ولولا أن الله يسر لنا قراءته لما استطعنا قراءة كلامه سبحانه، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: 17]، ﴿الرَّحْمَنُ \* عَلَّمَ الْقُرْآنَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ \* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: 1 - 4]، فذكر الله تعليمه الناس القرآن قبل أن يذكرَ خلقَ الإنسانِ وتعليمِه البيان، فالناسُ بلا قرآنٍ يهديهم في ضلال مبين.

أيها المسلم، اعلم أنَّك مهما عظَّمت القرآن فهو أعظم مما تظن، وهداياتُ القرآنِ ونورُه وبركتُه وخيرُه في الدنيا والآخرةِ أكثر مما يخطر ببالك، وكلما تلوتَه وتدبرتَه وتعلمتَه ازددتَ به إيمانا وعِلما وحكمة وهداية، فهو معجزة النبي عليه الصلاة والسلام الخالدة، وهو يصنع المعجزات في الأفراد والمجتمعات إذا اعتصموا به، واسمعوا هذا القسمَ العظيم، الذي بين اللهُ به عظمة كتابِه: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ \* وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ \* إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: 75 - 77]، إنه قرآن عظيم، حكيم، عزيز، مبين، مجيد، مبارك، ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: 52].

اللهم زدنا تعظيمًا وحبًا للقرآن، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم أعنا في رمضان على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ووفقنا للتوبة النصوح، ووفقنا للصيام والقيام وتلاوة القرآن، واهدنا في شهر رمضان للتقوى، واجعلنا من الشاكرين الصابرين.

## (36) الوصايا الربانية في سورة الإسراء

الحمد لله خيرِ الراحمين، وأحكمِ الحاكمين، الحمد لله الذي أنزل القرآنَ المبين، على نبيِّنا محمدٍ خاتَمِ النبيين، هدىً للمتقين المتدبرين، وموعظةً وذكرى للمؤمنين، والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ \* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ \* لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ \* لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 18 - 21].

أما بعد: فنتفكر معكم ونتدبر الوصايا الربانية في سورة الإسراء، فقد أوصانا الله بوصايا عظيمة في هذه السورة، بدأها بالوصية بعبادة الله وحده والإحسان إلى الوالدين.

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 23] أي: وصَّى ربك وأوجب ألا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له، لا نعبد غيرَه كائنًا مَن كان، ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18]، لا مَلَكًا ولا نبيًا ولا وليًا، ولا تعبُدِ الدنيا وشهواتِها، وتقدمها على عبادة الله وطاعته، ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا \* أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 43، 44]، ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: 28].

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: 23] بعد أن أمرنا الله بعبادته وحده أوصانا بأن نُحسِن إلى الوالدين بجميع أوجه الإحسان من الأقوال والأفعال التي تَسُرُّهما وتُطيِّب قلبيهما، والإحسانُ أعظمُ من البر، فبرُّ الوالدين طاعتُهما فيما يأمرانِك من المعروف، أما الإحسان فأن تُحسِن إليهما بالقول الطيب والفعل الحسن من غير أن يأمراك، جالِسهما ولا تبتعدْ عنهما، حدِّثهما واسمعْ منهما، لا سيما إن كبِر سنُّهما، فهما محتاجان لمن يوانسهما، اخدمهما، وأعطهما من مالِك من غير أن يطلباك، واهد لهما ما يَفرحانِ به من الطعام الطيب واللباس الحسن والهدية النفيسة، كلُّ هذا من الإحسان إليهما في حياتهما، فإن ماتا فأحسِن إليهما بالدعاء والاستغفار وأنواع الصدقات، والإحسانُ إلى الوالدين بعد الموت أنفعُ لهما من الإحسان إليهما في حياتهما، والآخرة خير وأبقى.

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: 23] أي: إن كبِر سنُّ والديك، وضعُفت قُواهما، فلا تتأفف عند خدمتِهما، وقد يحتاجان إلى إزالة الأذى عنهما، فلا تتضجر، ولا تقل لهما: أف، فقد كانا لا يتضجران من إزالة الأذى عنك وأنت صغير، ولا تزجرهما إن أتعباك، بل اصبر على برهما، ولا تغلظ لهما القول أبدًا، فبقدر المشقة في بِرِّهما يكون الأجرُ أعظم، ومن كان والداه أشدَّ فضاضةً وأغلظَ طبعًا وأسوأَ أخلاقًا فصبرَ على بِرِّهما ومداراتِهما فأجرُه أكثر، وفضلُه أكبر.

﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: 23] قل للوالدين قولًا حسنًا لينًا رقيقًا، فيه تأدبٌ معهما، وتلطفٌ لهما.

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: 24] كن لوالديك ذليلًا متواضعًا؛ رحمةً منك بهما، ولا تخالفهما فيما يأمرانك به وينهيانك عنه مما ليس فيه معصية لله، بل بادِر بفعل ما يُريدان منك فعلَه وإن لم يأمراك.

﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 24]، من صفات الولد الصالح أنه يدعو لوالديه في حياتهما وبعد موتهما، جزاءً لهما على تربيتهما له في صِغرِه، وحالِ ضعفِه؛ ولأنهما سببُ وجودِه، والوالدان لهما حقٌ عظيمٌ على الولد حتى ولو قصَّرا في تربيته، ولو أساءا إليه وظلماه، فقد أوصى الله بهما مهما كانا، حتى لو كانا كافِرَينِ أو فاسِقَينِ أو ظالِمَين.

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: 25] أي: ربكم -أيها الناس- أعلم بما في قلوبكم من تعظيمِ حقِّ الوالدين والرحمةِ بهما أو الاستخفافِ بهما، لا يخفى عليه شيءٌ مما في قلوبكم، فاحذروا أن تُضمِروا لهما سوءًا، بل كونوا صادقين في البِر بالوالدين بإخلاص، تريدون بذلك رضا الله، فرضا اللهِ في رضا الوالدين، وسخَطُه في سَخَطِهما، فإن أصلحتم نياتِكم ممتثلين أمر الله بالإحسانِ إلى الوالدين والقيامِ بحقوقهما؛ فإن الله للتائبين إليه من الهفواتِ في حق الوالدين غفور، ومن تاب من التقصير في حق والديه تاب الله عليه، ومَن أصْلحَ وأحسَنَ عفا اللهُ له عما سلف.

أيها المسلمون، ثم قال الله تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ [الإسراء: 26] أي: وأعطِ القريبَ حقَّه من الصلة والعطف والمواساة، وأعطِ المسكينَ حقَّه من الصدقة والإحسان، وأعطِ ابنَ السبيلِ - وهو المسافر المنقطع - حقَّه من الضيافةِ والصدقةِ والإعانة.

﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: 26] بعد أن أمرنا الله بالإحسان إلى الأقارب والمساكين وابن السبيل نهانا عن تبذير الأموال، فكثيرٌ ممن يُقصِّر في الصدقات يبذر أمواله في الشهوات والملهيات، ولا يبالي فيها بدفع الكثير، ويبخل أن يتصدق بالقليل.

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء: 27] أي: إن المفرِّقين أموالهم في المعاصي والشهوات إخوان الشياطين، فهم مثل الشياطين في التبذير والسفه ومعصية الله، وعدم شكر الله على نعمه، ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: 27] أي: جَحُودًا لِنِعَمِ اللهِ، لا يشكر الله عليها.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ [الإسراء: 28] أي: وإن تُعرض عن إعطاء الأقارب والمساكين وأبناء السبيل حقوقَهم المالية بسببِ قلةِ مالِك، وأنت تنتظر رزقًا من عند ربك ترجو أن ييسره الله لك، فلا تُغلِظ لهم القول، بل قُل لهم قولًا لينًا لطيفًا، كالاعتذارِ الحسن، والدعاءِ لهم بالرزق، والوعدِ الجميل بإعطائهم ومواساتهم حين يُيسِّرُ اللهُ لك رِزقًا.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29] أي: ولا تُمسِك يدك بُخلًا عن النفقة في الخير كلَّ الإمساك وكأنها مقيدةٌ إلى عنقك، ولا تبسط يدك بالإنفاق على نفسِك وأهلِك والصدقاتِ على المحتاجين كل البسط فوق طاقتِك، وتبقى بلا مالٍ فتكون ملومًا عند الله وعند الناس، منقطعًا لا شيء لديك لتنفقه، فأمر الله بالتوسط، وخيرُ الأمور أوسطُها، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: 67]، والاقتصادُ نصفُ المعيشة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: 30] أي: إن ربك يوسِّع رزقه على مَنْ يشاء من عباده، ويضيقه على من يشاء منهم، بحسب حكمته سبحانه؛ لأنه خبيرٌ بصيرٌ بعباده وأحوالهم وأخبارهم، فعلى المسلم أن يرضى بما كتب الله له من رزقٍ قليلٍ أو كثير، ولتكن نفقتُه بحسبِ رزقِه بلا إسرافٍ ولا تبذير، ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 7].

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله، هو البرُّ البصير، التواب الجميلُ، الحاسِبُ الحسيب، الحافِظُ الحفيظ، الحقُّ الحَكَم، الحليمُ الحميد، الخبير الخلَّاق، الدَّيَّان، الرازق الرزاق، يبسط الرزق لمن يشاء، ويُقدِّره على من يشاء، اختبارًا وامتحانًا، وهو أحكم الحاكمين، وخير الرازقين، وأرحم الراحمين، والصلاة والسلام على رسولِه محمدٍ الصادقِ الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 31] أي: ولا تقتلوا أولادكم خوفًا أن يصيبكم الفقرُ بالإنفاق عليهم، نحن نرزقهم ونرزقكم، ولستم الرازقين لأولادكم، فلا تخشوا الفقر بسببهم، إنَّ قتلَ الأولادِ ذنبٌ عظيم، وقد كان بعض أهل الجاهلية يقتل أولاده وهم صغارٌ خشية الفقر، وفي الجاهلية المعاصرة بعضُ الناس يُجهضُ الجنينَ في بطن أمه خوفًا من الفقر، وهذا إثمٌ عظيم، وذنبٌ كبير، وكل من أعان على إجهاض الجنين في بطن أمه فهو مشاركٌ في هذه الجريمة الشنيعة، سواءً الأمَّ أو الأبَ أو الطبيبَ أو غيرهم، ومن وقع في ذلك فعليه التوبة والدية والكفارة.

أيها المسلمون، ثم قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 32] أي: ولا تقربوا أيها الرجالُ والنساءُ مِنْ فِعلِ الزنا، وابتعدوا عن مقدماتِه ودواعيه من النظرِ الحرامِ والاختلاطِ والكلامِ بِلا حاجةٍ والغِناءِ الماجنِ ومجالسِ الفسق، إن الزنا كان ذنبًا عظيمًا غايةً في القبح؛ في الشرع والعقل والفطرة السليمة، وبئس طريقًا طريقُ الزنا؛ لأنه يؤدي إلى أنواعٍ من المفاسد في الدنيا، والعذابِ والخزيٍ في الآخرة، وتأملوا كيف قال الله: ﴿ولا تقربوا الزنا﴾، فنهى عن أي شيء يُقرب من هذه الفاحشة، فهي خطرٌ عظيم، فلا تقتربْ أيها العاقل من أسبابها فيغضب الله عليك، وفي هذا الزمان كثُرتِ الفواحشُ والمنكرات، وصار شياطينُ الإنسِ يتفنَّنون في إشاعةِ الفواحش في وسائل الإعلام ومواقع التواصل، ويروِّجون لها باسم الفن والانفتاح، فلا تشاهدِ ولا تتابع الذين يدعُون الناس إلى الزنا بالرقص والتفاهات، والأفلام والمسلسلات، ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 27].

ثم قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الإسراء: 33] أي: ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها إلا إذا استحقت القتلُ شرعًا.

﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: 33] أي: ومن قُتِل ظلمًا بغير حق فقد جعلنا لولي المقتول في الشرع تسلطًا على القاتل، فهو بالخيار إن شاء قتله قصاصًا، وإن شاء أخذ الدية، وإن شاء عفا عنه، فلا يتجاوز وليُّ المقتول شرع الله فيتعدى بقتل غير القاتل أو يقتلُ بالواحد اثنين أو يقتل القاتل بعد حكم القاضي بأخذ الدية.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الإسراء: 34] أي: ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالطريقة التي هي أحسنُ وأفضل؛ وذلك بالإنفاق عليه منه بلا تبذير، وبإصلاحِه وتنميتِه بالتجارة ونحوها، فإذا بلغ اليتيمُ الحلمَ والرشدَ دفع وصيُّه إليه ماله، ولا يجوز لوصي اليتيم أن يحبِس عنه مالَه إذا بلغ وكمُل عقلُه وتمكن من تدبير مالِه.

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 34] أي: وأوفوا بالعهود التي عاهدتم الله عليها كالنذور، وأوفوا بالعقود التي بينكم كعقود الإيجار والصلح والبيوع، فالله سيسألكم عنها يوم القيامة.

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: 35] أي: وأوفوا الكيل للناس إذا كِلتم لهم عند البيع وغيره، وأوفوهم حقوقهم بالعدل من غير نقص، وزِنوا للناس بالميزان السوي الذي لا انحرافَ فيه ولا اعوِجاج، ولا غشَ ولا خديعة، ذلك الوفاء في الكيل والميزان خيرٌ لكم من التطفيف، وأحسنُ عاقبةً لكم في الدنيا بالبركة والسعادة والقناعة، وفي الآخرة بالثواب العظيم في الجنة، ((ومن غشنا فليس منا))، ومن كثُر مالُه بالغش فهو مالٌ بلا بركة، وسينتقم الله منه ولو بعد حين.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36] أي: ولا تَتَّبِعْ ما لا علم لك به بمجرد الظن، بل تأكد وتثبت، ولا تقل أو تفعل شيئًا بمجرد الظن، بلا دليلٍ على صحته، ومن ذلك: الطعنُ في أعراض الناس، وتصديقُ الشائعات، والقولُ في الدين والدنيا بلا علم.

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36] أي: إنَّ سمعَ الإنسانِ وبصرِه وقلبِه سيسأله الله عنها يوم القيامة فيما استعملها، وتُسأل هي عما عَمِل فيها صاحبُها، فتشهد عليه بما عَمِل من خير أو شر.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: 37] أي: ولا تمشِ في الأرض مختالًا متبخترًا متمايلًا متكبرًا، إنك أيها الإنسانُ ضعيف، لن تخرق الأرضَ بشدة وطء قدميك مهما بلغ وزنُك، ولن يبلغَ طولُك طولَ الجبال، فتواضعْ ولا تتكبر، واعرفْ قدرَ ضعفِك وعجزِك.

﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: 38] أي: جميعُ ما ذكره الله في الآيات السابقة من الأوامر والنواهي كان ما نهى اللهُ عنه مكروهًا عند ربك، فلا تتجرأ بفعلِ ما يكرهه الله، بل سارع إلى فعل ما يحبه الله ويرضاه.

﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: 39] أي: هذه الأحكام والأوامر والنواهي التي تضمنتها الآيات السابقة مما أوحى إلى رسوله محمدٍ ﷺ من الحكمة التي تُصلِح الناس في دينهم ودنياهم، وتُسعدُهم وتصلحُ أحوالهم، فلْنعملْ بهذه الوصايا الربانية العظيمة، ولْندعو الناس إليها.

﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: 39] أي: ولا تجعلْ مع الله معبودًا غيره، فتُرمى في جهنم تلومُك نفسُك، ويلومُك الخلق على عبادة غير ربك، مبعدًا مطرودًا من رحمة الله.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على مَنْ أمركمُ اللهُ بالصلاةِ والسلامِ عليه فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

اللهم صلِّ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِ محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

اللهم وسلِّم على نبينا محمد وعلينا وعلى جميع عباد الله الصالحين من السابقين واللاحقين.

اللهم اغفر لنا ولوالِدينا ولجميعِ المسلمين، اللهم ارحمْ آباءنا وأمهاتِنا كما ربَّونا صِغارًا، اللهم وفقنا للإحسان في عبادتك وفي معاملة خلقك، واجعل في قلوبنا رأفة ورحمة، اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وحبِّب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

## (37) فضل العشر الأواخر وليلة القدر وأحكام الاعتكاف وزكاة الفطر

الحمد لله كما وصف نفسَه، وفوق ما يصفه خلقُه، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، الرحمن على العرش استوى، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، مَنْ يتَّبِعْ سُنَّته فقد اهتدى، ومَنْ يرغَبْ عن سُنَّته فقد ضل وغوى، صلى الله عليه وعلى أزواجه وذريته، وعلى أصحابه ومن اتبعه. أما بعد:

فقد أقسم الله تعالى في كتابه بالفجر وليال عشر فقال سبحانه: ﴿وَالْفَجْرِ \* وَلَيَالٍ عَشْرٍ \* وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ \* وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ \* هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: 1 - 5]، هل فيما أقسم الله به كفايةٌ لذي عقل؟ أقسم الله بأوقات مباركة، يستحب فيها العمل الصالح، ففي الفجر حين ينشق الصبح يؤدي المسلم صلاة الفجر، ومن أفضل الأوقات لتلاوة القرآن وقت الفجر إلى طلوع الشمس، قال الله تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: 78]، وبورك لهذه الأمة في بكورها، في أمور دينها ودنياها، والليالي العشر هي العشر الأواخر من رمضان على أحد القولين في تفسير الآية، وأقسم الله بكل شفع ووتر، ويدخل في ذلك الصلاةُ الشفعُ التي هي ركعتان أو أربع، والصلاة الوتر التي هي ثلاث ركعات أو ركعة، وكما أقسم الله بالفجر حين يأتي أقسم بالليل حين يسري وينقضي، كما قال الله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ \* وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ [المدثر: 33، 34]، وقال سبحانه: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ \* وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: 17، 18]، فتقليب الله لليل والنهار فيه آيات لأولي الأبصار، وبذلك تنقضي الأعمار، وقد جعل الله الليل والنهار يخلف أحدهما الآخر لعبادته فيهما، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: 62]، فعلى العاقل أن يغتنم أوقات الليل والنهار فيما يقربه من الرحمن، ولا سيما في شهر رمضان، فقد قال الله عن رمضان: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: 184]، وكذلك عمر الإنسان أيامٌ معدودات، سرعان ما تنقضي أعمارنا كما ينقضي رمضان، دخلنا فيه فإذا بنا نخرج منه، والسعيد من اغتنم رمضان، واغتنم ما بقي من حياته فأصلح ما بينه وبين ربه، فعمرك أيها الإنسان ينقضي كل يوم، فاغتنم حياتك قبل موتك.

أيها المسلمون، إنما الأعمال بالخواتيم، وهكذا آخر شهر رمضان خيرٌ من أوله، فمن فرَّط في أوله فبقي له آخره، وآخر رمضان أفضل من أول رمضان، فلا تكسل أيها المسلم عن عبادة الله، فقد كان نبينا محمد ﷺ يجتهد في آخر رمضان أكثر من أوله، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شد مئزرَه، وأحيا ليلَه، وأيقظ أهلَه».

أيها المسلمون، العشر الأواخر من رمضان فيها ليلة القدر، ليلة خير من ألف شهر، قال الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ \* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ \* تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ \* سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: 1 - 5].

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْر﴾ أي: إنا ابتدأنا إنزال القرآن على النبي محمد ﷺ في ليلة القدر في شهر رمضان، وقال بعض المفسرين: أُنزِل القرآنُ في ليلة القدر جملة واحدة إلى السماء الدنيا، ثم أُنزِل مفرَّقًا خلال ثلاث وعشرين سنة، وكلا القولين صحيح. ثم فخَّم الله شأن هذه الليلة التي أنزل فيها القرآن فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ يعني: وأي شيء أدراك ما فضل ليلة القدر؟ وقد سميت ليلة القدر لعِظَم قدرِها وفضلِها عند الله، ولأنه يُقدَّر فيها ما يكون في ذلك العام من الأعمار والأرزاق وغير ذلك كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ \* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: 2، 4].

أيها المسلمون، ليلة القدر تتنقل في العشر الأواخر من رمضان، وأرجى ما تكون في ليالي الأوتار، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: ((تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي الوِتْرِ مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ))، فقد تكون ليلةُ القدر في ليلة إحدى وعشرين، أو ليلةِ ثلاثٍ وعشرين، أو ليلةِ خمسٍ وعشرين، أو ليلةِ سبعٍ وعشرين، وهي أرجاها، وقد تكون في ليلةِ تسعٍ وعشرين.

أيها المسلمون، الليالي العشر تبدأ من غروب شمس يوم عشرين من رمضان، وقال بعض العلماء: إذا كان رمضان تسعًا وعشرين ليلة فأرجى ليالي العشر الأشفاع باعتبار آخر رمضان؛ لأنها ليال عشر سواء كان رمضان ثلاثين يومًا أو تسعة وعشرين يومًا، فعلى المسلم الحريص على ليلة القدر أن يقوم جميع الليالي العشرِ الأواخر من رمضان، فيكون قد علم أنه قام ليلة القدر بيقين.

قال الله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أي: ليلة القدر العمل الصالح فيها أفضلُ من العمل الصالح في ألف شهر، والألفُ الشهرُ ثلاثٌ وثمانون سنة وأربعةُ أشهر، فهي ليلة مباركة، يضاعف فيها أجرُ العملِ الصالح أضعافًا كثيرة، فمن قرأ في ليلة القدر مثلا خمسة أجزاءٍ من القرآن فهو أكثر أجرًا ممن يقرأ خمسة أجزاء في مدة ألف شهر، ومن صلى مثلًا في ليلة القدر عشرين ركعة فهو أكثر أجرًا ممن يصلي عشرين ركعة في كل ليلة في مدة ألف شهر، وهكذا من سبَّح الله أو استغفره أو تصدق، فأجره يضاعف حتى يكون أفضل ممن عمل ذلك العملَ الصالح في ثلاث وثمانين سنة، أجر عظيم جدًا على أي عمل صالح في تلك الليلة المباركة، فقد رحم الله هذه الأمةَ القصيرةَ الأعمارِ بالنسبة إلى أعمار من قبلها، فجعل للمسلمين في كل رمضان ليلةً واحدةً بعمر طويل، فمن حُرمِ خيرُها فقد حُرِم الخيرُ العظيم، في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)).

ثم أخبرنا الله سبحانه عن ليلة القدر فقال: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي: في ليلة القدر يكثر هبوط الملائكة من السماء إلى الأرض مع الروح الأمين جبريل عليه السلام، ونزول الملائكة يكون بإذن ربهم، وفي تلك الليلةِ يُقَدِّر اللهُ أمورا كثيرة عظيمة تكون في تلك السنة من الخيرات والبركات والأرزاق والآجال كما قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: 4]، وهذا هو التقدير السنوي من السنة إلى مثلها، مما يُطلِع الله عليه ملائكته، وهو غير التقدير الذي كتبه الله في اللوح المحفوظ من قبل خلق السماوات والأرض، كما قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: 22]، وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: ((كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ))، فلا يكون شيء في الكون إلا بمشيئة الله سبحانه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: 2]، فكل ما يكون قد علمه الله، وكتبه في اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: 70]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: 29].

ثم قال الله تعالى: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ أي: ليلة القدر سالمة من كل شر لكثرة خيرها وبركتها، وتُسلِّم الملائكةُ فيها على المصلين والذاكرين، من غروب الشمس إلى طلوع الفجر. فليلة القدر تبدأ بغروب الشمس، وتنتهي بطلوع الفجر، فعلى المسلم أن يجتهد في ليالي العشر الأواخر بأنواع العبادات من صلاة وتلاوة وتسبيح وتهليل وتحميد وتكبير واستغفار ودعاء بخير الدنيا والآخرة وصلاةٍ على رسول الله ﷺ وصدقةٍ وغير ذلك من أنواع العبادات، ففي العشر الأواخر ليلة أعظم من ألف شهر، فالمحروم من حرم خيرها، والموفق من وفقه الله لعبادته فيها.

أيها المسلمون، كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان طلبًا لليلة القدر، والاعتكاف هو: اللبث في المسجد لطاعة الله عز وجل، وهو سُنَّةٌ مؤكدة، داوم عليه النبي عليه الصلاة والسلام كل عام، ويتأكد استحبابه في العشر الأواخر من رمضان، ويشرع الاعتكاف في كل وقت في جميع المساجد، ورحبة المسجد لها حكم المسجد، وكذا الغُرَف المبنية داخل المسجد الملحقة به يجوز الاعتكاف فيها إن كانت تابعة للمسجد وجزءًا منه، ولا يصح الاعتكاف في الغُرَف التي بجوار المسجد المهيئة للسكنى وإن كانت أبوابها إلى المسجد.

أيها المسلمون، الاعتكاف نوعان: اعتكاف تطوع، يجوز تركه بعد الشروع فيه، وإن لم يُكمل ما نواه، واعتكاف واجب، وهو الاعتكاف المنذور، يجب إكماله وفاءً بالنذر، وإن نذر اعتكافا متتابعًا وجب التتابع فيه.

وعلى المعتكف أن ينوي المكث في المسجد تقربًا إلى الله، ولا حد لأقل الاعتكاف، فيصح الاعتكاف في أي وقت ليلًا أو نهارًا قدر ما يسمى اعتكافًا ولو وقتًا يسيرًا، فينبغي لمن قصد المسجد أن ينوي الاعتكاف مدة لبثه، والأفضل أن لا يقل الاعتكاف عن يوم أو ليلة.

واعتكاف العشر الأواخر من رمضان يبدأ من غروب شمس يوم العشرين؛ ليبدأ المعتكف اعتكافه من أول ليلة إحدى وعشرين، وينتهي اعتكاف العشر الأواخر بغروب شمس آخر يوم من رمضان، ومن نوى أن يعتكف العشر الأواخر تطوعا ثم بدا له أن يترك الاعتكاف فله ذلك، ويؤجر على ما مضى من اعتكافه، ويجوز للمعتكف الخروج من المسجد لما لا بد منه، كالخروج لقضاء الحاجة والوضوء ولو إلى بيته إن لم يكن للمسجد حمامات، ويجوز أن يخرج إلى بيته للأكل والشرب أو إلى السوق لشراء طعام، ولا يتأخر بعد فراغه من الحاجة التي خرج لأجلها، والأفضل للمعتكف أن يأكل ويشرب في المسجد إذا تيسر له ذلك، مع صيانة المسجد من بقايا الطعام ونحو ذلك، وإن أجنب المعتكف وجب عليه الخروج من المسجد للاغتسال في حمامات المسجد أو في بيته، وهو في حال خروجه من المسجد لما لا بد منه معتكف، فإن جامع زوجته بطل اعتكافه، وإن باشرها بما دون الجماع فأنزل بطل اعتكافه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [البقرة: 187]، ويجوز للمعتكف أن يصافح زوجته بلا شهوة، ويبطل الاعتكاف أيضا بالخروج من المسجد عمدًا لغير حاجة، وإن قلَّ وقت الخروج، فإن كان الاعتكاف تطوعًا وخرج بلا حاجة انتهى اعتكافه بخروجه، وكان له الأجر بقدر اعتكافه، ثم له أن يستأنف اعتكافًا جديدًا إن شاء، وللمتطوع أن يجعل اعتكافه متقطعًا.

ويباح للمعتكف الكلام المباح، ولا ينبغي له تعمد الصمت، ولا الإكثار من الكلام بلا حاجة، ولا الخوض فيما لا يعنيه، فإنَّ المقصود من الاعتكاف التفرغ لعبادة الله، فيستحب للمعتكف أن يكثر من الصلاة، وتلاوة القرآن وتدبره، والذكر، والدعاء، والاستغفار، والتفكر، والتعلم والتعليم، ونحو ذلك من الطاعات التي تقربه إلى الله تعالى.

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم وجميع المسلمين، وأسال الله أن يرزقنا جميعًا العلم النافع والعمل الصالح.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

ففي آخر رمضان تشرع زكاة الفطر، وهي واجبة على كل مسلم ومسلمة، سواء كان غنيًا أو فقيرًا، ما دام يملك أكثر من قوت يومه، روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ فرض زكاة الفطر من رمضان على كل نفس من المسلمين حرٍ أو عبدٍ، رجلٍ أو امرأةٍ، صغيرٍ أو كبيرٍ، صاعًا من تمر، أو صاعًا من شعير».

أيها المسلمون، يجب أن يُخرج المسلم زكاة الفطر عن نفسه، وعمن تلزمه نفقته، ولا تجب إلا على مَنْ فضل عن قوته، وقوت من تلزمه نفقته وحوائجه الضرورية في يوم العيد وليلته.

والواجب في زكاة الفطر صاع من غالب قوت أهل البلد من بر، أو شعير، أو تمر، أو ذُرة، أو أرز، أو غير ذلك من الأقوات، ولا يجزئ إخراج السُّكَّر؛ لأنه ليس قوتًا، والصاع أربعة أمداد، والـمُد ملء الكفين المتوسطتين، فالصاع أربع حفَنَات بكفَّي رجلٍ معتدلِ الكفين، واختلف الفقهاء المعاصرون في تقدير الـنصف الصاع بالموازين العصرية، وهو يختلف باختلاف الطعام الموزون، فحدد بعض الفقهاء المعاصرين الصاع من البُر بـ 2 كيلو وأربعين جرامًا، والصاع من الأرز 2 كيلو تقريبًا، والأصح جواز إخراج الدقيق في زكاة الفطر، والمعتبر في الدقيق الوزن لا الكيل بالصاع؛ لأن الحب إذا طُحِن انتشرت أجزاؤه، وأكثر الفقهاء أنه لا يجزئ إخراج قيمة الطعام، وقيل: يجزئ إخراج قيمة الطعام، والقول الأول أحوط وأفضل، ومن أخذ بالقول الثاني فقد أحسن، ولا إنكار في المسائل الاجتهادية لا على المجتهد ولا على من أخذ بقوله، والله الكريم يتقبل من الجميع بفضله ورحمته.

وتجب زكاة الفطر بغروب الشمس من ليلة العيد، فيجب إخراجها عمن مات بعد الغروب دون من وُلِد، ولا تجب الفطرة على الجنين، ويجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين، ولا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد، فإن أخرها متعمدًا أو نسيانًا فيخرجها قضاء، ويجوز تسليمها إلى من يتولى جمعها من جهة الحاكم المسلم أو أن يخرجها بنفسه ويعطيها الفقراء، ولا يجوز أن يعطيها لأقاربه الأصول والفروع، والأصول هم الآباء والأمهات والأجداد والجدات، والفروع هم الأبناء والبنات والأحفاد، ويجوز أن يعطيها لغيرهم من الأقارب المحتاجين كالإخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات، ويجوز أن تعطي الجماعة زكاة فطرها لفقير واحد، وأن يعطي الواحد زكاته لعددٍ من الفقراء، وإن أعطي الفقير زكاة الفطر يجوز له أن يخرجها عن نفسه وأهله، ولو أخرج إنسان الفطرة عن أجنبي بغير إذنه لا يجزئه؛ لأنها عبادة لا تسقط عن المكلف بها بغير إذنه، فإن أذن فأخرج عنه أجزأه، فلا بد من النية في أداء العبادات.

نسأل الله أن يفقهنا في الدين، وأن يحبب إلينا الإيمان، وأن يوفقنا للعلم النافع المقتضي العمل الصالح.

اللهم انفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا، وزدنا علما.

اللهم ارزقنا طاعتك وطاعة رسولك، ووفقنا للعمل بكتابك وسنة نبيك ﷺ.

عباد الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]، فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: 45].

## (38) الاستقامة بعد رمضان

الحمد لله القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11]، وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد الذي امتن الله به على المؤمنين، يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلِّمهم الكتاب والحكمة، ورضي الله عن صحابته الذين امتحن اللهُ قلوبَهم للتقوى، وعن آل بيته الذين يريد الله أن يطهَّرهم تطهيرًا، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فإن الله شرع لنا الصيام لتحقيق التقوى والاستمرار على شكره، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183]، وقال سبحانه: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 185]، فيجب علينا بعد رمضان أن نستقيم على تقوى الله باجتناب المحرمات والقيام بالواجبات، ونستمر على شكر الله على نعمه، ولا نستعمل نعمه في معصيته.

يجب علينا أن نزكي أنفسنا باستمرار، فنطهرها من المعاصي، ونرقيها بالطاعات، قال اللهُ عن عبده عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: 31]، رجَّح إمام المفسرين الطبريُّ أن المراد بالزكاةِ هنا زكاةُ النفس، قال: "لأن عيسى لم يكن معروفًا بادخار المال حتى تجبَ عليه زكاةُ المال". وقال الله عن إسماعيل عليه الصلاة والسلام: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ [مريم: 55]، يأمُر جميع أهله بزكاة النفوس، سواء كانوا أغنياء أو فقراء.

أيها المسلمون، المقصود من جميع العبادات تزكية النفوس، فالصلاة تزكي النفس، والصيام يزكي النفس، حتى زكاة المال المقصود بها زكاةُ النفس؛ كما قال الله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: 103]، حتى صدقاتُ التطوع المقصود بها زكاةُ النفس: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [الليل: 18].

جميع العبادات المقصود بها زكاةُ النفوس؛ كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 21]، وما حرَّم اللهُ المحرَّماتِ إلا لتزكية النفوس؛ كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ [النور: 30]، وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: 53].

فلا فلاح للإنسان إلا بتزكية نفسه بطاعة الله، تجنب معصية الله، وقد ذكَر الله أربع آيات في القرآن وفي صحف إبراهيم وموسى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى \* وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى \* بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى \* إِنَّ هَذَا﴾ [الأعلى: 14 - 18] أي المذكور من الآيات الأربع: ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى \* صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: 18، 19].

وأقسم اللهُ بالشمس والقمر والنهار والليل والسماء والأرض فقال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا \* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا \* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: 7 - 10] أي: قد فاز من زكَّى نفسه، وقد خسر من دس نفسَه؛ أي: أخفاها وقذرها بالمعاصي.

اللهُ يريد أن يطهِّرَنا جميعًا ظاهرًا وباطنًا، ظاهرًا؛ كالوضوء، والغُسل، وخصال الفطرة، وطهارة البدن والمكان والثياب، وباطنًا؛ وهي زكاة الأنفسِ؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: 6].

زكاة النفوس مرادفةٌ لطهارة القلوب، والمقصود بها تطهيرُ القلب من الشِّركِ والمعاصي والأخلاق الرذيلة: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 88، 89]، وتزكية النفوس وإصلاح القلوب مِن أهمِّ المهمات وأعظم الواجبات؛ قال النبيُّ ﷺ: ((إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))، وقال ﷺ: ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)).

من أعظم مقاصد بِعثة النبي ﷺ تزكيةُ النفوس: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: 2].

النفس أمَّارة بالسوء، كَسِلَةٌ عن الخير، نَشِطةٌ إلى المعاصي، تحبُّ البطالة، نفوسنا كلُّنا هكذا؛ ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: 32]، وقد حذَّرنا اللهُ من نفوسنا فقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: 235].

على العاقل أن يُصَبِّرَ نفسَه على طاعة الله بعد رمضان، ويُرغِمَها على فعل الخير وإن كرِهَتْ، ويفطِمَها عن المعاصي والشهوات وإن أحبَّتْها؛ ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الكهف: 28] أي: احبِسْها على الطاعات؛ لأن طبيعتَها أنها لا تريدها!

وقال الله سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى \* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: 40، 41]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: 6].

والنَّفسُ كالطفلِ إن تُرضِعْه شبَّ على ... حبِّ الرَّضاعِ وإن تَفطِمْهُ يَنفَطَمِ

والنَّفـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــسُ راغبةٌ إذا رغَّبْتَها ... وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تقنـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــَعُ

أيها المسلمون، علينا أن نستقيم بعد رمضان على طاعة الله، في العلانية وفي الخلوات، فالله يراك أينما كنت، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ \* نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [فصلت: 30، 31]، وقال الله سبحانه: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: 112]، فعلينا أن نأمرَ أنفسنا وغيرَنا بالمعروف، وننهى أنفسَنا وغيرَنا عن المنكر، ونتواصى بالحق، ونتواصى بالصبر، ونتعاونَ على تزكية نفوسنا؛ فإنها مليئة بالشر؛ ﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ [فاطر: 18]، وقد كان النبي ﷺ يقول في خطبته: ((وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا))، وفي الدعاء المأثور: ((أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي)).

أيها المسلمون، مَن شرَع في تزكية نفسه تترقى نفسُه الأمَّارةُ بالسوء حتى تصيرَ لوَّامةً تلومُه على فعل المعصية، وتلومُه على التفريط في الطاعة، وقد أقسم الله بهذه النفس الطيبة فقال: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ \* وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: 1، 2]، ومن استمرَّ في تزكية نفسِه بالطاعات وترِك المعاصي، تترقى نفسُه حتى تكونَ مطمئنَّةً بذكر الله، وهذه النفس المطمئنة هي التي تُبشَّر عند الموت ببشارتينِ، بشارةٌ من ملائكة الموت، وبشارةٌ من الله جل جلاله، كما ذكر الله ذلك في آخر سورة الفجر: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ [الفجر: 27، 28]، فهذه بشارة الملائكة، ثم يقول الله لتلك الروح الطيبة: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: 29، 30].

أيها المسلمون، علينا أن نزكِّي أنفسَنا بطاعة الله، والإكثارِ من التقرُّب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، وتَرْكِ المعاصي؛ لأن المعاصيَ أثرُها سيئٌ على القلوب؛ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: 14].

أيها المسلمون، مِن أعظم ما يزكِّي النفوس الدعاءُ؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: 21]، ختَم الله هذه الآيةَ باسميه (السميع العليم) إشارةً إلى دعاء الله بتزكيةِ النفس؛ فهو سميعُ الدعاء، وهو عليمٌ بمن يستحقُّ الهداية، ومن الدعاء المأثور: ((اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا)).

أيها المسلمون، أعظمُ ما يزكِّي النفوس ويُصلِحُ القلوب على الإطلاق كتاب الله سبحانه، قال الله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ \* لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: 27، 28]، فمن أراد الاستقامة فعليه بهذا القرآن العظيم، عليه أن يتدبَّرَ كتابَ الله؛ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 57]، فالقرآن شفاءٌ لِما في القلوب من الشَّهوات والشُّبهات، وهدًى من كل ضلالةٍ، ورحمةٌ للمؤمنين الذين يتبعونه؛ فهو حجَّةٌ لك أو عليك.

أيها المسلمون، كان الله سبحانه يؤيد رسله عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات العظيمة الدالة على صدقهم، كعصا موسى ويده، وكإحياء عيسى الموتى، وكناقة صالح، وكانشقاق القمر لمحمد عليه وعلى جميع إخوانه الأنبياءِ الصلاةُ والتسليم، وأعظم معجزات نبينا محمدٍ القرآن العظيم، فأثره لمن تدبره أعظم ممن رأى أي معجزة من معجزات الأنبياء السابقة، فهو معجزة النبي الخالدة، وعظمته وبركته لا نهاية لها، فهو كلام الله الذي جعله نورا وهداية للناس في كل زمان ومكان، يخرجهم به من الظلمات إلى النور، ويهديهم به إلى الحق المبين في جميع أمورهم الدينية والدنيوية، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فكل ما يحتاج الناس إليه بيَّنه الله في كتابه العظيم نصا أو دَلالة أو استنباطا، علمه من علمه، وجهله من جهله، قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9]، أي: يهدي الناس للخصلة التي هي أحسن الخصال في جميع الأمور، وفي كل الأحوال. يقول الله تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 203]، فالقرآن نورٌ وهدايةٌ ورحمةٌ في الدنيا والآخرة لكل من آمن به واتبعه، ففيه صلاح الأفراد والشعوب والدول، وفيه حل جميع مشاكل الناس المختلفة، فهو كتاب هدايةٍ وحُكْم، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: 37].

إنَّ المتدبر في آيات القرآن يجد فيها بيان الحق في جميع الأمور، قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 242]، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 103]، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: 118]، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 89]، فأعظم مقاصد القرآن هداية الناس إلى الصراط المستقيم، وإخراجهم من ظلمات الكفر والشرك والجهل والمعاصي والظلم، كما قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم : 1].

فالقرآن أفضل وأعظم كتابٍ على الإطلاق، وهو أحق ما يُكتب ويُقرأ ويُستمع له ويُحفظ ويُدرس، كتابٌ كاملٌ لا نقص فيه، أخبارُه صادقة، وأحكامُه عادلة، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: 115]، أي: صِدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأحكام، كتابٌ قيِّمٌ مستقيم، لا خطأ فيه أبدًا، لا في حروفِه وألفاظِه، ولا في معانيه وأحكامِه، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا \* قَيِّمًا﴾ [الكهف: 1، 2]، فهو مستقيمٌ لا إفراطٌ فيه ولا تفريط، وهو مقيمٌ لمصالح العباد في دينهم ودنياهم، فبه قيام الأمة إن تمسكت به، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: 10] أي: في هذا القرآن عزكم وشرفكم، أفلا تعقلون؟!

هذا القرآن حبل النجاة، من اعتصم به نجا، ومن تركه هلك، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103]، ومن اتَّبعَ القرآن فلا خوفٌ عليه بعد موته، ولا يحزن على ما ترك في دنياه، ولا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 38]، ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى\* وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه :123- 124].

أولو العقول يستمعون القرآن ويتبعونه، ويتدبرونه ويهتدون به، ويتذكرون به ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَاد \* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر :17- 18]، ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29].

حين استمع القرآنَ نفرٌ من الجن آمنوا به في جلسة واحدة، وشهدوا له بالعجب في فصاحته وبلاغته، وفي معانيه وهدايته، وفي بركته وتأثير مواعظه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا \* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: 1، 2].

لو أنزل الله القرآن على جبل ففهمه لتصدَّع من خشية الله سبحانه، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 21].

هذا القرآن يُثبِّت المؤمنين على الحق، كما قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 102]، ومن أراد الاستقامة بعد رمضان فعليه بتلاوة ما تيسر له من القرآن العظيم، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ \* لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: 27، 28].

ينتفع بالقرآن كل من يتلوه ويتدبره، ويجد كل إنسان في القرآن من الهدايات ما يناسب حاله، ففيه هدايات للعلماء والعامة، والرؤساءِ والوزراء، والقادة والزعماء، والأغنياء والفقراء، والتجار والعمال، والأصحاء والمرضى، والمبتلى والمعافى، والرجال والنساء، فيه هدايات للمنتصرين والمنهزمين، فيه هدايات للمستضعفين، فيه بيان أسباب النصر والتمكين، فيه هدايات لجميع الناس في كل زمان ومكان، فيه ذكر أصول الإيمان وتصحيح العقائد، فيه الأمر بتوحيد الله سبحانه والإخلاص له، والنهي عن الشرك به، فيه تزكية النفوس وتهذيب الأخلاق، والأمر بمكارم الأخلاق، والنهي عن سيئها، فيه الحث على عبادة الله وذكره ودعائه، فيه أفضل الدعوات، فيه بيان الأحكام التي شرعها الله لمصالح عباده، فيه الأمر بطاعة الله وطاعة رسوله محمد ﷺ، المبيِّن بسنته ما أنزل الله عليه في كتابه، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: 7]، وقال عز وجل: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: 54].

في هذا القرآن بيان الحق في كل ما يختلف الناس فيه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: 64].

في هذا القرآن ذكر صفات المؤمنين لنقتدي بهم، وفيه ذكر صفات الكافرين والمنافقين لنحذر من الاتصاف بصفاتهم، في القرآن الترغيب والترهيب، وذكر الجنة والنار، والبشارة للمؤمنين، والإنذار للكافرين والمنافقين والظالمين والفاسقين.

في القرآن بيان حقيقة الدنيا الفانية، وحقيقة الآخرة الباقية، فيه المواعظ البليغة، والأمثال العظيمة، والقصص التي فيها عبرة، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: 54].

في القرآن الحججُ العقلية، ومخاطبةُ الفطرة، ورد شبهاتُ من ينكر كونَه من عند الله، وإجابةُ مَن يستعجلُ عذاب الله، في القرآن الرد على كل صاحب فتنة وشبهة، وفيه الكفاية لمن أراد الهداية، قال الله تعالى: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: 113].

من اهتدى بالقرآن فإنما ينفع نفسه، ومن أعرض عنه فإنما يضر نفسه، ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: 108].

أيها العاقل، ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1 - 5]، اجتهد في تلاوة القرآن الكريم، فهو أعظم شيء بين أيدينا على الإطلاق، فهو كلام الخالق، ولولا أن الله يسر لنا قراءته لما استطعنا قراءة كلامه سبحانه، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: 17]، فالقرآن خير ما تقرأ، وهو أعظم ما علَّم الله عباده، ﴿الرَّحْمَنُ \* عَلَّمَ الْقُرْآنَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ \* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: 1 - 4]، فذكر تعليمه الناس القرآن قبل أن يذكر خلق الإنسان وتعليمه البيان، فالناس بلا قرآن يهديهم في ضلال مبين.

أيها المسلم، اعلم أنَّك مهما عظَّمت القرآن فهو أعظم مما تظن، وهدايات القرآن ونوره وبركته وخيره في الدنيا والآخرة أكثر مما يخطر ببالك، وكلما تلوته وتدبرته وتعلمته ازددت إيمانا وعلما وحكمة وهداية، فهو معجزة النبي الخالدة، وهو يصنع المعجزات في الأفراد والمجتمعات إذا اعتصموا به.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ \* وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ \* إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: 75 - 77]، نعم والله، إنه قرآن كريم، عظيم، حكيم، عزيز، مبين، مجيد، مبارك، ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: 52].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم، ويغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله الذي علَّم القرآن، خلق الإنسان، علَّمه البيان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، أما بعد:

فإن رب رمضان هو رب شوال، ومن كان يعبد رمضان فإنه شهر يزول وينقضي، ومن كان يعبد الله فإنه حي لا يموت، أيها المسلم، يقول الله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99]، ولم يقل: اعبد ربك حتى يأتيك العيد، فحافظ على الصلوات الخمس في أوقاتها، واقرأ ما تيسر من القرآن في كل يوم وليلة، وأكثر من ذكر الله سبحانه، ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا \* وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: 25، 26].

أيها المسلمون، يستحب بعد رمضان صيام بعض الأيام تقربًا إلى الله سبحانه، فمما يستحب صيامه:

صيام ستة أيام من شوال لمن صام رمضان كاملًا، ويُشرع صومها متتابعة أو متفرقة، ومن أفطر شيئًا من رمضان فعليه أن يبدأ أولًا بصيام القضاء الواجب، فإن صام الست من شوال قبل قضاء رمضان فيصح صومه التطوع قبل القضاء مع الكراهة؛ لأن المبادرة بإبراء الذمة بصوم القضاء أولى من النافلة، فالأحوط والأفضل أن يبدأ المسلم بصوم القضاء ثم النافلة، حتى ولو فاته صوم الست في شهر شوال، والمشهور عند أهل العلم أن صوم الست لا يكون إلا في شهر شوال، لحديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ))، وأجاز بعض العلماء صوم الست في غير شوال، واستدلوا بالحديث الصحيح عن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ فَشَهْرٌ بِعَشَرَةِ أَشْهُرٍ، وَصِيَامُ سِتَّةِ أَيَّامٍ بَعْدَ الْفِطْرِ، فَذَلِكَ تَمَامُ صِيَامِ السَّنَةِ))، قالوا: فصوم ستة أيام أجرها كشهرين؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها، وصوم رمضان بعشرة أشهر، فيُرجى لمن صام رمضان كاملًا أداء أو قضاء ثم صام ستًا بعد الفطر في شوال أو بعده إذا لم يستطع صوم الست في شوال لانشغاله بقضاء ما عليه أن يكون أجرُه كمن صام الدهر، وفضل الله واسع([[1]](#footnote-1)).

ويستحب صيام يوم عرفة لغير الحاج، وكذلك يستحب صيام تسع ذي الحجة.

ويستحب الإكثارُ من الصيام في شهر محرم، وهو أفضل الصوم بعد رمضان، ويستحب صيام يوم تاسوعاء وعاشوراء، وهما اليوم التاسع والعاشر من شهر محرم، ولا بأس بصيام اليوم العاشر وحده، ولكن الأفضل صوم يوم قبله أو بعده.

ويستحب صيام الاثنين والخميس، ويستحب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، سواء من أوله أو أوسطه أو آخره، وسواء كانت متتابعة أو متفرقة، والأفضل أن تكون أيام البيض، الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: ((صِيَامِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ)).

ويُكره صوم الدهر، ويكره إفراد يوم الجمعة بالصيام، إلا أن يصوم يومًا قبله أو يومًا بعده.

ولا بأس بإفراد يوم الجمعة بالصيام إذا وافق عادة له كمن يصوم يومًا ويفطر يومًا أو وافق يومًا يستحب صيامه كيوم عرفة أو عاشوراء.

ولا يجوز للمرأة أن تصوم نافلة وزوجها حاضر إلا بإذنه.

اللهم فقهنا في الدين، وعلمنا ما ينفعنا في ديننا ودنيانا، اللهم أعنا بعد رمضان على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم ارزقنا الاستقامة بعد رمضان على طاعتك، وحبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، والحمد لله رب العالمين.

## (39) خطبة فقهية عن الطهارة وصفة الوضوء وأحكامه

الحمد لله العلي الأعلى، الذي خلق فسوَّى، والذي قدَّر فهدى، أحاط بكل شيء عِلمًا، وأحصى كل شيء عددًا، أنزل من السماء ماء طهورًا، ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، مَنْ يتَّبِعْ سُنَّته فقد اهتدى، ومَنْ يرغَبْ عن سُنَّته فقد ضل وغوى، صلى الله عليه وعلى أهل بيته وأزواجه وذريته، وعلى أصحابه ومن اتبعهم بإحسان. أما بعد:

فإن التفقه في الدين من أفضل الأعمال، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:122]، وقال النبي ﷺ: ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ))، وسنتكلم في هذه الخطبة عن أحكام الطهارة، وصفة الوضوء وأحكامِه.

**الطهارة هي:** رفع الحَدَث، وإزالة الخَبَث. **والحدث نوعان:** حدث أصغر، وهو ما يجب به الوضوء، وحدث أكبر، وهو ما يجب به الغسل. والمراد بإزالة الخَبَث: إزالة النجاسة من البدن أو الثوب أو المكان.

**والماء قسمان:** طاهر ونجس، فالطاهر هو الطَّهُور الذي تحصل به الطهارة، وهو: الباقي على صِفته التي خُلِق عليها، كماء المطر والآبار والأنهار والعيون الجارية والبحار وذوب الثلوج والبَرَد، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: 48]، فبالماء يحصل الوضوءُ والاغتسال، وغسلُ جميع النجاسات.

والماء النجس هو الذي خالطته نجاسة فغيَّرت أحد أوصافه الثلاثة ريحَه، أو طعمَه، أو لونَه، ولا يجوز استعماله في الوضوء والغُسل، ولا في إزالة النجاسات، أما إن خالطته نجاسةٌ ولم تغير أحد أوصافه الثلاثة فيجوز التطهر به سواء كان الماء كثيرًا أو قليلًا، وهذا قول أكثر العلماء، لم يفرقوا بين الماء القليل والكثير إذا لم تغيره النجاسة، فالماء طهور لا ينجس إلا إذا تغير لونُه أو طعمُه أو لونُه بنجاسةٍ تحدث فيه.

والماء إذا خالطه شيء طاهر كأوراق الأشجار أو التراب أو الملح أو شيء قليل من الصابون أو قطرات من العطر أو غير ذلك من المواد الطاهرة يجوز التطهر به وإن تغير لونه أو طعمه أو ريحه؛ لأن تغيره بشيء طاهر لا نجس.

ويجوز الوضوء والغسل من إناءٍ شرب منه حيوان أو طائر، فكل حيوان حي طاهر، لكنَّ الكلب والخنزير على المسلم أن يجتنبهما، فقد أخبرنا الله في كتابه أن لحم الخنزير رجس، وقال النبي ﷺ: ((إِذَا شَرِبَ الْكَلْبُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ، فَلْيَغْسِلْهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، أُولَاهُنَّ بِالتُّرَابِ)).

أيها المسلمون الطاهرون، يجب التحرز من النجاسات، وغسل ما يصيب الإنسان منها في بدنه أو ثيابه أو مكانه وأثاثه، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ، والطُّهور شَطرُ الإيمان كما قال النبي عليه الصلاة والسلام.

**فمن النجاسات:** بولُ الإنسان وغائطُه، وكذا بولُ وروثُ ما لا يؤكل لحمه كالحمير والكلاب والقطط والفئران.

**ومن النجاسات:** الدم المسفوح، وهو الذي ينصبُّ ويسيل، مثل دمِ الجروح ودمِ الحيض والنفاس والدمِ الخارج من الذبائح، أما الدمُ الباقي في لحوم الذبائح فإنه طاهر، وكذلك الكبد والطحال طاهران.

**ومن النجاسات:** القيح والصديد، فأصلهما دمان استحالا إلى نتنٍ وفساد.

**ومن النجاسات:** الميْتة، إلا ميتة السمكِ والجرادِ فإنهما بعد موتهما حلال وطاهران، ولا تضر ميتة ما لا دم فيه سائل كالنمل والذباب والبعوض.

**ومن النجاسات:** القيء إذا تغير ريحُه.

**ومن النجاسات:** الـمَذْي الذي يخرج من الرجل والمرأة عند الشهوة بلا دفق، ولا يجب الاغتسال منه، أما المني فيجب الاغتسال منه.

والخمر نجسة إما نجاسة معنوية كنجاسة الأصنام والكفار، أو نجاسة حسية كالبول والغائط، قولان لأهل العلم، وقد أمرنا الله باجتناب الخمر، ولُعِن شاربُ الخمر وحاملُها، وكل من شارك فيها.

أيها المسلمون، يُطهَّر ما تنجَّس بغسله بالماء حتى تزول النجاسة، ويجب إزالة أثر النجاسة ولو بالحت والفرك والعصر ونحو ذلك، ولا يضر بقاءُ لونٍ عسُر زوالُ أثرِه كلون الدم في الثوب، ويكفي غسلُ النجاسة مرة واحدة، والأفضل ثلاثًا، ويكفي في التطهر من المذي غَسْلُ الفرج، ونضحُ ما أصاب الثيابَ منه، وإذا زالت النجاسةُ من الأرض بالشمس ولم يبق لها أثرٌ طهرت.

ويجوز استعمال جميع الأواني في الأكل والشرب وسائر الاستعمال إذا كانت طاهرة مباحة، ما عدا آنية الذهب والفضة، والأصل في الأشياء الطهارة، ولا يُحكم بنجاسة شيء بالشك ما لم تُعلم نجاستُه بيقين.

وشعرُ الميتة وصوفُها وريشُها وقرنُها وظُفرُها طاهر في الأصح إذا كان يابسًا ليس عليه رطوبة نجسة، وأما لحم الميتةِ وشحمِها فنجس بالإجماع، ومحرمٌ أكله، ويجوز إطعامُه الحيوانات، والدباغ مطهرٌ للجلود.

أيها المسلمون، يجب إزالة النجاسة بعد قضاء الحاجة من القُبل والدُّبر بالماء وهو الاستنجاء، أو بالمسح ثلاث مسحات بثلاثة أحجار أو ما يقوم مقامها كالمناديل الورقية وهو الاستجمار، والاستنجاء أو الاستجمار عبادة مستقلة لا تتعلق بالوضوء، وإنما يجب بعد البول والغائط إزالة النجاسة من الفرجين، ويجوز الاستجمار مع وجود الماء، والأفضل الاستنجاء بالماء، ويحرم الاستجمار بالروث أو العظم أو شيء من الطعام. ولا يمسك الإنسانُ ذكره بيمينه وهو يبول، ولا يباشر النجاسة بيمينه عند الاستنجاء أو الاستجمار.

وليحذر المسلم بعد البول من الوسوسة والتكلف والتنطع، وقد استحب الفقهاء أن ينضح الإنسان بعد الاستنجاء شيئًا من الماء على سراويله حتى إذا حصل له شكٌ ووسوسةٌ حمل ما يجد من بللٍ على ذلك النضح، وبذلك يقطع الوسوسة عن نفسه، والبول يخرج بطبعه، وإذا فرغ انقطع بطبعه، فهو كما قال العلماء: كالضَّرع إن تركته قَرّ، وإن حلبته دَرّ، وقد يُخيَّل إلى الإنسان أنه خرج منه قطِراتٌ وهو وسواس، وأما من به مرضُ سلس البول فعليه أن يستنجي ويتخذ حِفاظًا يمنع سيلان البول بقدر الإمكان، ويتوضأ ويصلي وإن جرى البول، فالدين يسر، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، ومثله من أجرى عملية جراحية وكان متلطخًا بالدم أو بعض النجاسات الأخرى، ولم يستطع إزالتها، فليتطهر بقدر استطاعته، وليُصلِّ ولا إعادة عليه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78].

أيها المسلمون، علَّمنا النبي ﷺ كل ما نحتاج إليه، حتى علمنا آداب قضاء الحاجة، فلا تستقبلْ - أيها المسلم - جهة الكعبة ولا تستدبرها ببولٍ وغائطٍ سواء في الصحراء والمكان الخالي أو في البنيان، تعظيما لجهة القبلة، وكان بعض الصحابة إذا وجدوا مرحاضًا مبنيًا إلى جهة القبلة ينحرفون عن القبلة إذا جلسوا عليه، وقال بعض الفقهاء: لا بأس باستقبال القبلة أو استدبارها في المراحيض.

ويُستحب لمن أراد دخول الخلاء أن يقول: (اللهم إني أعوذُ بك من الخُبُث والخبائث)، وأن يقول عند الخروج: (غُفرانك).

ويحرم البول أو الغائط في طريق الناس أو في أماكن جلوسِهم أو تحت شجرةٍ مثمرةٍ أو بين قبورِ المسلمين أو في الماء الراكد. ويُكره الكلام حال قضاء الحاجة، وأن يبول في ثُقبٍ في الأرض، وأن يدخل الخلاء بشيء فيه ذكْرُ الله إلا لحاجة.

أيها المسلمون، الإسلام دين الفطرة، ومن خصال الفطرة التي يتصف فاعلها بالفطرة التي فطر الله الناس عليها؛ ليكونوا على أحسن هيئة وأكمل صورة ما جاء في الحديث الصحيح: ((خَمْسٌ مِنَ الفِطْرَةِ، الِاسْتِحْدَادُ، وَالخِتَانُ، وَقَصُّ الشَّارِبِ، وَنَتْفُ الإِبْطِ، وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ)).

والاستحداد: هو حَلْقُ العانة، وهي الشعر النابت حول الفرج، فيزيل ذلك الشعر بالحلاقة أو غيرها.

وتستحب المبادرة بختان المولود لأنه أسرع للبرء، ولينشأ الصغير على أكمل حال، ولا يوجد يوم محدد للختان.

وقص الشارب فيه جمال للرجال، ونظافة ومخالفة للكفار، وقد وردت الأحاديث الصحيحة في الحث على قَصِّ الشارب وإعفاء اللحية، وأجمع الفقهاء على وجوب إعفاء اللحية، وتحريم حلقها، وأجاز أكثر العلماء قص ما زاد عن القبضة من اللحية، وأجاز بعضهم قص ما تطاير من اللحية، وقال بعض العلماء: لا يجوز أخذ شيء من اللحية مطلقًا، وقد كان نبينا ﷺ ذا لحية كثة، وكان يُكرِمُها ويُسرِّحُها.

ونتف الإبط: هو إزالة الشعر النابت في الإبطين بالنتف، ويجوز إزالته بالحلق وغيره، والأفضل النتف.

وتقليم الأظافر: هو قَصُّها، ولا ينبغي المبالغة جدًا في قصها، لا سيما للمسافر والمجاهد؛ لأنه قد يحتاج إلى أظافره لفك عقدةٍ ونحو ذلك.

وأقصى مدة يُترك فيها قص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط وحلق العانة أربعون يومًا، والأفضل إزالتها قبل ذلك بحسب الحاجة.

ومن سنن الفطرة: السواك، وهو استعمال عود الأراك ونحوِه لتنظيف الأسنان والفم، والسواك مطهرةٌ للفم، مرضاة للرب، ويتأكد استحبابه عند الوضوء، وعند الصلاة، وعند تغير رائحة الفم. ومن استاك في المسجد فلينزِّه المسجد من فُتات السواك، والأمر واسع في التسوك باليد اليمنى أو اليسرى.

ويُستحب التطيب للرجال لا سيما يوم الجمعة، ويستحب أن تتطيب المرأة لزوجها في بيتها، ولا يجوز لها استعمال العطور والبخور إذا خرجت من بيتها ولو إلى المسجد.

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم وجميع المسلمين، وأسال الله أن يرزقنا جميعًا العلم النافع والعمل الصالح.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: 6]، هذه آية الوضوء، والوضوء واجب على المُحْدِث إذا أراد الصلاة وما في حكمها كالطواف.

ولا يصح الوضوء إلا بالنية، ومحل النية القلب، ولا يشرع التلفظ بها.

ويشترط لصحة الوضوء استعمال الماء الطهور، أما الماء النجس فلا يصح الوضوء به، وكذلك لا يصح الوضوء بغير الماء المطلق وإن كان السائل طاهرًا، ويصح الوضوء بماء البحر وبالماء الذي خالطه طاهر لم يسلبه اسم الماء المطلق كماء خالطته طحالب أو فيه أثر صابون أو أثر عجين ونحو ذلك.

ويشترط لصحة الوضوء إزالة ما يمنع وصول الماء إلى البَشَرة، من شمعٍ أو عجيٍن أو طِلاءِ الجدران أو طِلاءِ الأظافر المعروف بين النساء.

ويجب الاستنجاء أو الاستجمار إذا بال الإنسان أو تغوط أو خرج منه مذيٌ ونحوه من النجاسات، فإن لم يخرج من القُبُل أو الدُّبُر نجاسة فلا يُشرع غسل الفرجين قبل الوضوء، فالاستنجاء أو الاستجمار أمرٌ واجبٌ لا يتعلق بالوضوء، ولم يذكره الله في آية الوضوء، فمن قام من نومه أو انتقض وضوؤه بخروج الريح فله الوضوءُ من غير استنجاء.

أيها المسلمون، أركان الوضوء ستة هي:

1- غسل الوجه من منابت شعر الرأس إلى أسفل الذقن طولًا، ومن شحمة الأذن إلى شحمة الأذن عرضًا.

2- غسل اليدين، من أطراف الأصابع إلى المرفقين.

3- مسح الرأس.

4- غسل الرجلين إلى الكعبين.

5- الترتيب بين أعضاء الوضوء.

6- الموالاة، بأن يكون غَسلُ العُضوِ عقِبَ الذي قبلَه بلا فاصل طويل.

**ومن سنن الوضوء:**

* السواك قبل الوضوء.
* قول: (بسم الله) أول الوضوء.
* غسل الكفين ثلاثًا أول الوضوء، لا سيما بعد القيام من النوم.
* المضمضة والاستنشاق، ويستحب المبالغة في الاستنشاق لغير الصائم، وقال بعض الفقهاء: المضمضمة والاستنشاق واجبان.
* الدَّلْك.
* تخليل اللحية الكثة بالماء، ويكفي في الوضوء غسل ظاهر اللحية الكثة، ولا يجب غسل باطنها، وتخليلها مستحب، أما اللحية الخفيفة فيجب غسل باطنها.
* مسح الأذنين ظاهرهما وباطنهما بعد مسح الرأس، وجمهور العلماء أن مسح الأذنين في الوضوء مستحب.
* غَسل أسفل العضدين عند غَسل المرفقين، وغَسل أسفل الساقين عند غَسل الرِّجلين.
* تقديم اليمنى على اليسرى عند غَسل اليدين والرجلين.
* التثليث في الغَسَلات، ويجوز غَسل أعضاء الوضوء مرة مرة، ومرتين مرتين.
* تخليل أصابع اليدين والرجلين، وإن لم يصل الماء إلى بين الأصابع إلا بالتخليل فإنه يكون حينئذ واجبًا.
* أن يقول بعد الفراغ من الوضوء: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

وعلى المتوضئ أن يُسبِغ الوضوء بإيصال الماء إلى جميع العضو بلا إسراف في استعمال الماء، ولا يترك غَسْل شيء من وجهه لا سيما ما جاور الأذنين وما حول العينين، ولا يُشرَع إدخال الماء إلى العينين، ولا يترك غسل كفيه وأصابع يديه عند غَسل يديه إلى المرفقين، ويتعاهد غَسل العقِبين اللَّذين في مؤخر القدمين، ولا يُشرَع مسح الرقبة في الوضوء، ولا يصح دعاء خاص عند غسل أعضاء الوضوء، ووضوء المرأة كوضوء الرجل.

أيها المسلمون، أجمع العلماء على أن الوضوء يبطل بما خرج من القُبُل والدُّبُر، سواء كان الخارج بولًا أو غائطًا أو منيًّا أو مذيًّا أو دمًا أو ريحًا، قليلًا أو كثيرًا.

ويبطل الوضوء بالنوم المستغرِق، وبزوالِ العقل بالإغماء ولو لحظة، والنوم المستغرِق هو الذي لا يبقى معه إدراك، ولا ينتقض الوضوء بالنعاس، ولا بالنوم الذي لم يستغرِق الإنسانُ فيه.

واختلف العلماء رحمهم الله في حكم مس فرج الآدمي بلا حائل، وسبب الخلاف أنه ثبت في حديث صحيح أن النبي ﷺ قال: ((مَنْ مَسَّ ذَكَرَهُ فَلْيَتَوَضَأْ))، وبعض العلماء حملوا الأمر في هذا الحديث على الاستحباب وقالوا: مسُّ الفرج لا ينقض الوضوء، والأحوط الوضوء على كل حال لمن مس فرجه بلا حائل.

واختلف العلماء أيضًا في حكم أكل لحم الإبل، فقال بعض العلماء: أكل لحم الجمل ينقض الوضوء؛ لأنه ورد حديث صحيح أن رجلًا سأل النبي ﷺ أنتوضأ من لحوم الإبل؟ قال: ((نَعَمْ تَوَضَأْ مِنْ لُحُومِ الْإِبِل))، وأكثر الفقهاء لا يقولون بنقض الوضوء من أكل لحم الإبل، وذكروا أن الحديث السابق منسوخ، أو جعلوا الأمر فيه للاستحباب لا للوجوب، والله أعلم.

والصحيح أنه لا ينتقض الوضوء من لمس المرأة، ومعنى قول الله تعالى في آية الوضوء: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الجماع، وليس المراد اللمس باليد.

ولا ينتقض الوضوء من خروج الدم من الأنف والجروح والحجامة، ولا من القيء، ومن قاء فتوضأ فقد أحسن، فقد ثبت في حديث صحيح أن النبي ﷺ توضأ بعد أن قاء.

أيها المسلمون، يحرم بالحدَث الأصغر: الصلاة والطواف، ويُستحب الوضوء لمس المصحف تعظيمًا لكتاب الله سبحانه، بل قال أكثر العلماء بوجوب ذلك.

أيها المسلمون، ديننا دين اليسر والتيسير، فيجوز في الوضوء المسح على الخفين والجوربين إذا لبسهما على طهارة، ومكان المسح على الخفين أو الجوربين ظهر القدمين، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (لو كان الدينُ بالرأي لكان أسفلُ الخفِ أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهر خُفَّيه).

وصفة المسح أن يأخذ الماء بيديه فيمسح ظاهر الخفين أو الجوربين بباطن كفيه أو بأصابعه، فكل ما يسمى مسحًا يُجزئ، وتكفي مسحة واحدة، ولا يُشرع تكرار المسح.

ومدة المسح للمقيم يوم وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام بلياليهن، والأصح أن ابتداء مدة المسح من أول مسح بعد الحدث، والأصح أنه لا يبطل المسح بانتهاء مدة المسح، ويُشترط في المسح على الخفين والجوربين أن يلبسهما على طهارة مائية، وأن يكونا ساترين للقدمين مع الكعبين، ويجوز المسح عليهما ولو كان فيهما خروق ما دام يمكنه متابعة المشي عليهما، ويبطل المسح بالحدث الأكبر إجماعًا، وبنزع الخفين أو أحدهما عند أكثر أهل العلم، وقيل: لا يبطل المسح بنزع الخف كما أن من مسح شعره ثم حلقه لا يبطل وضوؤه.

واعلموا أن عامة أهل العلم على جواز المسح على الخفين؛ لثبوت ذلك عن النبي ﷺ في أحاديثَ كثيرةٍ متواترة، واختلفوا في جواز المسح على الجوربين، وهما الشُّرَّاب المعروف المنسوج من الصوف أو القطن، قال ابن المنذر: "يُروى إباحة المسح على الجوربين عن تسعة من أصحاب رسول الله ﷺ"، ومن كان لا يرى جواز المسح على الجوربين لا يجوز له الإنكار على من يمسح عليهما، ويصلي خلف من مسح على الجوربين وصلاتهما جميعًا صحيحة، فالمسائل الاجتهادية لا إنكار فيها على المجتهد، ولا يُشَنَّع على من أخذ بقوله من العامة، قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: 286]، وقال سبحانه: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 5].

أيها المسلمون، يُشرع المسح أيضًا على الجَبيرة في الوضوء والغُسل إذا كان الماء يضر العضو أو الجروح، وهي ما يُربط على الكُسر ليُجبر ويلتئم كالجِبس واللصوقِ واللفائف التي توضع على الجروح ونحوها، ويشترط أن تكون الجبيرة بقدر الحاجة، ويستوعب الجبيرة بالمسح بقدر الإمكان، وليس للمسح على الجبيرة وقتٌ محدد، بل يمسح عليها إلى نزعها أو شفاء ما تحتَها، والأصح أنه إذا سقطت الجبيرة أو أبدلها لا يعيد المسح عليها.

أيها المسلمون، ثبت أن النبي ﷺ مسح على عمامته، وعلى عمامته ومقدم رأسه، فيجوز للرجل في الوضوء أن يمسح على العمامة، والأفضل أن يمسح عليها مع ناصيته، وليس للمسح على العمامة وقت محدد، والأصح أنه لا يشترط لبس العمامة على طهارة، ولا يبطل الوضوء بخلعها.

ولا يجوز المسح على القَلَنسُوَة، وهي الطاقية (الكوفية) التي توضع على الرأس، ولا يجوز المسح أيضًا على القفازين، ولا على ما تطلي به المرأة أظفارها أو على النقش الذي له جُرم يمنع وصول الماء إلى الجلد، ولا يصح الوضوء والغسل إلا بعد إزالة كل ما يمنع وصول الماء إلى البَشَرة والأظفار.

نسأل الله أن يفقهنا في الدين، وأن يحبب إلينا الإيمان، وأن يوفقنا للعلم النافع المقتضي العمل الصالح.

اللهم انفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا، وزدنا علمًا.

اللهم ارزقنا طاعتك وطاعة رسولك، ووفقنا للعمل بكتابك وسنة نبيك ﷺ.

عباد الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]، فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: 45].

## (40) واجب المسلمين نحو فلسطين المحتلة

الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، أما بعد:

فما زالت فلسطين تحت احتلال اليهود المعتدين، فلسطين الأرض المقدسة أرض الأنبياء الذين نحن المسلمين أحق بهم من كل من يدَّعي اتباعهم، فنحن أحق بموسى من اليهود المغضوب عليهم، وأحق بعيسى من النصارى الضالين.

في فلسطين المسجد الأقصى أولى القبلتين، وثالثُ المساجد التي تُشد إليها الرحال، وهو مسرى النبي محمد عليه الصلاة والسلام كما قال الله مبينًا الارتباط بين المسجدين: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1].

قضية فلسطين هي قضية جميع المسلمين، فلسطين هي ميراث الأجداد، ومسؤولية الأحفاد، معراج محمدي، وعهد عُمَري، فتحها المسلمون بعد وفاة الرسول بست سنوات فقط في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وحكمها المسلمون قرونًا طويلة، ثم احتلها الصليبيون فأخرجهم المسلمون المجاهدون بقيادة صلاح الدين، ثم احتلها النصارى البريطانيون في القرن الماضي، وسلموها لليهود ليقيموا فيها دولة لهم في أرض غيرهم، فأعلنوا قيام دولة إسرائيل سنة 1367 هجرية الموافق سنة 1948 ميلادية، وما زلوا يطمعون أن يوسعوها حتى تصل إلى نهر النيل في مصر، ونهر الفرات في العراق، وفي عَلمِ دولتهم خطان أزرقان إشارة إلى أن حدود دولتهم من النيل إلى الفرات.

أيها المسلمون، حديثنا اليوم عن فلسطين ... فلسطين التي يُدمى جرحها كل يوم، فماذا فعلنا لها؟ ماذا قدمنا من التضحيات؟ هل أدينا أقل الواجبات؟! أو نقول بكل أسف: ماذا حققنا من التنازلات؟!

في الوقت الذي يُقتَّل فيه المسلمون نرى كثيرًا من المسلمين لاهين عن مصائبهم بإقامة المهرجانات السياحية، والبطولات الرياضية، والحفلات الغنائية، وكأن أمر إخوانهم المسلمين لا يعنيهم!

أيها المسلمون، لقد أتى على مسلمي فلسطين قرابة قرن من الزمن وهم يدافعون بأموالهم وأنفسهم عن البلاد المقدسة التي كُتبت تاريخها بدماء الصحابة وأتباعِهم المجاهدين، تتابعت حكومات الإسلام في أرضها، وتعالت رايات الإيمان في ساحاتها، احتلها الصليبيون في آخر القرن الهجري الخامس سنة 492 للهجرة، لكنَّ المسلمين وقفوا لهم بالمرصاد، كان العلماء يحثونهم على الجهاد، وكان الأغنياء يبذلون أموالهم في الإعداد، وكان الحكام يقودون المجاهدين لنصرة دين رب العباد، فجاهدوا واجتهدوا في إخراج النصارى من الأرض المقدسة، ولم يتمكنوا من إخراجهم إلا بعد تضحيات كبيرة، فقد كان الصليبيون يتفوقون على المسلمين في العدد والعَتاد، وكانت إمداداتهم تأتي باستمرار من أنحاء أوروبا، فقد كانوا يعتبرونها حروبًا مقدسة، ودعوا جميع النصارى للمشاركة، فوقعت معاركُ طاحنةٌ بين المسلمين والحملات الصليبية، هُزِم المسلمون في بعض الوقائع، وتشتت شمل بعض القادة في بعض المعارك، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وما ضعفوا وما استكانوا، ولم يستسلموا مع كثرة القتل والدمار الذي خلفته الحملات الصليبية المتوحشة، واستمر المسلمون في الجهاد قرابة تسعين سنة حتى حقق الله لهم النصر في معركة حِطِّين الفاصلة عام 583 هجرية، وتطهر المسجد الأقصى من النصارى، الذين كانوا يظنون أنهم لن يخرجوا من أرض فلسطين أبدًا، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾، فبعد أن كان المسلمون قوة عظمى، تفرقوا وتنازعوا وضعفوا، وتمالأ الكفار عليهم مرة أخرى، وتآمر الصليبيون واليهود جميعًا لاحتلال المسجد الأقصى، ومكَّن النصارى الإنجليز لليهود إقامة دولة لهم في أرض غيرهم، في جريمة تعتبر من أعظم جرائم التاريخ، حيث قاموا بإخراج شعبِ فلسطينَ من أرضه وإقامةَ شعبٍ آخر مكانه!

وأيد النصارى البريطانيون والأمريكيون اليهود في فلسطين، وشجعوهم على ارتكاب المجازر الشنيعة، فقتلوا الرجال والنساء والأطفال، وأحرقوا القرى، وأفسدوا النسل والزرع، ولا يزال الصهاينةُ مستمرين في قتل المسلمين الفلسطينيين وأسْرِهِم، وإيذائهم والتضييقِ عليهم، ولا يزالون ينشئون المستوطنات في أرض المسلمين، ويعتدون على المصلين في المسجد الأقصى في كل حين، بتشجيع ورضًا من دول الكفر الظالمة، فكم أسالوا من دماء المسلمين شبابًا وشيوخًا وأطفالًا ونساء! وكم في سجونهم من المستضعفين المظلومين! يُدنِّس اليهود المقدسات، ويعقدون لمخادعة العرب المؤتمرات، وقد أخبرنا الله أنهم كاذبون مخادعون، وأنهم للعهود ناقضون، ﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

أيها المسلمون، لن يخرج اليهود من فلسطين إلا بالجهاد، ولا مقاومة للصهاينة إلا بالقتال، قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، وعندما رُفِعت رايةُ الجهاد في فلسطين على أيدي قلةٍ من المجاهدين بدأت قوائم القتلى تتصاعد في أوساط اليهود، وأخذ الأمن ينحسر، والاقتصاد يخسر، والهجرة اليهودية تتراجع، وتذوَّق المسلمون حلاوة النصر بدلًا من ذل الهزيمة، وعفَنِ السلام المزعوم.

ولكن ما حال بقية العرب والمسلمين؟ هل دعموا المجاهدين ونصروهم أو كانوا سببًا في حصارهم والتضييق عليهم؟! نرى مِنْ حكام المسلمين غفلة وتغافلًا، وصمتًا وخوفًا، وعجزًا وبخلًا إلا من بعض التصريحات الخجولة أو المساعدات القليلة التي تُبعث من هنا وهناك.

هذا والدول الاستعمارية الطاغية المتكبرة التي تدَّعي أنها راعيةُ السلام، ومحاربةُ التطرفِ والإرهاب، وتدَّعي الاهتمامَ بحقوق الإنسان؛ لا تحجب عن اليهود مساعداتٍ طلبوها، ولا تسألهم عن جريمة ارتكبوها، ولا توجه إليهم أي لوم وعتاب على القتل والظلم والخراب، بل يتوافد رؤساء تلك الدول وكبارهم لتأييد اليهود في اغتصاب أرض الإسلام، ويصرحون بكل وقاحةٍ أنهم في صف اليهود ضد المسلمين!

أيها المسلمون، إن كل هذه التناقضات ليست غريبة على أعداء الإسلام والمسلمين، فاليهود والنصارى لن يرضوا عنا حتى نتبع ملتهم، ونخضع لقراراتهم، كلُّ ذلك لا يُستغرب ممن أضلَّه الله وغضب عليه ولعنه، لكن المستغرب حين يدعو بعض قادة العرب إلى السلام والتطبيع مع اليهود المغضوب عليهم، ويوالون النصارى الضالين، والله يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: 51]، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: ((يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا))، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: ((بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ))، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ: ((حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ)).

أيها المسلمون، إننا بحاجة إلى مراجعة للوضع، وإصلاح للحال، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، فكيف يأتينا النصر ونحن نرى الجبن في النفوس، واستجداء الحلول وتعليقها على دول صليبية لا تفتر عن دعم اليهود ودولتهم منذ قامت وإلى يومنا هذا؟

أصبح كثير من قيادات الأمة ومناضليها المزعومين قليليَّ الدِّين، ضعفاءَ اليقين، يبيعون الحق والأمة بمنافع شخصية، همهم البقاء في المناصب الزائلة، واغتروا بالدنيا الفانية، وهجروا ما أمرهم الله به في القرآن من إعداد القوة المادية والمعنوية للجهاد في سبيل الله، وسلكوا في قضية فلسطين مسالك المبادرات والمنظمات والتجمعات التي تتأرجح بين يمين ويسار بشعارات زائفة من العلمانية والوطنية والقومية والبعثية، اجتماعاتهم وقراراتهم تعِد ولا تُنجِز، تقول ولا تفعل، تشجب ولا تقاوم، قلوبٌ شتى، ووجوهٌ متباينة، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

لا يزال حكام المسلمين في قضية فلسطين تائهين لأنهم تركوا الاعتزاز بالإسلام، ووالى كثير منهم الكفار، وأصبحت آمال أكثر حكام المسلمين معلقة على دولة أمريكا راعية السلام، وكيف يرعى السلام أكبر دولة إرهابية عرفتها البشرية، وثبت للعالم أجمع أنها لا توالي إلا اليهود؟! أيُّ سلامٍ بعد آلاف القتلى من المسلمين بلا ذنب؟ أيُّ سلامٍ بعد عشرات الآلاف من الجرحى، وكثير منهم معاق طِيلةَ حياته؟ أيُّ سلامٍ بعد هدم بيوت المسلمين فوق أهلها؟ أيُّ سلامٍ وسجون اليهود مكتظة بالرجال والنساء وحتى الأطفال؟ أيُّ سلامٍ وهم يتوغلون ليل نهار في أرضنا، ويدنسون مقدساتِنا؟ أيُّ مبادرةِ سلامٍ وذلٍّ وتطبيعٍ نبيع فيه أرضنا المباركة وقدسنا المعظم؟!

أيها المسلمون، يقول الله سبحانه متوعدًا لنا: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، إذا تركنا الجهاد سلط الله علينا ذُلًّا لا ينزعه حتى نرجع إلى ديننا، وإذا اتقينا الله واتبعنا القرآن وأخذنا بأسباب النصر فسيجعل الله لنا مخرجًا، وسينصرنا على أعدائنا، ومن أعظم أسباب النصر: تحقيق الإيمان وتقوى الله، واجتماع الكلمة على الحق، وترك التنازع والتفرق، وإعداد ما نستطيع من العدة للجهاد في سبيل الله، والتضحية بالأموال والأنفس، وغير ذلك من أسباب النصر التي بينها الله في كتابه الكريم.

وإن من أعظم أسباب نصر الله لنا أن ننصر دينه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

واعلموا أيها المسلمون أن من خان حي على الصلاة، فسيخون حي على الجهاد، ومن لم يحافظ على صلاته، فهو لما سواها أضيع، فانصر أيها المسلم المسجد الأقصى ولو بصلاتك وصلاحك ودعائك، فإذا نصرنا الله بإقامة دينه نصرنا على عدونا، ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾، وقد ذكر بعض اليهود أن المسلمين لن ينتصروا على اليهود حتى يكون المصلون في صلاة الفجر كالمصلين في صلاة الجمعة، وصدق وهو كذوب.

إن اليهود يحرصون على إضلال شباب المسلمين وإغوائهم بالمغريات والملهيات، والمسلسلات والمباريات، فهم من شياطين الإنس، فلنحذر مكرهم وكيدهم، ولنحرص على ما ينفعنا في ديننا ودنيانا، ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾.

أيها المسلمون، إن الله ناصر دينه وعباده المؤمنين بنا أو بغيرنا، في حياتنا أو بعد موتنا، ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾، قال الله تبارك وتعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، وقال: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾، وقال: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾، فالمستقبل للإسلام ولو كره الكافرون، قال رسول الله ﷺ: ((بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ)).

إن الله القوي قادر على نصر المسلمين بلا جهاد ولا عمل بالأسباب، كما قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾، لكن من حكمة الله أن يبتلي المسلمين بالكفار، وجعل للنصر أسبابًا، وأمر المسلمين أن يعملوا بالأسباب بقدر استطاعتهم لينصرهم بقدرته، فقد جعل الله لكل شيء سببًا، ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

أيها المسلمون، قضية القدس أغلى وأثمن وأكبر من أن تُترك لمفاوضات استسلام، قضيتنا في القدس لا تنفصل عن الإسلام، فليست أرضًا فلسطينية أو عربية فحسب، بل هي أرض المسلمين جميعًا.

وليستيقنَ الجاهلون والمنافقون أنهم لن يروا نصرًا ولن يحفظوا أرضًا ما داموا مُصرِّين على مخالفة القرآن والسنة، ومغترين بالعقائد الضالة أو مناهجِ الإلحاد المنحرفة، إن هذا الركام كله نبتُ الشيطان، وغرس الكفار، وهو الذي يؤخر نصر الله، ويمد في حبال اليهود وحمايتهم، يجب أن نعلم أن الكفاح مع تراكم العقبات وكثرة التضحيات أعزُّ وأفضلُ من القعود والتخلف من أجل راحة ذليلة، ونِسَبِ أرضٍ ضئيلةٍ لا تليق بهمم الرجال.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ \* إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

أيها المسلمون، الله يخبرنا أن الجهاد خيرٌ للأمة في دينها ودنياها، ومَنْ أصدقُ من الله قيلًا؟! الجهادُ ماضٍ إلى يوم القيامة، وهو فرضٌ على هذه الأمة، جهادُ الدفع عند ضعفها، وجهادُ الغزو عند قوتها، فما بالُ أقوامٍ ينكرون هذه الفريضة، والله يقول في كتابه الحكيم: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾؟! وقال النبي ﷺ: ((مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ)).

اللهم إنا نعوذ بك من الكفر والنفاق، والجبن والبخل، ونعوذ بك أن نكره شيئًا من دينك فتُحبط أعمالنا ونحن لا نشعر، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله على نعمة الإسلام، الحمد لله على نعمة القرآن، الحمد لله على نعمة النبي محمد ﷺ، الحمد لله على نعمة الهداية، ونستغفر الله من كل ذنب وغواية، ومن كل تقصير في طاعة واجبة، اللهم ارض عنا، فإن لم ترض عنا فاعف عنا، أما بعد:

فبلاد الشام تشمل فلسطين وسوريا ولبنان والأردن، وكلها أرض مباركة، وقد وردت في كتب السنة أحاديثُ صحيحةٌ في فضائل الشام نذكر منها ما يلي:

عن عبد الله بن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال النبي ﷺ: ((اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، وَفِي يَمَنِنَا))، قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: ((اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا))، قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: ((هُنَاكَ الزَّلاَزِلُ وَالفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ)).

وعن جماعة من الصحابة رضي اللَّه عنهم قالوا: قال رسول اللَّه ﷺ: ((أَلا إِنَّ الإِيمَانَ -إِذَا وَقَعَتِ الفِتَنُ- بِالشَّامِ)).

وعن ابن حَوالة رضي اللَّه عنه قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: ((عَلَيْكَ بِالشَّام؛ فإنها خيرةُ الله مِنْ أرضه، يَجْتَبِي إليها خِيرتَهُ مِن عِبادِه، فإنَّ اللهَ تَوكَّلَ لِي بِالشَّامِ وأهْلِه)).

وعن قُرَّةَ بنِ إياسٍ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: ((إِذَا فسدَ أهلُ الشامِ فَلا خيرَ فِيكُمْ، لا تزالُ طائفةٌ مِنْ أُمَّتي مَنصُورِين، لا يَضُرُّهم مَنْ خَذَلَهم حَتَّى تقومَ السَّاعةُ)).

وعن أبي الدرداء رضي اللَّه عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ، إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ، مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ)).

وفي صحيح مسلم عن النواس بن سمعان رضي اللَّه عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال فقال: ((مَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، فَإِنَّهَا جِوَارُكُمْ مِنْ فِتْنَتِهِ))، قُلْنَا: وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: ((أَرْبَعُونَ يَوْمًا: يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ))، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ؟ قَالَ: ((لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ، ثُمَّ يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ)). والمنارة البيضاء معروفة إلى الآن في الجامع الأموي بدمشق، ومدينة لُدٍّ مدينة مشهورة في فلسطين.

وعن سلمة بن نُفَيل رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، يَزْيِغُ اللَّهُ قُلُوبَ أَقْوَامٍ فَيُقَاتِلُونَهُمْ، وَيَرْزُقُهُمُ اللَّهُ مِنْهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، أَلَا إِنَّ عُقْرَ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ)). قال شراح الحديث: معنى عُقْرِ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ أَيْ أَصْلُهُ، أَشَارَ بِهِ إِلَى وَقْتِ الفتَن، أَيْ يَكُونُ الشَّامُ آمِنًا مِنْ الفِتَنِ فِي آخِر الزَّمَانِ.

عباد الله، إنَّ من علامات اقتراب الساعة كثرةَ الزلازل، وكثرة القتل والفتن، وإن الأحداث الجارية اليوم في بلاد الشام ليست كبقية الأحداث، إن هذه الأحداث تدل على اقتراب يوم القيامة، واقتراب البلايا التي تكون في آخر الدنيا، فعن عبد الله بنِ حَوالة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ أَرْضَ الْمُقَدَّسَةِ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَابِلُ وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ)).

عباد الله، لنسارع إلى التوبة إلى الله من ذنوبنا، ولنحرص على ما ينفعنا في ديننا ودنيانا، ولنترك الطمع في الدنيا، وعلينا أن نقنع بالحلال وإن قل، والآخرة خير لمن اتقى، وعلينا أن نستعد للقاء الله بالتقوى، فهي خير زاد لنا في سفرنا إلى الله، فما يدري أحدنا كم بقي من عمره، ولا ما بقي من عمر الدنيا.

اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم إنا نعوذ بك من فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال، اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، اللهم إنا نعوذ بك من اتباع الأهواء المضلة، والفتن المهلكة، اللهم أصلح مَنْ في صلاحه صلاحًا للإسلام والمسلمين، وأهلك مَنْ في هلاكه صلاحًا للإسلام والمسلمين، اللهم أنج المستضعفين من المسلمين في فلسطين، وفي مشارق الأرض ومغاربها، واجعل لهم فرجًا ومخرجًا. اللهم انصر المجاهدين في سبيلك، ووحد صفوفهم، ووفقهم لاتباع كتابك وسنة نبيك، اللهم هيء الأسباب لتحرير المسجد الأقصى، واهد المسلمين حكامًا ومحكومين لإقامة شريعتك، ونصرة دينك.

اللهم عليك باليهود المعتدين، وبمن يعينهم من النصارى والمنافقين، اللهم انتقم منهم، وخالف بين كلمتهم، وزلزل أقدامهم، وأنزل بهم بأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ الخَيرَ وَلَا نَكْفُرُكَ، وَنُؤْمِنُ بِكَ، وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُكَ، اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ، نَرْجُو رَحْمَتَكَ، وَنَخَافُ عَذَابَكَ، إِنَّ عَذَابَكَ بِالْكُفَّارِ مُلْحِقٌ.

اللَّهُمَّ عَذِّبِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَيُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِوَعْدِكَ، وَيُقَاتِلُونَ أَوْلِيَاءَكَ، وَأَلْقِ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، وَخَالِفْ بَيْنَ كَلِمَتِهِمْ، وَأَنْزِلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ، والْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيْرا.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَاجْعَلْ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَالْحِكْمَةَ، وَثَبِّتْهُمْ عَلَى مِلَّةِ نَبِيِّكَ، وَأَوْزِعْهُمْ أَنْ يُوَفُّوا بِالْعَهْدِ الَّذِي عَاهَدْتَهُمْ عَلَيْهِ، وَانْصُرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، إِلَهَ الْحَقِّ، وَاجْعَلْنَا مِنْهُمْ.

## (41) الجهاد في سبيل الله

الحمد للهِ الواحدِ القهار، القويِّ الجبار، العزيزِ القدير، القادرِ النصير، فعَّالٌ لما يريد، ذو البطش الشديد، أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حيٌّ لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، يؤتي الملكَ منْ يشاء، وينزعُ الملك ممن يشاء، ويُعزُّ من يشاء، ويُذلُّ من يشاء، يدبرُ الأمر من السماء إلى الأرض بقدرته وحكمته، لا يُسألُ عما يَفعلُ وهم يُسألون، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: 253]، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، صلى الله عليه وعلى أهل بيته وأزواجه وذريته، وعلى أصحابه وأتباعه، أما بعد:

فإنَّ الجهاد في سبيل الله فريضةٌ على المسلمين، جهادَ الغزو في حال قوة المسلمين، وجهادَ الدفع في حال ضعف المسلمين، وتتأكد هذه الفريضة في حال جهاد الدفع عندما يغزو الكفار أيَّ أرضٍ من بلاد المسلمين الواسعة، ويُفسدون في أرض الإسلام بنشر الكفر والظلم والمعاصي.

أيها المسلمون، إنَّ ما أصاب المسلمين اليوم من الذِّلِّ والهوانِ هو بسببِ تركهِم الجهاد، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ \* إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: 38، 39]، وحين ترك المسلمون الجهاد تسلَّط عليهم الكفار والمنافقون، يقتلونهم، ويسجنونهم، ويسومونهم سوء العذاب، ويُذلونهم، ويَفتنونهم في دينهم، وينهبون خيراتِهم، ويُفسدون دنياهم، فالجهادُ فرضه اللهُ العزيزُ الحكيمُ على هذه الأمة؛ لأنَّ فيه دفع شرورٍ عظيمة، وتحقيقَ مصالحَ كثيرةٍ دينيةٍ ودنيوية، قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216]، فحياة الأمة بالجهاد في سبيل الله، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: 24].

أيها المسلمون، فوائد الجهاد أرجح من المفاسد الدنيوية التي يؤجر عليها المسلمون الصابرون حين تصيبهم بسبب الجهاد، من الخوف والجوع والمشقة والقتل والجِراح والخَراب، فالجهاد بضوابطه الشرعية خيرٌ للمسلمين في دينهم ودنياهم وآخرتهم؛ ولذلك أمر الله المسلمين بتحصيل القوة والاستعداد للجهاد بحسب طاقتهم، وإن لم يجاهد المسلمون الكفار، ويعُدُّوا العدة لقتالهم، فإنهم يُلقون بأيديهم إلى التهلكة، وسيخسر كثيرٌ منهم الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ \* وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: 194، 195]، قال بعض المفسرين: إلقاء اليد إلى التهلكة بترك الجهاد، وقال الله سبحانه: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 217].

أيها المسلمون، الإسلام دين التضحية والجهاد، وقد أمر الله سبحانه المسلمين بالسعي الحثيث في تحصيل أسبابِ القوة المادية والمعنوية، والإعدادِ للجهاد في سبيله، ونهاهم عن الركون إلى الدنيا، والرضا بالمهانة والذلة.

قال الله سبحانه: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: 29]، وقال جل وعز: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 123]، قال العلماء: يُشرَع غزوُ جميعِ أصناف الكفار المحاربين في حالِ قوة المسلمين، وأخذِ الجزية منهم أو مصالحتهم والهدنة معهم بحسب ما تقتضيه المصلحة العامة للإسلام والمسلمين، ولا يجوز قتلُ مَنْ لا يقاتِل المسلمين من النساء والأطفال والرهبان والتجار والسُيَّاح والمعاهدين والمستأمنين.

أيها المسلمون، قال العلماء: الكافر الذي لا يحارب المسلمين لا يجوز قتلُه، وقتلُه بغير حقٍ فسادٌ لا يحبه اللهُ ورسوله، فإنه لا يضرُّ المسلمين، وكل من سالَم المسلمين ولم يحاربهم لا يقاتَل، سواء كان كتابيًا أو مشركًا، قال الله تعالى: ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: 90]، بل يُشرَع الإحسانُ إلى الكفار الذين لا يقاتلون المسلمين، كما قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ \* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: 8، 9].

والكفار المعاهِدون إن أسلموا فهو خيرٌ لهم، وإن نكثوا أيمانهم وجب قتالُهم، وإن وفَّوا بالعهد فلا يجوز نقضُ عهدهم، حتى وإن عوهدوا بلا جزية، قال الله تعالى: ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ﴾ [التوبة: 4].

أيها المسلمون، الجهاد في الإسلام هو لإعلاءِ كلمةِ الله، فمن أبى أن يعبد اللهَ الذي خلقه، ولم يؤمِنْ برسوله الذي أرسله ليُطاع بإذنه، وأعرض عن كتابه الذي أنزله الله لهداية الناس والحكم بينهم؛ فإنه ظالمٌ لنفسه، وسيكون في الآخرة من الخاسرين، ويجب أن يكون في الدنيا من الأذلين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ \* كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: 20، 21].

وقد بين الله للمسلمين أسباب النصر في كتابه، فإذا أخذوا بها في أي زمان ومكان نصرهم الله، وإذا لم يأخذوا بها لم ينصرهم، وسيأتي الله بقوم آخرين خيرٌ منهم، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: 38].

أيها المسلمون، قتال مَن لم يُسلِم ويعبد الله وحده هو قتالٌ مشروعٌ بأمر الله، جزاءً على ظلمه حيث لم يعبد الله الذي خلقه لعبادته، قال الله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:13]، فيجب على المخلوق أن يؤدي حق الله كما عليه أن يؤدي حقَّ عبادِ الله، فكما يجب على الإنسان طاعةُ والديه، وطاعةُ أميره؛ فيجبُ عليه من بابٍ أولى طاعةُ خالقِه سبحانه، وكما يستحق الإنسانُ العقوبةَ على ترك طاعةِ والديه أو أميرِه، فمن بابٍ أولى استحقاقُه العقوبةَ في الدنيا والآخرة على ترك طاعةِ خالقِه ورازِقِه.

أيها المسلمون، ذكر الله لنا في سورة الكهف قصة ذي القرنين الملِك الصالح الذي مكَّن الله له في الأرض، وأمره أن يُعذِّب من أبى أن يعبد خالقَه، ﴿قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا \* قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا \* وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: 86 - 88]، ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ أي: استمر على كفره وشركه بربِّه ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ أي: بالقتلِ ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾ أي: شديدًا بليغًا ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى﴾ أي: فله الجنة في الآخرة ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أي: معروفًا.

أيها المسلمون، لا يجوزُ عند قتال الكفار المحاربين قتلُ من كفَّ عن قتال المسلمين، ولا قتلُ من لم يكن من أهل القتال منهم، ولا الغدرُ بمن طلب الأمانَ منهم أو صالحَ المسلمين بدفعِ الجزية أو عاهدهم، فهدفُ الجهاد في الإسلام هو إعلاءُ كلمة الله، وإظهارُ دين الله، فلا يُبيحُ الإسلامُ القتالَ لغاياتٍ عدوانية، أو مقاصدَ مادية، أو لسيادةٍ شعبٍ على شعب، أو توسيعِ رقعةِ مملكةٍ أو تحقيقِ مكاسبٍ اقتصاديةٍ وغيرِ ذلك مما تجعله الدُّولُ القويةُ قديمًا وحديثًا مُبرِّرًا لإشعال الحروب، وهدمِ السِّلم الدائم، فغايةُ الجهاد في الإسلام مبادئُ كريمةٌ يعمُّ نفعُها جميعَ الناس في الدنيا والآخرة.

ولا يجوز في الإسلام أن يُكْرَه أحدٌ على الدخول في الإسلام، قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256]، وقال الله سبحانه لنبيه محمد ﷺ: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99]، وقال: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [ق: 45]، وقال: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ \* لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: 21، 22]، فمن أبى الدخول في الإسلام، وأراد البقاء تحت حماية المسلمين أو في دولتهم؛ فله ذلك، على أن يدفع الجزية وهو صاغر جزاءَ استكباره عن الدخول في دين الله، وأمره أن يؤمن به وكتبِه ورسلِه، وأمره أن يشكره على نعمه، وأن يلتزم شريعتَه، وويلٌ له من الله يوم القيامة، كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: 23].

صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (كانت المرأة في الجاهلية تكون مِقْلاتًا لا يعيشُ لها ولد، فكانت تجعلُ على نفسها إن عاش لها ولدٌ أن تُهوِّده، فلما أُجْلِيَ يهودُ بني النضير من المدينة كان فيهم من أبناء الأنصار قد تهودوا، فقال الأنصار: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256]).

أيها المسلمون، لا يصح الإسلام إلا عن رغبةٍ وقناعةٍ بلا إكراه، ولو أسلم إنسانٌ ظاهرًا بالإكراه فإنه في الحقيقة غيرُ مسلم، ويكونُ من المنافقين الذين يُظهِرون الإسلام ويُبطنون الكفر، فالإسلام دينٌ يوافق العقل والفطرة، فهو عبادةُ اللهِ وحده الذي خلق كل شيء، وتصديقٌ بجميع كتبه ورسله، فقد تبين الحقُ من الباطل، فلا إكراه في الدخول في الإسلام.

أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم.

**الخطبة الثانية:**

الحمد للهِ وليِّ الصالحين، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ الذي أرسله الله رحمةً للعالمين، والسلامُ علينا وعلى عباد الله الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وبعد:

أيها المسلمون، الجهاد في الإسلام نوعان:

* جهادُ دفعٍ في حالِ ضعفِ المسلمين.
* وجهادُ غزوٍ في حالِ قوةِ المسلمين.

فإما أن يكون الجهادُ لدفعِ العدو الذي غزا المسلمين في بلادهم، ويُريد فتنتهم في دينهم، وإما أن يكون لغزو الكفار في ديارهم، لإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، فإذا أسلموا عرفوا أنَّ قتال المسلمين لهم ما هو إلا علاجٌ لأنفسهم الظالمة، ودواءٌ لقلوبهم المريضةِ بالكفر والشرك والمعاصي، ولولا الجهاد في سبيل الله لفسدت الأرضُ ببقاء الكفر والضلال، قال الله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:251] أي: لولا الله يدفع عن قوم بآخرين لفسدت الأرضُ بالظلم والطغيان والمعاصي والعذاب، فمن فضلِ الله على جميع الناس ورحمتِه بهم أنه يدفع أهلَ الباطل بأهلِ الحق؛ ولهذا شرع الجهادَ في سبيله رحمةً بعباده، والله أحكم الحاكمين، والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

أيها المسلمون، من أعظمِ مقاصدِ الجهادِ في الإسلام تخليصُ الناسِ من الظلم، ونشرِ العدلِ بينهم، وتخليصُ المستضعفين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء:75]، فالجهادُ في سبيل الله تطهيرٌ للأرض من الظلمِ والعدوانِ والغدرِ والخيانةِ والإثم، وبسطٌ للأمنِ والسلام، ونشرٌ للرأفة والرحمة، وفي الجهاد إعطاءُ كلِّ ذي حقٍّ حقه، وأعظمُ ذلك أن يُعطى الخالقُ حقَّه من العبادة، فيُعبدُ وحده لا شريك له، فمن أبى أن يُعطي الخالق حقه، بل وقاتل من يدعو الناس إلى إعطاء الخالق حقَّه، وصدَّ الناس عن دينِه وعبادته؛ فهو أظلم الناس، ومن الرحمة بالناس أن يُزال هذا الطاغوتُ الذي يحول بينهم وبين عبادة خالقِهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:114].

أيها المسلمون، قال علماءُ التاريخِ والسيرة: لم يكن من عادةِ العربِ في الجاهلية أن يخضعوا لأحد مهما كان الأمر، وقد طالت بعضُ حروب قبائل العرب أربعين عامًا أو مائة عام، فلما جاء النبي ﷺ بالإسلام قاتل كفارَ العرب بأسلوبٍ حكيم، حتى فتح قلوبهم قبل أن يفتح بلادهم، ومجموعُ من قُتِل من المسلمين والمشركين واليهود والنصارى في جميع الحروب النبوية في حدود ألف قتيلٍ فقط، في مدة لا تزيد على ثمانية أعوام، وفي هذه الفترة القصيرة، وبهذا القدر القليل من الدم بسط النبي ﷺ الأمن والسلام في أرجاء الجزيرة العربية، فقد جعل النبي عليه الصلاة والسلام الحرب سبيلًا لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ظلم الأديان إلى عدل الإسلام، وسبيلًا لنصرة المظلومين، وإقامة العدل بين الناس أجمعين.

أيها المسلمون، وليس المقصود من جهاد الغزو إكراهُ الكفار على اعتناق الإسلام، وإنما تبلِيغُهم الإسلام، وقتالُ كلَّ من يحول بينهم وبين اختيار الإسلام من أئمة الكفر الذين يصدون أتباعهم عن اختيار دين الله الذي لا يرضى من عباده سواه، فمن اختار طريق الإسلام فقد فاز فوزًا عظيمًا، وله الخير والعزة في الدنيا قبل الآخرة، وله الجنةُ في دار الخلود، ومن اختار طريق الكفر فقد خسر خسرانًا مبينًا، وله الذلة في الدنيا، وله نارُ جهنمَ يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:193] قال المفسرون: أي: قاتلوا الكفار في حال قوتكم حتى لا يكون شركٌ ظاهرٌ، ويكون دينُ الله هو الظاهرُ العالي على سائر الأديانِ الباطلة، فإن انتهى الكفارُ عما هم فيه من الشرك وقتالِ المؤمنين فكُفُّوا عنهم، فإنَّ من قاتلهم بعد ذلك فهو ظالم، ولا عدوان إلا على الظالمين، ولا يُقاتَل إلا من قاتل المسلمين دون مَنْ سالمهم وعاهدهم، وأعرض عن قتالهم.

أيها المسلمون، الجهاد في الإسلام حربٌ دينيةٌ مشروعةٌ، وهي أنقى الحروبِ في تاريخ البشرية من جميع النواحي: من ناحية الهدف، ومن ناحية الأسلوب، ومن ناحية الشروط والضوابط، ومن ناحية النتائج والآثار، وكلُّ قتالٍ يخالف تعاليمَ الإسلام فالإسلام منه بريء، كالقتال في الفتنة بين المسلمين أو القتال من أجل المصالح الدنيوية؛ ولذلك يُذكِّرنا الله في آيات الجهاد أن يكون الجهادُ جهادًا في سبيله.

أيها المسلمون، ثبت في الحديث الصحيح عن بُريدَة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميرًا على جيشٍ أو سريَّةٍ أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا ثم قال: ((اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ، فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا [أي: لا تأخذوا من الغنيمة قبلَ قسمتِها]، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا [أي: لا تُشَوِّهُوا قتلى المشركين بقطع بعض أعضائهم أو حرقهم ونحو ذلك]، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ... فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ)).

ففي هذا الحديث أن الكفار يُدعون في جهاد الغزو إلى هذه الخصال الثلاث قبل قتالهم:

1- الإسلام، فيكونون مسلمين، لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم.

2- الجزية، وهي مالٌ يدفعه الكفار للمسلمين مع بقائهم على دينهم، وعلى المسلمين حمايتُهُم، والعدل بينهم، وكف الأذى عنهم.

3- القتال، فيقاتلهم المسلمون إن استكبروا عن قبول دين الله، وأبوا أن يدفعوا الجزية.

أيها المسلمون، لولا الجهاد في سبيل الله لضاع الدينُ الحق، وانتشر الشرك والباطل، فالصراع حتميٌّ بين الحق وأهله من جهة، والباطلِ وأهله من جهة أخرى، وهذه سُنّةٌ إلهيةٌ لا تتخلف، ووقائعُ التاريخِ القديمِ والحديثِ شاهدةٌ بذلك، قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 142]، وقال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: 31]، وقال تبارك وتعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ \* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ \* الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: 39 - 41].

اللهم فقِّهنا في الدين، وعلِّمنا كتابَك وسنَّةَ نبيِّك، وحقِّق التوحيدَ في قلوبنا، وارزقنا الإخلاصَ في أعمالنا، اللهم ألِّف بين قلوب المسلمين، واجمع كلمتَهم على الحق المبين، وانصرهم على عدوك وعدوهم برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم أنج المستضعفين من المسلمين في كل مكان يا أرحم الراحمين، اللهم هيِّء الأسباب لتحرير المسجد الأقصى من اليهود الغاصبين، اللهم عليك بجميع الكفار الظالمين المعتدين، الذين يَصُدُّون الناس عن دينك، ويُكذِّبون رسلك، ويقاتِلون أولياءك، اللهم اجعل عليهم رِجزك وعذابك، اللهم أَنزِل بهم بأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين، ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس: 85، 86]، ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 250]، ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 286]، ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ \* رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: 4، 5].

اللهم وصلِّ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِ محمد، والحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

## (42) بيان أسباب النصر والتمكين

الحمد لله وليِّ الصالحين، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ الحق المبين، وأشهد أنَّ محمدًا عليه الصلاة والسلام رسولُ رب العالمين، وسلامٌ على المرسلين، ولا عدوانَ إلا على الظالمين، أما بعد:

فيقول الله في كتابه الكريم: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 217]، فالكفار مستمرون في قتال المسلمين في كل حين؛ ليصرفوهم عن دينهم الحق، وقد بين الله لنا في كتابه أنَّ الكافرين المحاربين يكيدون بالمسلمين كيدًا عظيمًا، ويمكرون بهم في كل زمان ومكانٍ فقال عز شأنه: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا \* وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: 15، 16]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: 46].

فالحق والباطل في صراع مستمر، ومن حكمة الله أنه يدفع شر بعض الناس ببعض، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: 40]؛ ولهذا فرض اللهُ الجهاد على هذه الأمة، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216]، وقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 142].

وقد جعل الله للنَّصر أسبابًا إن أخذ بها المسلمون نصرَهم الله على أعدائهم، وهذه الأسباب مبَيَّنةٌ في القرآن الكريم، ﴿إنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9]، فالقرآن تبيان لكل شيء، ومن أعظم ما بينه القرآن أسباب النصر والتمكين، ومن أهمها ما يلي:

1. **السبب الأول: الإيمان والعمل الصالح:** قال الله سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْـمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47]، وقال الله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: 51]، وقال تعالى: ﴿إنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: 38]، فالله مع المؤمنين الصالحين بالنصر والتأييد، وقد وعدهم بالدفاع عنهم، وضمن لهم إن حققوا الإيمان اعتقادا وقولا وعملا أن لا يجعل للكافرين عليهم سبيلا مستمرة في كل حين، فقال: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْـمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 141]، وقد ينتصر الكفار في بعض المواطن والأوقات بسبب تفريط المؤمنين في الأخذ بأسباب النصر، وسنة الله التي لا تتخلف أن ينصر المؤمنين الكاملي الإيمان في الحياة الدنيا على أعدائهم بالغلبة إن قاتلوهم، وبالحجة إن ناظروهم، وبالانتقام منهم إن قتلوهم وظلموهم، فالصحابة رضي الله عنهم حين حققوا الإيمان والعمل الصالح نصرهم الله على جميع أعدائهم، فهزموا جيوش المرتدين، وفتحوا فارس، وغلبوا الروم، ولم يستطع أحد أن يقف أمامهم، وتحقق وعد الله لهم في قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: 55]، وقوله سبحانه مخاطبًا الصحابة: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا \* سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: 22، 23].

وإن حصل للمسلمين انهزام في بعض المواطن فهو من عند أنفسهم، بذنوبهم ومخالفتهم ما أمرهم الله ورسوله، كما قال سبحانه للصحابة في غزوة أحد: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: 165]، فالله لا يجامل أحدا، فمن وفَّى بما أمره الله وفاه الله ما وعده، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: 40].

قال العلماء: "قد ينهزم المؤمنون في بعض المواطن، كما وقع لأصحاب النبي ﷺ في غزوة أحد لكن العاقبة للمتقين، وإذا كان في المسلمين ضعف، وكان عدوهم مستظهرًا عليهم، فهو بسبب ذنوبهم وخطاياهم؛ إما لتفريطهم في أداء بعض الواجبات، وإما بسبب تعديهم بعض حدود الله، فالنصر والتأييد الكامل إنما هو لأهل الإيمان الكامل، فمن نقص إيمانُه نقص نصيبه من النصر والتأييد، وإذا أُصيب العبد بمصيبة في نفسه أو ماله، أو بإدالة عدوه عليه، فإنما ذلك بذنوبه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30].

1. **السبب الثاني من أسباب النصر: الإخلاص:** أعظم ما أمر الله به التوحيد والإخلاص، وأعظم ما نهى الله عنه الشرك، ومنه الرياء، وإرادة الدنيا بعمل الآخرة، فالإخلاص في الجهاد من أعظم أسباب النصر، ولا يكون الجهاد عملًا صالحًا مقبولًا إلا إذا كان خالصًا لله، وإلا كان رياء وسمعة، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: 47]. فلا بد أن يكون الجهاد في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، قال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 244]، وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: ((مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))، فهدف المسلمين من الجهاد هو إعلاء كلمة الله، والدفاع عن المسلمين، وحماية دينهم ومقدساتهم وأعراضهم وأموالهم وأرضهم في جهاد الدفع، وإنقاذ الكافرين من عذاب الله في جهاد الغزو، فالجهاد في الإسلام ليس لأطماع دنيوية، ولا لمنافع مادية، وإنما هو لإعلاء كلمة الله سبحانه.
2. **السبب الثالث: نُصرةُ دينِ الله:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: 7]، وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ \* الَّذِينَ إن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْـمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْـمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: 40 - 41]، فمن أعظم أسباب النصر إقامة دين الله، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فواجب على المسلمين حكامًا ومحكومين أن يعملوا بالأسباب المشروعة لإقامة دين الإسلام ونشره، والدفاع عن حرماته، وإزالة الفساد بأنواعه، ونصر المستضعفين في الأرض بقدر الاستطاعة، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: 251].
3. **السبب الرابع: اجتـماع الكلـمة على الحق، وإصلاح ذات البين، وعدم التــنازع والتـفرّق، والقتال تحت راية واحدة بقيادة واحدة:** قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103]، وقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: 1]، فأول طريق التمكين للأمة تقوى الله وإصلاح ذات البين، فإذا لم يحقق المسلمون تقوى الله بطاعة الله ورسوله، وتنازعوا واختلفوا؛ زالت قوتهم، وتسلط عليهم أعداؤهم، كما قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46] أي: نصركم وقوَّتكم ودولتكم، فلا بد في الجهاد من قائد واحد يُقاتِل المسلمون تحت قيادته.
4. **السبب الخامس من أسباب النصر: إعداد ما يُستطاع من قوّة:** القوة مطلب شرعي، فالإسلام دين القوة والعزة، وقِوام الإسلام بكتابٍ يهدي، وسيفٍ ينصر، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: 25]، وقد أمر الله المؤمنين بتحصيل القوة بجميع معانيها وأنواعها بقدر الاستطاعة، قال الله سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: 60]، فالإٍسلام ينهى عن الضعف والمهانة، وموالاة الأعداء والتبعية لهم، ويأمر بتحصيل جميع أسباب القوة المادية والمعنوية بقدر الإمكان، ولا عزة للمسلمين إلا بالإسلام، ومهما ابتغوا العزة في غيره أذلهم الله، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: 8].
5. **السبب السادس: الصبـر في الجهاد، والثبات عند اللقاء:** قـال الله تعالى: ﴿وَإن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عـمــران: 120]، وقال: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46]، وقــال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: 45]، وقال النبي ﷺ: ((وَاعْلَمْ أنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)).
6. **السبب السابع: إقامة الصلاة والإكـثـار مـــن ذكر الله واستغفاره ودعـائـه والاستغاثة به:** لا بد أن تكون صلة المجاهدين بالله عظيمة لتحقيق النصر؛ ولذلك أمرهم الله بالمحافظة على الصلاة وإقامتها، ولم يرخص لهم في تركها حتى في حال الخوف والقتال، قال الله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ \* فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 238، 239]، وقال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 153]، فمن أسباب النصر:إقامة الصلاة، ومن أسباب النصر: الإكـثـار مـــن ذكر الله واستغفاره ودعـائـه والاستغاثة به، قـــال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: 45]، وقال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ \* وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ \* فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 146 - 148]، وقال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْـمُضْطَرَّ إذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ﴾ [النمل: 62].
7. **السبب الثامن من أسباب النصر: التوكل على الله:** يجب على المسلمين أن تتعلق قلوبهم بالله وحده في طلب تحقيق النصر، ولا تتعلق قلوبهم بأحدٍ غيرَ الله، قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: 160]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: 126]، فالتوكل من أعظم أسباب النصر؛ لأن المتوكلين يفوضون أمورهم إلى الله وحده القادر على كل شيء، فيعتمدون على الله في جلب ما ينفعهم، ودفع ما يضرهم، مع أخذهم بالأسباب الشرعية المتيسرة لهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: 3]، وقال: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23]، فالتوكل فريضة عظيمة، وواجب على أمة الإسلام أن تتوكل على الله في إصلاح جميع أمورها الدينية والاجتماعية والاقتصادية والزراعية والصناعية والتجارية والطبية والسياسية والحربية وغير ذلك.
8. **السبب التاسع من أسباب النصر: موالاة المؤمنين، والبراءة من الكافرين والظالمين:** قال الله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: 56]، فيجب موالاة المؤمنين أينما كانوا، من غير تعصب لبعضهم على بعض، والبراءة من الكافرين والظالمين، فإن لم يحقق المسلمون الولاء والبراء كما أمرهم الله، وصاروا أحزابا متفرقين، وصارت لهم ولاءات ضيقة، فستكون فتنةٌ في الأرض وفساد كبير، كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: 73]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: 159].

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، سمعتم في الخطبة الأولى أهم أسباب النصر التي بينها الله لنا في كتابه، فإذا اتقى اللهَ المسلمون فأخذوا بها بقدر استطاعتهم؛ فسينصرهم الله على عدوهم، ولن يخلف الله وعده، وإن قصَّروا في الأخذ بها فلا يلوموا إلا أنفسهم، وسينصر الله دينه بغيرهم، قال الله تعالى: ﴿وَإن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: 38].

أيها المسلمون، واعلموا أنه لا بد من الحِكمةِ في الجهاد: قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 269]، والحكمة هي وضع الشيء في موضعه، والإسلام دين القوة والحكمة، والحكمة في الجهاد لها صور كثيرة:

* فمن الحكمة في الجهاد: التثبت، والمشاورة، والرجوع إلى المتخصصين في أي علم نافع، من العلوم الشرعية والعسكرية والهندسية والاقتصادية والسياسية والطبية وغيرها.
* ومن الحكمة: التعامل بحكمة وحزم في قضايا النوازل، بلا عنف ولا ضعف، والرجوع في حل كل خلاف إلى كتاب الله وسنة رسوله.
* ومن الحكمة: المحافظة على سيادة الدولة المسلمة، وعدم الرضا بالذلة والمهانة، وترك التبعية في السياسة لأي دولة من الدول الكافرة، وعدم اتخاذ أولياء من غير المسلمين.
* ومن الحكمة: الحذر من كيد الكافرين ومكرهم، والحرص على الكيد بالكافرين في الحرب، فالحرب خدعة.
* ومن الحكمة: مدافعة الغزو الثقافي والفكري، وصد الشائعات، وكشف الشبهات، وتسمية الأشياء بأسمائها الشرعية، وتبيين المصطلحات على حقيقتها، فمن كيد أعداء الدين تلاعبهم بالمصطلحات لتلبيس الحق بالباطل، فحرب المصطلحات معركة خطيرة، قوية التأثير، فيجب تسمية الأشياء بما يبين حقيقتها بوضوح كالإيمان والكفر والنفاق والفسوق، وتصنيف الناس بما يظهر من عقائدهم وأعمالهم، بلا مجاملة، ولا مغالطة.
* ومن الحكمة: تحريض المؤمنين على الجهاد، والاهتمام الكبير بالتوجيه المعنوي للشعوب المسلمة، حتى يقوم كل مسلم بدوره في الجهاد، كلٌ بما يستطيع، والاهتمام بالإعلام الحربي، والحرب النفسية التي تؤثر على الأعداء.
* ومن الحكمة: تنقية صفوف المجاهدين من المرجفين والمخذِّلين والمنافقين والمفسدين، وقبول توبة التائبين، وتشجيع من خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا على التوبة، وعدم الاستغناء عنه، قال الله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 102].
* ومن الحكمة: عذر من أخطأ الطريق من العاملين للإسلام في بعض الأمور من غير قصد للمخالفة، أو باجتهاد خاطئ أو تقدير مصلحة مرجوحة، والثناء على كل من عمل للإسلام فيما أصاب فيه، والاستغفار له فيما أخطأ فيه، وقد أمر الله بالعدل والإحسان في معاملة الخلق، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: 8]، فمن غلب خيره شره فهو على خير، سواء كان ملِكًا أو رئيسًا أو أميرًا أو وزيرًا أو عالمًا أو مجاهدًا أو طبيبًا أو جماعةً أو دولةً أو غير ذلك، قال ابن القيم: "من قواعد الشرع والحكمة أن من كثرت حسناته وعظمت، وكان له في الإسلام تأثير ظاهر؛ فإنه يُحتمل له ما لا يُحتمل لغيره، ويُعفى عنه ما لا يُعفى عن غيره؛ فإن المعصية خبث، والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث". فكل مسلم تحرى الحق بقدر استطاعته، واجتهد فيما يقربه إلى الله، ثم أخطأ فينبغي عذره، والاستغفار له، مع وجوب التناصح والتواصي بالحق، قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 286]، قال الله: ((قَدْ فَعَلْتُ)) كما في الحديث الصحيح، وقد أمر الله بالاستغفار لأهل الإسلام المذنبين فقال: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: 19]، فمن حق المسلم على جميع المسلمين أن يستغفروا الله له إن أخطأ متعمدا، ومن بابٍ أولى إن أخطأ من غير تعمد للخطأ في مسألة علمية أو عملية، قال الله: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: 5]، وهذا من رحمة الله وتيسيره لعباده.

واعلموا يا عباد الله أن الإسلام دين الأخلاق، فهو يأمر بكل خلق فاضل، وينهى عن كل خلق سيء، والتحلي بالأخلاق الكريمة حتى مع الأعداء يدعوهم إلى الإسلام، وقد ذكر العلماء أن **الكفار أربعة أقسام:**

* 1. محارِب: وهو الذي يقاتِل المسلمين.
  2. مستأمَن: وهو الحربي الذي دخل دار الإسلام بأمان.
  3. معاهِد: وهو الذي له عهد مع المسلمين بأمان من مسلم أو هدنة من حاكم أو عقد جزية.
  4. ذِمِّي: وهو المعاهِد الذي أُعطي عهدًا يأمن به على ماله وعرضه ودينه.

فالذين يقاتلهم المسلمون هم الذين يحاربون المسلمين، ويظلمونهم في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، ويحتلون أراضيهم، ويعتدون على مقدساتهم، ويصدون الناس عن سبيل الله، فهؤلاء الكفار المحاربون ومن أعانهم ببدنه أو بماله أو برأيه أو بخدمته هم الذين يجب قتالهم، أما مَن عداهم من الكفار المعاهِدين والمستأمَنين والذِّمِّيِّين فلا يجوز قتالهم، قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ \* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: 8، 9]، والأصل في الكفار غير المحاربين أن يُعاملوا بالحسنى، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: 46]، فالإسلام دين الأخلاق والسماحة والرحمة، حتى في حال قتال الكفار المحاربين، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190]، فلا يجوز في الجهاد قتلُ الأطفالِ والنساءِ والشيوخِ الذين لا يقاتلون المسلمين، ولا يجوز التمثيل بجثث القتلى، ويجب الوفاء بالعهود، ولا يجوز الغدر والخيانة.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ، وَانْصُرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ الْعَنْ الكَفَرَةَ الَّذِينَ يَصُدّونَ عن سَبيلِكَ، ويُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيُقَاتِلُونَ أَوْلِيَاءَكَ، اللَّهُمَّ خَالِفْ بَيْنَ كَلِمَتِهِمْ، وَزَلْزِلْ أَقْدَامَهُمْ، وَأَنْزِلْ بِهِمْ بَأْسَكَ الَّذِي لَا تَرُدُّهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ الْخَيْرَ وَلَا نَكْفُرُكَ، وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُكَ، اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ، نَرْجُو رَحْمَتَكَ، وَنَخْشَى عَذَابَكَ، إِنَّ عَذَابَكَ الْجِدَّ بِالْكُفَّارِ مُلْحِقٌ. اللَّهُمَّ أَنْجِ المسْتَضْعَفِينَ مِنَ المسْلِمينَ فِي فِلَسْطِينَ وفي كلِّ مَكانٍ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمين، واجْعَلْ لَهُم فَرَجًا وَمَخْرَجًا، وانْصُرْهُم نَصْرًا مُؤَزَّرًا، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ مَنْ كَانَ فِي صَلَاحِهِ صَلَاحٌ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ، وَأَهْلِكْ مَنْ كَانَ فِي هَلَاكِهِ صَلَاحٌ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ، وصلِّ اللَّهُمَّ وسَلِّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَى أَهْلِ بَيْتِه وَأَزْوَاجِه وَذُرِّيَّتِه، وارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، والسَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبادِ اللهِ الصَّالِحِيْنَ.

## (43) ضلال النصارى والتحذير من المشاركة في أعيادهم

الحمد لله الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبدُ الله ورسولُه، وكلِمتُه ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه. أما بعد:

فإن الله كان ولم يكن شيء غيره، فخلق السموات والأرض وما بينهما بالحق؛ ليُعبدَ وحده لا شريك له، فأضلت الشياطين الناس عن عبادة الله الذي خلقهم، فأرسل الله إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب؛ ليعبدوه وحده، وتبشرهم بالجنة إن أطاعوا الله، وتحذرهم من النار إن عصوه، وقد حرَّف اليهود والنصارى التوراة والإنجيل، وحفظ الله القرآن الذي أنزله على محمد خاتم النبيين؛ ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور، وأظهر بالقرآن -الذي هو كلام رب العالمين- ما كان مخفيًا عند أهل الكتاب، وقص عليهم فيه أكثر الذي هم فيه يختلفون، فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون!

فالتوراة التي أنزلها الله على نبيه موسى عليه الصلاة والسلام كانت واحدة، فصارت النُّسخ المشهورة للتوراة ثلاث نسخ:

النسخة العبرانية، وهي المعتبرة عند اليهود، وجمهور علماء البروتستانت، والنسخة اليونانية التي يعترف بها نصارى الكاثوليك والأرثوذكس، والنسخة السامرية المعتبرة عند اليهود السامريين.

والإنجيل الذي أنزله الله على نبيه عيسى عليه الصلاة والسلام كان واحدًا، فصار سبعين إنجيلًا، ولما أراد الإمبراطور قسطنطين جمْع النصارى على ملة واحدة، اجتمع بأحبارهم في مَجمَع نيقية سنة (325م)، وأمر بإحراق تلك الأناجيل كلها إلا أربعة أناجيل، وهي التي بأيدي النصارى اليوم.

إنجيل متَّى ويُوحنَّا ومَرْقَس ولُوقا، وفيها تحريفٌ وزيادةٌ ونقصان، وكذبوا على الله أنه ثالث ثلاثة، وأن عيسى ابن الله، سبحان الله عما يصفون.

والحق هو ما أخبرنا الله في كتابه القرآن أن عيسى هو ابن مريم، وأن الله خلقه من غير أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم، والله على كل شيء قدير، قال الله سبحانه: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ \* الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} [آل عمران: 59-60].

{بِسْمِ اللَّهِ الْرَّحمَنِ الْرَّحَيمِ قُلْ هُو اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ \* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ \* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: 1-3].

ولو كان التثليث حقًا كما يدَّعي النصارى الضالون لكان الواجب على موسى عليه السلام وأنبياء بني إسرائيل أن يبينوه حق التبيين، فالعجب كل العجب أن تكون شريعة موسى خالية عن بيان هذه العقيدة التي هي مدار النجاة على زعم النصارى ومع ذلك لم تُذكر في التوراة التي يسميها النصارى العهد القديم!

والعجب كيف يدَّعي النصارى أن التثليث والتوحيد لا يختلفان، فيقولون: الآب والابن وروح القدس إله واحد، أي 1+1+1=1 ومعلوم أن 1+1+1=3، ولكنهم أضل الناس وسماهم الله الضالين في أول المصحف في سورة الفاتحة.

أيها المسلمون، اعلموا أنه رغم تحريف الأناجيل إلا أنه ما زال فيها أقوال كثيرة تدل على التوحيد منها:

ما في إنجيل يوحنا أن عيسى قال: "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته".

وفي إنجيل مرقس: "الرب إلهنا رب واحد".

إن المسيح عليه الصلاة والسلام هو عبد الله ورسوله وهو بريء من هذه العقيدة الكفرية، عقيدة التثليث، ولم يعبد أي نبي من الأنبياء الصليب، بل كلهم كان يعبد الله وحده لا شريك له، قال الله في كتابه القرآن المجيد: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [آل عمران: 67].

وقال سبحانه: {قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي اللّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ \* أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة: 139 - 114].

أيها المسلمون، ما زال في الأناجيل التي بأيدي النصارى اليوم البشارة بمحمد ﷺ، ومن ذلك:

ما في إنجيل يوحنا: "لكني أقول لكم: الحق إنه خير لكم أن أنطلق؛ لأني إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط، فأما إن انطلقت أرسلته إليكم. وإن لي كلامًا كثيرا أقوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن، وإذا جاء روح الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق؛ لأنه لا ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سيأتي".

قال العلماء: لفظ: (فارقليط) معرّب من اللفظ اليوناني، ومعناه قريبٌ من معنى محمد وأحمد، وقد أخبر الله في القرآن بأن عيسى بشر بمحمد ﷺ، فقال: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ} [الصف: 6].

وقال الله في كتابه الحكيم عن محمد ﷺ: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف: 157].

إن النصارى قد سبوا الله مسبة لم يسبه بها أحد غيرهم، قال الله سبحانه محذرًا لهم: {وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا \* مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا} [الكهف: 4 -5].

وقال سبحانه: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا \* لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا \* تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا \* أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا \* وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا \* إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا \* لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا \* وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا} [مريم: 88- 95].

يقول النبي ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)).

إن من المؤسف أن نرى بعض المسلمين بلغ به الجهل بدينه أن يحب النصارى ولا يتبرأ منهم، ومنهم مَن يدافِعُ عنهم ولا يُكفِّرُهم، ولا يعلم أن الله قال في القرآن الكريم: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ \* لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ \* قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُو السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} [المائدة: 72- 77].

عباد الله، يجب على المسلمين الحذر عند التعامل مع أهل الكتاب، فهم أعداؤنا قديمًا وحديثًا، يقول الله سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} [آل عمران: 100].

ومن التناقض الغريب عند كثير من المسلمين أنهم يحذَرون من اليهود، ولكنهم يطمئنون إلى النصارى، مع أن الناظر في التاريخ القديم والمعاصر يجد أن ما أصاب المسلمين في الحملات الصليبية المتعددة من ظلمٍ وقتل للمسلمين، واحتلال لبلادهم، ونهب لخيراتهم أضعاف أضعاف أضعاف ما أصابهم من اليهود، كم قتلوا من العباد وخربوا البلاد، كم هتكوا من عرض وأفسدوا في الأرض، وهل اليهود المحتلون لفلسطين إلا سيئة من سيئات النصارى؟! فمن احتل فلسطين إلا النصارى الإنجليز ثم سلَّموها لليهود؟! ومن احتل البلاد العربية كلها عدا شمال اليمن وبعض الجزيرة العربية إلا النصارى؟!

كم قتل النصارى من المسلمين في تلك البلدان الإسلامية التي كانت تجاهد لتحريرها من احتلالهم؟! في الجزائر فقط قتل النصارى الفرنسيون أكثر من مليون ونصف مليون! وكم قتل النصارى الإيطاليون من المسلمين في ليبيا؟! وكم قتل النصارى الأميركيون من المسلمين في أفغانستان والعراق والصومال واليمن؟! وصدق الله إذ يقول: {وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ} [البقرة: 217].

لن يزالوا يقاتلون المسلمين إلى قيام الساعة ما دام المسلمون متمسكين بدينهم: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة: 120].

{إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا \* وَأَكِيدُ كَيْدًا} [الطارق: 15- 16] يكيدون بالمسلمين عسكريًا وثقافيًا واقتصاديًا.

وقد أخبرنا الله عن سعيهم في إفساد أمور المسلمين، فقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ} [آل عمران: 118].

أيها المسلم، عليك أن تعتز بدين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده، وتتبرأ من كل دين سواه؛ كما قال الله سبحانه: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ \* لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ \* وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ \* وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ \* وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ \* لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [الكافرون: 1-6].

أيها المسلم، عليك أن تعلم أن الإسلام هو الحق، وتدعو من استطعت من الكفار إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، قال الله سبحانه: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 64].

أقول ما سمعتم، ويغفر الله لي ولكم.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله، هو الإلهُ الواحدُ الأحدُ، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، الربُّ الرءوف، الرفيق الرقيب. السُّبُّوح السميعُ السيِّد. الشافي الشاكرُ الشكورُ الشهيد. الصادقُ الطيِّب. العالمُ العليم العفُو، والصلاة والسلام على رسولِه محمدٍ المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فمن ضلالات النصارى: احتفالهم بما يسمى عيد الكِريسمس، ويعتقدون أنه اليوم الذي ولد فيه عيسى عليه الصلاة والسلام، ويدَّعون أنه ابن الله، ويعبدونه مع الله، ونحن المسلمين نؤمن أنه عبد الله ورسوله، فنحن أحق بعيسى منهم، ولا يجوز للمسلم مشاركة النصارى الكفرة في أعيادهم، وكيف يشاركهم المسلم في عيدهم، أو يهنئهم عليه، وهم يحتفلون بمسبة الله، ويزعمون أن هذا يوم ميلاد ابن الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا؟!

فهذا من التعاون على الإثم والعدوان، والله سبحانه يقول: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة: 2].

وقد أفتى أهل العلم القدامى والمعاصرين بحرمة ذلك، فتهنئة الكفار بعيد الكريسمس أو غيره من أعيادهم الدينية حرام بالاتفاق، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب؛ بل ذلك أعظم إثمًا عند الله، وأشد مقتًا من التهنئة بشرب الخمر، وقتل النفس، وارتكاب الفرج الحرام، ونحوه، وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك، ولا يدري قبح ما فعل، فمن هنأ عبدًا بمعصية أو بدعة أو كفر؛ فقد تعرض لمقت الله وسخطه.

وإنما كانت تهنئة الكفار بأعيادهم الدينية حرامًا لأن فيها إقرارًا لما هم عليه من شعائر الكفر، ورضا به لهم، وإن كان هو لا يرضى بهذا الكفر لنفسه، لكن يحرم على المسلم أن يرضى بشعائر الكفر أو يهنئ بها غيره؛ لأن الله تعالى لا يرضى بذلك؛ كما قال الله تعالى: {إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} [الزمر: 7]، وقال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا} [المائدة: 3]، وتهنئتهم بذلك حرام سواء كانوا مشاركين للشخص في العمل أم لا.

وإذا هنَّؤونا بأعيادهم، فإننا لا نجيبهم على ذلك؛ لأنها ليست بأعياد لنا؛ ولأنها أعياد لا يرضاها الله تعالى؛ لأنها إما مبتدعة في دينهم، وإما مشروعة، لكن نُسِخت بدين الإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺ إلى جميع الخلق، وقال فيه: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: 85].

وإجابة المسلم دعوتهم بهذه المناسبة حرام؛ لأن هذا أعظم من تهنئتهم لها لما في ذلك من مشاركتهم فيها، وكذلك يحرم على المسلمين التشبه بالكفار بإقامة الحفلات بهذه المناسبة، أو تبادل الهدايا، أو توزيع الحلوى، أو أطباق الطعام، أو تعطيل الأعمال، ونحو ذلك، وفي الحديث: ((مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ))، ومشابهتهم في بعض أعيادهم توجب سرور قلوبهم بما هم عليه من الباطل، ومن فعل شيئًا من ذلك فهو آثم سواء فعله مجاملة، أو توددًا، أو حياءً، أو لغير ذلك من الأسباب؛ لأنه من المداهنة في دين الله، ومن أسباب تقوية نفوس الكفار وفخرهم بدينهم.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ، وَانْصُرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ الْعَنْ الكَفَرَةَ الَّذِينَ يَصُدّونَ عن سَبيلِكَ، ويُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيُقَاتِلُونَ أَوْلِيَاءَكَ، اللَّهُمَّ خَالِفْ بَيْنَ كَلِمَتِهِمْ، وَزَلْزِلْ أَقْدَامَهُمْ، وَأَنْزِلْ بِهِمْ بَأْسَكَ الَّذِي لَا تَرُدُّهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ الْخَيْرَ وَلَا نَكْفُرُكَ، وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُكَ، اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ، نَرْجُو رَحْمَتَكَ، وَنَخْشَى عَذَابَكَ، إِنَّ عَذَابَكَ الْجِدَّ بِالْكُفَّارِ مُلْحِقٌ. وصلِّ اللَّهُمَّ وسَلِّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَى أَهْلِ بَيْتِه وَأَزْوَاجِه وَذُرِّيَّتِه، وارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، والسَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبادِ اللهِ الصَّالِحِيْنَ.

## (44) وصايا نافعة في زمن الفتن

الحمد لله على نِعَمِه التي لا تحصى، الحمد لله ملء السماوات وملء الأرض، وملء ما بينهما، الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، الحمد لله الذي خلقنا من العَدَم، ورزقنا من النِّعَم، ودفع عنا النِّقَم.

الحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، السابقة واللاحقة، ما نعلم منها وما نجهل، الحمد لله في الدنيا والآخرة، ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ [القصص: 70]، ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الروم: 18]، ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الجاثية: 36].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، اللهم إنا نُثني عليك ولا نكفُرَك، ونعبدك وحدك لا شريك لك، نركع ونسجد لك ذُلًّا وخضوعًا، ونصلي ونصوم لك شكرًا وتعظيمًا، وندعوك خوفًا وطمعًا، نخاف عذابك، ونرجو رحمتك، لا ملجا لنا منك إلا إليك، ولا حول لنا ولا قوة إلا بك.

وأشهد أنَّ محمدًا عبدُ الله ورسولُه، أرسله الله بالحق بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه. أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم الم \* أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ \* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: 1 - 3]، وقال عز وجل: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: 179]، وقال: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال: 37]، وقال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: 31]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: 35]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: 253].

من حكمة الله أنه يبتلي عباده بما شاء، لينظر كيف يعملون، وليميز الخبيث من الطيب، وقد تكون الفتنُ شبهات أو شهوات، وقد تكون مصائبَ وقتالًا على باطل، والفتنةُ كلُّ ما شغلك عن طاعة الله وعبادته، وكل ما صرفك عن الدين الحق الذي رضيه لعباده، وقد تكون الفتنة بالأموال والأولاد، كما قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 28]، فكثيرٌ من الناس يُفتن بجمع الأموال وينشغل بأولاده وأهله عن طاعة الله، ويمنعه ذلك من الصدقة والرحمة للمساكين، فيُفتن بالدنيا من حيث لا يشعر، وقد حذَّر الله المؤمنين من هذه الفتنة فقال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ \* وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ \* وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: 9 - 11].

أيها المسلمون، مِن أخطرِ الفتنِ على القلوب فتنُ الشهواتِ والشبهات، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: ((تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ)).

وأعظم الفتن ضررًا على الأمة فتنُ القتال بين المسلمين، روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ، وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً فَلْيَعُذْ بِهِ)).

أيها المسلمون، زمانُنا هذا زمانٌ كثُرتْ فيه الفتنُ المتنوعة، وهذا من علامات اقتراب الساعة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا)).

أيها المسلمون، **ماذا يجب على المسلم عند الفتن؟**

1- التَّعَوُّذُ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قال النبي ﷺ: ((تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ)).

2- تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ للهِ، وَاعْتِقَادُ أَنَّ كُلَّ مَا يُصِيبُ الإِنْسَانَ مِنْ فِتْنَةٍ وَبَلاَءٍ إِنَّمَا هُوَ بِقَدَرِ اللهِ وَقَضَائِهِ.

3- الْوَحْدَةُ وَالاِئْتِلاَفُ، وَتَرْكُ التَّنَازُعِ وَالاِخْتِلاَفِ، وَالاِعْتِصَامُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ ولزومُ الجماعة، وتركُ الفُرقة، يَقُولُ الله تَعَالَى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103].

4- الْحِرْصُ عَلَى الْعِبَادَةِ أَيَّامَ الْفِتَنِ، فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: ((الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ)).

5- التبينُ والتثبت، وعدمُ تصديقِ الشائعات، وعدمُ الاغترارِ بالدعايات والشعارات، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: 6].

6- من أفضلِ ما ينفعُ المسلمَ عند الفتنِ العملُ بهذه الوصية النبوية النافعة، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ذكر الفتنة فقال: ((إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ، وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ، وَكَانُوا هَكَذَا)) وشبَّك بين أصابعه، فقلت: كيف أفعل عند ذلك؟ قال: ((الْزَمْ بَيْتَكَ، وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَخُذْ بِمَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ))، فعليك أيها المسلم إذا هاجتِ الفتنُ القتاليةُ بين المسلمين أن تلزم بيتك، ولا تشارك في الفتنة التي سالت بسببها دماءٌ بغير حق، ولا تتكلم في الفتنة، وخذ ما تعرف من الحق واقبله ممن جاء به كائنًا من كان، بلا تعصب لأحد، واترك المنكرات وانكرها بقلبك أو بلسانك إن استطعت، ولا تقبلها ممن جاء بها كائنًا من كان، بلا تبريرٍ لأحد، وعليك بما ينفعك في دينك ودنياك، واترك الفتنة العامة الذي يخوض فيها الناس بأهوائهم، لا سيما إذا صارت هناك دماءٌ وظلمٌ وبغي، فأعرِض عنِ الفتنة، وأعرِض عن أصحابها ودعاتها، وأقبِل على عبادة ربك، واطلب الرزق الحلال، وإياك والمشاركةَ في الفتنة الملتبسة، واصبر حتى يحكم الله، وهو خير الحاكمين.

أيها المسلمون، المؤمن أخو المؤمن يجب عليه أن ينصره ظالمًا أو مظلومًا، إن كان ظالمًا كفَّ يده، وإن كان مظلومًا نصره بقدر استطاعته، وإن حصل بين المسلمين بغيٌ وقتالٌ فالواجب الصلحُ بينهم كما قال الله سبحانه: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ \* إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: 9، 10]، فهذا حكم الله بين المقتَتِلين من المؤمنين: أخبر أنهم إخوة، وأمر أولًا بالإصلاح بينهم إن اقتتلوا، ﴿فإن بغت إحداهما على الأخرى﴾ ولم يقبلوا الصلح ﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾ قال المفسرون: أي: قاتِلوا الفئة الباغية للضرورة حتى يرجعوا إلى أمر الله، ولا تقاتلوهم حتى تستأصلوهم، فإنما أُبيح قتالُهم للمصلحة الراجحة؛ لكسرِ شوكتِهم، ودفعِ شرِّهم، فيُدفعوا بالأخف فالأخف، ثم أمر الله بالإصلاح بينهم فقال: ﴿فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل﴾، يكون الإصلاح بالعدل لا بالظلم، فأمر الله بالإصلاح بين المؤمنين إذا اقتتلوا أولًا وآخرًا، ويُصْلَح بينهم بالعدل الموافق للشرع، فمن رجع إلى أمر الله وجب أن يُعدَل بينه وبين خصمه، فقبل أن نُقاتِل الطائفةَ الباغيةَ وبعد قتالِها أمرنا الله بالإصلاح مطلقًا، ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: 128] كما قال الله سبحانه، والواجب على كل مسلم قادر أن يسعى في الإصلاح بين المقْتَتِلين من المسلمين، ويأمرُهم بما أمر الله به مهما أمكن، وإن لم يكن لأصحاب الفتنة شبهة سائغة، فليسوا بغاة، بل هم قطاع طريق أو خوارج، ولهم حكم آخر عند القدرة عليهم.

أيها المسلمون، نعمةُ الأمنِ نعمةٌ عظيمة، وإفشاء السلام الفعلي والقولي بين المسلمين من أسباب دخول الجنة، قال نبي الرحمة ﷺ: ((لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ)) أي: أفشوا السلام القولي والفعلي، لكن صار كثير من المسلمين اليوم يُفشَون القتل بينهم، ويعادِي بعضُهم بعضًا، ويوالي بعضُهم من يجب معاداتَه شرعًا، وهذا من أسباب الفتن العظيمة والفساد الكبير في الأرض، كما قال الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾، قال المفسرون: أي إلا يوالي بعضُكم بعضًا أيها المسلمون، وتتركوا موالاة الكافرين تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير، والله المستعان.

اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم أصلح أحوالنا وأحوال جميع المسلمين، وألِّف بين قلوبنا على الحق المبين، واهدنا سبل السلام، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، واغفر لنا ولجميع المسلمين والمسلمات، برحمتك يا أرحم الراحمين، ويا خير الغافرين، ﴿رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: 118].

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، وعلى كل من والى الله ورسوله والمؤمنين، أما بعد:

فقد ذكرنا في الخطبة الأولى أن الفتن قد تكون بالقتال بين المسلمين، وقد تكون فتنَ شبهاتٍ وشهوات، وكثيرٌ من فتنِ الشبهات والقتالِ بين المسلمين سببُها عدمُ تحكيم الشريعة بين المتخاصمين، وعدمُ الرجوع إلى العلماء الصالحين، والواجب على المسلم أن يعرف قدر العلماء، فقد بيَّن الله في القرآن منزلتهم الرفيعة، وواجبٌ على المسلم أن يسأل المتخصصين في كل علم عمَّا يُشكِل عليه، كما قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43]، ومن أعظم أسباب الفتن والضلال سوءُ الظن بالعلماء والصالحين، من السابقين واللاحقين، وقد قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: 12]، فالظن السيء إثمٌ إن كان بلا برهان ولا سبب.

أيها المسلمون، من الضلال المبين أن يحتقر الجاهلُ أهلَ العلم المتخصصين، ويظنُ نفسه أعلمَ منهم أجمعين، فليحذرِ الإنسانُ أن يُفتن بهذا الأمر، ويكون ممن ذمهم الله بقوله: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم: 23]، ومن صفات الكافرين والمنافقين التكذيبَ بالحق، والناسُ أعداءُ ما جهلوا، قال الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس: 39]، وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ [الزمر: 32]، فاحذر أيها المسلم أن تكون مِنْ أظلمِ الناسِ بردِ حُكمٍ شرعيٍ ثابتٍ أو تكذيبِ حديث صحيح!

وإنَّ من صفات الذين في قلوبهم زيغٌ وهوى أنهم يحتقرون علماء الأمةِ الراسخين في العلم، ويسعون لإسقاطهم، وصرف الناس عن علومهم، ويحسبون أنهم مُصلِحون، وهم المفسدون في الأرض بأفكارِهم الضالة، وأفعالِهم الزائغة، وأقوالِهم المزخرَفة، ولكن لا يشعرون بفسادهم.

ومن صفات الزائغين أنهم يتبعون الشهوات، ويزينونها للناس ليفتنوهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 27]، وبعض الزائغين يتبعون المتشابهات ابتغاء الفتنة، كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ \* رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: 7، 8]، فالزائغون المتبعون الشهوات والشبهات دعاةٌ على أبواب جهنم، يصرفون الناس عن الصراط المستقيم، ويَفتنون من أجابهم، فمن يُجيبهم إلى ما يدعُونه إليه من الشهوات أو الشبهات قذفوه في نار جهنم، والله يُمهلهم يزخرفون أقوالهم المخالفةَ لكتابِ الله وسنةِ رسوله؛ ليكونوا فتنةً للناس، فقد صاروا من شياطين الإنس، ومن أصغى إليهم واتبعهم فهو المفتون، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ \* وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: 112، 113].

أيها المسلم، استقم على دينِك، واتركِ المفتونين وما يفترونه من الكذب على الله ودينه، فلن يضروا إلا أنفسهم، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 112]، ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الزخرف: 83].

واحرص على عبادة الله وتقواه، وتعلَّم كتاب الله وتدَبَّرَه واتَّبِعْه، وأطعِ الله، وأطعْ رسوله ﷺ الذي أمرك الله بطاعته، وكن محبًا لأهل العلم الصادقين، ولا تكن من الذين فرَّقوا دينهم وفارقوه، فسيلقون عذابهم يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ \* فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ \* فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ﴾ [المؤمنون: 52 - 54].

أيها المسلمون، علينا أن نحقق الإيمان، وأن نعمل الأعمال الصالحة، وأن نتواصى بالحق، وأن نتواصى بالصبر، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ \* وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \* تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 105 - 108].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: 8]، ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: 10]، اللهم لا تُهلِكنا ﴿بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: 155]، ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس: 85، 86]، ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ \* رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: 4، 5].

اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم ثبتنا على دينك حتى نلقاك، اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك، اللهم يا مقلب القلوب ثبتنا على دينك، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث، أصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

## (45) حقيقة الدنيا والآخرة

الحمد للهِ الذي خلق كل شيء فقدَّره تقديرًا، قدَّر وقضى، ويسمع ويرى، أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، من يعتصم بكتابه فقد نجا، ومن أعرض عن ذكره فإن له معيشة ضنكًا.

وأشهد أن لا إله إلا اللهُ، له الأسماء الحسنى، وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله، صلى الله وسلم عليه وعلى عباده الذين اصطفى.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ \* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ \* لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: 18 - 20]، أما بعد:

فإنَّ خير الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة.

أيها المسلمون، أمرنا الله أن نستعد للآخرة الباقية، وأن نتفكر في حقيقة الدنيا الفانية، ولا نغتر بها فإنها فاتنة، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [البقرة: 219، 220].

يقول الله مبينًا لنا حقيقة الدنيا: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ\* سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: 20، 21]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: 32]، وقال سبحانه: ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: 38]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: 28].

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ: ((وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟))، وقال عليه الصلاة والسلام: ((مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا))، وقال رسول الله ﷺ: ((لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ)).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثَّر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وِطاء، فقال: ((مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟! مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا)).

قال العلماء: عادة الجاهلية أن تتكاثر بالأبناء والأموال، وتكاثر المؤمنين بالإيمان والطاعة، ولا تشغلهم الدنيا عن عبادة الله وطاعته.

أيها المسلمون، حذَّرنا الله من الانشغال بالدنيا عن عبادته وطاعته فقال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ \* وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ \* وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: 9 - 11]، وقال سبحانه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 28]، فمتاع الدنيا فتنةٌ للناس، يختبرهم الله بزينة الدنيا لينظر كيف يعملون، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: 7]، وقال عز وجل: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: 131]، وقال تبارك وتعالى: ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 49]، وقال جل شأنه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: 14]، فمتاع الدنيا لا ينفع في الآخرة، وإنما ينفعهم في الآخرة الباقيات الصالحات من الإيمان والعمل الصالح، قال الله سبحانه: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: 46]، وقال جل شأنه: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 88، 89].

فأكثر الناس لا يعلمون هذه الحقائق أو يتغافلون عنها، فيجهلون أو يتجاهلون أنَّ متاع الدنيا سريع الزوال، وأنَّ الآخرة هي دار القرار، وأنها خيرٌ وأبقى من الدنيا الفانية.

أيها المسلمون، بسبب جهلِ الكفار والمنافقين بحقيقةِ الدنيا الفانية، وعدمِ يقينِهم بالآخرة الآتية الباقية، صارت الدنيا أكبرَ همِّهم، ومبلغِ علمِهم، ومنتهى آمالِهم، فهَمُّهُمُ التمتعُ بشهواتها وملذاتها، وهم أكثر الناس حرصًا عليها ولو بالحرام والظلم والخداع، وهم أعلم بها من غيرهم غالبًا، قال الله سبحانه: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ \* يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: 6، 7]، وقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: 12]، وقال سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [البقرة: 212].

أيها المسلمون، من كان لا يريد إلا الدنيا فهو في غفلةٍ عما خلقه الله من أجله، وهو عبادتُه وشكرُه، وقد حذَّر الله مِنْ إرادة الدنيا دون الآخرة، وذمَّ من كان همُّه الدنيا بلا عبادة لله، وأمر المسلمين بالإعراض عنه، قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: 15، 16]، وقال سبحانه: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النجم: 29]، وقال عز وجل: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ \* مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: 196، 197].

لا تَرْكَنَنَّ إِلى الْقُصُورِ الْفَاخِرَة ... وَاذْكُرْ عِظَامَكَ حِينَ تُمْسِي نَاخِرَة

وَإِذَا رَأَيْتَ زَخَارِفَ الدُّنيَا فَقُلْ ... يَا رَبِّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الآخِرَة

أيها المسلمون، نحن مأمورون أولًا بعبادة الله، والتنافسِ في طاعته، والحرصِ على إقامة شريعة الله وتحكيمها، والاستفادةِ من الخيرات التي وضعها الله في الأرض لمنافع عبادِه، ولسنا مأمورين بمنافسة الكفار على الدنيا الفانية، بل أمرنا الله بالتنافس والمسابقة في طاعته، ففي تحقيقِ الإيمانِ والعملِ الصالح كلُّ خيرٍ في الدنيا والآخرة للشعوب والأفراد، قال الله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: 96]، وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: 97]، وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2، 3].

عباد الله، اعلموا أنَّ المسلمين مطالبون شرعًا بطلبِ الرزقِ الحلال، واستغلالِ الأرض بما ينفع العباد، والحرصِ على نفعِ الناسِ وقضاء حوائجهم، والتخفيفِ عنهم في جميع أمورهم، وقد جاءت نصوصٌ كثيرة ترغب في ذلك، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: 15]، وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: 10]، فالإسلام جاء بصلاح الدين أولًا والدنيا ثانيًا، وجاء بما يُسعِد الإنسان في الدنيا والآخرة، ومِنْ أعظم أدعية القرآن الكريم: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: 201]، وكان من أدعية النبي ﷺ: ((اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ)).

أيها المسلمون، لا يجوز شرعًا للمسلم أن يتنطع ويترك ملذاتِ الدنيا المباحة، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: 77]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: 32]، فأباح الله للمسلم التمتع بالحلال بلا منافسةٍ وهلعٍ وطمع، بل مع الزهد والقناعة، ولا يعني الزهدُ في الدنيا تركَ جمعِ الأموالِ من حلِّها، فنِعْمَ المالُ الصالحُ للرجل الصالح، الذي ينفقها في مرضاة الله، وكم في القرآن من آياتٍ فيها الثناء على المنفِقِين أموالَهم في سبيل الله، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 274]، ووردت أحاديثُ كثيرةٌ في الحثِّ على الصدقات، وأعظم من يقوم بهذا أهلُ السعةِ والفضلِ من أغنياء المسلمين؛ ولذا كان كثيرٌ من علماء السلف الصالح وعُبَّادِهم يحثون الناس على جمع المال والتجارة فيه، وكانوا يوصون صاحب المال أن يترك العجز والكسل، وأن يحرص على ما يُنمِّي ماله بالطرق المباحة؛ لينفع نفسه وأهله والمسلمين، وكان السلفُ الصالحُ يَعُدُّون إصلاحَ المالِ وتنميتَه من المروءة، وكان كثيرٌ منهم يتوسعون في جمعِ المال بما يستطيعون من حِلِّه، مع زهدهم وورعهم، وكان قصدُهم بجمع المال التقربَّ إلى الله بإخراج زكاتِه والتصدقِ منه، والجهاد به في سبيل الله، وإنما الأعمال بالنيات، وحفظُ المالِ وتنميتُه بالتجارةِ من مقاصد الشريعة الإسلامية.

أيها المسلمون، واجبٌ على جميع الأمة أن تتعلم العلوم الدنيوية التي تنفع المسلمين، فالحكمة ضالة المسلم أنَّى وجدها فهو أحقُّ بها، وقد استفاد النبيُّ ﷺ في غزوة الخندق من خطة فارسية لم يكن يعلمها العرب، وهي حفر الخندق، واستفاد الصحابة في فتوح العراق والشام ومصر بما كان عند الكفار من علمٍ نافع واختراعاتٍ نافعة، فالإسلام يحث المسلمين على كل ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، ففي الحديث الصحيح الذي يعتبر قانونًا ومنهجًا للمسلمين في جميع أمورهم، أفرادًا وشعوبًا ودُولًا: ((احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ))، فالمسلم مأمور أن يحرص على ما ينفعه في دينه أولًا ودنياه ثانيًا، ومن ذلك أن يتزود من العلم النافع لا سيما في تخصصه، وأن يُتقِن عمله، وأن يحرص أن يكون قويًا نافعًا للناس بأي قوة تتيسرُ له، إما بقوةِ بدنِه أو قوةِ مالِه أو قوةِ عِلْمِه أو قوةِ اختراعاتِه وإبداعاتِه التي تنفع الناس، ففي الحديث: ((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ))، وقد رغَّب النبي ﷺ في كل معروف يقدِّمه المسلم لغيره فقال: ((كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ)).

أيها المسلمون، الإسلام يُرغِّب في كل ما ينفع الناس في حياتِهم، ومعايشِهم، وصِحتِهم، من أمورِ الزراعة والنظافة، والطب والأدوية، والبناءِ النافع، والصناعاتِ المتنوعة، والاختراعاتِ المفيدة، وعلى المسلمين أن يحرصوا على الاكتفاء الذاتي في كل ما يحتاجون إليه في أمور دنياهم، وقد نص الفقهاء على وجوب تعلَّم الحِرف والصناعات المهمة التي يحتاجها المسلمون، وأنها من فروض الكفايات التي يجب على بعض المسلمين القيام بها، وإلا أثِم جميعُ المسلمين القادرين لتركهم تحصيلَها.

أيها المسلمون، أهم ما يجب على المسلمين إقامته هو الدين، وبذلك وصَّى الله جميع النبيين وأممهم كما قال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ \* وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ \* فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الشورى: 13 - 15]، فواجبٌ على المسلمين حكامًا ومحكومين أن يعملوا بجميع الأسباب المشروعة لإقامة الدين ونشره والدفاع عن حرماته، وقد قرر العلماء أنَّ القوة مطلبٌ شرعي، فالإسلامُ دينُ القوةِ والعزة، وينهى عن الضعف والمهانة، ويُحذِّر من موالاة الأعداءِ والتبعية لهم، ويأمرُ بتحصيل جميعِ أسبابِ القوةِ الماديةِ والمعنوية بقدر الإمكان، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60]، ولا عزة للمسلمين إلا بالإسلام، ومهما ابتغوا العزة في غيره أذلهم الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 139]، وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: 8].

أقول ما سمعتم ويغفر الله لي ولكم.

**الخطبة الثانية:**

الحمد للهِ وليِّ الصالحين، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ سيد الأولين والآخرين، والسلامُ علينا وعلى عباد الله الصالحين، وبعد:

أيها المسلمون، عبادة الله تقتضي الانقياد التام لله، أمرًا ونهيًا واعتقادًا وقولًا وعملًا، وأن تكون حياةُ المسلمِ قائمةً على شريعة الله، يُحِلُّ ما أحل الله، ويُحرِّم ما حرم الله، ويخضع في سلوكه وأعماله وتجارتِه وجميع تصرفاته لشرع الله، متجردًا من حظوظِ نفسه، ونوازعِ هواه، يستوي في هذا الفردُ والجماعة، والرجلُ والمرأة، والغنيُّ والفقير، فلا يكون عابدًا لله من خضع لربه في بعض جوانب حياته، وخضع للمخلوقين في جوانب أخرى، ولا يتم إيمانُ العبدِ إلا إذا رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا، ورضي حكمَ اللهِ ورسولِه في القليلِ والكثير، وتحاكَمَ إلى شريعةِ الله وحدها في كل شئونه، في الأنفس والأموال والأعراض، ومن خضع لله سبحانه وأطاعه وتحاكم إلى وحيه فهو العابد له حقًا، ومن خضع لغير الله وتحاكم إلى غير شرعه فقد عبد الطاغوت، فإن ادَّعى أنه مؤمن فإنه منافق كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: 60، 61].

أيها المسلمون، العبوديةُ لله وحده لا شريك له هي الغايةُ من الخلق، ومَنْ جوَّز الخروج عنها فهو لا يؤمن بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56]، ومَنْ يأخذُ بعضَ الشريعة مما يوافق هواه، ويتركُ من الشريعة ما لا يوافق هواه، ولا يقبل شرعَ اللهِ المعارِضَ لمصلحتِه الخاصة، فهذا كُفرٌ بواح، كمن يحافظُ على الصلاة والصيام، لكنه لا يَقبلُ تحريمَ الربا أو الزنا، ويستحلُّهما مع تحريم الله لهما، قال الله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [البقرة:85، 86].

أيها المسلمون، العبادة: اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، ومن العبادة: التقيدُ في حياتنا بشرع الله، في أفراحنا وأحزاننا، والتَّقيدُ في المعاملات المالية بشرع الله، لا بالأهواء والأطماع والمصالح الخاصة، فالغايةُ لا تبرر الوسيلة؛ ولذلك حرَّم اللهُ الربا والقمار والغشَّ والخِداع والظلم والاحتكار، ومن العبادة: حسنُ الأخلاق، وحسنُ معاملة الناس في البيع والشراء والعقود وغير ذلك من الأمور الدنيوية.

أيها المسلمون، الصحابة رضوانُ اللهِ عليهم هم خير هذه الأمة، وقد وصفهم الله بقوله: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح: 29]، فأثنى الله عليهم بأنهم يجمعون بين العبادة وطلب الرزق، وعندما نسخ الله الأمر بقيام الليل ذكر أن من أسباب ذلك: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: 20]، ولم تكن الدنيا تشغل الصحابة عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، لا في حضرهم ولا في أسفارهم، قال الله سبحانه: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور: 37]، فوصفهم الله بأنَّ لهم تجاراتٍ لكنها لا تشغلهم عن عبادة الله.

أيها المسلمون، الإسلام يهتم بالأموال، وقد ذكر الله أنَّ من نِعمِه على عباده أن يسَّر لهم أسبابَ طلبِ الرزق فقال: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: 10]، وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الإسراء: 12]، وقد أباح الله التجارة حتى عند أداء مناسك الحج فقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: 198]، وأطولُ آيةٍ في القرآن هي آيةُ المداينة لحفظِ الأموال من الضياع، فالأموال قيامٌ لحياة الناس، كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: 5]، جعل الله الأموال قِوام قائمةً بأمور الناس، ومن الخطأ أن لا يهتم المسلمُ بطلب الرزق الحلال، ويُحرِّم على نفسه ما أحل الله، فهذا مخالفٌ لما أمر الله به عباده، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ \* وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: 87، 88]، وكان من دعاء النبي ﷺ الذي يقوله صباحًا ومساءً: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ))، وفي الحديث الصحيح قال النبي ﷺ: ((لَا بَأْسَ بِالْغِنَى لِمَنْ اتَّقَى، وَالصِّحَّةُ لِمَنْ اتَّقَى خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى، وَطِيبُ النَّفْسِ مِنَ النِّعَمِ)).

أيها المسلمون، كان الصحابيُّ الجليلُ عبدَ الرحمن بنَ عوفٍ رضي الله عنه من كبار التجار، ومن أصحاب الأموال، وكان يقول: (يا حبذا المال، أصِل منه رحمي، وأتقرب إلى ربي عز وجل).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (عليكم بالجَمالِ واستصلاح المال، وإياكم وقولَ أحدِكم: لا أبالي).

وقال عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا).

وقال سيد التابعين سعيد بن المسيب: (لا خير فيمن لا يجمعُ المال من حِلِّه، يكفُّ به وجهَه عن الناس، ويصِل به رحمه، ويُعطي منه حقه).

وقال سيدُ أتباع التابعين سفيانُ الثوري: (المالُ في هذا الزمانِ سلاحُ المؤمن).

فخيار هذه الأمة كانوا يكتسبون الأموال بالوجوه المباحة، واكتسابُ المال مع إنفاقه في طاعة الله عملٌ صالح يرضي الله.

اللهم صلِّ وسلِّم على نبينا محمد، وعلينا وعلى جميع عباد الله الصالحين من السابقين واللاحقين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10].

اللهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتِنا الَّتِي فِيهَا مَعَادنا، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لنا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لنا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ إِنّا نعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ، ونعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

## (46) فضل عشر ذي الحجة وفضل الأضحية وأحكامها

الحمد لله العلي الأعلى، الذي خلق فسوَّى، والذي قدَّر فهدى، أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، يُقسم بما يشاء ليبين لنا فضله، أقسم بالفجر وليالٍ عشر، وفضل ما يشاء من الأيام والشهور كأيام العشر، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: 68]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، مَنْ يتَّبِعْ سُنَّته فقد اهتدى، ومَنْ يرغَبْ عن سُنَّته فقد ضل وغوى، صلى الله عليه وعلى أهل بيته وأزواجه وذريته، وعلى أصحابه ومن اتبعهم بإحسان، أما بعد:

فإن من فضل الله علينا أن جعل لنا مواسم للعبادات والمسابقة في الخيرات، ومن ذلك هذه العشر الأوَل من شهر ذي الحجة، قال الله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ \* وَلَيَالٍ عَشْرٍ \* وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ \* وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ \* هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: 1 - 5]، أي: لذي عقل، رجح كثير من المفسرين أن المراد بها: العشر الأوَل من ذي الحجة، والشفع اليوم العاشر وهو يوم عيد النحر، والوتر اليوم التاسع، وهو يوم عرفة.

وقال سبحانه: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: 28]، والأيام المعلومات هي أيام العشر الأولى من ذي الحجة بإجماع العلماء.

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْعَشْرِ)).

العشر الأولى من ذي الحجة فضلها عظيم، قال بعض العلماء: هي أفضل من العشر الأواخر من شهر رمضان، فيستحب فيها الإكثار من الأعمال الصالحة، والصوم من جملة الأعمال الصالحة، فيُستحب صوم التسع الأولى من ذي الحجة استحبابًا شديدًا، ومن لم يستطع صيامها كلها فليصم بعضها ولو يوم عرفة، ويستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن الكريم والصدقة والاعتكاف ولو بعض النهار أو بعض الليل، وغير ذلك من الأعمال الصالحة.

أيها المسلمون، في هذه العشر يُستحب التكبير المطلق في كل وقت، من أول العشر إلى آخر أيام التشريق، ويُستحب التكبير المقيد بعد الصلوات المكتوبات من فجر يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق، فالحجاج يُكبِّرون الله عند رمي الجمرات، وغير الحجاج يُكبِّرون الله في هذه الأيام، ويجوز التكبير بأي صيغة، ومن أفضلها: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا، قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: 37].

أيها المسلمون، وفي آخر هذه العشر تُشرع عبادة عظيمة هي ذبح الأضاحي في يوم النحر وما بعده من الأيام، فالحُجَّاج يتقربون إلى الله بذبح الهدي، وغير الحجاج يتقربون إلى الله بذبح الأضاحي، والأضحية هي ما يُذبح من الإبل أو البقر أو الغنم تقربًا إلى الله أيام عيد الأضحى، قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ \* الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الحج: 34، 35].

أيها المسلمون، الأضحية سنة مؤكدة، وقال بعض العلماء بوجوبها على المستطيع، فعلى المستطيع أن يحرص على الأضحية، وهي أفضل من الصدقة بثمنها باتفاق العلماء، فلا تذبحها أيها المسلم عادة بل عبادة لله بإخلاص، بلا رياء ولا سمعة ولا فخر، واعلم أنها سبب لحصول التقوى في القلوب، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 32]، والمقصد من ذبح الأضاحي إقامةُ ذكرِ الله وشكرِه، والإحسان إلى النفس والأهل والمساكين والجيران، قال الله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ \* لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [الحج: 36، 37].

وتجوز الأضحيةُ بالذَّكر والأنثى من بهيمة الأنعام، وتجزئ الشاة عن الواحد وأهل بيته، ويجوز اشتراك سبعة في البعير والبقرة، ويجوز أن يشترك فيهما ستةٌ أو أقل، ولا يجوز أن يشترك ثمانيةٌ أو أكثر، فمن أخطاء بعض الناس أنهم يشتركون ثمانية في ثور، فليس لهم أضحية، وإن اشترك في الثور ستة أو خمسة أو أقل فهو أفضل.

ويُشترط في الأضحية أن يكمُل البعير خمس سنين، والبقر سنتين، والماعز سنة، والضأن ستة أشهر.

ويُشترط أن تكون الأضحية سالمة من العيوب التي تُنقِص اللحم وتؤثِّر فيه، فلا تجزئ المريضة والهزيلة والعرجاء والعوراء والعمياء والتي فيها جربٌ أو صنافير (خُرَاج)، ولا بأس بالمرض اليسير والعرج اليسير ونحو ذلك مما لا يؤثر في اللحم كخُرَاجٍ خفيف الورم، وتجوز الأضحية بالخَصي؛ لأنه أطيب لحمًا وأسمن، ولا بأس بمكسورة القرن أو ساقطة بعض الأسنان، وتُكره الأضحية بمقطوعة الأذن، وبالمشقوقة الأذن أو المثقوبة، ولا تجزئ مقطوعة الأَلْيَة، ولا بأس بمقطوعة الذَّنَب الذي لا لحم فيه، والأفضل اختيار الأضحية الكاملة التي ليس فيها أي نقص ولا أي مرض ولو كان يسيرًا.

وإذا عيَّن الإنسان أضحيته بالشراء مع النية أو بالقول فلا يجوز له بيعها ولا هبتها، ويجوز له أن يبدلها بخير منها، وإذا عين الأضحية ثم أصابها عيبٌ بلا تفريطٍ منه جاز التضحيةُ بها، وإن أصابها عيبٌ بتفريط منه أبدلها بأخرى سليمة، وتكون المعيبة مِلكًا له يفعل بها ما يشاء من ذبح أو بيع ونحو ذلك، وإن أصابها عيبٌ قبل مباشرة ذبحها بلا تفريط منه فلا حرج، كأن يُضجِع أضحيته ليذبحها فتضطرب وتنكسر رجلها، وإن هرب البعير أو الثور ولم يستطع الناس إمساكَه إلا بكسر رجلِه أو جرحِه فلا حرج، وإن توحش ولم يُقدَر على تذكيته فيجوز رميه كالصيد، فيسمي اللهَ من يرميه ويحل.

ووقت ذبح الأضحية من بعد صلاة عيد الأضحى إلى غروب آخر أيام التشريق، وقال أكثر العلماء: يوم العيد ويومان بعده.

أيها المسلمون، يُستحب لمن أراد أن يضحي إذا دخلت عشر ذي الحجة أن لا يأخذ من شعره ولا أظفاره شيئًا حتى يُضحِّي، تشبهًا بالحجاج في بعض ما يحْرُم عليهم، وهذا خاص بصاحب الأضحية دون أهله.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ \* وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا [أي مشاة بأرجلهم] وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ [أي ركوبًا على كل بعير قد ضمر من طول السفر] يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ \* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ \* ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ \* [يحلق الحجاج شعورهم ويقصون أظافرهم يوم العيد] ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ \* حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: 26 - 30].

أيها المسلمون، علينا أن نزكِّي أنفسَنا بطاعة الله، والإكثارِ من التقرُّب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، وتَرْكِ المعاصي؛ لأن المعاصيَ أثرُها سيئٌ على القلوب؛ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: 14]، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: 77].

أيها المسلمون، مِن أعظم ما يزكِّي نفوسنا الإكثار من ذكر الله ودعائه وتلاوة كتابه، قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: 152]، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60]، وقال سبحانه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: 82]، ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: 4]، فالقرآن شفاءٌ لِما في القلوب من الشَّهوات والشُّبهات، وهدًى من كل ضلالةٍ، ورحمةٌ للمؤمنين الذين يتبعونه، فلنجدد إيماننا في هذه العشر، ولنكثر من ذكر الله ودعائه وتلاوة كتابه.

اللهم لك الحمد على نعمة الإسلام والقرآن، ولك الحمد على ما شرعت لنا من الأحكام، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ونعوذ بك أن نشرك بك شيئًا ونحن نعلم، ونستغفرك لما لا نعلم، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فقد بين الله لنا في كتابه أن جميع العبادات المراد بها تحقيق تقوى الله وشكره، فيزكي المسلمُ نفسَه بالطاعات، فيشكرُ الله على نعمه، ولا يستعملها في معصيته، قال الله عن الصلاة: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: 45]، وقال في آيات الصيام: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183]، وقال: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 185]، وقال سبحانه عن الهدي والأضاحي التي شُرِعت للحُجاج وغيرهم في أيام عيد الأضحى: ﴿كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج: 36]، فالطاعات كلها شكر لله، وترك المعاصي شكر لله، قال تبارك وتعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: 123].

وقد حذرنا الله من ترك شكر نعمه، وبين أنه يعاقب الأمم والأفراد الذين لا يشكرونه، قال الله سبحانه: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: 58]، وقال القادر القدير: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا \* وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: 16، 17]، وقال العزيز القهار: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: 147]، وقال القوي المقتدر: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: 7]، وقال ربنا سبحانه: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: 80].

فحياة المؤمن كلها شكر لله على نعمه، وصبر على بلائه، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي [أي ذبحي] وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 162، 163]، والصلاة أعظم الشكر، فمن أولها حمد لله سبحانه، وتقول في ركوعك: سبحان ربي العظيم وبحمده، وتقول في القيام من الركوع: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، وتقول في سجودك: سبحان ربي الأعلى وبحمده، وهكذا الصيام هو شكرٌ لله، والزكاة هي شكرٌ لله، والحج شكرٌ لله سبحانه، يقول الحاج والمعتمر في التلبية: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنَّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك. ومعنى لبيك: أي أنا مقيم على طاعتك، وأجيبك إجابة بعد إجابة، أمرتني بالصلاة فصليت، أمرتني بالصيام فصمت، أمرتني بالزكاة فزكيت، أمرتني بالحج إلى بيتك فأتيت إليك، شاكرا لنعمك، مقرا بطاعتك.

أيها الإنسان، خلقك الله لتعبده وتشكره، فإما أن تكون شاكرًا لله أو تكون كفورًا لنعم الله، قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا \* إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا \* إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: 1 - 3].

فمن ترك الشكر فقد اتبع سبيل الشيطان، وقد أقسم الشيطان الكفور أنه سيُضل الناس عن عبادة الله وشكره، ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ \* ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 16، 17].

فالمؤمنون يحرصون على عبادة الله وذكره شكرا له على نعمه الدينية والدنيوية، والكافر والفاجر كفور لنعم ربه، لا يشكره عليها، ويستعملها في معصيته، كما قال الله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ \* وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات: 6، 7] كنودٌ لا يشكرُ اللهَ على نعمه، والكافرون يتحسرون يوم القيامة على تركهم شكر الله، ويتمنون الرجوع إلى الدنيا ليشكروا الله بالعمل الصالح.

يا عباد الله، سيسألنا الله عن شكر نعمه الدينية والدنيوية، كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: 8]، وقال: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36]، وقال الله عن القرآن الكريم مبينا أننا سنُسأل عن تلاوته وتعلمه والعمل به: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: 44]، والقرآن أعظم نعم الله على عباده، وهو حجة لك أو عليك.

يا عباد الله، لنحرص على تجديد التوبة إلى الله، لا سيما في هذه العشر المباركة، ولنسارع إلى الخيرات، ولنسابق إلى الطاعات، قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ \* الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ \* وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ \* أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ \* قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ \* هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133 - 138].

يا عباد الله، نُذَكِّر أنفسنا بالقرآن الكريم، فهو أعظم كنزٍ في أيدينا، فلنحرص على تلاوته وتدبره، لا سيما في هذه العشر المباركة، ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ \* قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: 57، 58]، القرآن خير مما يجمع الناس من متاع الدنيا الفانية، لكل بكل حرف تقرؤه عشر حسنات، تلاوة القرآن وتدبره والعمل به تجارة رابحة لا تخسر معها أبدًا، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ \* لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: 29، 30].

أيها المسلمون، لنكثر في هذه العشر من ذكر الله وتكبيره ودعائه وعبادته، فقد أمرنا الله بالإكثار من ذكره، وأثنى على الذين يُكثرون من ذكره ويدعونه ويستغفرونه، وذم الذين لا يذكرونه إلا قليلًا، قال الله سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا \* وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: 41، 42]، وقال عز وجل واصفًا عباده الصالحين: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ \* الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: 16، 17]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ \* رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ \* رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ \* رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ \* فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ \* لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ \* مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: 191 - 197].

اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين الصابرين، اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم انفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا، وزدنا علما، اللهم ارزقنا طاعتك وطاعة رسولك، ووفقنا للعمل بكتابك وسنة نبيك ﷺ، اللهم أنج المستضعفين من المسلمين في كل مكان يا أرحم الراحمين، واجعل لهم فرجًا ومخرجًا، وانصرهم نصرًا مؤزرًا.

## (47) خطبة فقهية عن الحج والعمرة

الحمدُ لله على نعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، الحمدُ لله الذي شرع لنا الصلاةَ والزكاة والصيام، والحجَّ إلى الكعبةِ البيتِ الحرام، الحمدُ لله الذي يسر على عباده، وبيَّن لهم الأحكام في كتابه وسنة رسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يخلق ما يشاء ويختار، ويُفضِّل ما يشاء من الأزمنة والأمكنة، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه. أما بعد:

فالحج ركن من أركان الإسلام، قال الله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 97]، وقال النبي ﷺ: ((بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأنَّ محمدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَالحَجِّ))، واتفق العلماء على مشروعية المبادرة بالحج لمن استطاع إليه سبيلًا، فقد أمر الله نبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يبني الكعبة التي هي أول بيت وضع للناس لعبادة الله، وأمره أن يُعلِمَ الناس بوجوب الحج عليهم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ \* وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا [ أي مشاة على أرجلهم] وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ [أي على راكبين على كل جملٍ قد ضمر من طول السفر ومشقته] يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ \* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ \* ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: 26 - 29]، وكل الأنبياء بعد إبراهيم حجُّوا البيت إن استطاعوا إليه سبيلًا، ويُشرع لمن حج أو اعتمر أن يُلبَّي فيقول: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنَّ الحمد والنِّعمة لك والملك، لا شريك لك)، والتلبية شعار الحج، وهي إشارة إلى إجابة دعوة إبراهيم حين أمر الناس بالحج، ومعنى لبيك: أي أُجيبك - يا الله - إجابة بعد إجابة، وأقيم على طاعتك، أمرتني بالصلاة فصليت، وأمرتني بالصيام فصمت، وأمرتني بالزكاة فزكيت، وأمرتني بالحج إلى بيتك فحججت، فأنا أجيبك إجابة بعد إجابة، وأقيم على طاعتك حتى ألقاك، وقد جعل الله في الحج والعمرة منافع عظيمة للعباد، في دينهم ودنياهم، قال الله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: 97]، والأصح أن العمرة واجبة، وهي الحج الأصغر، قال الله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: 196]، فلا بد من الإخلاص في أداء الحج والعمرة، ولا بد من إتمامهما بعد الشروع فيهما ولو كانت تطوعا، وإنما يجب الحج والعمرة في العمر مرة، وما زاد فهو تطوع.

وقد وقَّت النبي ﷺ مواقيت مكانية لمن أراد الحج أو العمرة، فلأهل المدينة ذو الحُليفة، ولأهل الشام الجُحفة، ولأهل نجد قرنُ المنازل، ولأهل اليمن يلملم، وقال: ((هُنَّ لهُنَّ، ولمن أتى عليهِنَّ من غيرهِن ممن أراد الحج والعمرة))، ومن كان طريقه يمينًا أو شمالًا من هذه المواقيت فإنه يُحرِم حين يحاذي أقرب المواقيت إليه، ومن كان في طائرة فإنه يُحرِم إذا حاذى الميقات من فوقه.

أيها المسلمون، العمرة تشرع في جميع أيام السنة، أما الحج فلا يُشرع إلا في أشهر الحج، وهي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة، قال الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة: 197]، فيجوز الإحرام بالحج مفرِدا ولو في شوال، ويبقى محرما إلى يوم العيد، والأيسر لمن أراد الحج أن يُحرم في أشهر الحج بعمرة متمتعا بها إلى الحج، ثم يُحرم بالحج في اليوم الثامن من ذي الحجة.

وأعمال العمرة أربعة: الإحرام من الميقات، والطواف، والسعي بين الصفا والمروة، والحلق أو التقصير.

فمَنْ أراد العمرة يُستحب له أن يغتسل في الميقات، ثم يلبس ثياب الإحرام، وهما إزار ورداء للرجل، والأفضل أن يكونا أبيضين، وتُحرِم المرأةُ فيما شاءت من الثياب الساترة لها من غير تبرج ولا إظهار زينة، ويُستحب أن يكون الإحرام بعد صلاة فريضة أو نافلة، فإذا فرغ من الصلاة نوى الإحرام وقال: لبيك عمرة، ثم يُلبِّي، وإذا دخل المسجد الحرام يطوف بالكعبة سبعة أشواط وهو على طهارة، ويبتدئ الطواف من أمام الحجر الأسود، ويقول: الله أكبر، ويُشير إلى الحجر الأسود بيده، والأفضل ألا يُزاحم الناس على الحجر الأسود فيؤذيهم ويتأذى بهم، ويُكثر حال طوافه من ذكر الله ودعائه، ولو أحدث أثناء الطواف توضأ وبنى على طوافه من حيث أحدث، ولا تطوف الحائض ولا تدخل المسجد الحرام حتى تطهر، فإذا أتم الطواف سبعة أشواط صلى خلف مقام إبراهيم ركعتين إن وجد مكانًا فارغًا، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: 125]، وله أن يصلي الركعتين في أي مكان من المسجد.

ثم يسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: 158]، فيبدأ بالصفا، ذهابه من الصفا إلى المروة شوط، ورجوعه من المروة إلى الصفا شوط آخر، حتى يكمل سبعة أشواط، ويختم الشوط السابع في المروة، ويقول في سعيه ما أحب من ذكرٍ ودعاءٍ وتلاوة، ويجوز أن يستريح أثناء السعي، ويجوز الطواف والسعي في الدور الثاني وعلى السطح، ويجوز لمن يشق عليه المشي لكِبرِ سنٍّ أو مرضٍ أن يطوف ويسعى راكبا عربية ونحوها ولا حرج.

فإذا أتم الرجل سعيه بين الصفا والمروة حلق جميع رأسِه أو قصَّره، والمرأة تُقَصِّر من كل ضفيرة قدر طرف الأصبع، وبهذا تنتهي العمرة.

أيها المسلمون، سُمِّيتِ الكعبةُ البيتَ الحرام لأن الله عظَّمها وشرَّفها، وحرَّم القتال والاصطياد في حرمِ مكة، وجعل الحرم آمنا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ \* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: 96، 97]، وقال سبحانه: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: 30].

أيها المسلمون، يجب على من حج أو اعتمر أن يتجنب محظورات الإحرام التي لا يجوز للمُحْرِم بالعمرة أو بالحج فعلُها، فلا يجوز للرجلِ المحرِم لُبْسُ القميص والسراويل والخفين والجوربين والقفازين وغير ذلك من اللباس الذي يُحيط ببدنه أو بعضو منه، ولا يغطي رأسَه وأذنيه، ولا يجوز للمرأةِ المحرمةِ سترُ وجهِها بنقابٍ وبرقعٍ ونحو ذلك، ولا تلبسِ القفازين، ويَجوزُ للمرأة الـمـُحْرِمة أن تغطي وجهها بثوبٍ تسدُلُه من رأسها على وجهها من غير أن تشده عليها عند الرجال غير المحارم ولو في الطواف والسعي، ولها أن تستر يديها بغير القفازين، ولا يجوز للمحرمِ والمحرمةِ إزالةُ الشعر والظفر، ولا استعمالُ العطور والبَخور، وأعظم المحظورات الجِماع، ولا يجوز في حال الإحرام وفي الحرم قتلُ صيد البر وأخذُه وتنفيرُه مثل الحمامِ والأرانب والجراد، ويتأكد على المحرِم تركُ المعاصي، وتركُ الجِدال، قال الله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: 197]، ولا يجوز للمحرمِ استعمالُ الدهانِ والزيوتِ المعطَّرة، والأفضل له تركها وإن لم تكن معطَّرة، فيكون أشعثَ أغبرَ متواضعا لله في عمرته وحجه.

ويجوز للمُحْرِم أن يستظل، وأن يحك رأسه وبدنه، ويجوز له أن يقتل القَمْل والقُمَّل والذباب والبعوض وغيرها من الحشرات المؤذية، وليس عليه فدية.

أيها المسلمون، أعمال الحج تكون في ستة أيام هي: يوم التَّرْوِيَة، وهو اليوم الثامن من شهر ذي الحجة، ويوم عرفة، وهو اليوم التاسع، ويوم النحر، وهو اليوم العاشر، وهو يوم عيد الأضحى، والأيام الثلاثة بعد يوم العيد، وهي أيام التشريق.

ففي يوم التروية يُحرِم المتمتع بالحج من مكانه الذي هو نازلٌ فيه في مكة، ويقول عند إحرامه: لبيك حجًا، ويُلَبِّي، ويتجه الحجاج من مكة إلى منى، فيُصَلُّون في مِنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر قصرًا من غير جمع، فإذا طلعت الشمس يوم عرفة ساروا من منى إلى عرفات، فإذا زالت الشمس صلوا في عرفات الظهر والعصر قصرًا وجمعًا جمع تقديم، ويتأكد على الحجاج في عرفة أن يُكثروا من ذكر الله ودعائه وحده لا شريك له، ويجوز للحاج في عرفة أن يجلس وأن يضطجع، ولا ينبغي للحاج أن يُفرِّط في ذلك الموقف العظيم بلهوٍ أو حديثٍ أو نوم، وحيث وقف في عرفات أجزأه، ولا يُستحب الصعود على جبل الرحمة الذي في وسط عرفات؛ فإن النبي ﷺ لم يصعد عليه في حجه.

فإذا غربت الشمس يوم عرفة سار الحجاج إلى مزدلفة، وهي بين عرفات ومنى، فيصلون في مزدلفة صلاة المغرب والعشاء جمع تأخير، ويبيتون ليلة العيد بمزدلفة في أي مكان منها، ثم يصلون الفجر يوم العيد في مزدلفة، وهو المشعر الحرام، فيُوحِّدون اللهَ ويُكَبرونه ويُهَلِّلونه ويدعونه إلى قبل طلوع الشمس، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ [البقرة: 198]، ثم يخرجون من مزدلفة إلى منى، فإذا وصلوها رمى كل حاج جمرة العقبة بسبع حصيات متعاقبات واحدة بعد الأخرى، يُكبِّر الله مع كل حصاة.

فإذا فرغ من الرمي ذبح هديه إن كان معه هدي، وله أن يوكِّل من يذبح عنه، ويحلق الرجل رأسه أو يُقَصِّره، وتُقَصِّر المرأة شيئا يسيرا من شعرها، ثم يذهب الحاج إلى مكة ليطوف طواف الإفاضة، ويسعى للحج، وهذه هي أعمال يوم العيد: الرمي والذبح والحلق والطواف والسعي، والأفضل ترتيبها هكذا، ويجوز أن يقدم بعضها على بعض إلا الحلق لا يُقدَّم على الرمي، فإذا رمى وحلق وطاف يحل له كلَّ ما حرُم عليه من محظورات الإحرام، ومن لم يكن معه هديٌ صام ثلاثة أيام في الحج، وسبعةَ أيامٍ إذا رجع إلى أهله، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: 196].

أيها المسلمون، وبعد أن يطوف الحاجُّ طواف الإفاضة يوم العيد يرجع إلى منى فيبيت بها ليالي أيام التشريق الثلاثة، وهي اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة، ويرمي الجمرات الثلاث في كل يوم من أيام التشريق بعد زوال الشمس، ويرميها مرتبة، فيرمي أولًا الجمرة الأولى بسبع حصيات، يكبر الله مع كل حصاة، ثم يرمي الجمرة الوسطى بسبع حصيات، يُكبِّر الله مع كل حصاة، ثم يرمي جمرة العقبة بسبع حصيات، يُكبِّر الله مع كل حصاة.

وأيام التشريق هي الأيام المعدودات، قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: 203]، فللحاج أن يتعجل في يومين، فيكتفي برمي الجمرات في اليوم الحادي عشر والثاني عشر ثم ينصرف من مِنى إلى مكة قبل غروب الشمس، وإن شاء تأخر إلى اليوم الثالث عشر، ويرمي الجمرات الثلاث بعد الزوال لا قبله.

فإذا أراد الحاج الخروج من مكة طاف طواف الوداع قبل سفره، وليس بعد طواف الوداع سعي، ويجعل طواف الوداع آخر ما يعمله في مكة، والمرأة إذا كانت حائضًا أو نُفَساء ليس عليها طواف وداع.

 نسأل الله أن يوفق الحجاج لأداء المناسك، وأن يتقبل منا ومنهم، وأن يوفقنا للحج والعمرة، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، أما بعد:

ففي الحج مناسكُ كثيرةٌ لم تُذكَر في القرآن الكريم، وهي ثابتةٌ في السنة النبوية، وقد أمرنا الله بطاعته وطاعة رسوله في آيات كثيرة، وطاعة الله باتباع القرآن، وطاعة الرسول باتباع السنة النبوية التي تبين لنا أحكام القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44]، وقال عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: 7]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: 54]، ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 71]، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: 36].

فمن المناسك التي بينها النبي ﷺ لأمته في الحج، وليست مذكورة في القرآن: التلبيةُ، وعددُ الطواف بالكعبة وبين الصفا والمروة، وبيانُ ما لا يلبسه المحرم والمحرمة، وبيانُ المواقيت المكانية، ورميُ الجمرات الثلاث، وعدد الحصى التي تُرمى بها كل جمرة، وطوافُ الوداع، وتفسير الفدية التي جاءت مجملة في القرآن: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: 196]، فبين النبي ﷺ أن المراد صومُ ثلاثة أيام أو صدقةٌ على ستة مساكين أو ذبحُ شاة.

أيها المسلمون، يجب على المسلم أن يرجع فيما يُشكِل عليه إلى أهل العلم، ليبينوا له الأحكام الشرعية، قال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43]، وعلى من يريد الحج أو العمرة أن يتفقه في أحكام الحج والعمرة بسؤال أهل العلم، وقراءة بعض الكتب الفقهية المختصرة، وفي الحديث: ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)).

أيها المسلمون، من الأحكام المهمة في الحج والعمرة ما يلي:

* لا يجوز للمحرِم أن يستعمل صابونًا فيه رائحةٌ عطريةٌ في الاغتسال وغسل الثياب، ولا يستعمل مُزِيل العرَق المعطَّر، ولا المناديل المعطَّرة، سواءً كانت مُبلَّلة أو جافة، ولا بأس بالمناديل التي ليست معطَّرة وإن كانت رائحتها طيبةً بغير عُطْر.
* يُكره للمحرم بالحج أو العمرة تمشيط شعره، ويحرم عليه إذا جزم بتساقط بعض الشعر بسبب امتشاطه، سواء كان رجلًا أو امرأة.
* يُشترط لصحة الطواف والسعي أن يكون كل منهما سبعة أشواط، فإن أنقص الطائف والساعي شوطًا واحدًا لم يصح طوافه ولا سعيه حتى يأتي به، ومن شك أثناء الطواف أو السعي في عدد الأشواط بنى على اليقين، وهو الأقل.
* إذا أقيمت الصلاة وهو يطوف أو يسعى فعليه أن يدخل في صلاة الجماعة، ثم يبني طوافه وسعيه من حيث وقف.
* مكةُ المكرمة بجميع حدودها حرمٌ لا يجوز الصيدُ فيه، ويَحرُمُ أيضا قطعُ شجرِ الحرم المكي وشوكِه ونباتِه الذي لا يستنبته الناس، ويجوز قطعُ ما يزرعه الناس من الزروع والرياحين وغيرها، ويحرم أيضًا صيدُ المدينةِ النبوية، ولا يجوز قطعُ شجرها إلا بقدر الحاجة.
* المسلمون يطوفون بالكعبة عبادة لله سبحانه الذي أمرهم بالطواف بها، لا عبادة للكعبة، وهم يُعظمون الكعبة المشرفة لأن الله عظَّمها وشرَّفها، وشرع لهم تعظيمها والصلاة عندها، وأمرهم باستقبالها في صلاتهم، ودعاءُ الكعبةِ شركٌ أكبر، ولا يجوز سؤال الله بها، ولا التوسلُ بشيء من المخلوقات، وقد أمرنا الله بدعائه وحده لا شريك له، وأن نتوسل إليه بأسمائه الحسنى.
* يستحب التطوع بالطواف في أي وقت ولو في غير الحج والعمرة، ولا يُشرع التطوع بالسعي بين الصفا والمروة، وإنما يُشرع السعيُ في العمرة أو الحج.
* يستحب الشربُ من ماء زمزم، ولا بأس بالوضوء منه، والاغتسالُ للشفاء؛ فإنه ماء مبارك، ويستحب الدعاء عند شربه بما شاء العبد من الخير.
* يُستحب استلام الحجر الأسود باليد وتقبيله تعبدًا لله سبحانه بالاقتداء بالنبي ﷺ في استلامه وتقبيله، وفي استلامه وتقبيله أجرٌ وفضلٌ لمن تيسر له ذلك، والحجر الأسود لا يضر ولا ينفع، ولا تُطلَب منه البركة، ولا يجوز الطوافُ بغير الكعبة.
* من سنن الطواف الاضطباع، وهو أن يجعل الرجل وسط ردائه داخل إبطه الأيمن، وطرفيه على كتفه الأيسر، ويكشف منكِبَه الأيمن، ومن أخطاءِ بعضِ الحجاج والمعتمرين الاضطباع عند الإحرام في الميقات أو عند صلاة ركعتي الطواف أو في السعي بين الصفا والمروة، وبعض الحجاج يبقى مضطبِعًا في منى وعرفة ومزدلفة، وإنما الاضطباع خاص بطواف القدوم أو طواف العمرة فقط، ثم يُغطي منكبيه بعد الطواف.
* ومن أخطاءِ بعضِ الحجاجِ والمعتمرين: التلبيةُ الجماعيةُ بصوت واحد، والمشروع أن يُلبِّي كلُ إنسانٍ بمفرده.
* ومن الأخطاء: الدعاءُ والذِّكر الجماعي حال الطواف والسعي أو عند الوقوف بعرفة، وفي ذلك تشويش على الآخرين، والمشروع أن يدعو المسلمُ ربه ويذكره بمفرده من غير رفع صوت، قال الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: 55]، وقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الأعراف: 205]، وقال سبحانه مثنيا على نبيه زكريا: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: 3]، وبعض الحجاج والمعتمرين يقرأ أدعية خاصة بكل شوط، ولم يثبت في السنة النبوية أدعيةٌ خاصةٌ بكل شوط، بل يدعو الله في طوافه وسعيه بما شاء من خير الدنيا والآخرة، ولا يوجد دعاءٌ خاصٌ بالوقوف بعرفة ولا بالمبيت بمزدلفة ولا بالمبيت بمنى ولا تحت ميزاب الكعبة ولا أمام بابها.
* ومن الأخطاء: التمسح بجدران الكعبة أو كسوتها أو مقام إبراهيم وغير ذلك من أجزاء المسجد الحرام أو المسجد النبوي بنية التعبد لله أو التبرك، ولا حرج أن يمس جدار الكعبة بلا تعبد ولا تبرك إلا أن يكون في جدارها طِيبٌ فلا يمسها إن كان محرمًا، فإن مسَّها وعلِق بيده شيءٌ من طِيبها فليبادر بإزالته.
* ومن الأخطاء: الصعود إلى غار جبل حراء وغارِ جبل ثور في مكة المكرمة وجبل أُحُد في المدينة النبوية بنية التعبد لله أو التبرك.
* ومن الأخطاء: تقبيل الركن اليماني، وإنما المشروع تقبيل الحجر الأسود فقط إن تيسر ذلك، أما الركن اليماني فقد مسحه النبي ﷺ بيده، ومن اقتدى فقد اهتدى.
* ومن الأخطاء: رمي الجمرات بالنعال ونحوها، وسب الشيطان عند الرمي، والمشروع رميها بالحصى مع التكبير، كما فعل النبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21]، ومن حكمةِ مشروعيةِ رميِ الجمرات: إقامةُ ذكر الله بالتكبير، والاقتداءُ بالنبي محمدٍ ﷺ واتباع سنته، وتذكرِ ما وقع لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لما أتى إبراهيم عليه السلام المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له في الجمرة الثالثة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض)، وفي رمي الجمرات ترغيمٌ للشيطان الرجيم، وإغاظةٌ له حينما يرى المسلمون يرجمون المكان الذي اعترض فيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وفي الرمي إشارة إلى عداوة الشيطان للإنسان، وأن المسلم مأمور بإظهار عداوته، فالرمي عبادة وشعيرة من شعائر الحج العظيمة.
* ومن أخطاءِ بعضِ الحجاجِ والمعتمرين: الانشغال بالمكالمات الهاتفية بلا حاجة أثناء أداء المناسك، والانشغال بالتصوير حال أداء العمرة والحج عن الذكر والدعاء، وربما كان التصوير سببًا للرياء.
* ومن الأخطاء في الحج والعمرة: تبرجُ بعضِ النساءِ بزينتهن، وإطلاقُ بعض الرجال النظر، والواجب على المعتمر والحاج أن يحرص على التقوى والبعد عن المعاصي، قال النبي ﷺ: ((مَنْ حَجَّ هَذَا البَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)).

أيها المسلمون، يُستحب زيارة المسجد النبوي للصلاة فيه قبل الحج أو بعده، ولا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجدِ الحرام والمسجدِ النبوي والمسجدِ الأقصى، وزيارةُ المسجد النبوي لا تتعلق بالحج، فمن حج ولم يذهب إلى المسجد النبوي فلا إثم عليه، وينبغي للحاج والمعتمر أن يحرص على السفر إلى المدينة النبوية للصلاة في المسجد النبوي الشريف، فقد ثبت أن الصلاة في المسجد النبوي خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وأن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، ويُستحب أن يصلي في الروضة التي بين مكان منبر النبي ﷺ وحجرته التي فيها قبره عليه الصلاة والسلام، ويُستحب أن يزور قبر النبي محمدٍ ﷺ، ويُسلِّم عليه بقوله: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، ثم يسلم على أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ولا يُكرِّر السلام، وليحذر أشد الحذر من دعاء النبي عليه الصلاة والسلام أو أحدًا من الخلق، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18]، وفي الحديث الصحيح: ((الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ))، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60]، ومن دعا نبيًا أو مَلَكًا أو رجلًا صالحًا فيما لا يقدر عليه إلا الله واستغاث به فقد عبده مع الله، ووقع في الشرك المحبطِ للأعمال الصالحة، قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ \* بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: 65، 66]، فلا يستحقُ الاستغاثةُ به والالتجاءُ إليه إلا الله وحده الذي يسمع الدعاء، ويُجيب المضطرَّ إذا شاء، وهو القادر القدير، الفعال لما يريد، قال الله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ \* وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: 5، 6].

أيها المسلمون، ويستحب لمن كان في المدينة النبوية أن يزور مقبرة البقيع ومقبرة شهداء أُحُد، ويُسلِّم عليهم ويدعو لهم، ويصلي في مسجد قباء الذي كان النبي ﷺ يُصلي فيه.

اللهم بلِّغنا حجَّ بيتك، ويسِّرْ لمن لم يحجَّ أداءَ فريضةِ الحج والعمرة بفضلِك، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم فقهنا في دينك، واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم ارزقنا طاعتك وطاعة رسولك ﷺ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ونستغفر الله من الذنوب والسيئات، اللهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم، اللهم وفق الحجاج لأداء المناسك، ويسر لهم الخير برحمتك، وردهم سالمين غانمين، مغفورا لهم تائبين.

اللهم صل وسلم على نبينا محمد، وعلى أهل بيته وأزواجه وذريته، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين، واجعلنا من الذين اتبعوهم بإحسان برحمتك يا أرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين.

## (48) التحذير من هجر القرآن العظيم

الحمد لله الذي علَّم القرآن، خلق الإنسان، علَّمه البيان، والصلاة والسلام على رسول الله الذي نزَّل عليه القرآن ليكون للعالمين نذيرًا، أرسله شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا مُنيرًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي أنزل الكتاب على عبده ولم يجعل له عِوجًا. قيِّمًا، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه الذي كان يرتل القرآن ترتيلًا.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70، 71].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ \* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ \* لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ \* لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 18 - 21]. أما بعد:

فإنَّ خيرَ الكلام كلام الله، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة.

أيها المسلمون، القرآن أعظم كنز بين أيدينا، وهو خير من الدنيا وما فيها، ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ \* قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: 57، 58]، علينا أن نفرح بهذا القرآن العظيم الذي هو رسائلُ من الله لنا لصلاح قلوبنا وأعمالنا وأحوالنا، أخباره صادقة، وأحكامه عادلة، وقد أمر الله عباده أن يأخذوه بقوة ونشاط، لا بضعف وكسل، ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 63] ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾: أي خذوه بنشاطٍ وجِدٍّ وحزم، فعلى المسلم أن يتلو القرآن برغبة، وأن يسمعه بلهْفة، وأن يفرح بتعلمه وتدبره والعمل به.

أيها المسلمون، أمَرَنا الله بالإقبال على كتابه قراءةً واستماعًا، وتعلُّمًا وتدبرًا، وعملًا وتحاكمًا، وذلك سببٌ لرحمة الله لنا في الدنيا والآخرة، قال الله عز وجل: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ \* وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: 203]، وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89]، فالقرآن كتابُ هدايةٍ وحُكْم، وكلُّ ما نحتاج إليه بينه الله في القرآن العظيم نصًّا أو دَلالة أو استنباطًا، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمه، وجَهِلَه مَنْ جَهِله، وبقدر ما تتدبر القرآنَ تظهرُ لك هداياته، قال الله عز وجل: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29]، ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 52]، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: 12]، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9] القرآن يهدي الناسَ لأحسن الخصال في كل الأمور، فهو هدايةٌ للأفراد والأُسَر والمجتمعات والدول، فمن تمسك بالقرآن فقد اهتدى، ولا يضلُّ ولا يشقى، قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى \* وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: 123، 124].

أيها المسلمون، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: 30]، قال العلماء: هجر القرآن أنواع: فمن هجرِ القرآن هجرُ تلاوتِه وهجر استماعِه، ومن هجرِ القرآن هجرُ تعلمه، ومن هجرِ القرآن هجرُ تدبرِه، ومن هجرِ القرآنِ هجرُ العملِ به، ومن هجرِ القرآن هجرُ التحاكم إليه، ومِن هجرِ القرآنِ هجرُ التداوي به، فكل هذا من هجر القرآن، والواجب على المسلم أن يُعظِّم القرآن ويعرفَ قدرَه وبركتَه، وأن يهتم بتلاوته واستماعِه وتعلمِه وتدبرِه والاستشفاءِ به، وأن يؤمن به، ويعمل بأحكامه، ويتحاكم إليه.

قال العلماء: هجر القرآن أنواع: أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه، والثاني: هجرُ العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به، والثالث: هجرُ تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، والرابع: هجرُ تدبره وتفهمه، والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره، ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في قوله: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: 30].

ومِن هجرِ القرآن اللغَطُ والكلامُ حالِ تلاوته، ومِن هجره تركُ تعلمه، ومِن هجره تُرك الإيمانِ به، ومِن هجره تركُ تدبِّره، ومِن هجره تركُ العملِ به وامتثالِ أوامره واجتناب زواجرِه، ومِن هجره العدولُ عنه إلى غيره من شعرٍ أو قول أو غناءٍ أو لهوٍ.

أيها المسلمون، يقول النبي ﷺ: ((ليس منَّا مَنْ لم يتغنَّ بالقرآن)) أي: يقرؤه ويُحسِّن صوته به ما استطاع، فيجب علينا أن نُقبِل على القرآن إقبالًا صادقًا، وأن نقصد ذلك قصدًا، يجب أن نحرص على تلاوة القرآن واستماعه، ونُفرِّغ للقرآن بعض الأوقات، ولا نجعله في هامش حياتنا، فمن تعظيم القرآن أن تجعل للقرآن أوقاتًا للتلاوة والاستماع، والتعلم والتعليم، ولنحذر من هجر القرآن العظيم، فإنَّ منْ يهجُرِ القرآنَ آثمٌ وظالمٌ ومرتكبٌ كبيرةً من الكبائر.

أيها المسلمون، أنزل الله القرآن لنتعلمه ونتلوه ونتدبره ونعمل به، وقد جعل كثيرٌ من المسلمين القرآن لمقاصدَ أخرى غيرِ مشروعة، فبعضهم يقرؤه أو يسمعه لمجرد حصول البركة وهو هاجرٌ له لا يتدبر آياته، ولا يعمل بأحكامه، وبعضهم يجعله علامةً على موت الميت، أو علامةً على قرب أذان الجمعة أو المغرب، فيفتحون مكبرات الصوت بالقرآن من غير سماع له ولا إنصات.

أيها المسلمون، يجب على كل مسلم قراءة ما تيسر من القرآن كما أمر الله بقوله: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: 4]، وقال سبحانه: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: 20]، فلم يعذُرِ اللهُ أحدًا في قراءة القرآن الكريم حتى المرضى والمسافرين والمجاهدين، فالقرآن شفاء وهدى ورحمة للمؤمنين، وهجره من صفات المنافقين.

أيها المسلمون، سيسألنا الله عن هذا القرآن كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: 44]، وقال سبحانه: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا \* مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ [طه: 99، 100]، وقال النبي ﷺ: ((والقرآن حجةٌ لك أو عليك)).

أيها المسلمون، أقسم الله بقسمٍ عظيمٍ في القرآن ليبين لنا عظمته وبركته فقال: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ \* وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ \* إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: 75 - 77].

وأقسم الله في القرآن بأعظم قسمٍ وأعمِّه ليبين لنا فضل كتابه فقال: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ \* وَمَا لَا تُبْصِرُونَ \* [أقسم الله بكل ما نراه وكل ما لا نراه، أقسم بجميع الأشياء على أن هذا القرآن تبليغ رسول كريم، وليس بقول شاعر ولا كاهن، بل هو كلام الله أنزله على رسوله] فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ \* وَمَا لَا تُبْصِرُونَ \* إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ \* وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ \* وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ \* تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ \* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ \* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ \* فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ \* [بين الله أن رسوله محمدًا ﷺ لو كذب على الله وزاد بعض الكلمات في القرآن لعاجله الله بالعقوبة وقتله، ولكن حاشاه من ذلك عليه الصلاة والسلام] وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ \* وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ \* وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ \* وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ \* فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: 38 - 52].

أيها المسلم، اعلم أنَّك مهما عظَّمت القرآن الكريم فهو أعظم مما تظن، فهو كلام الله سبحانه أنزله لهداية عباده، فطوبى لمن أقبل على تلاوته واستماعه وتعلمه، واهتدى بآياته، ويا حسرةً على من هجره، ويا عجبًا لمن أعرض عن كتاب ربه وأقبل على دنيا فانية، أو شاشاتٍ ملهية، أو منصاتٍ تافِهة، أو مجالسَ لاغية، واستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، وماذا يربحُ من خسِر كتابَ ربه؟!

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وسبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله الذي جعل القرآن هدى للمتقين، وموعظة للمؤمنين، ورحمة للمحسنين، لم يتركنا سدى بلا كتاب مبين، والصلاة والسلام على رسول الله الذي زكَّى أصحابه وتلى عليهم القرآن، وعلَّمهم الكتاب والحكمة فنالوا من الله الرضوان، وسلامٌ على من اتبعهم بإحسان، أما بعد:

فيا أيها المسلمون، هجرُ القرآن من صفات الكافرين والمنافقين، قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ \* بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فصلت: 3، 4]، وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: 3]، وقال الله عن المنافقين: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ \* أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 23، 24]، فلنحذر أيها المسلمون أن نكون كالكافرين والمنافقين المعرضين عن كتاب رب العالمين، فنحن من غير القرآن كالغرقى، فإن تمسكنا بالقرآن نجونا، وإن هجرناه هلَكْنا، قال الله عز وجل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾، وقال سبحانه: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ \* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

أيها المسلمون، كيف نهجر القرآنَ وفيه عِزُّنا وسعادتُنا في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: 10]، وإنَّ أظلمَ الناسِ وأكثرَهم إجرامًا وإثمًا مَنْ هجَرَ القرآن، وأعرض عن آيات الرحمن، قال الله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ [السجدة: 22].

أيها المسلمون، تلاوةُ القرآنِ وتعلُّمُه والعملُ به تجارةٌ رابحة مع الله، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ \* لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: 29، 30]، ويقول النبي ﷺ: ((خيرُكُم مَن تعلَّم القرآنَ وعلَّمه))، من قرأ حرفًا من القرآن فله به عشر حسنات، ومن حفِظ آيةً رفعه الله بها درجة في الجنة، فعلينا - يا معاشر المسلمين - أن نحرص على تعلُّمِ القرآن تلاوة وحفظًا، وتفسيرًا وتدبرًا، وأن نحث أولادنا وأهالينا على حفظ ما تيسر من القرآن، وأن نشجعهم على تعلمه وتدبره، فهو أعظمُ الكتب بركة، وأنفعُها عِلمًا، وأكثرها خيرًا، وفيه أحسن القصص والمواعظ، وفيه الهدايات الربانية لسعادتنا في الدنيا والآخرة، وفيه حل مشاكلنا، وصلاحُ أحوالنا في ديننا ودنيانا.

أيها المسلمون، الناس بلا قرآنٍ في خسران، ولا سعادةَ حقيقيةً للبشرية إلا بالقرآن، فلنحذر من هجر القرآن، ولنكن من أهل القرآن الذين يتلونه ويتبعونه، ويهتدون بآياته، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: 121]، ولنحذر أن نكون من الظالمين الهاجرين للقرآن العظيم، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: 32].

اللهم اجعل حظَّنا من القرآن حظ عبادِك السابقين، اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا، اللهم بارك لنا في القرآن العظيم، ونعوذ بك من هجر كتابك، اللهم إنا نعوذ بك أن نكون من الذين اتخذوا آيات الله هزوًا ولعبًا، اللهم ارزقنا تعظيم القرآن، وعلِّمنا القرآن، تلاوة وحفظًا وتدبرًا وتفسيرًا، اللهم اجعلنا من المعتصمين بكتابك، الذين يتلونه حق تلاوته، ويهتدون بآياته، ويعملون بأحكامه، اللهم اجعل القرآن رحمة لنا في الدنيا والآخرة، واجعله مباركًا علينا، وشفيعًا لنا، وحجة لنا لا علينا.

## (49) فضل الصحابة رضي الله عنهم

الحمد لله وليِّ الصالحين، وهادي المؤمنين، يخلق ما يشاء ويختار، ويُفضِّل مَن شاء على مَن شاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو أعلم بمن اتقى، وهو خيرٌ وأبقى، وأشهد أنَّ محمدًا عبد الله ورسولُه، من أطاعه اهتدى، ومن عصاه ضل وغوى، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين اتَّبعوا سنته، وأقاموا دينه، وجاهدوا أعداءه، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، وعلى كل مَنِ اتبعَ الهدى.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ \* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ \* لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: 18 - 20]. أما بعد:

فإنَّ خير الكلام كلام الله، وخيرَ الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة.

أيها المسلمون، اعلموا أن الله ذكر في القرآن العظيم آياتٍ كثيرةٍ جدًا في فضائل أصحابِ النبيِّ محمدٍ ﷺ، وقد جمعها بعضُ الباحثين فبلغت مائة آية لا تخفى على المتدبرين، فكل من يتدبر القرآن الكريم يعلم يقينًا فضل الصحابة الكرام رضي الله عنهم، فمِن الآياتِ التي تبين فضلَهم وشرفَهم قولُه تعالى:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 29]، فقد ذكر الله فضلَ الصحابةِ في التوراة والإنجيل قبل أن يخلقهم، فذكر مَثَلَهُم في التوراة وفي الإنجيل قبل أن ينزل القرآن، وكفى بذلك شرفًا للصحابة وفضلًا، ووعدهم الله بالمغفرة لذنوبهم، والأجرِ العظيم لحسناتهم، والله أعلم بما في قلوبهم من الإيمان والإخلاص والتقوى، قال الله عنهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: 3]، وقال سبحانه: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: 26].

وقال الله تبارك وتعالى مخاطبًا الصحابة الكرام: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ \* فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ \* وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ \* إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: 7 - 10]، أخبر الله في هذه الآيات أنه حبَّب إلى الصحابةِ الإيمان، وزيَّنه في قلوبهم، وأنه كرَّه إليهم الكفرَ والفسوقَ والعصيان، وشهِد لهم أنهم الراشدون، وذلك من فضل الله عليهم، وكفى بهذه تزكيةٌ من الله لأصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، فهم خيرُ أمةٍ أخرجت للناس، وأخبر الله في هذه الآيات أن المؤمنين قد يحصل بينهم اقتتالٌ وبغيٌ من بعضهم، حتى لو كانوا من الصحابة، فهم غير معصومين، فأمر الله بالإصلاح بينهم، وأخبر أنهم إخوة وإن حصل بينهم قتالٌ وفتن.

أيها المسلمون، قد أخبر الله برضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار، وعن الذين يتبعونهم بإحسان، ووعدهم جميعًا بالجنة خالدين فيها أبدًا، ومَن أصدقُ مِن الله قيلًا؟! قال الله سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 100].

أيها المسلمون، وصف الله المهاجرين بأنهم الصادقون، ووصف الأنصار بالإيمان والفلاح، وأمر من جاء بعدهم أن يستغفر لهم ذنوبهم، قال الله سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ \* وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 8 - 10]، فشهد الله في هذه الآيات أن الصحابة المهاجرين هم الصادقون، وأثنى على الأنصار بالإيمان، وشهد أنهم هم المفلحون، وأمر من جاء بعد الصحابة بالاستغفار لهم، فالصحابة بشرٌ غير معصومين، فلا يجوز أن نطعن فيهم، ولا نذكر سيئاتهم، ولا يجوز أن يكون في قلب المؤمن غلٌّ لبعضهم.

أيها المسلمون، في هذه الآيات الكريمة ردٌّ بليغٌ على كل من يتهم الصحابةَ بالردة أو النفاق، فلو علم الله ردتهم أو نفاقهم لما أثنى عليهم بهذه الآيات الكريمة، وكيف يخبرنا الله برضاه عنهم وبأنه أعد لهم الجنة ثم يكونون من أهل النار؟!

قال الله عن الذين بايعوا النبي عليه الصلاة والسلام يوم الحديبية تحت الشجرة وكانوا ألفًا وأربع مائة: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 18]، وفي الحديث الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ)).

أيها المسلمون، الصحابةُ هم تربية الرسول، والطعنُ فيهم طعنٌ في الذي علَّمهم، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \* ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: 2 - 4].

ويا عجبًا ممن يسيءُ الظنَّ بأصحاب الرسول وهم الذين نقلوا لنا القرآن والسنة، ونقلوا لنا أخبار النبي وسيرتَه، ونشروا دينَ الإسلام، وفتحوا الأمصار، وحكموا بين الناس بشرع الله، وقد نقل لنا التابعون أقوال الصحابةِ وفتاويهم وسِيَرهِم، فكانوا كما أخبر الله عنهم: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الحج: 41]، وكانوا كما وصفهم الله: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: 29].

فالصحابة الكرام أفضل الأمة، وخير أهل الجنة، قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ \* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ \* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ \* ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ \* وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: 10 - 14]، فأخبر الله أن السابقين جماعةٌ كثيرةٌ من الأولين، وقليلٌ من الآخرين، وكيف لا يكون الصحابةُ أفضلَ الأمة عِلمًا وعملًا والنبيُّ ﷺ هو الذي كان يُزكِّيهم ويُربيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة؟!

أيها المسلمون، الصحابة جاهدوا الكفار مع الرسول، ثم جاهدوا الكفار بعد موت الرسول، وتحقق ما وعدهم الله بعد صلح الحديبية من نصر الله لهم على كل من يقاتلهم، قال الله سبحانه مخاطبًا أصحاب نبيه الذين رضي عنهم: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الفتح: 22]، فلم يقف أمامهم أحدٌ من الكفار بعد نزول هذه الآية الكريمة، بل نصرهم الله على جميع المشركين واليهود والنصارى والمجوس، ونصرهم على المرتدين، ودانت لهم الجزيرة العربية، وفتحوا فارس والشام ومصر وشمال أفريقيا، وهذا الأمر من معجزات القرآن حيث أخبر الله بنصر الصحابة على جميع الكفار، وتمكينهم في الأرض، فوقع ذلك كما أخبر الله سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 55].

أيها المسلمون، قد أخبر الله عن الأعراب الذين تخلفوا عن رسول الله في المسير معه إلى مكة عام الحديبية أنهم سيُدعون إلى قتالِ قوم ٍكفارٍ أشداء في الحرب، فوقع ذلك حين دعاهم الخلفاءُ الراشدون إلى حروب الردة، ودَعَوهم إلى قتال فارس والروم، قال الله سبحانه: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: 16].

فمن الذي دعا المسلمين إلى الجهاد بعد موت الرسول غيرُ الخلفاء الراشدين؟!

وقد توعد الله الأعراب إذا لم يجيبوا الخلفاء إلى الجهاد بالعذاب الأليم فقال: ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: 16]، فدلت هذه الآيات دلالةً واضحةً على صحةِ خلافةِ الخلفاء الراشدين؛ لأن الله أوجب على المسلمين طاعتهم، فهم أئمةٌ للمسلمين بعد موت الرسول ﷺ.

قال المفسرون كالجصاص والقرطبي: هذه الآية دليلٌ على صحة إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم؛ لأن أبا بكر الصديق دعاهم إلى قتال المرتدين أصحاب مسيلمةِ الكذاب، ودعاهم عمر ثم عثمان إلى قتال فارس والروم، وقد ألزمهم الله طاعة من يدعوهم إلى قتال الكفار بقوله: ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: 16].

وقال الله سبحانه في آخر سورة طويلة أنزلها على رسوله، وهي سورة التوبة: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 117]، وكان ذلك في غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة، قبل موتِ النبي ﷺ بسنتين، وثبت في السيرة النبوية أن الصحابة كانوا في غزوة تبوك عدة آلاف، قيل: كانوا ثلاثين ألفًا، فأخبر الله الرحيم أنه تاب عليهم، فهنيئًا لهم هذا الفضل العظيم.

اللهم تب علينا واهدنا يا رؤوف يا رحيم، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله الذي يهدي من يشاء، ويتوب على من يشاء، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد:

ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: ((لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ))، فالصحابة أكثر الناس أجرًا، وما مِن عملٍ صالحٍ نقوم به إلا شركونا في الأجر؛ لأنهم الذين نقلوا لنا القرآن والسنة، وأقاموا الدين ونشروه، وعلَّموا العلم من جاء بعدهم، فحسناتُهم مضاعفة، وذنوبُهم مغفورة، فجزاهم الله عنا خير الجزاء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

أيها المسلمون، وعد الله جميع الصحابة بالجنة، سواء السابقين منهم أو المتأخرين من الطلقاء الذين أسلموا بعد فتح مكة، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: 10].

أيها المسلمون، دلَّ القرآنُ على براءة كلِّ من صحب النبيِّ في حجة الوداع من النفاق، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ [التوبة: 83].

قال المفسرون: أي: فإن أرجعك الله - يا نبي الله - بعد غزوة تبوك إلى طائفة من المنافقين فاستأذنوك للخروج معك للجهاد فقل لهم عقوبةً لهم: لن تصحبوني في أي سفر للجهاد أو النُسُك أبدًا، ولن تقاتلوا معي عدوًا من الأعداء أبدًا.

ويُستنبط من هذه الآية: أن كل من صحب النبي ﷺ في حجة الوداع فهو بريء من النفاق، فإن الله أمر رسوله أن يخبر المنافقين بعدم تشرفهم بصحبة النبي ﷺ بعد رجوعه من غزوة تبوك في أي سفر من أسفاره أبدًا، وقد نزلت هذه الآية من سورة التوبة بعد غزوة تبوك سنة 9 للهجرة، ثم حج النبي ﷺ سنة عشر من الهجرة قبل موته بثلاثة أشهر، وخرج معه عشرات الآلاف من أصحابه الكرام، وكلهم بريء من النفاق بشهادة هذه الآية الكريمة؛ فإن الله أخبر أنه قضى وقدَّر أن المنافقين لن يخرجوا مع رسوله أبدًا في أي سفر من أسفاره بعد رجوعه من غزوة تبوك، سواء سفرَ جهادٍ أو سفرَ حج، فأمر الله نبيه أن يقول للمنافقين: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾، فكلُّ من صحب النبي في سفره بعد نزول هذه الآية فهو بريء من النفاق، وقد قيل: إن الذين حجوا مع الرسول في حجة الوداع نحو مائة ألف أو يزيدون، فكل من يتهمُ أصحابَ النبي بالنفاق مع صحبتهم له في سفره في حجة الوداع فهو مكذِّبٌ بالقرآن الكريم، غافلٌ عن هداياته.

قال ابن تيمية: "ينبغي أن يُعرف أن المنافقين كانوا قليلين بالنسبة إلى المؤمنين، وأكثرَهم انكشف حالُه لـمَّا نزل فيهم القرآنُ، وإن كان النبي ﷺ لا يعرف كلًا منهم بعينه فالذين باشروا ذلك كانوا يعرفونه، والعلمُ بكون الرجل مؤمنًا في الباطن، أو يهوديًا، أو نصرانيًا، أو مشركًا أمرٌ لا يخفى مع طول المباشرة، فإنه ما أسرَّ أحدٌ سريرةً إلا أظهرها الله على صفحات وجهِه، وفلَتاتِ لسانه، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ [محمد: 30]، وقال: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَولِ﴾ [محمد: 30]، فالمضمِر للكفرِ لا بد أن يُعرف في لحْنِ القول، وقد قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة: 10]. والصحابة المذكورون في الرواية عن النبي ﷺ والذين يُعَظِّمهم المسلمون على الدين، كلُّهم كانوا مؤمنين به، ولم يُعظِّم المسلمون - ولله الحمد - على الدين منافقًا. والإيمان يُعلم من الرجل كما يُعلمُ سائرُ أحوال قلبِه من موالاتِه ومعاداتِه، فهذه الأمور لها لوازم ظاهرة، والأمور الظاهرة تستلزم أمورًا باطنة، وهذا أمرٌ يعرفه الناسُ فيمن جرَّبوه وامتحنوه. ونحن نعلم بالاضطرار أن ابن عمر وابن عباس وأنس بن مالك وأبا سعيد الخدري وجابرًا ونحوهم كانوا مؤمنين بالرسول، محبين له، معظمين له، ليسوا منافقين، فكيف لا يُعلم ذلك في مثلِ الخلفاء الراشدين الذين أخبارُهم وإيمانُهم ومحبتُهم ونصرُهم لرسول الله ﷺ قد طبقتِ البلادَ مشارقَها ومغاربها؟! فهذا مما ينبغي أن يُعرف، ولا يُجعل وجودُ قومٍ منافقين موجِبًا للشك في إيمان هؤلاء الذين لهم في الأمة لسان صدق، بل نحن نعلم بالضرورة إيمانَ سعيدِ بن المسيب والحسنِ البصري ومالكٍ والشافعيِّ وأحمدِ، ومَنْ هو دون هؤلاء، فكيف لا يُعلم إيمانُ الصحابة؟! وكلُّ واحدٍ يعلمُ إيمانَ كثيرٍ ممن يخالطه من الذين ظاهرهم الصلاح. ولا خلاف بين العلماء أن المهاجرين لم يكن فيهم منافق أصلًا، وذلك لأن المهاجرين إنما هاجروا باختيارهم لما آذاهم كفارُ قريش على الإيمان وهم بمكة، فلم يكن يؤمن أحدُهم إلا باختياره، مع احتمال الأذى، فلم يكن أحدٌ يحتاج أن يُظهر الإيمان ويُبطن الكفر، ولما ظهر الإسلامُ في قبائل الأنصار وقع بعض أهل المدينة في النفاق، حيث صار بعضُ من لم يؤمن بقلبه يُظهر موافقةَ قومه؛ لأن المؤمنين صار لهم سلطانٌ وعِزٌ ومَنَعة".

هذا، ولا يُعرف عن الصحابة اتصافُهم بشيء من صفات المنافقين من التهاون بالصلاة أو الكذب أو الخيانة أو خلف الوعد، بل كانوا أكمل الناس ديانةً وأخلاقًا، وعِلمًا وعملًا، وكيف نشك في ذلك وقد زكاهم الله في كتابه في آيات كثيرة، وأخبر أنه امتحن قلوبَهم للتقوى، وأنهم أحقُّ الناس بكلمة التقوى وكانوا أهلَها، وأنه حبَّب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وأنه كرَّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان؟!

قال العلماء: الصحابة لم يكن فيهم من يتعمد الكذب على النبي ﷺ، وأهل العلم يعلمون بالاضطرار أن مثل مالك، وشُعبة، والثوري، والشافعي، وأحمد ونحوهم لم يكونوا يتعمدون الكذب على النبي ﷺ، بل ولا على غيره، فكيف بابن عمر، وابن عباس، وأبي سعيد، وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة الذين زكَّاهم الله في كتابه في آيات كثيرة؟!

والمنافقون كانوا أحقر من أن يقوموا بحفظ القرآنِ والحديثِ، ونشرِ الدين، وتعليمِ الناس، وقد وصفهم الله في كتابه بأنهم لا يفقهون ولا يعلمون، وكانوا أحقر من أن يُؤتمنوا على قضاء المسلمين، وفتياهم، وولايتهم، ووصف الله أصحاب نبيه في آيات كثيرة بأنهم مؤمنون، صادقون، وأنهم أوتوا العلم، قال الله عن المنافقين: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ \* وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: 16، 17].

فالصحابة هم أهل العلم، وهم أول من اهتدى، وزادهم الله هدى، وآتاهم تقواهم، فعجبًا لمن يُلَبِّس الحق بالباطل، ويُسوِّي بين الصحابة والمنافقين ليرد السنةَ النبويةَ التي تبين لنا القرآن الكريم، ويُشكِّك المسلمين في فضل الصحابةِ رضي الله عنهم!

أيها المسلمون، لا هداية لنا في الدنيا، ولا نجاة لنا في الآخرة إلا إذا اتبعنا سبيل الصحابةِ في إيمانهم وعَمَلهم، وفي عِلْمهم وأخلاقهم، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 137]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: 115].

اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم حبِّب إلينا الإيمان وزيِّنه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصحابة الصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم وفقنا لاتِّباعِ سبيلِ الصحابة واتِّباعِهم بإحسان، اللهم إنا نحب رسولَك وأصحابه الذين أثنيت عليهم في كتابك فاحشرنا معهم، اللهم وفقنا للاعتصام بكتابِك وسنةِ نبيك، والتمسكِ بما كان عليه الخلفاء الراشدون، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10].

عباد الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، اللهم صل وسلم على نبينا محمدٍ سيد المرسلين، وعلى أهل بيته وأزواجه وذريته الصالحين، وارضَ اللهم عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

## (50) فضل أهل البيت وقصة استشهاد الحسين

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70، 71]. أما بعد:

فإنَّ خير الكلام كلام الله، وخيرَ الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة.

يقول الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: 68]، فالله سبحانه يختار ما يشاء ويُفضِّله على غيره سواء كان مكانًا كالمسجد الحرام أو زمانًا كرمضان والجمعة أو ذرية كآل إبراهيم وآل عمران أو شعبًا كتفضيله سابقًا بني إسرائيل على شعوب عالمي زمانهم، ثم غضب عليهم بسبب سوء أعمالهم، وإن كان أجدادُهم أنبياء، فالأنساب لا تنفع عند الله، والله يريد منا صلاحَ القلوب والأعمال، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13]، فالله جعل الناس شعوبًا وقبائل ليتعارفوا، لا ليتفاخروا، وبين أن الأفضلية عنده بالإيمان والتقوى والعمل الصالح لا بالأنساب والأموال، ولا تعارض بين هذه الآية وما تقرر في الأدلة الأخرى من تفضيل اللهِ ما يشاء؛ لأن التفضيل مِن حيثُ الجملة غيرُ التفضيل من حيثُ الأفراد، فمثلًا جِنسُ الرجالِ أفضلُ من حيثُ الجملة من جِنس النساءِ كما قال سبحانه: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ [آل عمران: 36]، وقال عز وجل: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: 228]، ولكن ليس كلُّ رجلٍ أفضلُ من كل امرأة، فكم من امرأةٍ واحدةٍ أفضلُ من مائة رجل، بسبب صلاحها وفسادهم، فالعبرة في تفضيل الأفراد بالتقوى كما هو صريحُ الآيةِ الكريمة: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، وهكذا العربُ أفضلُ من العجم من حيثُ الجملة؛ لكون خاتم الأنبياء من العرب أنفسهِم، وجاء بلغتهِم، والقرآنُ عربي، وهذا لا ينافي أن يوجد مسلمٌ أعجميٌ صالحٌ أفضلُ من مائة رجلٍ عربيٍ غيرِ صالح، قال النبي ﷺ: ((لا فَضْلَ لِعَربيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوى))، وهكذا تفضيلُ قبيلةِ قريشٍ وبني هاشمٍ هو من حيثُ الجملة، وليس من حيثُ الأفراد، فمثلًا بلالٌ الحبشيُ رضي الله عنه أفضلُ من أبي لهبٍ القرشيُّ الهاشميُّ، فالأول صحابيٌّ من أهل الجنة، والثاني كافرٌ من أهل النار؛ فالميزان عند الله في تفضيل الأفراد هو الإيمان والتقوى، وليس الأنسابَ ولا الأموال، وقد أخبر الله أنه بارك في ذرية إبراهيمَ وإسحاقَ عليهما الصلاة والسلام، وأخبر أن من ذريتهما من هو محسنٌ ومن هو ظالمٌ فقال سبحانه: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصافات: 113]، فأخبر الله أن بعض ذريةِ إبراهيمَ وإسحاقَ ظالمٌ لنفسه بالكفر والظلم والمعاصي، وقال سبحانه عن نوح وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: 26]، فمن ساء عملُه لا ينفعه نسبُه ولو كان ابنَ نبي، فهذا نوحٌ عليه الصلاة والسلام كان أحد أبنائه كافرًا، وكان من المغرقين الهالكين، قال النبي ﷺ: ((مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لم يُسْرِع بِه نَسَبُه))، فلا يجوز في الشرع الفخرُ بالأحساب والأنساب، وإنما التنافسُ بالإيمان والأعمال.

قال ابن تيمية: "قد ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((إن الله اصطفى كِنانة من بني إسماعيل، واصطفى قُريشًا من كِنانة، واصطفى بني هاشمٍ من قريش، واصطفاني من بني هاشم)). وجمهور العلماء على أن جِنسَ العربِ خيرٌ من غيرهم، كما أن جِنسَ قريشٍ خيرٌ من غيرهم، وجنسَ بني هاشمٍ خيرٌ من غيرهم، لكن تفضيل الجملة على الجملة لا يستلزم أن يكون كلُّ فردٍ أفضلُ من كل فرد".

أيها المسلمون، يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56]، وروى البخاري ومسلم عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله، قد عرفنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ قال: ((قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ))، وقد جاء تفسير معنى الآل في الصلاة الإبراهيمية في حديث رواه أيضًا البخاري ومسلم عن أبي حُميدٍ الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ قال: ((قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ)).

والصحيح عند كثير من العلماء المحققين أن المراد بالآل في الصلاة الإبراهيمية هم أهل بيت النبي عليه الصلاة والسلام، بدليل الحديث السابق، وقد رد العلامة ابنُ القيم في كتابه جلاءِ الأفهام على من يزعم أن المراد بالآل في الصلاة الإبراهيمية الأتباع.

أيها المسلمون، أولُ من يدخل في أهل بيت النبي بناتُه: فاطمةُ وزينبُ ورقيةُ وأمُ كلثوم رضي الله عنهن، وأبناؤه: القاسمُ وعبدُ الله وإبراهيم، وكذلك: عليُّ بنُ أبي طالب وجعفرُ بنُ أبي طالب وحمزةُ بنُ عبد المطلب والعباسُ بن عبد المطلب وعُبَيدةُ بنُ الحارثِ بنِ عبد المطلب، والحسنُ والحسينُ ابنا علي، وبقية أولاد علي كمحمدِ بن الحنفية والعباسِ بن علي وأبي بكر بن علي وعمرَ بن علي وعثمان بن علي، وكذلك: عبدُ الله بن العباس، وعبدُ الله بن جعفر، وسائر أولادهم وذريتهم، وكذلك يدخل في أهل بيت النبي: زوجاتُه أمهاتُ المؤمنين رضي الله عنهن، كما قال تعالى: ﴿يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا \* وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 32، 33].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "هذا نصٌّ في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت؛ لأنهن سببُ نزول هذه الآية"، وقال: "لا يشك من تدبر القرآن أن نساءَ النبي ﷺ داخلاتٌ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، فإن سياقَ الكلامِ معهن ... وإذا كان أزواجُه من أهل بيته فقرابتُه أحق بهذه التسمية".

أيها المسلمون، اللهَ اللهَ في آل بيت النبي ﷺ، فقد أوصانا النبيُّ بأهل بيته، فلْنعرف فضلهم، ولْنحذر من بغضهم بسبب بعض الظالمين منهم، ولا نغفلْ عن قول الله تعالى عن إبراهيم وإسحاق عليهما الصلاة والسلام: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصافات: 113]، وقول الله سبحانه: ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود: 73]، فقد أخبر الله في هاتين الآيتين أن أهل بيت النبي إبراهيم، ومثلُهم أهلُ بيت النبي محمد عليهم رحمةُ اللهِ وبركاتُه، ومنهم المحسن، ومنهم الظالم لنفسِه ظلمًا مبينًا، والواجب على المسلم حبُّ الصالحين من أهل بيت النبي صلى الله وسلم عليه وعلى آله، ولا يجوز بغضُهم بسببِ بعضهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: 8].

أيها المسلمون، حبُّ أهلِ بيت النبيِّ أمرٌ واجبٌ على كل مسلم، وهو مما يُثقِّلُ ميزانَ العبدِ يومَ القيامة، وهو أمرٌ ثقيل على بعض الناس، روى مسلمٌ في صحيحه من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ))، فحثَّ على كتاب الله ورغَّب فيه، ثم قال: ((وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي)).

فيجب على كل مسلم أن يحب الصالحين من أهل بيت نبينا محمدٍ، وأن يحذر أشدَّ الحذر من بغضِهِم، وإنكارِ فضلِهم، ففي الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُبغِضُنَا أَهْلَ البَيْتِ رجلٌ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ)).

أيها المسلمون، كما أن بعض الناس يُفتَن بسبب أفعالِ فسقةِ المسلمين المخالفةِ للشرع والأخلاق، فيُبغضُ بسببهم الإسلامَ وجميعَ المسلمين، فكذلك بعضُ الناس يُفتَن بسبب أفعالِ بعضِ الظلمةِ من أهل البيت المخالفةِ للشرع والعدل والأخلاق، فيُبغضُ بسببهم جميعَ أهلِ البيت، والله المستعان.

أيها المسلمون، لا يجوز الغلو في حب أهل البيت، ولا دعوى العصمةِ لهم، فقد ثبت عن علي رضي الله عنه أنه قال: (يهلِك بسببي رجلان: عدوٌ مبغِض، ومحبٌّ مفرِط)، وقال: (يحبني قومٌ حتى يدخلوا النار بسبب الغلو في حبي، ويُبغضني قومٌ حتى يدخلوا النار بسبب بغضي).

أيها المسلمون، الناظرُ في كتب الحديث يجد فيها أبوابًا في ذكر فضائل أهل البيت، فقد روى المحدِّثون الأحاديث الكثيرة في فضائل أهل البيت، وفي الحديث المشهور، قال عليه الصلاة والسلام في خطبة غدير خم: ((مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ))، رواه أحمدُ بنُ حنبلٍ في مسنده وابنُ حبانَ في صحيحه، قال أبو نُعيم الأصبهاني: "هذه فضيلةٌ بينةٌ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومعناه: مَنْ كان النبي ﷺ مولاه فعليٌّ والمؤمنون مواليه، دليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: 71]"، فعليٌّ مولى للمؤمنين، كما أن أبا بكر وعمر وعثمان أولياء للمؤمنين، بل كل مؤمن ولي للمؤمنين، يجب عليه أن يوالي المؤمنين، ويبغض الكافرين والمنافقين، ومن الخطأ أن يُظن أن هذا الحديث يتحدث عن الخلافة بعد النبي ﷺ، قال البيهقي: "مقصود النبي ﷺ من قوله: ((مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ)) أنه لما بعثه إلى اليمن، وكثرتْ الشكاةُ منه، وأظهر بعضُ الصحابة بغضَه، فأراد النبي ﷺ أن يذكرَ اختصاصَه به، ومحبتَه إياه، ويحثُّهم بذلك على محبته وموالاتِه، وتركِ معاداتِه، والمرادُ به ولاءُ الإسلامِ ومودتُه، وعلى المسلمين أن يوالي بعضهم بعضًا، لا يعادي بعضهم بعضًا". ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: 71].

اللهم اجعلنا ممن يتولى اللهَ ورسولَه وجميعَ المؤمنين، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى أهل بيته وأزواجه وذريته، وبعد:

أيها المسلمون، في العاشر من شهر محرم الحرام سنة 61هـ استُشهِد الحسينُ رضي الله عنه، وهو ابنُ عليِّ بنِ أبي طالب، وابنُ فاطمةَ بنتِ رسولِ الله، استُشهِد غدرًا وظلمًا في كربلاء بالعراق، وقد كثُر الكلامُ حولِ مقتل الشهيد السعيد السيد السبط الحسين بن علي رضي الله عنه، واستغلها كثيرٌ من الذين في قلوبهم زيغ لنشر بدعهم وخرافاتهم، وإن المسلمين جميعًا قديمًا وحديثًا كارهون لما وقع من قتل الحسين عليه السلام.

قال الحافظ ابن كثير: "كل مسلم ينبغي له أن يُحزنه قتل الحسين رضي الله عنه، فإنه من سادات المسلمين، وعلماء الصحابة، وابن بنت رسول الله فاطمة رضي الله عنها التي هي أفضل بناته".

أيها المسلمون، لا ريب أن الحسين عليه السلام قُتِل مظلومًا شهيدًا، كما قُتِل غيره من الصالحين المظلومين الشهداء، وقتلُ الحسين معصيةٌ لله ورسولِه ممن قتله، أو أعان على قتله، أو رضي بقتله، وقتلُه مصيبةٌ أُصيبَ بها المسلمون، وهو في حقه شهادةٌ له، ورفعُ درجة، وعلوُّ منزلة؛ فإنه وأخاه الحسن سبقت لهما من الله السعادة التي لا تُنال إلا بنوع من البلاء، ولم يكن لهما من السوابق ما لأهل بيتهما كعلي وجعفر وحمزة، فإنهما تربيا في دولة الإسلام، في عزٍّ وأمان، فمات هذا مسمومًا، وهذا مقتولًا، لينالا بذلك منازل السعداء، وعيش الشهداء، وليس ما وقع من ذلك بأعظم من قتل الأنبياء؛ فإن الله تعالى قد أخبر أن بني إسرائيل كانوا يقتلون النبيين بغير حق، وقتلُ الأنبياء أعظمُ ذنبًا ومصيبة، وكذلك قتلُ حمزةَ وجعفرَ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ رضي الله عنهم أعظمُ ذنبًا ومصيبة، والواجب عند المصائب الصبر والاسترجاع، كما يحبه الله ورسوله، ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ \* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 155 - 157].

أيها المسلمون، خلاصة قصة استشهاد الحسين أنه بلغ أهل العراق أن الحسين لم يبايع يزيد بن معاوية سنة 60 للهجرة، فأرسلوا إليه الرسل والكتب يدعونه فيها إلى البيعة، فأرسل الحسينُ ابنَ عمه مسلمَ بنَ عَقيلِ بنِ أبي طالبٍ ليتقصى الأمور، فلما وصل مسلمٌ إلى الكوفة تيقن أن الناس يريدون الحسين خليفة، فبايعه الناسُ على بيعة الحسين، ولما بلغ الأمر يزيد بن معاوية في الشام أرسل إلى عبيد الله بن زياد والي البصرة ليمنع أهلَ الكوفة من الخروج عليه مع الحسين، فدخل عبيد الله بن زياد إلى الكوفة، وخوف أهل الكوفة بجيش الشام، ورغبهم ورهبهم، فصاروا ينصرفون حتى لم يبق مع مسلمِ بنِ عَقيل أحد، فقبض عليه عبيد الله بن زياد، وأمر بقتله، وكان مسلمُ بنُ عقيل قد اغتر بأهل الكوفة، وأرسل رسالة إلى الحسين يأمره بالقدوم إلى الكوفة، فخرج الحسين من مكة متجهًا إلى العراق، وحاول منعه كثير من الصحابة، ونصحوه بعدم الخروج، فأبى إلا أن يذهب، وحين وصل الحسين إلى كربلاء قرب الكوفة علم بخبر مقتل مسلم بن عَقيل، وخذلان أهل الكوفة، ولقيه جيش عبيد الله بن زياد بكربلاء، فناشدهم الحسين أن يختاروا إحدى ثلاث: أما أن يتركوه يذهب للجهاد في الثغور، أو يتركوه يذهب إلى يزيد في الشام، أو يتركوه يرجع إلى المدينة، فأبوا إلا أن ينزل على حكم ابن زياد والي العراق، فأبى الذلة، فقاتلوه ظلمًا وعدوانًا، وقتلوه ومن كان معه، فخاب وخسر من شارك في قتل الحسين وأصحابِه، وباءوا بغضبٍ من الله بقتل ابنِ بنتِ رسول الله، وللشهيدِ الحسينِ ومن معه الرحمةُ والرضوانُ من الله، ﴿وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: 198].

أيها المسلمون، لا يجوز للمسلم إذا تذكر استشهاد الحسين ومن معه رضي الله عنهم أن يقوم بضرب نفسه، ولطمِ خدِه وصدرِه، وما شابه ذلك من أعمال الجاهلية.

قال العلامة ابن تيمية: "مصيبة الحسين إذا ذُكِرت بعد طول العهد ينبغي للمؤمن أن يسترجع فيها كما أمر الله ورسوله، وإذا كان الله تعالى قد أمر بالصبر والاحتساب عند حدثان العهد بالمصيبة، فكيف مع طول الزمان، فما زينه الشيطان لأهل الضلال والغي من اتخاذ يوم عاشوراء مأتمًا، وما يصنعون فيه من النَّدبِ والنياحة، وإنشادِ قصائد الحزن، وروايةِ الأخبار التي فيها كذبٌ كثيرٌ، والصدقُ فيها ليس فيه إلا تجديدُ الحزن، والتعصبُ، وإثارةُ الشحناء والحرب، وإلقاءُ الفتن بين أهل الإسلام، والتوسلُ بذلك إلى سب السابقين الأولين، وكثرةُ الكذب والفتن في الدنيا".

أيها المسلمون، اللطم والبكاء يوم عاشوراء بدعةٌ منكرةٌ، لم يعملها فضلاء أهل البيت، لا عليُّ بنُ الحسينِ زينُ العابدين، ولا محمدُ بنُ عليِّ بنِ الحسينِ الباقرُ، ولا زيدُ بنُ عليٍّ، ولا جعفرُ بنُ محمدٍ الصادقُ، ولا غيرُهم من أئمة الدين، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار، والله سبحانه يقول: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 134].

اللهم فقِّهنا في الدين، وارزقنا الإخلاصَ في طاعتِك وطاعةِ رسولك، واجعلنا من المتَّبِعِين لسنةِ نبيك، العارفين بفضلِ أهل بيته وذريته، المتبعين للسابقين الأولين من الصحابة والصالحين من أهل البيت بإحسان بلا غلو ولا طغيان، اللهم إنا نعوذ بك من البدع كلِّها، ومن الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم يا رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السماوات والأرض، عالمَ الغيب والشهادة، أنت تحكمُ بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختُلِف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم، اللهم اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين، آمين.

اللهم صلِّ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِ محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

اللهم صلِّ وسلِّم على نبينا محمد وأهل بيته وأزواجه وذريته، وعلى الصحابة والتابعين، وعلينا وعلى جميع عباد الله الصالحين من السابقين واللاحقين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10].

عبادَ الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]، فاذكروا الله يذْكُرْكُم، واشكروه على نِعَمِه يَزِدْكُم، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: 45].

## خطبة في عيد الفطر

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ، مَنَّ عَلَيْنَا فَهَدَانَا وَأَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكُلَّ بَلَاءٍ حَسَنٍ أَبْلَانَا، الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مُوَدَّعٍ، وَلَا مُكَافَئٍ، وَلَا مَكْفُورٍ، وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ مِنَ الطَّعَامِ، وَسَقَى مِنَ الشَّرَابِ، وَكَسَا مِنَ الْعُرْيِ، وَهَدَى مِنَ الضَّلَالَةِ، وَبَصَّرَ مِنَ الْعَمَى، وَفَضَّلَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ تَفْضِيلًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، أما بعد:

فهذا يومٌ عظيم، عيدٌ للمسلمين الصائمين الصابرين الشاكرين، شرعه الله لنا لذكرِه وشكرِه، وللفرح بنعمتِه، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا.

أيها المسلمون، شرع الله لنا الصيام لتحقيق التقوى، والاستمرارِ على شكره، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183]، وقال سبحانه: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 185]، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، فيجب علينا بعد رمضان أن نستقيم على تقوى الله باجتناب المحرمات والقيام بالواجبات، ونستمر على شكر الله على نعمه، ولا نستعمل نعمه في معصيته.

أيها المسلم، اعلم أن الله أكبر من كل شيء، والله خيرٌ وأبقى لمن اتقى، فلنعظِّم اللهَ الكبير العظيم، ولنُعظِّم ما عظَّم اللهُ سبحانه، فنمتثلَ أوامرَه، ونجتنبَ نواهيه، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا.

يجب علينا أن نزكي أنفسنا باستمرار، فنطهرها من المعاصي، ونرقيها بالطاعات، فالمقصود من جميع العبادات تزكية النفوس، فالصلاة تزكي النفس، والصيام يزكي النفس، وما حرَّم اللهُ المحرَّماتِ إلا لتزكية النفوس، ولا فلاح للإنسان إلا بتزكية نفسه بطاعة الله، واجتناب معصيته، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى \* وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى \* بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى \* إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى \* صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: 14، 19].

أيها المسلمون، ربُّ رمضانَ هو ربُّ شوال، ومن كان يعبدُ رمضانَ فإنه شهرٌ يزول وينقضي، ومن كان يعبد اللهَ فإنه حيٌ لا يموت، فيا أيها المسلم، الله يقول لكل واحدٍ منا: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99]، ولم يقل: اعبد ربك حتى يأتيك العيد، فحافِظ على الصلوات الخمس في أوقاتها، واقرأ ما تيسر من القرآن في كل يوم وليلة، وأكثِر من ذكر الله سبحانه، ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا \* وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: 25، 26].

الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا.

أيها المسلم، اعبد ربك وكن من الشاكرين، ولا تكن من الغافلين، فالشكر هو الغاية من خلق الإنسان، قال الله تعالى: ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: 26]، وقال سبحانه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: 152]، وقال عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: 172]، وإنما يعبد الله من شكره بامتثال الواجبات، واجتناب المحرمات، ومن لم يشكر الله فليس من أهل عبادته، ومن لم يعبد الله فليس من الشاكرين لنعمه.

الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا، أيها المسلمون، الله يحب الشاكرين، وأمرنا أن نتذكر نعمه لنشكره، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: 18]، ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: 3]، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 89]، فالطاعات كلها شكرٌ لله، وترك المعاصي شكرٌ لله، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: 123].

أيها المسلمون، يقول الله لنا في كتابه العظيم: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: 147]، ويقول سبحانه: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: 7]، ويقول عز وجل: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: 12].

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، حياةُ المؤمن كلُّها شكرٌ لله على نِعَمه، وصبرٌ على بلائه، وإحسانٌ إلى عباده، قال رسول الله ﷺ: ((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))، والله يحب المحسنين، فأحسنوا إلى أهاليكم، وصِلوا أرحامكم، واعفوا عمن أساء إليكم، وأصلحوا ذات بينِكم، وتصدقوا مما رزقكم الله، فرحمة الله قريب من المحسنين.

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله على نعمه التي لا تُحصى، الحمدُ لله ملءَ السماوات وملءَ الأرض، وملءَ ما بينهما، الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، الحمد لله الذي خلقنا من العَدَم، ورزقنا من النِّعَم، ودفع عنا النِّقَم، والصلاة والسلام على سيد الشاكرين، نبيِّنا محمدٍ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الصابرين العابدين، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا.

أيها المسلمون، شكرُ الله يكون بثلاثة أشياء: بالقلب وباللسان وبالعمل.

فشكر الله بالقلب يكون بالاعتراف بأن النعم من الله وحده، ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: 53]، وشكر الله باللسان يكون بالتحدث بنعم الله الدائمة والمتجددة، وشكرُ الله بالعمل يكون بفعلِ الطاعات واجتنابِ المحرمات، واستعمالِ نعمِ اللهِ فيما يرضيه، وتركِ معصيتِه بنعمه، ومن عصى الله بنعمةٍ من نعمه فلم يشكر اللهَ عليها، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: 61].

عبادَ الله، كلُّ الخير في شكر الله، قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7].

أيها المسلمون، كما يكون الشكرُ لله سبحانه بالعبادة يكون أيضًا للوالدين بالإحسان إليهما في حياتهما وبعد موتهما، قال الله تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: 14]، ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 24]، فأحسن إلى والديك في حياتهما بالبر والطاعة، وبعد موتهما بالدعاء والصدقة، ويكون الشكر أيضًا للناس الذين أحسنوا إليك بأي معروف كبير أو صغير، قال رسول الله ﷺ: ((لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ)).

الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا.

أيها الإنسان، خلقك الله لتعبده وتشكره، فإما أن تكون شاكرًا لله أو تكون كفورًا لنعمه، قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا \* إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا \* إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: 1 - 3].

فمن ترك الشكر لله فقد اتبع سبيل الشيطان، وقد أقسم الشيطان الكفور أنه سيُضل الناس عن عبادة الله وشكره، ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ \* ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 16، 17].

فالمؤمنون يحرصون على عبادة الله وذكره شكرًا له على نِعمِه الدينية والدنيوية، ويرضى كلُّ واحد منهم عن الله فيما آتاه، وفيما ابتلاه، فيجازيهم الله الجنة في الآخرة، والكافر والفاجر كفورٌ لِنِعَمِ ربِّه، لا يشكره عليها، ويستعملها في معصيته.

يا عباد الله، سيسألنا الله عن شكر نعمه، كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: 8]، فلنحرص يا عباد الله أن نكون من الشاكرين الذين مدحهم الله في كتابه، وأخبر أنهم قلة، فقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]، وقال: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: 53].

فالشاكرون اللهَ بقلوبِهم وألسنتهِم وأعمالِهم الصالحةَ هم القليل، وهم المستحقون فضلَ الله وجنتَّه، والغافلون عن شكر الله هم أكثر الناس، وهم المستحقون عذاب الله وسخطَه، فلا نغتر بكثرة الغافلين عن شكر الله وعبادته، قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 205]، ولنتواصى بعبادة الله وشكره كما أمرنا الله في قوله: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: 66]، ولا ننسى قول ربِّنا: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: 62].

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، اللهم أصلح جميع أحوال المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم قاتِل الكفرةَ الذين يُكذِّبون رسلَك، ويصدون عن سبيلك، ويقاتِلون أولياءك، اللهم اجعل عليهم رجزك وعذابك، وأَنزِل بهم بأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين.

اللهم وصل وسلم على نبينا محمد وأهل بيته وأزواجه وذريته، وارض اللهم عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، واجعلنا من الشاكرين الصابرين، والحمد لله رب العالمين.

## خطبة في عيد الأضحى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ، مَنَّ عَلَيْنَا فَهَدَانَا وَأَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكُلَّ بَلَاءٍ حَسَنٍ أَبْلَانَا، الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مُوَدَّعٍ، وَلَا مُكَافَئٍ، وَلَا مَكْفُورٍ، وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ مِنَ الطَّعَامِ، وَسَقَى مِنَ الشَّرَابِ، وَكَسَا مِنَ الْعُرْيِ، وَهَدَى مِنَ الضَّلَالَةِ، وَبَصَّرَ مِنَ الْعَمَى، وَفَضَّلَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ تَفْضِيلًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، أما بعد:

فهذا يومٌ عظيم، وعيدٌ كبير، شرعه الله لنا لذكرِه وشكرِه، وللفرح بنعمتِه، ويُستحب التكبير المقيد بعد الصلوات من فجر يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا، فالحجاج يُكبِّرون الله عند رمي الجمرات، وغير الحجاج يُكبِّرون الله في هذه الأيام، فعليك أيها المسلم أن تكثِر من تكبير الله، واعلم أن الله أكبر من كل شيء، فيمتلئ قلبُك بتعظيم الله وشرعه، وتُعظِّم ما عظَّم اللهُ سبحانه، فتمتثلُ أوامرَه، وتجتنبُ نواهيه، ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 32].

أيها المسلمون، من الشعائر العظيمة في هذا اليوم ذبح الهدي والأضاحي، فالحجاج يتقربون إلى الله بذبح الهدي، وغير الحجاج يتقربون إلى الله بذبح الأضاحي، قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ \* الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الحج: 34، 35].

أيها المسلمون، المقصد من ذبح الأضاحي إقامةُ ذكرِ الله وشكرِه، والإحسانُ إلى النفس والأهل والمساكين والجيران، قال الله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ \* لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [الحج: 36، 37]، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا.

أيها المسلمون، ذبح الأضاحي عبادةٌ لا عادة، فأخلصوا لله في هذه العبادة العظيمة، وتقربوا إلى الله بذبح الأضاحي ونحرها كما تتقربون إليه بالصلاة، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي [أي ذبحي] وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 162، 163]، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: 2]، ولا تجوز الأضحية بصغيرة السن، ويُشترط في الأضحية أن تكون سالمة من العيوب التي تُنقِص اللحم، وإذا عين الإنسانُ الأضحية ثم أصابها عيبٌ بلا تفريطٍ منه جاز التضحيةُ بها، وإن أصابها عيبٌ بتفريطٍ منه أبدلها بأخرى سليمة، وإن أصابها عيبٌ قبل مباشرة ذبحها بلا تفريطٍ منه فلا حرج، كأن يُضجِع أضحيته ليذبحها فتضطرب وتنكسر رجلها، وإن هرب البعير أو الثور ولم يستطع إمساكه إلا بكسر رجلِه أو جرحِه فلا حرج، وإن هرب وتوحش فإنه يصير كالصيد، يجوز رميُه بالرصاص مع البسملة ويحِل، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78].

أيها المسلمون، يبدأ وقت ذبح الأضحية من بعد صلاة العيد، والأفضل ذبح الأضحية في يوم العيد، ويجوز بالإجماع ذبح الأضحية ثاني العيد وثالث العيد، ويُسنُّ للمضحي أن يأكل من أضحيته، ويتصدق من لحمها نيئًا على الفقراء، ويهدي للجيران والأقارب والأصدقاء، ولا حدَّ لما يتصدق به، قال الله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: 28]، وقال سبحانه: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج: 36]، والقانع هو السائل، والمعتر هو الذي يتعرض للصدقة من غير سؤال.

والأفضل أن يتولى صاحب الأضحية ذبحها بنفسه، وله أن يوكِّل غيره بالذبح، ولا يجوز بيعُ شيء من الأضحية، ولا أن يُعطي الجزار منها أُجرة، وله أن يعطيه منها صدقة أو هدية، ويجوز أن ينتفع صاحب الأضحية بجلدها بغير البيع أو يتصدق به أو يهديه للجزار أو غيره، ويجوز ادخار لحوم الأضاحي إلى بعد أيام العيد. الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

اللهم لك الحمد على نعمة الإسلام، ولك الحمد على ما شرعت لنا من الأحكام، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله على نعمه التي لا تُعد ولا تحصى، الحمد لله الذي خلقنا من العَدَم، ورزقنا من النِّعَم، ودفع عنا النِّقَم، الحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، السابقة واللاحقة، ما نعلم منها وما نجهل، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

أيها المسلمون، لا يحل أكل الأنعام التي أباحها الله لنا إلا بعد تذكيتها بالذبح أو النحر، والذبح: هو قطعُ الحلقِ أعلى العنق، والذبحُ يكون للغنم والبقر. والنحر: هو طعنُ لَبَّةِ الحيوان أسفل العنق، والنحر يكون للإبل.

ويُشترط لصحة الذبح أن يكون الذابح عاقلًا مميِّزًا، ذكرًا أو أنثى، ويجب على الذابح أن يسمي الله تعالى، وأكثر العلماء أنه لا تحلُّ ذبيحةُ المسلمِ إذا تعمد ترك تسمية الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: 121]، ويُسنُّ أن يُكبِّر الذابح مع التسمية فيقول: (بسم الله، والله أكبر).

والمشروع في الذبح: قطعُ الحلقومِ والمريءِ والودَجَين، والحلقومُ هو مجرى النَّفَس، والمريءُ هو مجرى الطعام، والودَجَان هما العِرقان المتقابلان المحيطان بالحلقوم، والأفضلُ قطع هذه الأربعة كلها، ولا يجوزُ في الذبح كسرُ رقبةِ الحيوان قبل موته، وكره العلماء النَّخْع، وهو بلوغ السكين في الذبح إلى النُّخاع، وهو عرقٌ أبيضُ وسط عظمِ الرقبة، فعلى الذابح أن يكتفي بقطع الودجين والحلقوم والمريء، ويترك الحيوان بعد ذبحه حتى يموت، ولا يستعجل موته بقطع الرقبة، ولا يطعنه في منحره قبل موته، ولا يبدأُ بقطع قوائمِه ولا سلخِه حتى يموت.

ويُسَنُّ للذابح أن يُحِدَّ السكين، ولا يحدُّها أمام الحيوان، ويُستحب أن يُضجِع البقر أو الغنم لجنبها الأيسر برفقٍ بقدر الاستطاعة، وأن يستقبل بها القبلة، ويُسرع بيده في الذبح، ويترك رجلها اليمنى تتحرك بعد ذبحها، قال النبي ﷺ: ((إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ))، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا.

أيها المسلمون، لا تحل الذبائح التي تُقتَل صعقًا بالكهرباء، وهي ميتةٌ حتى وإن صعقها مسلمٌ، والأصل في التذكية الشرعية أن تكون بدون تدويخ الحيوان، وتحلُّ الحيوانات التي تُذبح بعد تدويخها إذا كان تدويخها لا يؤدي إلى موتها، ولا يكتفي الذابح في المسلخ بالتسمية على أول ذبيحة، بل عليه التسمية لكل ذبيحة يذبحها، ولا يكفي أن يسمي اللهَ من حضره، بل تكون التسمية من الذابح نفسه، وهي عبادة عليه أن يحرص عليها في كل ذبيحةٍ وإن كثرت.

أيها المسلمون، العيد فرصة طيبة لإصلاح ذات البين، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 1]، فأفشوا السلام بينكم، واعفوا عمن أساء إليكم وظلمكم، وصِلوا أرحامكم، وتصدقوا وأحسنوا، ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56]، ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134].

اللهم ارحمنا في حياتنا، وارحمنا عند موتنا، وارحمنا بعد موتنا، وارحمنا في قبورنا، وارحمنا يوم الحساب، وحاسبنا حسابا يسيرا، واغفر لنا ولوالِدِينا، اللهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غِلًّا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ألِّف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، اللهم أصلِحْ لنا دينَنا الذي هو عِصمةُ أمرِنا، وأصلِحْ لنا دنيانا التي فيها معاشُنا، وأصلِح لنا آخرتَنا التي إليها معادُنا، واجعلِ الحياةَ زيادةً لنا في كل خير، واجعلِ الموتَ راحةً لنا من كل شر، اللهم إنا نسألك من الخير كلِّه، عاجِلِه وآجِلِه، ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كلِّه، عاجِلِه وآجِلِه، ما علمنا منه وما لم نعلم، اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، ونسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لنا خيرا، وما قضيت لنا من قضاءٍ فاجعل عاقبته رُشدا، اللهم اجعلنا من الشاكرين الصابرين الصالحين، اللهم حبِّب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، وتوفنا مسلمين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم أنج المستضعفين من المسلمين في فلسطين والسودان وفي كل مكان يا أرحم الراحمين، اللهم هيء الأسباب لتحرير المسجد الأقصى، فإنك على كل شيء قدير، وأنت أحكم الحاكمين، سبحانك لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، اللهم وصل وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

1. () ممن أجاز صوم الست من شوال بعد شهر شوال: ابن العربي المالكي والخرشي المالكي وابن حجر الهيتمي الشافعي وابن مفلح الحنبلي، وأجازه ابن عثيمين إذا لم يتمكن من صيامها في شوال لعذر، يُنظر: أحكام القرآن لابن العربي (2/ 321)، شرح مختصر خليل للخرشي (2/ 243)، تحفة المحتاج في شرح المنهاج وحاشية الشرواني (3/ 457)، الشرح الممتع على زاد المستقنع لابن عثيمين (6/ 466)، قال ابن مفلح في الفروع (5/ 86): "يتوجه احتمال تحصل الفضيلة بصومها في غير شوال وفاقًا لبعض العلماء، ذكره القرطبي؛ لأن فضيلتها كون الحسنة بعشر أمثالها كما في خبر ثوبان، ويكون تقييده بشوال لسهولة الصوم لاعتياده رخصة". [↑](#footnote-ref-1)